دعوة الخلف
إلى طريقة السلف

ألفه ورتب فصوله وأسئلته
محمد بن علي بن أحمد بافضل
عفى الله عنه

طبع في
مطابع النصر الحديثة
وعلى نفقتها

الطبعة الأولى

١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

« قرآن كريم »

فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم ولكن أكثر النـاس لا يعلمون
منيبين إليه واتقوه ، وأقيموا الصلاة
ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا ، كل حزب بما لديهم
فرحون .

« سورة الروم »

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

كتبها الأستاذ القدير والمؤرخ الشهير

الشيخ سعيد عوض باوزير

آمنت بالله ربا ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا .

هذا هو موضوع الكتاب الذى جمعه المؤلف من أوثق المصادر .

دعوة الى التوحيد الخالص دون اشراك ، وايمان برسالة خاتم الأنبياء دون انحراف ، وتمسك بتعاليم مستقاة من أصولها الصحيحة دون ابتداع ، في ميدان الاعتقاد يدعو الكتاب الى اصلاح كل ما أفسدت البدع والأباطيل من جوهر العقيدة . وفي ميدان السلوك والعبادة يدعو الى رفض كل زيادة ليست في كتاب الله الكريم ولا في سنة رسوله المطهرة .

وفي الكتاب دفاع حاد وواع عن الاسلام كنظام شامل لكل جوانب الحياة . وفيه دحض للشبهات والمطاعن والمفتريات التى وجهت اليه ظلما وعدوانا . وما أحوجنا في مثل هذه الظروف المؤلمة القاسية الى صيحة كهذه تصحح الأوهـــام ، وتنير الأفهـــام ، وتعيد الركب الضـــال الى صراط الله المستقيم .

ان الأزمة التى تجتازها بلادنا اليوم ، بل و كل بلاد العالم ، لا تعدو أن

تكون أزمة روحية أخلاقية ، قبل أن تكون أى شىء آخر • وهـذا القحط الروحى والجدب الأخلاقى ، لا يمكن أن يعالج بمذهب فلسفى ، أو نظام سياسى ، أو عقيدة اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو غير ذلـك من مخترعـات العقول البشرية • لكن شيئا واحدا هو الكفيل باقتلاع جـذور الشر من طبيعة البشر • والتغلب على نواحى الضعف فيها وتحويلهـا الى أحاسيس تنبض بالحب والخير ، والسمو الروحى والخلقى • وهذا الشىء هو الطاقـة الروحية الهائلة الكامنة في الاسلام ، خلاصة الأديان السماوية ، ولب لبابها ، انها لا تزال والى الأبد قادرة على هداية العالم من الضلال ، وحمايته من الانحلال والسير به في طريق الحق والخير والكمال • « لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضونه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه • ويهديهم الى صراط مستقيم » •

هذا هو ملخص لمحتويات هذا الكتاب القيم ، الذى استعان فيه مؤلفه الأستاذ (محمد بن علي بافضل) بأقلام نخبة من كبار أئمة الدين وأساطين البلاغة • ولن يضيره ما دام قد نقل فأجاد النقل ، واختار فأحسن الاختيار ، بل وأشار اليهما وصرح بهما ولم يتستر عليهما •

ربما تثير بعض النقاط التى عالجها الـكتاب حساسيات بعض الناس ، أو تصطدم بوجهات نظر خاصة بهم ، لكننى واثق بأن المؤلف لم يـكتب ما كتب عن هوى أو غرض وانما كان يصدر عن عقيدة امتزجت بروحـه وقلبه ، يدافع بها عن دين الله الحق • طـالما تحدث بها لسـانه ، قبل أن يتناولها قلمه ، فالمؤلف من خطباء الحضـارم الوهـوبين ، وأسـاتذتهم المستنيرين ، تعرفه المنابر والحفلات ، كما تعرفه فصول الدراسة ، وقاعات المحاضرات •

أما بعد ـ فانني أدعو كل قارىء لهذا الكتاب أن يتأدب بأدب القرآن الكريم ، فيكون ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولا يتعجل باصدار حكم قبل أن يمحص الأدلـة ، ويجتهـد في الاحاطـة بالبحث من جميع نواحيه ، فموضوعات الكتاب خطيرة ، وعميقة ، لأنها تتعلق بأصول العقيدة، وأساس الايمان .

(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)

حرر في غيل باوزير ١٦ ـ رمضان ـ ١٣٩١ هـ

٤ نوفمبر ـ ١٩٧١م

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب للمؤلف

ألحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وامام الموحدين ، سيدنا محمد أفضل المبعوثين بالرسالة ، والهادى من الضلالة ، وعلى آله وصحابته خيار الخلفاء ، ومنار الحنفاء •

وبعد فقد طلب منى أحد الطلاب ، الذين رائدهم الصواب ، أن أضع أسئلة خاصة في خالص التوحيد ، وفي بيان ما يعامل به الخالق المجيد ، ثم أجيب عنها : مدعما الأجوبة بالبراهين القاطعة ، والأدلة الساطعة • فقدمت اليه الاعتذار بقصور باعى ، وعدم سعة أطلاعى ، وأحلته على من هو أولى بذلك منى ، من أولى العلم والدراية ، والحفظ وصحة الرواية • ـ فلم يقبل منى عذرا • وحملنى على اجابة طلبنه ، وتحقيق رغبته •

فعند ذلك عقدت العزم على تلبيته حسب استطاعتى ، مستعينا بالله • وراجيا منه التوفيق ، والهداية الى أقوم طريق ، وشرعت في المقصود ، وجمعت ما سطرته هنا من الكتب المفيدة ، والتفاسير المعتبرة ، مثل تفسير المنار ، وتفسير البيضاوى ، وابن كثير ، وتفسير محمد محمود حجازى ، الموسوم ب « التفسير الواضح » •وفي ظلال القرآن ، للسيد قطب • وتفسير الجلالين ، ومن كتب الامامين الشهيرين شيخ الاسلام ابن تيمية ، وتليمذه ابن القيم • ومن كتب أنصار السنة المحمدية • وبالجملة كل ما وصلت اليه يدى من كتب القوم الخالية عن التعقيد • ورغبة في عموم النفع : بينت

الأحاديث الموضوعة والضعيفة ، متوكئا على كتب الجرح والتعديل ، كأسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ـ للسيد درويش الحوت ، وكالاصابة في التعريف بالصحابة ، لابن حجر العسقلانى ، والميزان للذهبى ، وكالمجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكانى ، وذلك ليكون الطالب على بصيرة في كل ما عهد به الى من أسئلة استعصى على فهمه ادراك حقيقتها ، والاحاطة بما فيها ، مستلهما منى الاجابة الواضحة التى تريه الحق حقا والباطل باطلا • وأسميته (دعوة الخلف الى طريقة السلف) وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ـ قائلا : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين • ان صلاتى ونسكى ومحياي ومماتي لله رب العالمين • لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين •

أما وقد آن الشروع في المقصود فأقول : مبتدئا بالاجابة على السؤال الآنى تحت عنوان :

علـم التوحيد

س ـ أيها الأستاذ ان لي رغبة أكيدة في معرفة علم التوحيد ، فهل تتفضل مشكورا بتعريفه ؟

ج ـ علم التوحيد : هو العلم الموصل الى معرفة ما يجب ، وما يستحيل وما يجوز في حق الله سبحانه وتعالى من الصفات التى ثبت بيانها بنص الكتاب والسنة ، وكما وضحته كتب الأئمة الأعلام مما لا غنى لكل مسلم على معرفته والوقوف عليه كعقيدة سليمة ينبغى الاعتماد عليها والتحلى بها • فالله سبحانه وتعالى متصف بصفات كمالية لا يمكن لأحد الاتصاف بها ، فهى واجبة له وحده دون سواه ، اذ هو منزه عن المثيل والشبيه والند • وعن الشركاء والأعوان (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) •

وأعلم أن لهذا العلم قواعد يتيسر معها العلم اليقينى القطعى بوجود الله المعبود ، المستحق للعبادة ، المدبر للكون ، والبارىء له ، والقيوم عليه •

س ـ ما معنى قواعد يتيسر معها العلم اليقينى القطعى بوجود الله المعبود ، المستحق للعبادة ؟

ج ـ معنى قواعد : دلائل قاطعة بوجود المعبود بحق ، وبصفات واجبة له تليق بعظمته وجلاله •

س ـ هل لعلم التوحيد مباحث أخرى يجب معرفتها ؟

ج ـ نعم : هناك مباحث تفصيلية يجب معرفتها : كمعرفـة ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وكمعرفـة السمعيات ، وكالايمان بالكتب المنزلة ، وبالملائكة ، وبكل ما علم من الدين بالضرورة ، كالدلائل الكونية الموصلة الى معرفة الله تعالى •

س ـ ما أقوى الدلائل الكونية الموصلة الى معرفة الله سبحانه وتعالى ؟

ج ـ أقواها : ما كان نتيجة الفكر والنظر في هذه المخلوقات التى ليس في طوق البشرية كلها مجتمعة القدرة على وجود مثلها ، بل أو على أحقرها ، وأدقها في حال من الأحوال !! فلو اجتمع المخلوقون في صعيد واحد ، وعمدوا الى خلق أصغر حيوان على وجه الأرض متساندين لما استطاعوا ، ولضعفوا أمامه !! وصدق اذ يقول مبكتا المشركين ، ومبينا ضعف الآلهة التى عبدوها من دونه : (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعـوا له ، وان يسـلبهم الذبـاب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) •

س ــ اشرح لى بعض الدلائل الكونية ، لينشرح صدرى ، ولأزداد يقينا ؟

ج ـ لا أذهب بك الى ما وراء المحسوسات التى لا تشاهدها ماثلة أمامك ، بل الى ما تراها وتشاهدها بعينيك المجردتين في أبهى صورها ، وأروع منظرها ، فهذه السماء التى تجدها بعد التأمل ، سقفا محكما مرفوعا بدون عمد مرئية ، وقد زينت بالشمس والقمر وبسائر الكواكب على اختلاف حجمها ، وبعدها وقربها ، على أبدع نظام وأجمل شكل ، لا يعتريها تغيير أو تشقق في وقت ما ، على بعد الزمن ومرور السنين • قال تعالى في سورة ق : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » • وفي سورة النازعات : « •• أم السماء بناها ، رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها » • ومن سورة يس : « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم • والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم • لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل في فلك يسبحون » •

اذا تأملت السماء وما فيها من شمس ، وقمر ، ونجوم ، وكواكب •• اذا تأملت ذلك كله أدركت بعقلك أن هذه المخلوقات لا بد لها من خالق أوجدها ، لأنها لا تستطيع أن تخلق نفسها ، وهذا الخالق هو الله سبحانه وتعالى ، الذى لا تراه عيوننا ، ولكن مظاهر خلقه تدل عليه • قال تعالى : « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء •• » •

ومن دلائل وجوده ومظاهر قدرته تعالى :

هذه الشمس التى تمدنا بالحرارة والضوء ، وعليها تتوقف حياتنا ، وحرارتها الشديدة تصل الى الأرض بقدر يناسب حياة جميع المخلوقات ،

ولو قربت أكثر من ذلك لأحترقت الاحياء التى تعيش على الأرض ، ولو بعدت أكثر من ذلك لتجمدت هذه الأحياء من شدة البرد •

ولا شك أن الذى خلقها بهذه الصورة العجيبة ، وحفظها مصـدرا للضوء والحرارة والحياة على وجه الأرض ، اله قادر عظيم القدرة ، وليس كمثله شيء قال تعالى في سورة ابراهيم : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » •

ومن مظاهر قدرة الله : ـ هذه الأرض التى نعيش عليها ، فهى ـ كما أثبت العلم ـ كرة هائلة معلقة في الفضاء ، تدور حول نفسها مرة في كل أربع وعشرين ساعة ، وتدور حول الشمس مرة كـل سنة ، ومن دورانها يتكون الليل والنهار ، وتتكون فصول السنة • وهى تدور هكذا ملايين السنين دون أن تتوقف ، وهذه المظاهر كلها دلائـل واضحة على قدرة الخالق جل شأنه وعلى بديع صنعه ، قال تعالى في سورة الذاريات : « وفي الأرض آيات للموقنين » •

وفي عالم النبات نرى كثيرا من عجيب صنع الله :

فنحن نزرع في قطعة الأرض الواحدة أنواعا من البذور صغيرة يشبه بعضها بعضا ، وتسقيها بماء واحد ، فاذا النبات يخرج من باطن الأرض ، ثم ينمو ، وتظهر أوراقه وفروعه وأزهاره وثماره ، فنجد أوراقا مختلفة ، كل ورقة برسم ولون ، ونرى أزهارا ذات أشكال متعددة ، وألوان مختلفة رائعة وروائح متباينة ، ونشاهد ثمارا متنوعة الشكل والطعم ، وذلك كله يدل على قدرة الخالق الحكيم الذى أتقن كل شيء خلقه • قال تعالى في سورة الرعد : « وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع

ونخيل صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ، ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون » •

ولو نظر الانسان في نفسه لوجد أنه قد خلق في أكمل صورة ، وأن جسمه مزود بأعضاء كثيرة متعددة مركبة ، منها ما هو للهضم ، وما هو للتنفس ، ومنها ما هو للحس ، من الرؤية والسمع والذوق واللمس ، وغيرها • ومنها ما هو للكلام والتفكير • وكل هذه الأجهزة تتعاون ، لتساعد الانسان على الحياة ، وعلى أداء وظائفه فيها ، وقد استطاع الانسان بقوة تفكيره أن يسخر كثيرا من المخلوقات ، وأن يخترع المخترعات العجيبة ، ويكشف عن كثير من أسرار الكون وعجائبه ، حتى غزا الفضاء بطياراته وصواريخه وأقماره الصناعية •

هذا الجسم الانساني المركب ، وهذا العقل البشري الجبار من الدلائل الواضحة على وجود الله سبحانه وعلى قدرته الباهرة •

س ـ ما معنى التوحيد ؟

ج ـ معناه ـ معنى : « لا اله الا الله » ومعناها : افراد الله بالعبادة والتوحيد ، فلا معبود بحق سواه ، وكل معبود من دونه باطل ، والاقرار لسيدنا محمد بالرسالة ، وأن رسالته خاتمة الرسالات ، ومن قواعدها الايمان بجميع الرسل السابقين من غير تفرقة ، جاء في سورة البقرة : « كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » • وكلمة التوحيد دعا اليها جميع الرسل ، والمراد تصديق القلب بمعناها ، واعتقادها اعتقادا جازما مع نطق اللسان بها ، وليس المراد مجرد نطقها باللسان فحسب ! دون تصديق بالقلب ، واذعان لموجبها ، فان من نطق بلسانه ، ولم يصدق بقلبه ، فهو في الظاهر مسلم ، تجرى عليه أحكام

المسلمين في الدنيا ، وهو في الباطن كافر ، ويسمى : منافقا !! في سورة النساء: « ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار » . وهذا حظه في الآخرة .

س ـ هل هناك نوع للتوحيد غير ما سبق ذكره ؟

ج ـ نعم : التوحيد قسمان : توحيد ربوبية ، وتوحيد عبادة .

س ـ ما معنى توحيد الربوبية ؟

ج ـ معناه الايمان بأن الله سبحانه هو الخالق للعالم والرازق له والمدبر لشأنه والفعال لما يريد ، لا شريك له في ذلك . وهذا لا ينكره فريق من الكفار من عبدة الاصنام ، ممن خاطبهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم الى التوحيد ، فهم لا ينكرون وجود الله ، بل هم مقرون به ، وأنه خالق السماوات والأرض ومن فيهما ، غير أنهم أشركوا بالله ، وعبدوا معه آلهة أخرى ، كالأصنام زاعمين أنها تقربهم الى الله زلفى ، قال تعالى في سورة الزمر : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » وقال في سورة العنكبوت : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ، وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله : « ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء ، فأحيا به الأرض من بعد موتها ؟ ليقولن الله » . كما أنهم أنكروا رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا : كما حكى الله عنهم في سورة الزخرف : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » فهذه الآيات ناطقة بأن هؤلاء الكفار مقرون بأن الله وحده هو المحيي المميت ، وأنه خالق السموات والأرض ومن فيها ، وأنه رازقهم . ـ وفي القرآن آيات كثيرة شاهدة بذلك مثل قوله تعالى في سورة يونس : « قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أمن يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحي من الميت ؟ ويخرج الميت من الحي ؟ ومن

يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله . فقل : أفلا تتقون » . ومثل قوله في سورة المؤمنون : « قل : لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل : أفلا تذكرون ؟ قل من رب السموات السبع ، ورب العرش العظيم ؟ سيقولون لله . قل : أفلا تتقون ؟ قل من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه ، ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون ؟ بل أتيناهم بالحق ، وانهم لكاذبون » .

س ـ ما معنى توحيد العباده ؟

ج ـ معناه : افراد الله وحده بجميع أنواع العبادة ، أي أنه يجب أن تكون العبادة خالصة لوجهه ، لا يشركه أحد فيها . ولو ملكا أو نبيا أو وليا . قال تعالى في سورة الكهف : « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

العبادة وأقسامها

س ـ ما هى العبادة وفي أى شيء تستعمل ؟

ج ـ العبادة هى أقصى باب الخضوع لله والتذلل له كما في الكشاف . (التفسير المعروف للزمخشري) ولم تستعمل الا في الخضوع لله ، لأنه مولى أعظم النعم ، فكان حقيقا بأقصى باب الخضوع . ـ ولأجل العبادة بعث الله الرسل ، مبشرين ومنذرين . ـ والعبادة أقسام :

س ـ ذكرت أن العبادة أقسام ، ولم تبينها ، فارجوك بيان تلك الأقسام بالتفصيل ؟

ج ـ ها هو البيان كما يلى :

العبادة تنقسم الى ثلاثة أقسام : اعتقادية وهى أساسها ، وبدنية ، ومالية . ـ فالبدنية كالصلاة والصوم والحج ، والمالية كالزكاة .

س ـ لم تبين عن العبادة الاعتقادية ، فما هى اذن ؟

ج ـ العبادة الاعتقادية هى : أن يعتقد المكلف بأن الله هو الرب ، الواحد الأحد ، ألفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد • الذى له الخلق والأمر وبيده جلب النفع ، ودفع الضر ، وأنه الذى لا شريك له ، ولا يشفع عنده أحد الا باذنه ، وانه لا معبود بحق سواه ، ومن لوازمها التلفظ بكلمة التوحيد ، فمن اعتقد ما ذكر ، ولم ينطق بها ، لم يحقن دمه وماله أى أبيح دمه وماله للمسلمين ، اذا كان حربيا معتديا ، ومن نطق بها ولم يعتقد ، وعمل عمل المسلمين حقن دمه وماله وحسابه على الله ، وحكمه حكم المنافقين • ـ

ولهذا يجب على المكلف اعتقاد ما يجب في حق الله ، وما يستحيل ، وما يجوز من الصفات ليكون اعتقاده خالصا صافيا •

تقسيم صفات الله بحسب الحكم العقلى

س ـ أفدنى عن بيان ما يجب اعتقاده من الصفات وما يستحيل ، وما يجوز لئلا أقع في محذور ، أو أقصر في واجب ، أو أعتقد في الجائز أنه واجب أو مستحيل ، أو العكس ؟

ج ـ الصفات بحسب الحكم العقلى تنقسم الى ثلاثة أقسام : واجبة ، ومستحيلة ، وجائزة •

س ـ ما معنى الواجب ، والمستحيل ، والجائز ؟

ج ـ الواجب هو : ما لا يتصور العقل عدمه• والمستحيل : ما لا يتصور العقل وجوده • والجائز : هو ما يتصور العقل وجوده تارة ، وعدمه أخرى•

صفات الله الواجبة والمستحيلة والجائزة

س ــ أفدني عن تلك الصفات بالتفصيل ؟

ج ـ الصفات الواجبة كثيرة ، منها عشرون اشتهر ذكرها في الكتب المؤلفة في العقائد • والمستحيلة منها عشرون • ضد الصفات الواجبة • والجائزة صفة واحدة تشتمل على صفات كثيرة •

ألصفات العشرون ومعانيها وأضدادها

الصفة	معنى الصفة	أضدادها
١ ــ ألوجود	ان الله موجود	العدم
٢ ــ ألقدم	ان الله موجود ولا أول لوجوده •	الحدوث
٣ ــ ألبقاء	ان الله موجود ولا آخر لوجوده •	الفناء
٤ ــ المخالفة للحوادث	فهو لا يشبه خلقه • ولا يشبهه أحد من خلقه	المماثلة لها
٥ ــ ألقيام بالنفس	فهو غير محتاج لأحد من خلقه •	الاحتياج للمحل والمخصص •
٦ ــ ألوحدانية	فهو واحد في ذاته وصفاته وافعله •	التعدد في الذات والصفات والافعال
٧ ــ ألقدرة	وهى صفة يتأتى بها الايجاد والاعدام •	العجز •
٨ ــ الارادة	وهى صفة تدل على أنه فاعل مريد	عدم الارادة
٩ ــ ألعلم	وهى صفة تدل على احاطته بكل شيء •	الجهل
١٠ــ الحياة	أى أنه حى	الموت
١١ــ السمع	وهى صفة تدل على أنه يسمع •	الصمم

الصفة	معنى الصفة	ضدها
١٢ـ ألبصر	وهى صفة تدل على أنه يبصر .	ألعمى
١٣ـ الكلام	وهى صفة تدل على أنه	ألبكم
١٤ـ وكونه قادرا	متكلم .	عاجزا
١٥ـ وكونه مريدا	وهذه الأوصاف جاءت من	غير مريد
١٦ـ وكونه عالما	اثبات الصفات السابقة	جاهلا
١٧ـ وكونه حيا	فمن ثبت له قدرة كان	ميتا
١٨ـ وكونه سميعا	لا بد أن تصفه بأنه	أصم
١٩ـ وكونه بصيرا	« قادر » وهكذا في بقية	أعمى
٢٠ـ وكونه متكلما	الصفات الأخرى .	أبكم

وتسمى الصفات الواجبة صفات الكمال ، أما المستحيلة فتسمى صفات النقص . فيجب أن نعتقد أن لله صفات الكمال لأنها تليق بكماله ، وأن ننزهه عن صفات النقص لأنها لا تليق بجلاله ، « ولله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » . وأما الصفة الجائزة في حقه تعالى : فهى فعل كل ممكن أو تركه ، مما يليق بجلاله فعله أو تركه على وجه لا نقص فيه ، ولا مشابهة فيه للخلق . وسميتت جائزة : لأنه يستوى فيها الوجود والعدم ، وهى فعل الممكنات أو تركها ، كانزال المطر وكخلق المخلوقات . ونحو ذلك .

فواجب المسلم تغلغل عقيدة التوحيد في نفسه وامتزاجها بلحمه ودمه . فلا يعبد الا الله ، ولا يتجه بالسؤال لمخلوق سواه ، وافراد الله سبحانه بالعبادة والاتجاه اليه بالسؤال يلقيان في قلب المؤمن عزة وقوة تشد من أزره في كثير من الملمات . ومن الايمان : الاعتقاد بأن لله رسلا .

ألرسل وما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز

س ـ ذكرتم بأن من الايمان : الاعتقاد بأن لله رسلا ٠ فهل تسمحون بذكر ما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز ، مع ذكر عددهم ووظيفتهم ؟

ج ـ نعم يجب اعتقاد أن لله رسلا مبشرين ومنذرين ، ووظيفتهم ابلاغ الشرايع الى المكلفين ، وانذار العاصى بالنار ، وتبشير المطيع بالجنة ، فالغاية من ارسالهم التبشير والانذار ولالزام الناس الحجة فلا يجدون مجالا للانكار : كما جاء في قوله تعالى من سورة البقرة : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم » ٠

ومن أسس الايمان : الايمان بالرسل جميعا لا فرق في ذلك بين رسول ورسول ٠ قال تعالى مخاطبا نبيه : « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » ٠

ومن شروط هذا الايمان الاعتقاد بأن نبينا محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ آخر الرسل ، ورسالته خاتمة الرسالات السابقة ، فهو الأخير في صرح النبوات ، ودينه ناسخ لتشريعات الأديان السابقة كما قرر القرآن ذلك : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »٠

أما ما يجب وما يستحيل وما يجوز فاليك بيانه فيما يلى :

يجب علينا أن نعتقد بان الواجب في حق الرسل أربعة أمور :

١ ـ الصدق ٠ ٢ ـ الأمانة ٠ ٣ ـ التبليغ ٠ ٤ ـ الفطانة ٠

كما يستحيل عليهم أربعة أمور :

١ ـ الكذب ٠ ٢ ـ الخيانة ٠ ٣ ـ الكتمان ٠ ٤ ـ البلادة ٠

أما ما يجوز في حقهم : فصفة واحدة وهى حدوث الأعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص في مراتبهم العلية ٠ كالأمراض والمصائب ، والبلايا والمشى في الأسواق ، والزواج ، والأكل والشرب ، والنوم ، والسهو ، في غير الأمور التى كلفوا بها ، وبتبليغها ٠ ـ أما الاعراض البشرية التى تؤدى الى نقص في حقهم ، وتنفر الناس عنهم : كالجنون ، والجذام والبرص والخبل ، والسفه ، وما شاكلها ، فمستحيلة في حقهم ٠

(الايمان بالكتب المقدسة)

ويجب على كل مسلم أيضا الايمان بالكتب المقدسة :

والكتب المقدسة هى الكتب التى أنزلها الله على رسله ، وفيها الدعوة لهداية البشر ، وصلاح حالهم في الدنيا والآخرة ، وتتضمن أوامر الله ونواهيه ، كما ترسم صورة واضحة لكل من طريقى الخير والشر ، ولهذا كان الواجب على المسلم الايمان بالقرآن المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو بدوره مصدق لما سبقه من الكتب كالتوراة وهو كتاب موسى والانجيل وهو كتاب عيسى ، والزبور وهو كتاب داود ، وصحف ابراهيم ٠

وهذه الكتب ـ وان كانت تختلف في بعض الأحكام العملية

والتفصيلات الجزئية ، لاختلاف أحوال الناس ، وأزمنتهم ، الا أنها تتفق جميعها في الدعوة الى توحيد الله كما رأيت والتمسك بفضائل الأخلاق ، كما في الوصايا العشر المذكورة في سورة الأنعام عند قوله تعالى : « قل : تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ... الخ » فقد وردت في الكتب الأخرى أيضا . ومن لوازم الايمان : الايمان بالملائكة .

الايمان بالملائكة

س ـ قلتم : أن من لوازم الايمان ـ الايمان بالملائكة . فمن هم الملائكة ؟ وما الغرض من الايمان بوجودهم ؟ وما وظائفهم وأعمالهم ؟

ج ـ الملائكة عباد من خلق الله تختلف طبيعتهم عن طبيعة البشر ، فهم من عالم لطيف غير محسوس ، ملازمون لعبادة ربهم وطاعته كما قال تعالى في سورة النحل : « ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » . وجاء في حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : قال « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارج من نار » . والملائكة وان كنا لا نراهم ، فهم موجودون قطعا ، ولا يصح في العقل انكار وجودهم بدليل أن كثيرا من الكائنات التى كانت خافية فيما سبق اكتشفها العلم الحديث وأثبت وجودها ... كما في اكتشاف جراثيم الأمراض مثلا .

والغرض من الايمان بوجودهم ولا شك تصديق القرآن في ذلك ، فقد جعله أصلا من أصول العقيدة الدينية في قوله تعالى : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله » . وباعتقاد المسلم في ذلك اعتراف منه بالحياة الروحية التى ينبغى أن يستجيب

لها ، فيكثر من عمل الخير ، ويبتعد عن ارتكاب الشرور والآثام ، كي ترقى نفسه الى أعلى درجات الكمال .

أما وظائفهم فمن أبرزها : (١) أنهم رسل الله الى أنبيائه ، ينزلون بالوحى عليهم ، وقد جاء في وصفهم أن لهم أجنحة كما قال تعالى في سورة فاطر : « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير » .

(٢) ومن الملائكة من يقوم بقبض أرواح السعداء كما في قوله تعالى : « ألذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون : سلام عليكم ، أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون » . ويقبضون أرواح لأشقياء كذلك . جاء في سورة النحل : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء ، بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون » .

(٣) ومن وظائف الملائكة أنهم يواسون المؤمنين حينما تنزل بهم المصائب ، ويبشرونهم بالفوز برضوان الله والدخول في جناته كما قال تعالى في سورة فصلت : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » .

(٤) والملائكة يحصون على الناس أعمالهم من خير أو شر ، فهم يكتبونها عندهم ليحاسبوا عليها يوم القيامة : « وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين » . ويقول في وصفهم : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد . اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيده ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » .

(الايمان باليوم الآخر)

ومما يجب الايمان به : الايمان باليوم الآخر ، وما فيه من مشاهد •

س ـ حدثني عن اليوم الآخر ما هو ؟ وعما فيه من مشاهد ولو بطريقة الايجاز ؟

ج ـ أليوم الآخر هو اليوم الذي يحاسب فيه الخلائق على ما ارتكبوا في الدنيا من خير أو شر ، ومجيء ذلك اليوم ثابت وحق لا ريب فيه • والمتصفح لآيات القرآن وسوره يجد الحديث عن اليوم الآخر وما فيه من مشاهد متباينة ، ومواقف مختلفة ، من حشر للأجساد ، ومرور على الصراط ، ووزن للأعمال ، واستقرار اما في جنة واما في نار ـ واضحا مفصلا ، بل ان النفس الانسانية يخالطها شعور يشبه الالهام بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى ينال فيها كل من المحسن والمسيء جزاء احسانه واساءته ، قال تعالى في سورة الاسراء : « وقالوا أاذا كنا عظاما ورفاتا أانا لمبعوثون خلقا جديدا ؟ قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم ، فسيقولون من يعيدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة ، فسينغضون اليك رءوسهم ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريبا » •

وهناك أصل سادس من أصول العقيدة الاسلامية لا بد من الاعتقاد به ، وهو الايمان بالقضاء والقدر ، وفوائده •

« الايمان بالقضاء والقدر »

س ـ أريد منك بيان هذا الأصل بوضوح تام ، مع بيان الفوائد المترتبة عليه ؟

ج ـ الايمان بالقضاء والقدر عبارة عن الايمان بما يقضى به الله في

علمه الأزلى (القديم) وبما تتعلق به قدرته وارادته من هـذه الـكائنات ، فما شاءه كان ، وما لم يشأ لم يكن • ولهذا وجب الايمان بهذين المبدأين :

١ ـ مبدأ أن علم الله شامل لكل شيء ، وذلك هو القضاء •

٢ ـ ومبدأ أن قدرته وارادته لا يخرج عنهما شيء من هذه المخلوقات فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن على وفق علمه ، وذلك هو القدر • وهذه هى الأدلة عليه من الكتاب والسنة : جاء في سورة الأنعام عند الكلام عن علم الله سبحانه وتعالى ، وأنه وسع دقائق هذا الكون وخفاياه : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها • ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » • وهو الذى يتوفاكم بالليل ، ويعلم ما جرحتم بالنهار ، ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ، ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون » • وجاء في سورة الرعد : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحـام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار » • وقال عليه الصلاة والسلام : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » • واذا وضح أن كل شيء في هذا الوجود يجرى على سنن كونية ، ونظم الهية ، وأن الايمـان بذلك واجب على كل مسلم ومسلمة ، فلا منافاة بين هذا الايمان وبين مشيئة الانسان في أفعاله ، وليس فيه دعوة الى انتظار ما تجيء به الأقدار من غير أن يأخذ المرء في الأسباب ، بل على الانسان أن يسعى ويكد ويجتهد في حياته ، « ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها • وما ربك بظلام للعبيد » • وقال في سورة الليل : « وان سعيكم لشيء ، فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى • وأما من بخل واستغنى وكـذب بالحسنى ، فسنيسره

للعسرى » • وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لابنه عند الموت : « انك لن تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان أول ما خلق الله القلم • فقال له : اكتب قال : يا رب ما أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى يوم القيامة • يا بنى انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من مات على غير هذا فليس منى » •

مشيئة الله :

ان مشيئة الله سبحانه وتعالى قد قضت بأن يكون من الناس سعداء وأشقياء نتيجة اكتسابهم الفعل الخير أو فعل الشر • ففى سورة السجدة « أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأاوى نزلا بما كانوا يعملون • وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون » • كما قضت مشيئة الله أن يرسل الرسل ، وينزل عليهم الكتب السماوية ليبشروا بها المؤمنين ، وينذروا بها قوما لدا ، حتى لا يكون للناس حجة بعد ذلك •

مشيئة الانسان :

وللانسان مشيئة واختيار أمدته بهما مشيئة الله وقدرته ، فهو في كل لحظة من لحظات حياته محتاج الى قدرة الخالق ومشيئته • ويترتب على مشيئة الانسان واختياره ما كلفه به الخالق ، فهو اما جندى يعمل في كتيبة الخير ، فيمتثل الأوامر ويتجنب النواهى ، واما أن ينحاز الى كتيبة الشر فيخسر الدنيا والآخرة •• وذلك هو الخسران المبين •

س ـ يذكر أن طائفة من المسلمين اشتهرت بالخوض في القدر : فهل تسمح بذكر ما كانت تعتقده في القضاء والقدر ؟

ج ـ نعم يذكر عن طائفة تدعى الاسلام تقول : ان العبد مجبور على أفعاله ـ بمعنى أنه غير مؤاخذ عليها لأنها تجرى بمشيئة الله وقدره ، وقد ظهرت في صدر الاسلام ولنا الدليل بما جرى من نقاش بين أحدهم والخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكان هذا الرجل يدعى : « غيلان القدرى » ولما سمع عمر بن عبد العزيز بهذا الرجل استدعاه :

عمر بن عبد العزيز وغيلان القدرى :

مثل غيلان القدرى بين يدى الخليفة عمر بن عبد العزيز بعد أن استدعاه ليستفهم منه عما أشيع عنه ، فقال له : يا غيلان لقد بلغنى عنك أنك تتكلم في شأن القدر ؟

قال غيلان : يكذبون على يا أمير المؤمنين ، ويلصقون بى تهمة لم أتفوه بها . « وكان غيلان كاذبا » لأنه قال لعمر : يا أمير المؤمنين : أرأيت قوله : « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه ، فجعلناه سميعا بصيرا ، انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » . وقد أراد بذلك أن يشير الى قوله : انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » . قال عمر : اقرأ يا غيلان . فقرأ حتى انتهى الى قوله : « فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا » ووقف . قال عمر : اقرأ يا غيلان . فقرأ : « وما تشاءون الا أن يشاء الله » . قال غيلان : والله يا أمير المؤمنين . ما شعرت أن هذا في كتاب الله . قال عمر : اقرأ يا غيلان : أول سورة يس : فقرأ حتى بلغ « سواء عليهم أأنذرتهم

أم لم تنذرهم لا يؤمنون » • ـ وواضح أن عمر يود أن يلفت نظر غيلان الى جملة : « فمن شاء اتخذ » من سورة الدهر ، والى جملة : « لا يؤمنون » من سورة يس ، فكل من الآيتين يثبت تصرفا للانسان ، وقدرة خاصة يتجه بها في أعمال الخير ان شاء ، كما يتجه بها الى ارتكاب الشر ان أراد ، قال غيلان : والله يا أمير المؤمنين : كأني لم أرها قط ! اشهد أني تائب ! قال عمر : أللهم ان كان صادقا فتب عليه وثبته ، وان كان كاذبا فسلط عليه من لا يرحمه ، واجعله آية للمؤمنين • ـ ومضى غيلان لشأنه •• ووقع في قبضة هشام ، فصلبه ، وسأله بعض الناس وهو مصلوب على باب دمشق : ما شأنك يا غيلان ؟ فكان يجيبهم : أصابتني دعوة الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز ؟ هذا ـ وللايمان بالقضاء والقدر فوائد ينبغي الاطلاع عليها لنتائجها •

س ـ اذن فما هي هذه الفوائد التي أشرت اليها ؟

ج ـ هي كما يلي :

١ ـ ان الايمان بالقضاء والقدر يقود صاحبه الى السعي والعمل الدائب المتصل ، لأن الغاية مجهولة والمقدر له غير معلوم •• ومن الخير للانسان أن يعمل ، فاذا لم يثمر هذا العمل أثمر غيره ، وهكذا ••

٢ ـ والايمان بالقضاء والقدر يخفف من جزع النفس وشدة حزنها حينما تحل بها مصائب الزمان ونوائب الدهر ، فاذا هاجم القنوط قلب انسان استطاع بنور الايمان أن يلجأ الى خالقه ، ليطرد القنوط من نفسه ، فتذل له العقبات • وتتفتح أمامه الأبواب المغلقة •

٣ ـ والايمان بالقضاء والقدر : يوجب على المرء أن يعتدل في موقفه تجاه موقف السرور والحزن مذكرا نفسه بأن الحياة لا تدوم على لون واحد •

٤ ـ والايمان بالقضاء والقدر : يوجب على المرء أن يتوكل على الله حق التوكل وأن يتحلى بخلق الشجاعة وقوة العزيمة ، وليقتحم ميادين الحياة في بسالة وقوة نفس ، مؤمنا بقضاء الله في شئون الحياة كلها ، فلا يخش الا الله ، ولا يعمل الا وفق أوامر الله ؟

معانى الصفات الواجبة في حق الله

س ـ لنعد الى التعرف على الصفات الواجبة لله سبحانه • فاملى أن تذكر لى كل صفة منها على حدة حتى أكون على علم تام بها ؟

ج ـ سأحقق أملك بذكر الصفات الواحـــدة تلو الواحدة بناء عـلى ما أورده الشيخ (محمد أحمد العدوى) في كتاب التوحيد ـ له •

١ ـ الصفة الأولى الوجود : ـ وهى صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات العلية ، بمعنى أن وجود الله ثابت متحقق لذاته لا لعلة ، أى أن الغير ليس مؤثرا في وجوده تعالى •

٢ ـ الصفة الثانية القدم : ـ وهو عدم أولية الوجود ، بمعنى أنه تعالى لا أول لوجوده ، ولم يسبق وجوده عدم •

٣ ـ الصفة الثالثة البقاء : ـ وهو عدم آخرية الوجود ، بمعنى أنه تعالى لا آخر لوجوده ، ولا يلحق وجوده عدم ، فهو الأول بلا بداية ، والآخـر بلا نهاية •

٤ ـ الصفة الرابعة : ـ مخالفته للحوادث : وهى عدم مماثلته سبحانـه لشيء من الحوادث ، ـ أى المخلوقات ، ـ فذاته تعـــالى ليست كـــذوات الحوادث ، وصفاته ليست كصفاتها ، وفعله ليس كفعلها ، « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » •

٥ ـ الصفة الخامسة قيامه بنفسه : ـ وهى عدم احتياجه الى شىء يقوم به ، أو محل يحل فيه ، أو مخصص يخصصه ، أو موجد يوجده ، بل هو الغنى بذاته من كل وجه .

٦ ـ الصفة السادسة الوحدانية : فهو تعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله . لا شريك له في شىء من ذلك ولا شبيه له فيه .

٧ ـ الصفة السابعة القدرة : ـ وهى صفة قديمة ، قائمة بذاته تعالى ، يوجد بها ما يشاء ، ويعد أبها ما يشاء ، على وفق الارادة والعلم .

٨ ـ الصفة الثامنة الارادة : ـ وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ، يخصص بها الممكن ببعض ما يجوز عليه من الوجود ، أو العدم ، أو الصحة أو المرض ، وبوجوده في زمان أو مكان دون آخر ، وعلى صفه دون صفة أخرى .

٩ ـ الصفة التاسعة العلم : ـ وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ، يعلم بها جميع المعلوم على ما هو به في نفس الأمر ، علما تاما على وجه الاحاطة من جميع الوجوه ، من غير سبق خفاء ، ولاطرو بداء من الجزئيات والكليات ، والاجمال والتفصيل ، في جميع المراتب والأطوار التى ينتقل فيها المعلوم أزلا وأبدا ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

١٠ ـ الصفة العاشرة الحياة : وهى صفة قديمة قائمة بذاته تعالى ، تصحح له الاتصاف بصفات العلم والسمع والبصر ، وسائر صفات المعانى ، وحياته تعالى ذاتية ، ليست بواسطة شىء ، بخلاف حياة سائر الأحياء ، فانها عرضية ، فهو المحيى المميت جل وعلا .

١١ ـ الصفة الحادية عشرة السمع : وهو من الصفات الذاتية لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته ، ومعناه الذى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفى ، فيسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فأحاط سمعه بجميع المسموعات سرها وعلنها ، وقريبها وبعيدها ، فلا تختلط عليه الأصوات على اختلاف اللغات ، وعلى تفنن الحاجات ، وكأنها لديه صوت واحد .

١٢ ـ الصفة الثانية عشرة البصر : وهو صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى ومعناه أن بصره أحاط بكل المبصرات فهو سبحانه يشاهد ويرى كل شيء وان خفى قريبا أو بعيدا فلا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار ، فيرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ، ونياط عروق البعوض والذر وجريان القوت في العروق مهما دقت ولطفت ، فلا يخفى على علمه وسمعه وبصره شيء في الأرض ولا في السماء .

(١٣) الصفة الثالثة عشرة الكلام : ـ وهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات . فيجب الاعتقاد الجازم بأنه متكلم ، يتكلم اذا شاء بما شاء كيف شاء بكلام يسمعه من شاء من خلقه ، سمعه موسى عليه السلام من غير واسطة ، ومن أذن له من ملائكته ورسله ، ويكلم المؤمنين ويكلمونه في الآخرة . قال تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » . فالكلام صفة ثابتة لله تعالى ، قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئته وقدرته ، وكلامه سبحانه وتعالى اختيارى على الوجه اللائق بجلاله ، كما دلت عليه النصوص من الكتاب والسنة ، وكلام سلف الأمة .

س ـ كيف وصف القرآن بالعربى ، مع أنه كلام الله تعالى ؟

ج ـ وصف القرآن بالعربى : ـ باعتبار المنزل بواسطة جبريل على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال جل شأنه : « نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » كما جاء في سورة الشعراء • ويوصف القرآن بالعربى باعتبار الرسول والمرسل اليهم ، فانهم عرب ، يتكلمون اللغة العربية ، وكان كذلك ليفهموه كما قل تعالى في سورة ابراهيم : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » • ولأنه عز وجل قادر على كل شيء ، وكلامه كل نبى بلسان قومه المرسل اليهم من جملة المقدور عليه على وجه لا يشابه فيه خلقه •

س ـ هل وصف الله نفسه بصفات غير ما ذكر هنا ؟

ج ـ لقد وصف الله نفسه بصفات كثيرة ، وصفاته الكمالية لا تتناهى ، ولا يمكن حصرها • ومما وصف به نفسه : ما نفهمه من أسمائه الحسنى ، كالرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، المتكبر ، العفو ، الغفور ، التواب ، الرزاق ، الضار ، النافع ، المعطى ، المانع ، الخافض ، الرافع ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ••• الى آخرها •

ومما وصف به نفسه ما نفهمه من اسناد بعض الأفعال الى نفسه مما ورد في القرآن مثل قوله تعالى : « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض » الآية من سورة النحل • ـ فالمتدبر لهذه الآية يفهم منها أن الله وصف نفسه بأنه مجيب المضطر اذا دعاه ، وبأنه كاشف السوء ، وبأنه جعلنا خلفاء الأرض • ومثل هذه الآية كثير •

ومما وصف به نفسه ما ورد في بعض الآيات الكريمة من نصوص

توهم بعض الناس أن الله غير مخالف للحوادث وأنه تعالى عن ذلك ـ قد اتصف ببعض ـ مثل الاستواء على العرش ، دل على ذلك قوله تعالى في سورة طه : « الرحمن على العرش استوى » . ومثل قوله في سورة القصص : « كل شيء هالك الا وجهه » . ومثل قوله في سورة الفتح : « يد الله فوق أيديهم » . فدلت هاتان الآيتان على أن لله وجها ويدا ، وأمثال هذا كثير في الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .

فيجب الاعتقاد بهذه الآيات ومثلها وبما احتوت عليه من صفات ، والايمان بها واجب كما جاءت من غير تأويل ، ولا تعطيل ، ولا تشبيه . فتعتقد أن لله استواء لا يشبه استواء المخلوقين ، ووجها لا يشبه الوجوه ، ويدا لا تشبه الأيدى ، فنصف الله كما وصف نفسه ، غير مشبهين ، أو مجسمين ، أو معطلين ، فالعجز كما يقولون : « عن درك الادراك ادراك » وقد درج السلف خير القرون على ذلك .

س ـ أريد منك أن تحدد لى زمن السلف ؟ وهل من يتبع سنتهم ، ويسير بسيرهم يكون ملحقا بهم ؟ ومن هو الفريق الثانى الذى يقابلهم ؟

ج ـ اختلف العلماء في تحديد الزمن للسلف الى فريقين :

الأول قال : هم من كانوا قبل الثلثمائة الهجرية .

الثانى هم من كانوا قبل الخمسمائة الهجرية . والصواب الأول لحديث عمران : « خير أمتى قرنى » . وحديث ابن مسعود : « خير الناس قرنى ... الخ » . وحددوا زمن السلف بذلك ، لأن الغالب على أصحاب هذه القرون الوقوف عند مثل هذه النصوص السابقة التى توهم بعض الناس التشبيه ، فآمنوا بها كما وردت ، بلا تكييف ولا تحديد ، ولا تفسير

لمعناها ، ويفوضون علم ذلك ، ـ أعنى علم الكيفية والكنه الى الله . لأن ذلك ليس في طوق البشر .

وكل من اتبع سنتهم ، واعتقد عقيدتهم فهو ملحق بهم بلا شك . والفريق الثانى الذى يقابل السلف : هم الخلف ، ـ وهم من كانوا بعد السلف .

س ـ هل لديك نصوص لعلماء السلف تؤيد ما ذهبوا اليه ؟

ج ـ نعم وردت نصوص كثيرة لعلماء السلف ، أنقل منها ما يأتى :
قال سفيان بن عيينه : « كل ما وصف الله به نفسه في كتابه : ـ « فتفسيره قراءته ، والسكوت عليه . ليس لأحد أن يفسره الا الله ورسوله » . وقال أبو حنيفة : « ما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر اليد والوجه والنفس ، فهو له صفات ، بلا كيف ، ولا يقال : ان يده قدرته ونعمته ، لأن فيها ابطال الصفة ، وهو قول أهل القدر والاعتزال ، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه ، صفتان من صفاته بلا كيف » .

وقال الامام مالك : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » . أجاب بذلك عندما سئل عن قول الله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » .

وقال الشافعى حين سئل عن الاستواء : « آمنت به بلا تشبيه ، وصدقته بلا تمثيل ، واتهمت نفسى في الادراك ، وأمسكت عن الخوض غاية الامساك » .

وسمع الامام أحمد شخصا يروى حديث النزول ، ويقول : « ينزل بغير حركة ولا انتقال ، ولا تغير حال ، فأنكر الامام أحمد عليه ذلك ،

وقال : قل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو كان أغير على ربه منك ، أى في حديث الصحيحين : « ان الله ينزل الى سماء الدنيا » الحديث • وروى عن الامام أحمد في آية الاستواء قال : « استوى كما ذكر ، لا كما يخطر للبشر » •

س ـ رأيت في بعض كتب التفسير ، وسمعت من ألسنة بعض العلماء: تأويل الاستواء بالاستيلاء ، وتأويل اليد بالقدرة ، وتأويل الوجه بالذات فهل لقولهم هذا نصيب من الصحة ؟ اذ أنهم يعتذرون بأن العوام لا تفهم ، وستشبه الله بالمخلوقين ، لضعف ادراكهم وعدم فهمهم ، ويرون أن التأويل أسلم لهم ، فهل نسلم لهم قولهم هذا ؟ وبماذا يسمى القائل بهذا ؟

ج ـ القائلون بهذا هم الخلف ، فانهم ذهبوا الى أن دلالة هذه النصوص ظنية ، والنصوص الظنية لا تعارض الأدلة العقلية اليقينية التى أثبتت أن الله منزه عن الاتصاف بصفات الحوادث ، من الاستواء والوجه واليد وما شابه ذلك ، ولهذا وجب تاويلها بما يوافق العقل ، ولا يتعارض مع النقل ، وليس ثم ما يمنع من ذلك لأن القرآن نزل بالأسلوب العربى ، المشتمل على الحقيقة والمجاز ، واذا تعارض حمل النص على حقيقته مع الأدلة اليقينية ، وجب العدول به الى المجاز •

فالخلف بناء على ما ذكر يؤولون الآيات المتشابهة ، زاعمين أن تأويلهم لها في اطار الأسلوب العربى جائز لأنه على وجه يليق بجلال الله تعالى •

س ـ أفلا ينبغى التأويل لمسايرة عقول العوام ؟

ج ـ الذى ينبغى هو عدم التأويل والوقوف على مذهب السلف ، حيث وقف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأئمة الأربعة ، ولو قال

به أحد من الصحابة لبلغنا ، فالواجب أن نؤمن بآيات الصفات حسبما وردت ، وسد باب التأيل لأنه يفضى الى نفى الصفات ويخالف طريقة السلف الصالح ، ومعلوم أن طريقتهم أعلم وأسلم وأحكم ، وأنهم عن علم وقفوا !! ويكفينا أن نبين للعوام : أن الله ليس كمثله شيء ، ونتركهم يتخيلون عجزهم عن الادراك ، لعلمهم أن الله لا شبيه له ولا مثيل ، وبذلك نقفل باب الجدل والخوض فيما قد يؤدى الى التشبيه :

فكل خير في أتباع من سلف ★ وكل خير في ابتداع من خلف

س ــ هل يستفاد مما ذكر انكار مذهب الخلف في تأويلهم ؟

ج ــ نعم : والذين يؤولون يقولون : ان العوام الذين وردت عليهم التشكيكات الحديثة ان لم نؤول لهم وقعوا في التشبيه لا محالة . وعلى الأخص الطلبة الذين بلوا بالجدل والنقاش ؟ فنقول لهؤلاء ان الأستاذ البصير يستطيع اقناع الطلبة ، وليعلم أنه اذا لم يغلق هذا الباب سيسأل عن الله كيف هو ، وأين هو ؟ ــ والسؤال والنقاش في الأمور الغيبية : لا يصدر ممن رائدهم الحق . بل لا يصدر ممن وصفهم الله بقوله في أول سورة البقرة : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه،هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » . فوصفهم هنا بأنهم يؤمنون بالغيب . وهذا هو ما ينبغى الوقوف عنده . « وفوق كل ذى علم عليم » .

ابن تيمية وما افترى عليه

س ــ ما قولك في اشاعة كنت مرتابا في صدورها من شيخ طالما سمعت بذكره الطيب ، وصيته اللامع ، ذلكم هو الشيخ أحمد بن تيمية : يقال انه رحمه الله ــ بينما كان يخطب يوم جمعة ، نزل من على المنبر درجة وقال : ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا كنزولى هذا ، فيقول : « هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه سؤله ؟ هل من تائب فأتوب

عليه ؟ الحديث الشريف المسمى بحديث النزول » • فهل لهذه الفريــة نصيب من الصحة ؟

ج ـ لا أبعد بك عن الصواب ، اذا قلت لك : ان أعداء لرجال الدين دأبهم دس الدسائس ، والقاء التهم ، والصاق العار بهم ، توصلا بذلك الى القدح فيهم ، وتنقيص درجاتهم عند من لا يفهمهم • ـ والشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله : عودى من علماء مؤلفين ، وشيوخ منبوعين ، ذلك لأنـه حارب البدع ، وهدم الوثنية التى أعيد بناء صرحها بعد مضى خير القرون ، وتفرق المسلمين في دينهم شيعا وأحزابا ، وتركهم أصول دينهم ، بالبيــان الشافى المدعم بالأدلة من الكتاب والسنة •

فمن جراء هذا ، قام المغرضون الذين يتخذون العلم ذريعــة لاستلاب ما في جيوب العوام ، فألصقوا بابن تيمية هذه الفرية التى لا يصدقها الا من ليس عنده أثارة من علم وألا من أغراه حب الجاه والمال ممن حلت بهم هزات عنيفة ، زلزلت مفترياتهم ، بما دهمهم به ابن تيمية من تصريحـات قوية ، في اقدام وجرأة •

وقد أدى اقدام الشيخ على تمزيق أعلام الباطل ، ودك صرح الغرور ، الى الوشاية به ، وحياكة الأكـــاذيب عليه ، مما أدى الى سجنه ، وموته سجينا بعد أن قضى في السجن سنتين وثلاثة أشهر وأياما •

والحق أن ابن تيمية لم يقل الا بقــول الســلف ، ولم يتمذهب الا بمذهبهم • ومذهب السلف كما علمت : ـ اثبات الصفات ونفى مماثلتها لصفات المخلوقين ، فهو يعتقد أن الله موصوف بصفات الكمال ، ومنزه عن أن يماثله غيره في صفات كماله •

وهذان المعنيان جمعا التنزيه ، وقد دل عليهما قوله تعالى : « قل هو الله أحد ، الله الصمد » فالاسم الصمد يتضمن صفات الكمال ، والاسم الأحد يتضمن نفى المثل ، فالقول في صفاته ، كالقول في ذاته ، والله تعالى : ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ، أفمن يقول هذا يشبه نزول الله الى سماء الدنيا بنزوله هو ؟ وها هى مؤلفات ابن تيمية بيننا ، فهل فيها ما يصدق هذه الفرية ؟ ـ اللهم لا ـ ولكنه الحقد والعداء ، لا غير !!

س ـ من الذى افترى هذه الفرية وأشاعها ؟

ج ـ جاء في عدد من أعداد « مجلة الهدى النبوى » التى تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة بامضاء عبد الرحمن الوكيل ، الوكيل الأول لجماعة انصار السنة رد هذه الفرية وتفنيدها وذكر المفترى وهو : ابن بطوطة الرحالة المشهور . يقول عبد الرحمن الوكيل :

ذكر ابن بطوطة في رحلته ، انه وصل الى دمشق في يوم الخميس التاسع من شهر رمضان عام ستة وعشرين وسبعمائة هجرية ، فكان من قوله أنه قال : كان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقى الدين ابن تيمية ، كبير الشام ، يتكلم في الفنون ، الا أن في عقله شيئا ، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ، ويعظهم على المنبر ، ثم يقول : حضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ، ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أنه قال : « ان الله ينزل الى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ونزل درجة من درج المنبر » .

هذا ما افتراه ابن بطوطة لرمى الشيخ بأنه يشبه صفات الخالق بصفات المخلوقين ، وأن هناك حركة متجسدة محسة يتحركها الاله ، وبأن هناك مسافات تطوى ، وتجشمه جهدا كالانسان ، سبحان ربنا وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .

س ـ بماذا فند الشيخ عبد الرحمن الوكيل هذه الفرية ؟

ج ـ اليك البيان لما فند به الشيخ عبد الرحمن الوكيل هذه الفرية كما يلي : يقول ابن بطوطة : انه دخل دمشق في تسع خلت من رمضان عام ٧٢٦ هـ ، وأنه سمع يوم الجمعة بنفسه وأذنه ابن تيمية ، يخطب على المنبر في الجامع بدمشق ، مشبها نزول الله جل وعلا بنزوله من على منبره ٠

والثابت من تاريخ ابن تيمية أنه سجن في ٤ من شعبان سنة ٧٢٦ هـ بالقلعة وأنه ظل سجينا بها حتى مات ، لم يخرج منه الا بعد عامين وثلاثة أشهر وأياما فتكون وفاته سنة ٧٢٨هـ ٠ ومن هذا يتبين أن ابن بطوطة دخل دمشق بعد أن سجن ابن تيمية بشهر يزيد قليلا ، فابن تيمية سجن في ٤ من شعبان ، وابن بطوطة سمع ابن تيمية حسب زعمه وكذبه في عشرة من رمضان ، أي سمعه بعد أن مضى على سجنه أربعة وثلاثون يوما ٠ ياللكذب الفاضح المفضوح !! ـ زد على هذا أنه نقل عن ابن تيمية في بعض الكتب أنه قال : « نزولا لا كنزولى هذا » وبذلك يكون قد نفى تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين ٠

الدليل العقلى والنقلى على صفات الله تعالى

س ـ انى لفى حاجة أيها الأستاذ الى اجتلاء الأدلة العقلية والنقلية على الصفات الواجبة لله تعالى ، لأكون على علم بها ، ولأزداد يقينا وايمانا ، فهل تسمح بذكرها مرتبة على التوالى ؟

ج ـ سوف تجدنى عند رغبتك ان شاء الله تعالى :

لقد ذكر علماء التوحيد أدلة عقلية ونقلية واضحة ، لا لبس فيها ولا ابهام وها هى مرتبة الواحدة تلو الأخرى ، وقد اخترت ما كتبه الشيخ أحمد محمد العدوى في فن التوحيد ، لأجيب منه بناء على أسئلتك ، فاسأل ترشد :

س ـ ما الدليل العقلى والنقلى على وجود الله سبحانه وتعالى ؟

ج ـ مما أودع في الفطر وارتكز في الطباع ، معرفة العاملين بآثارهم ، والصناع بصنعتهم ، وترى نفسك عندما تشاهد قصرا حسن المنظر ، محكم البناء ، تستولى عليك الدهشة من مهارة بانية ، ونبوغ صانعه ، وترى لسانك ناطقا بامتداح رافعه والثناء عليه • واذا مررت ببستان أحكمت تقاسيمه ونسقت أشجاره ، ونظمت أزهاره ، راعك ذلك المنظر البديع ، ودلل على حسن ذوق راسمه ، وجمال هندسة مهندسه • ـ واذا دخلت دار الآثار ورأيت من جثث الأقدمين ما مضى عليه عشرات الآلاف من السنين ، عرفت ماذا كان عليه الأقدمون من فن التحنيط مما لا نهتدى اليه حتى الآن • ـ هذا وغيره مما يماثله هو الذى تقتضيه الفطرة ، وتستلزمه طبيعة الانسان وهو أن تنتقل النفس من الأثر الى المؤثر فيه • ومن عظم البناء الى عظم بانيه • فمن الطبيعى أن تعلم من ذلك أن للكون ربا دبره ، وخالقا برأه ، ومن البديهى أن تعرف أن لذلك العالم الها رفع سماءه ، وبسط أرضه ، وأرسى جباله وأجرى بحاره وأنهاره ، وتأمل قوله تعالى : « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ، وما لها من فروج • والأرض مددناها، وألقينا فيها رواسى ، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب • ونزلنا من السماء ماء فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ، والنخل باسقات لها طلع نضيد،رزقا للعباد،وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج»(١)• هذه المشاهدات العظيمة ، والمخلوقات العجيبة التى تعجز قوى البشر والمخلوقات جميعا عن صنع واحد منها ، أكبر دليل على وجود الله وقدرته •

---

(١) من سورة «ق» •

وحاصل هذا الدليل أن نقول : ـ العالم حادث وكل حادث لا بد له من محدث • أي من خالق حكيم • والخالق الحكيم للعالم هو الله سبحانه وتعالى •

س ـ ما هو العالم ؟

ج ـ العالم : كل ما سوى الله من الموجودات ، فهو شامل لذوى الروح ، كالانس والجن والملائكة ، ولغيرهم كالجمادات والنباتات •

والدليل النقلى على وجود الله جاء في آيات كثيرة منها قوله تعالى : « بديع السموات والأرض ، أنى يكون له ولد ، ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ، ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل »(٢) •

س ـ ما الدليل العقلى والنقلى على وجوب صفة القدم لله تعالى ؟

ج ـ الدليل العقلى على وجوب القدم لله تعالى هو : أنه تعالى لو لم يكن قديما لكان حادثا ، ولو كان حادثا لاحتاج الى محدث ، ولو احتاج الى محدث ، لاحتاج محدثه الى محدث مثله ، فهما متماثلان ! فيلزم الدور أو التسلسل ، وكلاهما محال ، فثبت له القدم •

والدليل النقلى قوله تعالى : « هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم »(٣) •

---

(٢) من سورة الانعام •

(٣) من سورة الحديد •

س ـ عرف لى الدور والتسلسل ، ولماذا كلاهما محال ؟

ج ـ ألدور هو توقف وجود الشيء على ما توقف عليه ، وانما كان محالا ، لأنه يلزم عليه أن يكون الشيء الواحد سابقا على نفسه مسبوقا بها وهو محال • ـ ولايضاح ذلك نفرض أن زيدا أوجد عمرا ، وأن عمرا أوجد زيدا • فنرى من هذا أن وجود زيد متوقف على وجود عمرو ، والعكس ، فيلزم من ذلك أن زيدا متقدم على نفسه متأخر عنها ، وأن عمرا كذلك • وهذا محال •

والتسلسل : هو ترتب أمور غير متناهية ، وانما كان محالا لأنه يلزم عليه الذهاب الى غير النهاية ، والذهاب الى غير النهاية تسلسل ، والتسلسل محال ، ولايضاح ذلك نقول : لو كانت الأشياء كلها ممكنة يوجد أحدها بالآخر ، مثلا يوجد الأول بالثانى ، والثانى بالثالث ، والثالث بالرابع ، وهكذا ، لزم الذهاب الى غير النهاية ، والذهاب الى غير النهاية تسلسل • والتسلسل محال •

س ـ ما الدليل العقلى والنقلى على وجوب صفة البقاء لله تعالى ؟

ج ـ الدليل العقلى على صفة البقاء لله تعالى : هو أنه لو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم ، لكن ثبت له القدم ، وكل من ثبت قدمه استحال عدمه • ـ والدليل النقلى قوله تعالى في سورة الحديد : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » • وقوله في سورة القصص : « كل شيء هالك الا وجهه » •

س ـ ما الدليل النقلى والعقلى على مخالفته للحوادث ، وتنزهه تعالى عن مشابهة غيره ؟

ج ـ الدليل العقلى على وجوب مخالفته للحوادث : هو أنه تعالى لو لم

يكن مخالفا للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله ، لكان مماثلا لها ، فيكون تعالى حادثا مثلها ، لكن كونه تعالى حادثا محال • لأنه ثبت وجوب قدمه، وكل من وجب له القدم استحال عليه المماثلة للحوادث ، ووجبت له المخالفة لها • وايضاح ذلك أنه اذا كان العالم البديع الصنع لا بد له من اله يدبره • وخالق يهيمن عليه ، فليس من المعقول أن يشبه ذلك الاله شيئا من خلقه ، لا يشبهه في ذاته ، ولا يماثله في صفاته ، ولا يضاهيه في أفعاله ، فتعرف بالضرورة أن الله قديم خالق ، وأن العالم مخلوق • والله غنى عن خلقه ، والعالم فقير اليه ، وكيف يماثل مخلوق خالقه ؟ أم كيف يشبه عبد ربه ؟ وكيف يدانى فقير من جميع الوجوه غنيا مطلقا يمنح غيره الوجود ويهبه الحياة ؟ قال تعالى ، في سورة النحل : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » • واذا كان العبد والرب لا يتماثلان ، والخالق والمخلوق لا يتشابهان ، وكان للمخلوق مبدأ ونهاية ، وجب أن يكون الاله « هو الأول والآخر » الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية ، المنزه عن مشابهة الحوادث ، فليس كمثله شيء •

والدليل النقلي على وجوب مخالفته للحوادث قوله تعالى في سورة الشورى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » • وفي سورة الروم : « وله المثل الأعلى في السموات والأرض » •

س ـ ما الدليل العقلي والنقلي على وجوب قيامه تعالى بنفسه ؟

ج ـ الدليل العقلي على وجوب قيامه بنفسه : أنه لو لم يكن قائما بنفسه لاحتاج الى غيره ، ولو احتاج الى غيره لكان حادثا ، وكونه حادثا باطل ، فبطل ما أدى اليه ، وهو افتقاره الى غيره ، وثبت قيامه بنفسه ، وهو المطلوب •

وأما الدليل النقلى فقوله تعالى في سورة فاطر : « يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله ، والله هو الغنى الحميد » •

س ــ ما الدليل العقلى والنقلى على وجوب الوحدانية لله تعالى ؟

ج ـ الدليل العقلى على وحدانية الله تعالى ، أنه لو تعدد الاله لما وجد شيء من العالم ، لكن عدم وجود شيء من العالم باطل ، لأن العالم موجود بالمشاهدة ، فما أدى اليه وهو التعدد باطل ، واذا بطل التعدد ثبتت الوحدانية • وايضاح ذلك أن وجود الهين مدعاة للنزاع الدائم ، وقد دلت التجارب على أن العمل لا يصلح برئاستين ، ولا ينتظم بسلطتين ، ونشاهد أن كل عمل له رئاستان يختل نظامه ، وتسوده الهمجية والاضطراب ، ولو كان مع الله شريك في الملك ، أو له معين على العمل ، لاختل نظام السماوات وما فيها من كواكب • والأرض وما تحويه من أنهار وبحار ، ونبات وأشجار ، وصدق الله اذ يقول في سورة الأنبياء : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون » •

وأما الدليل النقلى فآيات كثيرة منها قوله تعالى في سورة البقرة : « والهكم اله واحد » • ومن سورة المؤمنون قوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلى بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون • عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » •

س ــ ما الدليل العقلى والنقلى على وجوب اتصافه بالقدرة ؟

ج ـ الدليل العقلى على وجوب القدرة لله : أنه تعالى لو لم يكن قادرا لكان عاجزا ، ولو كان عاجزا ما وجدت هذه المخلوقات ، وعدم وجودها

باطل بالمشاهدة ، فبطل ما أدى اليه ، وهو كونه غير قادر ، ووجب اتصافه بالقدرة • أما الدليل النقلي : فقوله تعالى في سورة البقرة : « ان الله على كل شيء قدير » •

س ـ ما الدليل العقلي والنقلي على اتصافه تعالى بالارادة ؟

ج ـ الدليل العقلي على اتصافه تعالى بالارادة : أنه لو لم يكن مريدا لجميع الممكنات التي وقعت والتي تقع ، لكان غير مريد ـ أي مكرها، ومقهورا على فعلها كلها أو بعضها ، ولو كان غير مريد لكان عاجزا ، ولو كان عاجزا ، لما وجدت هذه المخلوقات ، وعدم وجودها ، باطل بالمشاهدة ، فبطل ما أدى اليه ، وهو كونه مكرها ، وثبت اتصافه بالارادة •

أما الدليل النقلي فقوله في سورة القصص : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » • وقوله في سورة البروج : « فعال لما يريد » • وقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم : « ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن » •

بعض مظاهر قدرته تعالى

س ـ هناك دلائل أخرى غير ما ذكر جاءت على وفق قدرته ، ومشيئته وارادته ، فألتمس منك ايضاحها ورفع الستار عنها ، لأعيها وأدرك مفاهيمها ؟

ج ـ أجل : هناك دلائل كونية ، وقرآنية غير ما ذكر وسوف أتحفك بها ، أو ببعضها ، حيث لا غناء عنها لكل مسلم باحث متطلع ، ليقتنع ويقنع• وها هي بوضوح واتقان فيما يلي :

من دلائل قدرة الله ومشيئته : أن سخر الكائنات وفق ارادته ، فسجد لعظمته من في السموات ومن في الأرض ، سجدوا لعظمته منهم الطائع

والكاره ، والمختار والمضطر ، قال تعالى في سورة الرعد : « ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها ، وظلالهم بالغدو والآصال » . لأن الكل عبد خاضع لله ، لا يعدو حده ، ولا يتجاوز قدره ، قال تعالى في سورة مريم : « ان كل من في السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا ، لقد أحصاهم وعدهم عدا ، وكلهم آتيه يوم القيمة فردا » . واذا كان للمخلوق استطاعة محدودة ، ومشيئته لا تعدو مشيئة الرب ، فان لله القدرة التامة والمشيئة النافذة ، قال تعالى في سورة البروج : « ان بطش ربك لشديد ، انه هو يبدىء ويعيد ، وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد ». وقال في سورة فصلت : « ثم استوى الى السماء وهى دخان ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها ، قالتا أتينا طائعين » .

سخر للانسان الفلك تجرى في البحر ، وشق له من الأرض الأنهار ، كما سخر الشمس والقمر ، وجعل النهار يعقبه الليل ، والليل يتلوه النهار . قال تعالى في سورة ابراهيم : « الله الذى سخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره ، وسخرلكم الأنهار ، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخرلكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ان الانسان لظلوم كفار » .

ومن آيات قدرة الله تعالى : أن ترى الطير مسخرات في جو السماء ، ما يمسكهن الا الله . قال تعالى : « ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله » .

ومن دلائل حكمته : أن خلقنا من ماء مهين ، فجعله نطفة في قرار مكين ، قال تعالى في سورة السجدة : « ألذى أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ

خلق الانسان من طين • ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين • ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » • وهو الذى يحفظ الحبة في جوف الأرض من الحشرات والهوام ، ثم ينبتها النبات الحسن ، حتى تصير زرعا يأكل منه الأنعام والآدميون ، ولو شاء لجعله هشيما يابسا • قال تعالى في سورة الواقعة : « أفرأيتم ما تحرثون • أأنتم تزرعونه ؟ أم نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعلناه حطاما » • وهو الذى ينزل من السماء ماء بقدر ، فيسكنه في الأرض ، ولو شاء لجعله ملحا أجاجا ، تمجه النفوس ، وتنفر منه الطباع ، قال تعالى في سورة الواقعة : « أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون » • وقال جل شأنه في سورة المؤمنون : « وأنزلنا من السماء ماء بقدر ، فأسكناه في الأرض ، وانا على ذهاب به لقادرون » •

كل هذه العبر ، من سماء رفعها ، وأرض بسطها ، وجبال أرساها ، وأنهار أجراها وبحار شقها ، وأفلاك سيرها ، وكواكب أنارها ، ونطف في الأرحام صورها ، ومياه أنزلها ، وزروع وأشجار أنبتها ، دلائل واضحة ، وآيات ناطقة بأن لها ربا قادرا ، حكيما ، له الخلق والأمر ، يعمل حسب مشيئته ، ويمضى وفق علمه ، يعطى الملك ويمنعه ، يعز ويذل ، بيده الخير واليه المصير ، وهو على كل شىء قدير ، قال سبحانه في سورة آل عمران : « قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير ، تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب » •

س ـ ما الدليل العقلى والنقلى على وجوب اتصافه تعالى بالعلم ؟

ج ـ ألدليل العقلى على اتصافه تعالى بالعلم أنه تعالى فاعل فعلا متقنا محكما بالقصد والاختيار ، وكل من كان كذلك يجب له العلم ، فالله يجب له العلم .

وأما الدليل النقلى فقوله تعالى في سورة المجادلة : » ان الله بكل شيء عليم « . وزيادة في البيان أقول : اذا كان تعالى هو الذى خلق العالم ، وأبدع ذلك الكون ، خلقه كما أراد ، وأبدعه كما شاء ، فلا بد أن يكون عالما بما أبدع ، محيطا بما خلق ، ومن المحال أن يخلق خلقا وهو لا يعلمه ، ويبدع كون وهو لا يعرف تفاصيله ، قال في سورة الملك : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » . من المحال أن يخلق السماء وما أظلت ، والأرض وما أقلت ، وهو لا يعلم ما فيها،من نبات وأشجار ،وجبال وبحار ،وكواكب تضيء ، ودواب قد اختلفت أشكالها ، وأناسى تباينت لغاتها ، قال تعالى في سورة الأنعام : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » . وقال في سورة الحديد : « وهو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ، ثم استوى على العرش ، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير » . فهو تعالى يعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور ، يعلم ما توسوس به النفس من خطرات ، وما يلم بها من أحاديث ، قال تعالى في سورة ق : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » .

س ــ ما الدليل العقلى والنقلى على وجوب اتصافه تعالى بالحياة ؟

ج ـ الدليل العقلى على اتصافه تعالى بالحياة : أنه تعالى متصف بالقدرة والارادة والعلم ، وكل من كان كذلك تجب له الحياة .

وأما الدليل النقلى فقوله تعالى في سورة الفرقان : « وتوكل على الحى الذى لا يموت » . وزيادة في البيان أقول : متى قامت الأدلة على أن لذلك العالم الها دبره ، قيوم السموات والأرض ، قائما على كل نفس بما كسبت، وجب أن يكون حيا يمنح غـيره الوجـود ويهبه الحياة . ولو كان ميتا ما استطاع ذلك ، لأن الفاقد للشيء لا يعطيه ، والمحروم من المزية لا يفيدها، قال تعالى في سورة غافر : « هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين لـه الدين » . وكيف يوصف بالقدرة التامة ، والمشيئة النافذة ، والعلم المحيط ، والرحمة الواسعة ، من فقد الحياة ؟ أم كيف يقوم بتدبير هذا العالم الكبير من عرشه لفرشه ، من تعرض له الغفلة ؟ ويجوز عليه ما يطرأ على المخلوق ، من نوم أو نعاس ؟ قال تعالى في سورة البقرة : « الله لا اله الا هـو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السموات وما في الأرض » .

س ــ ما الدليل العقلى والنقلى على وجوب اتصافه بالسمع ؟

ج ـ الدليل العقلى على اتصافه بالسمع : أنه لو لم يتصف بالسـمع لاتصف بالصمم ، والصمم نقص ، والنقص محال عليه تعالى ، فاستحـال عليه الصمم ، ووجب اتصافه بصفة السمع .

وأما الدليل النقلى فقوله تعالى في سورة طه : « أننى معكما أسمـع وأرى » .

س ــ ما الدليل العقلى والنقلى على وجوب اتصافه تعالى بالبصر ؟

جـ ألدليل العقلى على اتصافه بالبصر: أنه تعالى لولم يتصف بصفةالبصر

لا تصف بصفة العمى ، والعمى نقص ، والنقص محال عليه تعالى ، فاستحال عليه العمى ، ووجب اتصافه بصفة البصر ٠

وأما الدليلى النقلى فقوله تعالى في سورة لقمان : « ان الله سميع بصير »٠

وزيادة في هاتين الصفتين (السمع والبصر) أقول : ان من يعبد الها لا يسمع ولا يبصر ، قد سفه نفسه ، وفقد رشده ، واستمع الى ما يحكيه الله عن خليله ابراهيم في سورة مريم : « يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » ٠ فترى أن ابراهيم يبكت أباه على عبادة اله قد تجرد عن السمع والبصر ، وخلا عن هاتين الصفتين ، وماذاك الا لأن المودع في الفطر أن السمع والبصر صفتا كمال ، لا يصح أن يخلو المعبود عن كليهما ، ولا يتصف بما يقابله ٠ وكان من أشد الحجج تأثيرا على عباد الأصنام قول ابراهيم عليه السلام كما حكى عنه في سورة الشعراء : « هل يسمعونكم اذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون » ٠ فالاله الذى يستحق أن تخضع له الرقاب ، وتؤلهه النفوس ، وتفرده بأرقى مراتب المحبة والاكبار ، هو السميع لشكاية عبده ، البصير بأعمال خلقه ، يسمع سرهم ونجواهم ، ويرى صغيرهم وكبيرهم قال تعالى في سورة المجادلة : « قد سمع الله قول التى تجادلك في زوجها ، وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ، ان الله سميع بصير » ٠ وجدير بعبد يعرف أن له الها يراه في خلوته وجلوته ، وسره وعلانيته ، أن يخلص له العبادة ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه ، جاء في سورة التوبة : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون الى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون » ٠

س ـ ما الدليل العقلي والنقلي على وجوب اتصافه بالكلام ؟

ج ـ ألدليل العقلي على وجوب اتصافه تعالى بالكلام : انه لو لم يكن متصفا بالكلام لااتصف بالبكم ، والبكم نقص ، والنقص محـال عليه ، فاستحال عليه البكم ، ووجب اتصافه بصفة الكلام •

وأما الدليل النقلي فقوله تعالى في سورة النساء : « وكـلم الله موسى تكليما » • وزيادة في البيان أقول : العقل لا يسوى بين أبكم لا يستطيع النطق ، ومتكلم يأمر بما يحب ، وينهى عما يبغض ، لأن الكلام صفة كمال، وفاقدها يكون ناقصا ، لا يستحق أن يكون معبودا ، ولهذا بكت الله قوم موسى على اتخاذهم العجل الها ، فقال في سورة الأعراف : « ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين » • وقال : « أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ، ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا » • وكـاد خليل الله ابراهيم عليه السلام لأصنام قومه البكم وقد فتنوا بعبادتها ، فجعلها فتاتا ، عدى الصنم الأكبر فيها ، ليرجعوا اليه ان كانوا مفكرين ، ويناقشـوه الحساب ان كانوا لعقولهم مستعملين ، حتى اذا سألوا ذلك الصنم الأكبر فلم ينطق ، وناقشوه فلم يتكلم ، رجعوا الى رشدهم ، وعرفوا أنهم ظالمون لأنفسهم ، بعبادتهم أصناما بكما ، صنعوها بأيديهم بعد أن نحتوهـا من الجبال بفؤوسهم ، « وتالله لأكيدن اصنامكم بعد أن تـولوا مـدبرين ، فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ، لعلهم اليه يرجعون ، قالوا من فعل هـذا بآلهتنا ؟ انه لمن الظالمين ، قالـوا سمعنا فتى يذكرهم ، يقـال له ابراهيم ، قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون • قالوا أأنت فعلت هـذا بآلهتنا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا ، فاسألوهم ان كانوا ينطقون • فرجعوا الى أنفسهم ، فقالوا : انكم أنتم الظالمون • » واجمالا ندد الله بعبدة

الأوثان ، حيث عبدوا آلهة خرساء فاقدة النطق ، فقال في سورة النحل : « وضرب الله مثلا رجلين ، أحدهما أبكم ، لا يقدر على شيء ، وهو كل على مولاه ، أينما يوجهه لا يأت بخير ، هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ؟ وهو على صراط مستقيم » . كيف يستحق العبادة اله ليس له من صفة الكلام ما تعلم به أوامره ونواهيه ؟ أم كيف يكون له رسل مبشرون ومنذرون ؟ هذا وذاك دال على أن من كمال الاله أن يكون له صفة الكلام ، يعلم بها من يشاء ما يشاء ، وهذا الاعلام هو التكلم هو الوحى . وليس لنا أن نبحث عن كيفية كلامه ، ولا عن كيفية تكليمه لرسله وايحائه اليهم ، فان ذلك شأن من شئونه التى لا يحدها غيره ، ولا يعرفها سواه . وعلينا أن نؤمن بأن القرآن كلام الله الذى أنزله على خير خلقه ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو معجزته الدائمة ، وحجته القائمة ، قال في سورة الحجر : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » . ليس قولا للبشر ، وانما هو كلام واهب القوى والقدر ، سمعه المشرك والموحد ، والمؤمن والملحد ، ومن أعرض عنه ضل وهلك ، قال تعالى في سورة طه : « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى ، فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامه أعمى ، قال : رب لم حشرتنى أعمى ، وقد كنت بصيرا ؟ قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى » .

أفعال الله تعالى

س ـ من المسلم به بأن لله سبحانه أفعالا دالة على تصرفه المطلق في سائر مخلوقاته في سمائه وأرضه ، فهل تسمح بالتحدث عنها مع الأدلة عليها ؟

ج ـ أفعال الله تعالى كثيرة لا تحصى ، وكلها صادرة عن علم وحكمة،

منزهة عن اللهو والعبث ٠ان لله في خلقه شئونا لا يعلم حدها غيره،ولا يحيط بها سواه ٠ بيده وحده الاحياء والاماتة ، والاعطاء والمنع ، والاعزاز والاذلال ٠ قال تعالى في سورة آل عمران : « قل اللهم مالك الملك ، تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شيء قدير ، تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحى من الميت ، وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب » ٠ من يهدى الله فهو المهتدى ، ومن يضلل فلا هادى له سواه ، يهدى من أقبل عليه ، واستمع لداعيه ، ويضل من أعرض عن دعوته ، وأصم أذنيه عن سماع الحق ٠ قال تعالى في سورة الأعراف : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » ٠ لا يسوى سبحانه بين خبيث وطيب ، ولا بين مصلح ومفسد ، قال تعالى في سورة المائدة : « قل لا يستوى الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث » ٠ وقال تعالى في سورة الجاثية : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ؟ سواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون » ٠ لا معطى لما منع ، ولا مانع لما أعطى ، يعطى من يشاء ما يشاء ، يمد من يعمل للدنيا ، ويعين من يعمل للآخرة ، فهو سبحانه يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطى الدين الا من يحبه ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه ٠٠ « الحديث » فليس المال أمارة الرضا كما يظن بعض الناس ، بل قد يكون كذلك ، وقد يكون ابتلاء من الله

كسائر النعم ، لينظر أيقوم العبد بحقه ، أم يحارب به مولاه ، قال تعالى في سورة الأنفال : « اعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وأن الله عنده أجر عظيم » .

واذ قد علمت ذلك ، فلتكن عقيدتك ، ما ذهب اليه أهل السنة ، وهو أن الله هو الخالق لأفعال العبد الاختيارية ، كما خلق غيرها ، وهو سبحانه مختار في جميع ما خلق ، ان شاء فعل ، وان شاء ترك ، وليس فعل الصلاح والأصلح بالعباد واجبا عليه ، بل له أن يفعل بهم ما يشاء ، وتقتضيه حكمته. من اعطاء ومنع ، وتنعيم وتعذيب ، وارسال للرسل . ودليل ذلك قوله تعالى في سورة القصص : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » . وقوله تعالى في سورة الأنعام : « ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء » . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » . هـذا ـ . وهناك أدلة فطرية ينبغي الاطلاع عليها زيادة في الاستفادة ، لأن بها يدرك الوجود الأعظم ، ما في ذلك من شك !!

الأدلة على وجود الاله بناء على الفطرة كما هي في البراهين الآتية

س ـ ذكرت أن هناك أدلة فطرية ينبغي الاطلاع عليها ، ثم لم تبين تلك الأدلة ، اذن فما هي هذه الأدلة يا ترى ؟

ج ـ اليك بيانها فيما يلي :

ان ادراك الانسان لحقيقة نفسه ، وبأنها موجودة ، أمر لا يختلف فيه، وان الانسان يعي بفطرته ، ويدرك الوجود الأعظم ، ما في ذلك من شك . فهو في أعماق نفسه يشعر بوجود اله لهذا الكون ، وهو ليس محتاجا في معرفة ذلك الى التقسيم المنطقي ، وتركيب القضايا ، واخراج النتائج .

ولا نريد بهذا الأمر ، أن يقف المرء عند هذا الاحساس وهذا الشعور فحسب ، فقد أوجب العلماء على كل قادر على النظر والاستدلال : أن يزيد هذا الاحساس بالنظر والاستدلال بما في خلق السماوات والأرض ، وأن يتأمل في الموجودات ليزداد تأكده بأنها من صنع فاعل قدير • وبهذا الاتجاه ينجو المرء من الايمان المختلف في صحته •

ونزيدك هنا أن العلماء شعروا بالحاجة الى البراهين والأدلة عندما اختلطت العقائد الدينية بالآراء الفلسفية ، وبعلم المنطق ، فأدرك العلماء أنه لا بد من مناظرة من يلجأ الى ذلك بطريقته الخاصة • وهذه الأدلة العقلية مع ما فيها من فائدة عظيمة للعقيدة ، لا تحيط بحقيقة الاله التى لا تنحصر في عقل انسان ، ولا في دليل عقلى يأتى به ، وكل ما في هذه الأدلة التى يأتى بها العلماء الموحدون أنها تذكر في مقابلة الأدلة العقلية التى يأتى بها المنكرون • ـ وعندما يدرك الباحث أن أدلة الموحدين أرجح من أدلة المنكرين • يكون الدليل العقلى قد أغنى غناءه ، وأدى رسالته في ابعاد أية شبهة محتملة • ومن هنا كان لا بد لنا أن نذكر شيئا من الأدلة العقلية التى ذكرها العلماء في الرد على من كابر ، زيادة على ما تقدم من برهان الفطرة• وسنثبت هنا أوضح ما ذكرها العلماء من براهين وهى :

(١) برهان الخلق والابداع • (٢) برهان الحركة والمحرك •

(٣) برهان الغاية •

برهان الخلق والابداع

فأما برهان الخلق والابداع : فهو أقدم البراهين وأبسطها وأقواها في

الاقناع • ولنذكر لك أمثلة لهذا الخلق والابداع ، حتى تستطيع أن تدرك منها الدليل الذى تريده •

(١) قد نضع بذرة في أرض صالحة للزراعة ، ونسقيها بالماء ، أو نغرس قطعة من غصن كذلك ، فاذا بكل منهما يستوى عودها ، وتخضر أغصانها، وتظهر عليها زهور جميلة ذات ألوان جذابة ، أو رائحة عطرية ، وقد يظهر عليها من السنابل والثمر ما يكون قواما للأحياء •

(٢) يحصل الاتفاق الجنسى بين الذكر والأنثى من الحيوانات والطيور ، وقد ينتج من هذا الاتصال حيوان آخر •

(٣) أثبت العلم أن ثدى المرأة عبارة عن أوعية شبكية كثيرة العدد ، صغيرة الحجم ، تتميز عن الأوعية الدموية بكثرة مرور الدم عليها كثرة ملحوظة ، وهى تحيط بفجوات واسعة مبطنة بالخلايا التى تصنع اللبن باستخلاصه من الدم المار بالأوعية ، فينتج من كل أربعمائة أوقية أوقية لبن • ثم يذهب هذا اللبن الى مستودعات بين خمسة عشر أو عشرين ، وتضيق القنوات التى تحمل اللبن كلما قربت من سطح الحلمة ، وهذا اللبن يتغير من وقت لآخر بحسب حاجة الطفل للتركيز في مكوناته •

(٤) عندما يوجه الانسان المبصر نظره الى شىء تنطبع صورة الشىء المنظور معكوسة على الشبكية ، وينقل العصب البصرى هذه الصورة المعكوسة الشكل الى المخ ، فيردها المخ الى العين وقد عكسها مرة أخرى ، أى عدلها ، فيرى الناظر الصورة العادية • كل ذلك فيما لا نستطيع تقديره بزمن •

هذه أمثلة تريك كيف تتغير الكائنات ، فتوجد أشياء بعد عدم ، ويتحول بعض الأشياء الى بعض آخر ، ويتولد بعضها من بعض ، ويتوقف بعضها على بعض ، فاذا سلطنا ضوء العقل على ذلك فانه يحكم بأن هذا كله من قبيل الممكن الذى حصل بعد أن لم يكن ، ولا بد لذلك من موجد واجب الوجود لذاته وهو الله تعالى . وليس الأمر مقصورا على هذه الأمثلة التى ذكرناها لك ، فالأمر يتناول العالم كله ، أو الموجودات جميعها ، فلا بد لها من موجد ، وموجدها هو الله سبحانه وتعالى واجب الوجود .

برهان الحركة والمحرك

وبرهان الحركة والمحرك الذى أنشأ جميع الحركات الكونية على اختلاف أنواعها ، كالحركة : بمعنى الانتقال من مكان الى مكان ، والحركة من حال الى حال ، والحركة بمعنى الانتقال من حيز الامكان الى حيز الوجود . كل هذه المعانى تدخل تحت معنى الحركة . وقبل أن نسوق اليك البرهان نقدم لك أمثلة تبين المعانى السابقة :

(١) مثال الحركة بمعنى الانتقال من مكان الى مكان ، أو من حال الى حال ، تبعد(١) أرضنا التى نعيش عليها عن الشمس بمقدار (٩٢) مليونا

---

(١) الجزم بهد البعد فيه نظر والقول بحركة الارض قد قامت الادلة النقلية والحسية على بطلانه وقد دلت على أن الارض ساكنة هادئة قاره فيحسن في مثل هذا أن لا يجزم في هذا الامر بل ينسب ذلك الى أصحاب الهيئة ثم يقال في آخره والله سبحانه وتعالى أعلم والصواب ان اختلاف الليل والنهار والفصول بأسباب حركة الشمس حول الارض واختلاف مشارقها ومغاربها هذا هو مقتضى الادلة الشرعية والحسية المشاهدة والمعقولة . وقد كتبت في هذا مقالين طبعا في الصحف المحلية وغيرها . وطبعا مستقلين ووزعا .

عبد العزيز بن باز

ونصف مليون ميل • وهى تدور على محورها بسرعة ألف ميل في الساعة ، وذلك يعادل مرة كل أربع وعشرين ساعة • ولو قل دورانها عن ذلك لأصبح النهار طويلا ، وذلك يؤثر على النبات والأحياء صيفا ، ولطال الليل بصورة تؤدى الى تجمد السوائل شتاء ، وبهذا تقل مسببات الحياة • وهى تدور حول نفسها وحول الشمس ، وتتبعها في سيرها أينما سارت • وينتج عن هذا الانتقال الفصول المختلفة • والنظام الشمسى كله بما فيه الأرض ينهب الفضاء ، وينتقل بسرعة لا تقل عن عشرين ألف ميل في الساعة ، وكل من السيارات يلزم مداره في انتقاله ولا ينحرف ، ويلزم سرعته ، ومع ذلك لم يصطدم شيء منها بآخر على مر السنين ، وتعاقب الأجيال •

(٢) ومثال الحركة من حيز الامكان الى حيز الوجود :

أ ـ يمتص جذر النخلة العناصر الغذائية من التربة بالشعيرات الجذرية وتصعد العصارة بالضغط الى أعلى ، ويتغذى جذع النخلة بما غلظ من العصارة ، وتصعد الى الأجزاء العلوية ، فيأخذ كل جزء غذاءه ، وترتفع العصارة الدقيقة لتكون الثمرة • فقد كانت الثمرة قبل ظهورها في حيز الامكان ، وبعده صارت في حيز الوجود •

ب ـ يقذف الرجل الماء في رحم المرأة ، فتسعى الحيوانات المنوية الى داخله ، وعندما تجد بويضة يدخلها أسرع حيوان ، فتحتوى بويضة المرأة بعد ذلك على نواتين : نواتها الأصلية ، ونواة الحيوان المنوى ، وتتقارب النواتان حتى تمتزجا وتكونا نواة واحدة ، وتصبح البويضة خلية كاملة ،

ثم تأخذ في الانقسام فيتكون منها مخلوق كامل الأعضاء والصفات كأفراد نوعه • وفي هذا المثال : كان الانسان قبل التلقيح في حيز الامكان ، وبعد التلقيح يخرج الى حيز الوجود •

بعد استعراض هذه الأمثلة التى توضح أنواع الحركة المختلفة ، يناسب أن ننتقل الى صياغة قانون الحركة ، أو قانون المحرك الذى أنشأ جميع الحركات الكونية ، وذلك أن المتحرك « الموجود » أيا كان نوع حركته لا بد له من محرك « موجود » ، وأن هذا المحرك لا بد أن يستمد الحركة من غيره ، وهكذا الى أن يقف العقل عند محرك واحد لا تجوز الحركة عليه، لأنه قائم بغير حدود من المكان والزمان ، وهذا هو الله تعالى •

هذا ، وقد عرفت أن هذه الحركة سائرة على نظام دقيق لا يعتريه نقص ولا اصطدام ، وهذه الأجرام المتحركة قائمة في الفضاء بأمر الله تعالى وتدبيره ، وان قانون الجاذبية الذى اكتشفه العلماء ما هو الا رمز لقوانين تصرح باسم الله تعالى • وقد قال القرآن قبل أن يكتشف قانون الجاذبية « رفع السماء بغير عمد ترونها » وهو يشير بذلك الى هذه القوانين •

وأمثلة الحركة من حيز الامكان الى حيز الوجود ، توضح لك أن مثل هذه التطورات العجيبة المدهشة في بروز الثمرة الى حيز الوجود ، وظهور الانسان من حيز القوة الى حيز الفعل لا بد أن تكون وليدة محرك قادر قوى عظيم لا تبلغ العقول الانسانية كنه عظمته ، وانما تدرك وجوده بوجود أثره الذى لا يتطاول أحد الى عمل مثله •

قبل أن نعرض عليك صياغة هذ الدليل نود أن تعى هذه المقدمة جيدا حتى تستطيع أن تفهم أن كل ما في الكون مخلوق وفق قصد في تكوينه ، وحكمة في تسييره وتدبيره •

(١)يقول الأستاذ « مونيه » في مجلـــة « الكوسموس » : اذا افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل أن الكون خلق اتفاقا بلا فاعل مختار ، وأن الاتفاقات المتكررة توصلت الى تكوين رجل ، فهـــل يعقل أن الاتفاقات والمصادفات تكون كائنا آخر مماثلا له في الشكل الظاهرى ، ومباينا له في التركيب الداخلى • وهو المرأة بقصد تعمير الأرض بالناس وادامة النسل فيها ؟!

أليس هذا وحده يدل على أن في الكون خـالقا مريدا أبدع الكائنات ونوع بينها ، وغرز في كل نوع غرائز ، ومتعه بمواهب يقوم بها أمره • ويرقى بها نوعه ؟!

(٢) أثبت العلماء أن الانسان يتكون في أصله من خلية واحدة معقدة تتكون منها كل أجزائه العجيبة العظيمة ، كالعظام ، واللحم ، والأنسجة ، والدم ، وطبقات الجلد ، وأهداب العين ، والبصر ، والسمع ، ونحـوها • وعندما يتكون الجنين في بطن أمه يتنفس وتفرز أجهزته ، ويتغذى بحبـل سرى روعى في تكوينه ما يحقق الغرض الذى تكون من أجله ، ليس بـه طول يتسبب في تخمر الغذاء ، ولا قصر يجعل الغذاء يندفع فيؤذيه • وعندما يبلغ الحمل نهايته تفرز غدد الأنثى افرازات كثيرة متعددة الأغراض وتفرز

غدة الثدى عند نهاية الحلمة سائلا أبيض مائلا الى الاصفرار ، هى عبارة عن مواد كيماوية ذائبة تقى الطفل من عدوى الأمراض ، ثم يبدأ اللبن بعد الميلاد ، ويزداد مقداره يوما بعد يوم بحسب حاجة الطفل الى الزيادة ، ويتغير تركيبه ، فهو في أول الأمر يكاد يكون ماء به قليل من النشويات والسكريات ، ثم تزيد نسبة النشويات والسكريات والدهنيات يوما بعد يوم بما يناسب أنسجة وأجهزة الطفل المستمر النمو ٠

أ لاترى في هذا المثال أن هذه العمليات المنطقية المرتبة الدقيقة تسير وفق قصد وغاية وحكمة ، وقد انتفع الناس منها بعد معرفة نظامها الدقيق ٠ ان ما قدمناه لك يسمح لنا أن نقول ان هذه المخلوقات دليل على وجود الله الخالق ، وانها كذلك تدل على قصد في تكوينها ، وحكمة في تسييرها وتدبيرها ، فالكواكب في السماء تجرى على نظام ، وتدور بحساب ٠ وعناصر الماء تأتلف وتفترق ، وتصلح في أئتلافها وافتراقها لنشوء الحياة ، ودوام الأحياء ٠ وأعضاء الجسم تتكفل بأداء وظائفها المختلفة التى تتحقق الحياة بمجموعها ٠

ومن عرف التركيب المحكم الذى يلزم لأداء وظيفة البصر في العين تعذر عليه أن يعزو ذلك كله الى مجرد المصادفة والاتفاق ٠ ويقال في كل حاسة من الحواس ما يقال في العين ، أو العيون التى تتعدد بتعدد الأحياء ٠

ثم ان كل ما توصلنا اليه هذه الأدلة هو وجود اله لهذا الكون متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، أما كون ذلك الاله يسمى الله ، أو الرحمن ، أو الهادى ، مثلا فهذا قد عرفناه من طريق الشرع وليس من طريق العقل ٠

الوحدانية والدليل عليها

س ـ تتحدث كتب التوحيد : عن الوحدانية ، فحاجتى شديدة الى بيانها ؟ وبيان أدلتها عقليا ونقليا ، فوضحها مشكورا ؟

ج ـ الوحدانية : صفة سالبة للتعدد في ذات الله تعالى ، وصفاته ، وأفعاله • ومعنى وحدانية الذات : انتفاء التعدد في ذات الله تعالى ، وانتفاء تركيبها من أجزاء وأعراض ، فليست هناك الا ذات واحدة هى ذاته تعالى• والمراد بوحدانية الصفات : أن صفاته تعالى ليست متعددة ، فليس له علمان ولا قدرتان ••• الخ ، وليس لأحد صفة كصفاته • ووحدانية الأفعال معناها : أنه ليست هنالك أفعال كأفعال الله تعالى ، أما أن تكون له أفعال متعددة من احياء ، واماتة ، وخلق ، ورزق ، وغير ذلك ، فهذا أمر ثابت له تعالى •

ألدليل على وحدانية الله تعالى

اليك بيانه من الناحية العقلية :

(١) اذا فرضنا وجود اله آخر فلا بدأن نتساءل : هل يكفى واحد منهما أو لا يكفى ، فان قلنا يكفى واحد ، كان وجود الآخر عبثا ، وان قلنا ان كلا منهما لا يكفى ، لزم عجزهما معا ، وهذا ينافى مقام الألوهية الذى يفرض فيه الكمال المطلق •

(٢) اذا فرضنا تعدد الآلهة فلا بد أن نفرض فيها كلها ذات الألوهية• وصفاتها الكاملة ، والتصرف التام في جميع الممكنات ، ولا يمكن أن نسلم باتفاق تصرفاتهم ،اتفاقا تاما ، لأن ذلك يؤدى الى اجتماع مؤثرين أو أكثر

على أثر واحد ، فينتج عن ذلك فساد الأثر ، ولكن الواقع يقول : ان النظام لم يفسد ، بل هو في غاية الابداع ، فلا بد أن يكون المدبر له الها واحدا • هذا وسيأتى في الأدلة القرآنية ما يشير الى هذا الدليل •

(٣) لو تعددت الآلهة لحصل بينهما التنازع في جهة الاختصاص ، فمثلا لمن يكون الاحياء ، ولمن تكون الاماتة ! ومن يكون الرازق ؟ ومن يكون المانع ؟ ومن الذى يتولى ادارة الكواكب ، هذه كلها أشياء مثيرة للتنازع والخصام ، ثم ماذا يكون بعد هذا التنازع والخصام ؟ أيكون التقسيم ، ثم الاعتزاز ، ومحاولة التوسع وجلب المؤيدين ؟

تلك هى النتيجة الحتمية لتعدد الآلهة ، والواقع المحسوس يؤيد هذه القضية التى صورها القرآن أبدع تصوير ، اقرأ ذلك في قوله الله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ، فسبحان الله رب العرش عما يصفون»• ثم اقرأ قوله تعالى أيضا : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون »•

ألا تحس الدليل الاقناعى واضحا فيما ذكرناه ؟

فكثيرا ما نطق القرآن بهذا التوحيد • قال تعالى : « والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » ، وقال أيضا : « لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون » • وقال تعالى : « ألا ان لله من في السموات ومن في الأرض ، وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن ، وان هم الا يخرصون » • والآيات الدالة على وحدانية الله كثيرة • ورحم الله من قال :

وفي كل شيء له آيـــة　　　تدل على أنه الواحد

هذا المبحث وما سبقه من براهين منقولة من « المنهج الدينى للمدارس الثانوية » بالسودان الجزء الأول الطبعة الأولى سنة ١٩٦٣ ـ طبع دار المعارف.

موقف الفلاسفة من وجود الله

س ـ مما لا شك فيه من أن للفلاسفة مواقف توصلوا منها الى وجود اله مدبر للعالم ، لقد شاع عنهم ذلك غير أنى لم أجد من يوقفنى ولو على آراء البعض منهم فهل لديك علم بأحوال هؤلاء ؟

ج ـ نجد كثيرا من الناس فضلوا أن يفكروا في الله من تلقاء أنفسهم ، وأطلقوا العنان لعقولهم في البحث . بالرغم من أن الرسالات السماوية أزالت الأوهام التي كانت تعلق بأذهان كثير من الناس في موقفهم من وجود الله . وهؤلاء الذين أطلقوا لأنفسهم العنان في البحث هم الذين يسمون بالفلاسفة ، الذين تبينت لهم الحقيقة . ووصلوا اليها من طريق البرهان .

(١) قال : « رينيه ديكارت » الفرنسى : أنا أفكر ، فأنا موجود . ثم تساءل ليثبت من وجود نفسه ، وجود الله تعالى ، فقال : من الذى أوجدنى ؟ اننى لم أخلق نفسى بنفسى . والا أعطيت نفسى كل صنوف الكمال التى تنقصنى . ولم يخلقنى خالق ناقص ، لأنه لو كان كذلك لتساءلنا : من الذى أوجد ذلك الخالق الناقص ؟ انه لم يوجد نفسه ، والا أكمل نفسه ، فلم يبق الا أن خالقى اله كامل .

(٢) ويقول : « ليبنتز » : ان وجود الكائنات (الممكنات) لا يشتمل على سبب كاف لوجودها . ولا بد أن نسأل : لماذا وجد العالم ؟ ولا نفهم لذلك

علة كافية ، الا اذا تعلق الأمر بخالق واجب الوجود ، شاء أن يوجد العالم لحكمة تليق به تعالى .

(٣) « كانت » الألمانى : وهو فيلسوف هيمن بمذهبه على مسالك التفكير التى شاعت في أوربا ، وما زال يهيمن عليها الى العصر الحديث .

ويرى « كانت » أن مسألة الايمان بالله تعالى ، لا تحتاج الى البراهين العقلية لأنها مسألة علاقة بين الله ، وضمير الانسان . فمن ضمير الانسان يستمد الدليل على وجود الله .

ومذهبه يوافق الشعور النفسى المتقدم ذكره .

ولنكتفى بهؤلاء الفلاسفة الذين يمثلون فترات مختلفة ، وهم من أئمة الفلاسفة كلهم يؤمن بالله . ويثبت وجوده .

موقف علماء الطبيعة من وجود الاله

س ـ هل لعلماء الطبيعة آراء حول وجود الالـه توصلوا منها الى الايمان بوجوده ؟

ج ـ ليس من شأن الطبيعة أن تمنح أهلها الحق في المباحث الالهية والمسائل الأبدية ، لما يأتى :

(١) مجالها المشاهدة ، والتجربة ، والتسجيل ، والاله وما يتصل به لا يخضع لذلك .

(٢) هى مقصورة على نوع من المشاهدات ، فهى قاصرة .

(٣) هى تتناول عوارض الموجودات ، ولا تتناول جوهر الوجود ، لأنه يخضع للتجارب ، ولكن ليس معنى ذلك أن العالم الطبيعى لا يجد منفذا

للكلام عن الألوهية ، اذ في امكانه أن يبدى رأيا يحتج به في ذلك بحسب نصيبه من صحة العلم ، وسعة الأفق وقوة العارضة ، يبدى رأيه نتيجة لما يستفيده من طول البحث ، وتعود التمحيص ، والتجربة ووفرة المعلومات • وفي امكانه أن يتوسع في تفصيل الشواهد على دقة النظام واطراده في ظواهر المادة ، وخفاياها • مما لا يتسنى لغير العلماء المتفرغين لذلك • فطريق عالم الطبيعة مفتوح من ناحية العقل والدليل والبداهة الواعية •

هذا وقد اختلف علماء الطبيعة في أمر الاله كما اختلف الفلاسفة ، فالبيولوجيون : يقررون أن المادة تشتمل على خواص الحياة ، ولا حاجة الى فرض غير القوى المادية ، لتفسر بها نشأة الأحياء على الأرض • وكلامهم هذا غير صحيح الا اذا رأينا مكانا تنشأ فيه الحياة من الجماد ، أو مادة مخلوقة من العلم ، تتحول الى حياة • أو وضعوا لنا خلية تلد انسانا سويا يرث ما ينمو في الخلية الحية • من خلائق الآباء والأجداد ، منذ آلاف السنين •

وكذلك علماء الكيمياء ـ يرون أن الاشعاع كاف لتفسير الحياة في المادة ، ونحن نطالبهم بمثل ما طالبنا به علماء الأحياء السابقين • فنقول لهم : ان الشعاع يملأ الفضاء ، فهل يمكنكم ان تركبوه كما حللتموه ؟ وهل يمكنكم أن تبينوا لنا مكانا يتحول فيه الشعاع الى ذرة • وتتحول الذرة الى خلية ؟ ان هذا ما لا يمكن •

هذا تصوير لآراء المفكرين ، وابطال لحججهم ، فما رأى المؤمنين من علماء الطبيعة ، في اثبات الاله ؟

كثير من علماء الطبيعة المتازين يردون على المنكرين ، انكارهم للحقيقة الالهية • لأنهم يؤمنون بالعقل ، ويرون أن تفسير الكون بالارادة الالهية ،

أقرب الى العقل والمنطق . وهؤلاء الذين يرون هذا الرأى من أكبر علماء الطبيعة والرياضة ، والفلك ، ومكانتهم في هذه العلوم أعلى من مكانة المنكرين .

والحقيقة أن أحق العلماء بالمباحث الالهية : هم علماء الطبيعة الفلكيون لأنهم يعتمدون على بداهة العقل الرياضية مع المشاهدة . فيكون حكمهم مبنيا على نظام السموات ، ونظام الأشياء التى تلابسها حياتنا الأرضية . فنطاق بحث الألوهية أوسع عندهم . والمكتشفات الحديثة الطبيعية ترينا أن أثر الرياضة في المباحث الالهية أوضح ، فقد ثبت أن الكون كله يكاد فهمه يتوقف على النسب الرياضية . فالذين أرسلوا الأقمار وأطلقوا الصواريخ ، وسفن الفضاء يعرفون قيمة النسب الرياضية في فهم الكون . والآن نعرض عليك آراء العلماء الذين آمنوا بالله وردوا على المنكرين :

(١) « سير أرثر أرنجتون » :يقول هذا العالم : أولا ان تفسير هذا الكون بالحركة الآلية ، أمر لا يقبله العلم الحديث الحق ، والأحرى أن نفسر هذا الكون بأنه نظام مبنى على نسب رياضية ناشئة عن عقل عاقل ، والانسان ليس هو الذى أوجد هذه النسب الرياضية ، بما له من ميزة العقل في هذه الكائنات .

اذا افترضنا جدلا أن الحركة الآلية ستخلق في المستقبل انسانا آليا ، فان العقل لا يجوز أن يكون هذا الانسان له ميول نفسية تجعله يبحث بنفسه عن الحقيقة . وهذه الميول أوسمها الشوق . هى سر الحياة في الوجود الانسانى ، وهى التى جعلت الانسان مغايرا لكل الظواهر الطبيعية ، وجعلته

قوة روحانية • وعلى ذلك فليس من المعقول أن يكون الجواب عن تساؤلنا عن حقيقة الكون انه ذرات نارية تحوم الى الفضاء المحتوم ، بل الجـواب الصحيح أن وراء هذا الكون روحا تدبره وتسيره •

(٢) « جينز » :

هو عالم له أبحاث عظيمة في الاشعاع والذرات الغازية •

يرى « جينز » أن النسب الرياضية التى ينبنى عليها نظام الكون ، هى الدليل على وجود الله • لأن هذه النسب موجودة عاملة قبل أن يهتـدى الانسان ، وكل ما عمله الانسان أن اكتشفها ، وطبقها على ما حوله ، فلم يوجدها هو ، وانما هى حقائق عقل الهى ، أودعها أفكارنا ، كما أودعها هذا العالم من حولنا ، فالكون فكرة عظيمة ، لاآلة عظيمة ، وهو أجل خطرا من أفكار الانسان •

(٣) « نيوتن » وهو عالم انجليزى :

يقول نيوتن : ـ كيف تكونت أجسام هذه الحيوانات بهذه الصناعـة البديعة ؟ ولأى المقاصد وضعت أجزاؤها المختلفة ؟ هل يعقل أن تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الابصار ونواميسه ؟ ، والأذن بدون المام بقوانين الصوت ؟ كيف يحدث أن حركات الحيوانات تتجدد بارادتها ؟ ومن أين جاء هذا الالهام الفطرى في نفوس الحيوانات وهذه الكائنات كلها في قيامها على أبدع الأشكال وأكملها • ـ ألا تدل على وجود اله منزه عن الجسمانية، حى حكيم يرى حقيقة كل شىء ويدركه ؟؟ •

هذه آراء العلماء من فلاسفة وطبيعيين مستشرقين كما جاءت في المنهج الدينى جزء (١) للمدارس الثانوية بالسودان •

س ـ انني في حاجة الى اجتلاء صفات الرسل والأنبياء وما اختصهم الله به لأكون على بينة منها ؟

ج ـ انك لموفق في بحوثك القيمة ، واختياراتك المفيدة .

فاعلم أرشدك الله أن الله سبحانه وتعالى اختار من بنى الانسان طائفة : اختصها بعلو الفطرة ، ورجاحة العقل ، وعصمها من كل ما يشوه السيرة البشرية ، من الفواحش الظاهرة والباطنة ، لتكون للناس أسوة حسنة ، وقدوة صالحة . فمن اختاره الله لذلك المنصب ، ولم ينزل عليه شريعة يبلغها للناس فهو نبى وليس برسول . ومن كلفه بشرع يبلغه للناس ، ويحملهم بالحجة والبرهان على العمل به فهو نبى ورسول . ولا بد للرسول مع ما تقدم من الخصائص أن يكون متصفا بالأمانة في تبليغ كل ما عهد اليه أن يبلغه ، وأن يكون سالما مما تنفر منه الأذواق السليمة ، وتنبو عنه الأبصار ، لأن ابتلاءه بشىء من ذلك يتنافى مع الغرض من بعثته : وهو جمع الناس عليه ، والتفافهم حوله ، ولو انحطت فطرهم ، أو ضعفت عقولهم، لم يكونوا أهلا لذلك المنصب الجليل الذى اختصهم الله به ، ولو كذبوا أو خانوا لضعفت ثقة الناس بهم ، ولكانوا مضللين لا مرشدين ، فتذهب الحكمة من بعثتهم . وهم فيما عد ذلك كبقية البشر ، يأكلون ، ويشربون وينكحون ، ويمرضون الأمراض الغير المنفرة ، وتمتد اليهم أيدى الظلمة ، وقد يقتلون .

ونقف عن تحديد عددهم ، اذ لا يعلم عددهم الا الله القائل في سورة النساء : « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ، ورسلا لم نقصصهم عليك » .

ونؤمن بما قصه القرآن من أخبارهم ، وهم مع اشتراكهم في هذه الصفات قد فضل الله بعضهم على بعض كما قال تعالى في سورة البقرة : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات » • وعلينا أن نؤمن بهم جميعا ، فالمنكر لرسالة بعضهم ، منكر لرسالة الجميع ،ولا فرق عند الله : بين من جحد أصلا من أصول الدين ، وبين من أنكره كله ، قال تعالى في سورة النساء : « ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا • والذين آمنوا بالله ورسله ، ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفورا رحيما » •

نعم هناك خصوصيات اختص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم من بين سائر الرسل عليهم وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ومنها عموم الرسالة •

(اختصاص النبى محمد صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة)

س ـ ما معنى اختصاصه بعموم الرسالة ؟ وما الدليل على ذلك ؟

ج ـ معنى عموم الرسالة : بعثه الى الناس كافة ، عربيهم وعجميهم ، يهوديهم ونصرانيهم • فشريعته باقية دائمة ، وهدايته مستمرة • بعث بكتاب مهيمن على سائر الكتب السماوية ، قال تعالى في سورة فصلت : « وانه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » • آية من آيات الله الناطقة ، وحجة من حججه البالغة الناهضة ، لا يثقل على السمع وان تكررت مبانيه ، ولا تتناقض عند ذوى العقول معانيه ، قال تعالى

في سورة النساء : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » . أبلغنا قصص الأولين على بعد أزمانهم ، وأخبار الماضين على انقطاع الصلة بيننا وبينهم ، قال تعالى في سورة يوسف : « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكن تصديق الذى بين يديه ، وتفصيل كل شيء ، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » . أخبرنا بكثير من المغيبات فكان الخبر الصادق ، والحديث الحق . قال تعالى في سورة الروم : « ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم » . وقال تعالى في سورة الفتح : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ، محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » .

جاء لتطهير العقائد مما لوثها ، وابعاد الأخلاق عما دنسها ، وضع للمعاملات أصولا عادلة ، وقوانين شاملة ، لا تسعد الأمة بدون مراعاتها ، ولا يسود السلام الا بالمحافظة عليها . أصلح حال الأسرة ، وحدد واجب الخادم والمخدوم ، والرجل والمرأة . ووضع للمواريث نظما هى غاية في الحكمة ، حذر من المنكرات على اختلاف أنواعها ، ورغب في الطيبات على تنوع مشاربها ، فكان جديرا به أن يكون ختاما للكتب .

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » فالقرآن هو معجزة الرسول الدائمة الخالدة الى قيام الساعة . عدى ما خصه به من معجزات باهرات تأييدا لدعوته ، وتنويها

بعلو شأنه • وليست المعجزات ، أى خوارق العادات مما أيد بها وحده دون سائر النبيين ، وانما هى لكل الأنبياء ، الا معجزة القرآن الخالدة ، فقد خص بها وحده •

(ما نسب الى الأنبياء من قصص تتنافى مع عصمتهم)

س ـ ذكر بعض المفسرين في قصص الأنبياء أشياء تخالف عصمتهم ولا تتفق مع سمو مقامهم وانى لمرتاب فيما ذكروه ، لمنافاته لما اختصهم الله به من خصائص سامية ، ولما أحلهم بها من مراتب عالية ، وسأسرد لك ما ذكروه لهم ، وما نسبوه اليهم الواحدة تلو الأخرى ، ملتمسا منك التوضيح المدعم بالحجج القاطعة ؟ والأدلة الساطعة ؟

ج ـ لست أنت الوحيد الذى هالك ما نسب اليهم مما لا يتفق مع مقامهم ، بل مع أن علماء كثيرين ذكروا في مؤلفاتهم ، وتفاسيرهم : أنها أغلوطات متعمدة لأهل الكتاب ، نقلها عنهم عوام المفسرين ، ونقلة الأخبار المغرضون • هذا وعليك أن تفرد لكل قصة من تلك القصص سؤالا خاصا بها ؟ حتى يتسنى لى الرد عليها بأوضح عبارة ، وأجلى بيان •

ولقد مرت بك تلك الصفات الواجب اعتقادها في حقهم ، وكذا ما يجوز في حقهم من حدوث الأعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص في مراتبهم العلية ••• الخ • ـ فاسأل ترشد ان شاء الله ؟

(ما نسب الى نبى الله داود عليه السلام)

س ـ نسب أهل الكتاب كما نقله بعض المفسرين من أن داود نظر وهو يمشى على سطح داره الى امرأة تستحم فأعجبته ، وأغرم بها • وأنه أتى بها واضطجع معها ، فحملت منه وأعلمته ، وكان زوجها أوريا الحثى في الحرب فأتى به ليسأله عن أمر الحرب في الظاهر • وليحدث الرجل

بامرأته ، فبات بباب داود ولم يزر امرأته ، لأنه رأى من عدم التقوى أن يتمتع بزوجه واخوانه في الحرب بعيدون عن أزواجهم ٠ ـ ٠ فلما علم داود لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره الا تعريض أوريا لجبهة القتال، حاملا الراية ! وأن يتاخر عنه الجند بعد التقدم ٠ وبهذه الوسيلة قتل الرجل ، وأتت امرأته بولد من تلك الزنية ، وتزوجها داود !!

فما قولك في هذه القضية ؟

ج ـ كتب هذه القصة بعض المفسرين من المسلمين غفلة منهم ، وردها من تنبه منهم ، لكونها لا تتفق ومقام الأنبياء وعصمتهم ٠ ومن هؤلاء المفسرين : « محمد محمود حجازى » ، قال في تفسيره المسمى : بالتفسير الواضح ـ بعد أن فسر الآيات من سورة ص ـ المبدوءة بقوله تعالى : « وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ، اذ دخلوا على داود ففزع منهم ، قالوا لا تخف : خصمان بغى بعضنا على بعض ٠٠ الى قوله تعالى : وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب » ٠

وهذه القصة كانت مثار نقاش كثير من قديم الزمن ، وخب فيها ووضع القصاص ونقلة الاخبار ! وقد ساعدهم على ذلك أن في التوراة والانجيل ، ما يثبت لبعض الأنبياء كداود ما يترفع عنه عامة الناس ، فكيف الحال مع الأنبياء والمرسلين ٠ ونحن المسلمين نقول بعصمة الأنبياء ، أى ترفعهم عن الدنايا وبعدهم عن سفساف الأمور ، فانا نرى زعماء الاصلاح قوم غير عاديين ، يكونون غالبا بعيدين عن الدنايا ٠ والأنبياء عليهم السلام أولى بذلك منهم ، وهم قوم اصطفاهم الله واختارهم ، وصنعهم على يده ، ونفوسهم عالية ، يستحيل عليهم ما قاله الاسرائيليون في حقهم ، ونقله

بعض علماء المسلمين ودونوه في كتبهم ، وانا نرى كثيرا من العلماء من نفى هذه الأقوال بشدة كالفخر الرازي وغيرهم .

ونحن نسوق القصة على أن داود نبي الله وهو معصوم من الزنا والقتل والدس والوقيعة ، فان ذلك غير مقبول بحال من الأحوال ، وسياق القصة يثبت ذلك . فالقرآن قد ذكر لداود صفات كلها مدح وثناء ، بأنه أواب ، وله زلفى ومكانة عند ربه ، وصاحب قوة وفضل في عمله ، ثم ذكر القصة وأردفها بذكر مدائح له ، وهذا كله يتنافى مع وصفه بالفعل المنكر والعمل القبيح .

وفي الواقع تتلخص الحادثة في أن داود كان له سلطان ، وله أتباع وخدم ، وله مصالح مادية مع الناس ، وهذا كله يوجد له أعداء .

واتفق أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن ينالوا من نبي الله داود ، وكان له يوم يخلو فيه للعبادة ، وانتهزوا الفرصة ، وتسوروا عليه المحراب . فلما دخلوا عليه ، ووجدوا عنده ما يمنعهم من ذلك ، اختلقوا كذبا وزورا ، سببا لدخولهم ، فقالوا : نحن خصمان بغى بعضنا على بعض ، فاحكم بيننا بالحق ولا تجر ، واهدنا الى سواء الصراط . ـ . ويجوز أن يكونا متخاصمين حقيقة . ولما دخلوا على داود بلا اذن ، وتوجس منهم خيفة ، وظن بهم الظنون ، وهم بذلك أن يصيبهم بسوء ، كانت هذه الواقعة فتنة وابتلاء لداود ، ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام ، وتاب عما دار بخلده من ظن ، وخر راكعا فتاب الله عليه وغفر له .

أما قصتهما كما أخبرا فهي : ان هذا أخي أي في الدين أو الانسانية ،

له تسع وتسعون نعجة ـ وهى الواحدة من الغنم أو بقر الوحش ، ولى نعجة واحدة ، فقال صاحب الغنم الكثيرة : أعطنى نعجتك أكفلها لك وأضمها الى غنمى ، وغلبنى في المجادلة • ـ • قال داود متسرعا : لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطاء ـ أى الشركاء ـ ليبغى بعضهم على بعض ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داود أنما فتناه بهذه الحادثة • فاستغفر ربه مما ألم به وتاب ، وخر راكعا ،وصلى لله قائما وساجدا وأناب ، فغفر له ذنبه •

ان لداود عند ربه لقربى ومنزلة كريمة ، وحسن مآب • ـ • أليس وصف داود بعد القصة بأن له زلفى وحسن مأب ، يدل على أنه عبد صالح أواب يستحيل عليه الالمام بمعصية تغضب الله •

ما قيل حول فتنة سليمان عليه السلام

س ـ ذكر بعض المفسرين لقوله تعالى : « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ، الى آخرها » مالا يتفق ومقام النبوة ، بل ما لا يقبله العقل السليم ، على أن ملك سليمان كان في خاتمه ، وأنه في يوم من الأيام دخل الحمام ليغتسل ، فوضع خاتمه عند خادمته ، فجاء الشيطان وتشبه بسليمان في صورته وهيئته وأخذ الخاتم فتختم به ، فصار ملك سليمان اليه ، وأنه جلس على كرسى سليمان يأمر وينهى ، وأن سليمان صار يتسكع ويستجدى لقمة العيش ، ولما رضى الله عنه بعد أربعين يوما من زوال ملكه عنه ، وجد الخاتم في جوف سمكة اشتراها ، وكان العفريت قد رمى به في البحر ، وان هذا العقاب كان نتيجة لرضاه عن زوجته التى طلبت منه أن يصور لها أباها الميت لتتسلى بها • ولكنها فيما بعد عبدتها ، الى آخر ما ذكروه • ـ • فهل هذه الرواية صحيحة ؟ ثم ماذا قال المفسرون والمؤلفون الأثبات عنها ؟

ج ـ هذه الرواية باطلة ، وليس لها أساس من الصحة اطلاقا . وستجد فيما أتلوه عليك من أقوال العلماء ، ما يزيح عنك الشك ، وينير لك السبيل حتى تقف على ما يطمئن به فؤادك ، وتسكن اليه نفسك مما يتناسب مع مقام النبوة ، ويتلاءم مع تفسير الآية . جاء في قصص الأنبياء تأليف (عبد الوهاب النجار) الطبعة الثانية ١٣٥٥ هـ ـ ١٩٣٦ م ما نصه : جاء في القرآن الكريم في سورة ص « ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب . قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ، انك أنت الوهاب » . ـ يقول أهل الحشو ومن لا يبالون بأن يأتوا في تفسير كتاب الله تعالى بكل ما يتخيلون من الحكايات المصطنعة : ان سليمان بلغه خبر مدينة اسمها « صيدون » بجزيرة في البحر ، فخرج اليها بجنوده تحمله الرياح فدخلها وقتل ملكها ، وأخذ بنتا له اسمها « جرادة » من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه ، وأسلمت فأحبها ، وكانت تبكى على أبيها أبدا ، فأمر سليمان فمثل لها صورة أبيها ، فكستها بمثل كسوته ، وكانت تذهب الى هذه الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدون لها ، فأخبر آصف سليمان بذلك ، فكسر الصورة ، وعاقب المرأة ، ثم خرج وحده الى خلاء ، وفرش الرماد وجلس عليه تائبا الى الله تعالى . وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها ، وكان ملك سليمان في خاتمه،فوضعه عندها يوما فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان ، وقال : يا أمينة خاتمى ! فتختم به وجلس على كرسى سليمان فأتى عليه الطير والانس والجن ، وتغيرت هيئة سليمان ، فأتى أمينة يطلب الخاتم فأنكرته ، وطردته ، فعرف أن الخطيئة قد أدركته ، فكان يدور على البيوت

يتكفف ، واذا قال : أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ، ثم أخذ يخدم السماكين ينقل لهم السمك ، فيعطونه كل يوم سمكتين ، فمكث على هذه الحال أربعين يوما عدد ما عبد الوثن في بيته ، فأنكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان ، وسأل آصف نساء سليمان ؟ فقلن ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة ، وقيل بل قد نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن ، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ، ووقعت السمكة في يد سليمان ، فبقر بطنها ، فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ، ورجع اليه ملكه ، وأخذ ذلك الشيطان ، وأدخله في صخرة وألقاه في البحر • ـ • ولهم روايات أخرى لا نطيل بذكرها • ثم قال النجار : هذه أقوال لم يرد بها القرآن ولا نقل صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تنطبق على عقل ولا على حكمة ، فهى حرية بالرد ، وقد رد العلماء عليها بوجوه :

(١) الأول : ان الشيطان لو قدر على التشبه في الصورة والخلقة بالأنبياء ؟ فحينئذ لا يبقى اعتماد على شيء من الشرائع ؟ فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، ما كانوا أولئك ، بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل اغواء الناس واضلالهم • ولما كان باطلا لأنه يؤدى الى ابطال الدين بالكلية ، كان ما أدى اليه باطلا بالكلية •

(٢) الثانى : لو قدر على سليمان يعامله هذه المعاملة ، لقدر على مثلها من العلماء والزهاد فيقتلهم ويمزق كتبهم ويمحوها ، ويثبت فيها شيئا آخر

ولما كان المشاهد خلاف ذلك وانه لم يقدر من أحد منهم على هذا : فوجب أن يكون سليمان ممن لا يقدر عليهم بالأولى •

(٣) الثالث : لو قلنا ان المرأة عبدت صورة أبيها ـ فلا يخلو الأمر : اما أن يكون ذلك بأمر سليمان ، وحينئذ يكون كافرا ، وهو محال ؟ واما أن يكون بدون أمره وعلمه ، وحينئذ لا جريرة صدرت منه ، ولا عقاب عليه •

(٤) الرابع : يقولون : ان الشيطان لما جلس على كرسى سليمان اجتمعت عليه الطير والانس والجن • ـ • وقائل هذا في غفلة عما جاء في الكتاب الكريم من أن تسخير الجن لسليمان ، انما كان بعد الفتنة لا قبلها ، بدليل قوله تعالى : (ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ، قال رب اغفر لى وهب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب ، فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين في الأصفاد ، هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » •

وقد ذكر الفخر الرازى في تفسيره وجوها أحسنها : أن سليمان ابتلى بمرض شديد ضنى منه حتى صار لشدة المرض كأنه جسد أو جسم بلا روح ، ثم أناب أى رجع الى حالة الصحة انتهى ما قاله عبد الوهاب النجار •

وجاء في التفسير الواضح لمحمد محمود حجازى قوله : والذى نختاره ما ذكره أئمة التفسير المحققون من أمثال أبى السعود والفخرو الألوسى وغيرهم من أفاضل العلماء ، وكان مرجع آرائهم الى القول بعصمة الأنبياء ،

ومنع تمثل الشيطان بهم ، وغلق باب زعزعت الناس في معتقداتهم ، وأظهر ما قيل في فتنة سليمان عليه السلام ما روى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى • ولم يقل : « ان شاء الله » فطاف عليهن فلم تحمل الا واحدة بشق رجل ، والذى نفسى بيده لو قال : ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون » • وهذا الحديث في الصحيحين البخارى ومسلم ، وروى بعدة طرق • تلك هى فتنة سليمان كما وردت في الحديث •

ولقد طلب سليمان من ربه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فسخر له الريح حالة كونها جارية بأمره لينة لا تعب معها ، وسخر له الشياطين تعمل تحت أمره من كل بناء وغواص يغوص في البحار لاستخراج الدر منها والأصداف ، وآخرين منهم مقرنين في الأصفاد والقيود خاضعين لامره ، عاملين تحت اذنه ، وان لسليمان عند ربه لزلفى وقربة وكرامة وحسنى ، وله حسن مأب ومرجع الى الجنة ، وان ختام القصة بهذا لدليل على أن كل ما قيل عن سليمان مما هو ثابت في كتب أهل الكتاب ، أو عند قصاص الأخبار من المسلمين خرافة ، وأكاذيب ، لا تليق بمركز النبوة •

انتهى ما كتبه محمد محمود حجازى حول هذه القصة في تفسيره •

س ـ ذكر المفسرون لقوله تعالى من سورة ص : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب ، اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد• فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب • ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق » •

على أن سليمان عليه السلام استعرض خيلاله قبل صلاة العصر فألهته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس ، فندم وأمر بالخيل

فاعيدت ، فمال عليها بالسيف يقطع أعناقها وسوقها غضبا منها حيث كانت السبب في فوات صلاة العصر ، ثم طلب من الله أن يرد عليه الشمس ليصلى العصر • ـ • الى آخر ما ورد حول هذه الحادثة • وبما أن في قلبى ريب مما قالوه : فأملى أن تذكر ما لديك من أقوال للعلماء تزيل الشك وتطمئن النفس ؟

ج ـ نعم ـ ان هناك أقوالا لبعض العلماء المفسرين يطمئن اليها القلب وترتاح بها النفس ، سأذكرها هنا بنصها لتكون على علم بها •

(١) أولا أبدأ بما ذكره ابن كثير في تفسيره بعد أن سرد الأقوال التى أشرت اليها في سؤالك :

كتب يقول : قال الحسن البصر لا والله لا تشغلنى عن عبادة ربى آخر ما عليك • ثم أمر بها فعقرت • وكذلك قال قتادة • وقال السدى : ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف •

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما : جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها • وهذا القول اختاره ابن جرير ، قال : لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ، ويهلك ما لا من ماله بلا سبب سوى أنه شغله عن صلاته بالنظر اليها ، ولا ذنب لها ـ انتهى •

وقال محمد محمود حجازى في تفسيره : ذكر بعض المفسرين في تفسير هذه الآية أن سليمان عرض عليه خيل جياد في وقت العصر فألهاه ذلك عن صلاة العصر ، فغضب ، وطلب من الله أن يرد عليه الشمس بعد غروبها ليصلى العصر ، فردت اليه ، ثم غضب على الخيل التى كانت سببا في فوات الصلاة ، فقطع أعناقها وسوقها • والضمير في قوله تعالى : (أحببت

حب الخير عن ذكر ربى) . انه أحب هذه الخيل معرضا عن ذكر ربه وهو الصلاة . وهذا تأويل فاسد ، يدل على فساده بدائه العقل ، وأسلوب القرآن ، ومكان القصة هنا ، وسياق الآيات :

ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى بعد قول المشركين : (ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) . وقد بلغوا مبلغا من السفاهة عظيما ،حتى قال الله للنبى : (اصبر على ما يقولون . واذكر عبدنا داود) ، ثم ذكر قصة سليمان . وهذا الوضع والسياق ، يفيد أن القصص سيقت لبيان جلائل الأعمال ، وفضائل الخلال التى قام بها هؤلاء الأنبياء وأصحابهم ، وعلى هذا فداود وسليمان ، ليس من الحق أن نفهم فيهما أنهما أتيا أعمالا تتنافى مع مركز النبوة وشرف الرسالة ، وخاصة بعد قول الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : اصبر واذكر داود وسليمان ، أى تأس بهؤلاء ، وعلى هذا فيمكن أن نلخص ما يمكن فهمه من هذه الآيات بما يأتى :

أن الله وهب لداود سليمان ، وكان نبيا من المرسلين ، وهو نعم العبد الصالح ،انه أواب ومطيع ، واذكر وقت أن عرض عليه العشى الخيل المطهمة الصافنات الجياد ، ويمكن أن نقول : ان رباط الخيل المطهمة كان مندوبا اليه في دينهم ، لأنه ملك له دولة وله سلطان ، وله جيش منظم ، وخيل معدة وأمر باحضارها واجرائها عليه لينظرها ويبدى رأيه فيها ، وهو لا يحب الخيل لذاتها ، وانما يحبها لأمر الله ، وتقوية دينه وتثبيت دعائمه .

ثم لما سارت الخيل أمامه وتم عرضها حتى توارت عنه ، وغابت عن بصره ، أمر قواده أن يردوها اليه ، فلما عادت طفق يمسح مسحا بسيقانها

وأعنافها ، وانما فعل ذلك تشريفا وتكريما لها ، وليرى رأيه في الخيل ، لأنه على علم بها وبعيوبها • انتهى ما كتبه محمد محمود حجازى في تفسيره •

وفي ظلال القرآن كتب السيد قطب تحت هذه الآية يقول :

والاشارتان الواردتان هنا عن الصافنات الجياد وعن الخيل الكريمة ، وعن الجسد الذى ألقى على كرسى سليمان •• كلتاهما اشارتان لم تسترح نفسى لأى تفسير أو رواية مما احتوته التفاسير والروايـات عنهما • فهى اما اسرائيليات منكرة واما تأويلات لا سند لها • ـ انتهى •

ما ذكر عن أيوب عليه السلام ومرضه

س ـ ذكر المفسرون عن مرض أيوب أشياء تنبو عـن الحـكمة ، وتخالف العصمة ، وتتنافي مع مركز النبوة ، ولا أطيل بذكر ما قالوه : والرجاء منك ايضاح ما قالوه ، وذكر ما أوردوه ؟ ثم ما هو الأجـدر بالاهتمام ، والأحرى بالقبول من أقوالهم ؟

ج ـ جاء في التفسير الواضح تحت قوله تعالى من سورة ص : (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب • أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب • ووهبنا له أهله ومثلهم معهم ، رحمة منا وذكرى لأولى الألباب • وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث ، انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب) • قوله : ان للناس فيما يقصونه عن أيوب عليه السلام طريقان ، أحدهما يقول : ان ايوب مسـه الشيطان في بدنه وماله بنصب وعذاب ، ثم يرسلون خيالهم في تصـوير المرض الذى أصابه حتى نفر الناس منه الى أبعد الحدود المعقولة ، وغير المعقولة ، وهذا بلا شك رأى باطل لا يستسيغه عقل مسلم ، فانا نعتقد أن الأمر كلـه

وخاصة الموت والحياة والصحة والمرض ، بيد الله لا بيد الشيطان • وأن النبي يستحيل عليه أن يصاب بمرض جسمي منفر ، فانه أرسل ليهدى الخلق ويحتك بهم ، فليس من الجائز عقلا أن يكون بحيث ينفر منه الناس ، وهل يقدر الشيطان على البلاء بالمرض الى هذا الحد ، لو كان كذلك ما الذي منعه من اصابة أعدائه الألداء ، كالأنبياء والمرسلين الهداة والمرشدين ، بهذا أو أشد منه ، فانهم له أعداء حقيقة ، وكيف يتصور مسلم في الشيطان غير ما حدده له ربه حيث يقول : (ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي) • فقد صرح بأنه لا قدرة له في حق البشر الا على القاء الخواطر والوساوس • (قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين • الا عبادك منهم المخلصين) •

وعلى هذا الأساس فالمعقول في قصة أيوب : هو أن الله أمر محمدا صلى الله عليه وسلم ، أن يذكر عبده الممتثل لأمره أيوب وقت أن نادى ربه مستغيثا به : (أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) ، مسه بوسوسته ، والقاء الخواطر الفاسدة في ذهنه • ـ وابليس وجنده يتحينون الفرص ، ويطرقون لكل انسان بابا خاصا به ، ويدخلون عليه من النقطة الضعيفة عنده • والله أعلم هل دخل الشيطان على أيوب من جهة بدنه اذا كان مريضا صابرا ، أو من جهة ماله أو ولده ، أو من جهة قومه ودعوته لهم ، الله أعلم ، ـ ثم أمر من قبل الله أن يركض برجله وأن يضرب الأرض بها ثابتا مستقرا غير عابىء بما حوله من أعاصير • فالعلاج الوحيد هو المغتسل البارد والشراب ، قال تعالى : (اركض برجلك هذا مغتسل بارد

وشراب) فلما اغتسل من الماء الذى أنبعه الله وشرب منه زال عنه ضره وعادت له صحته .

ولمحمد محمود حجازى رأى لعله انفرد به ، وهذا نصه : فالعلاج الوحيد عنده هو ما أنزله الله عليه ، وهداه الى العمل به ، فهو الذى يغسل الأوضار والأدران ، وهو المغتسل البارد والشراب . والقرآن كثيرا ما يكنى عن الوحى بالماء والمطر ولا شك أن كلام الله هو العلاج لكل داء والدواء لكل مرض . قال تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خسارا) ووهبنا له أهلهم وأضعانهم معهم ، ولعل المراد بالأهل الأتباع في لدين ، ووهبنا له ذلك رحمة منا وعظة وذكرى لأولى الألباب الذين يعلمون ان الامر بيد الله وأنه يكشف السوء ، ويجيب المضطر ، ويدافع عن عباده المؤمنين الصابرين . وأمر أيوب أن يأخذ ضغثا فيضرب به ولا يحنث ، قالوا : ان امرأته خالفته في أمر ، فأقسم ليضربنها مائة ، فأرشده الله الى أخذ قنو فيه مائة شمروخ ، أو يأخذ حزمة فيها مائة عود فيضرب بها ولا يحنث . ان ربك وجد أيوب صابرا على البلاء ، شاكرا على النعماء ، وانما مدحه الله بهذا لأنه أواب . انتهى (١) .

وهذه القصة هى ثالثة قصة ذكرت في هذه السورة ، وكلها بلاء وفتنة . واختبار وصبر . ثم نجاح في البلاء والفتنة ، ولأصحابها زلفى ومكانة وحسن مآب عند الله . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) في تفسير المغتسل البارد والشراب بالوحى نظر بل الأظهر بطلانه لكونه خلاف الظاهر وخلاف ما صحت به السنة وقاله علماء التفسير وهكذا ترجيحه أن الأهل هم الاتباع خلاف صريح النص فلا ينبغى أن يلتفت اليه . وهكذا تفسير المثل بالاضعاف ليس بصحيح لكونه خلاف النص والله ولى التوفيق ؟

وجاء في ظلال القرآن للسيد قطب ما يأتي :

وقصة ابتلاء أيوب وصبره ذائعة مشهورة ، وهي تضرب مثلا للابتلاء والصبر . ولكنها مشوبة باسرائيليات تطغى عليها . والحد المأمون في هذه القصة : هو أن أيوب ـ عليه السلام ـ كان كما جاء في القرآن ، عبدا صالحا أوابا ، وقد ابتلاه الله فصبر صبرا جميلا ، ويبدو أن ابتلاءه كان بذهاب المال والأهل والصحة جميعا ، ولكنه ظل على صلته بربه ، وثقته به ، ورضاه بما قسم له .

وكان الشيطان يوسوس لخلصائه القلائل الذين بقوا على وفائهم له ، ومنهم زوجته . بأن الله لو كان يحب أيوب ما ابتلاه . وكانوا يحدثونه به فيؤذيه في نفسه أشد مما يؤذيه الضر والبلاء . فلما حدثته امرأته ببعض هذه الوسوسة ، حلف لئن شفاه الله ليضربنها عددا عينه ـ قيل مائة . وعندئذ توجه الى ربه بالشكوى مما يلقى من ايذاء الشيطان ، ومداخله الى نفوس خلصائه ، ووقع هذا الايذاء في نفسه : (اني مسني الشيطان بنصب وعذاب) . فلما عرف ربه منه صدقه وصبره ، ونفوره من محاولات الشيطان ، وتأذيه بها ، أدركه برحمته ، وأنهى ابتلاءه ، ورد عافيته . اذ أمره أن يضرب الأرض بقدمه فتتفجر عين باردة يغتسل منها ويشرب فيشفى ويبرى : (أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) . ويقول القرآن الكريم : (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب) . وتقول بعض الروايات : ان الله أحياله أبناءه ،، ووهب له مثلهم ، وقد يكون معناه أنه بعودته الى الصحة والعافية قد استرد أهله

الذين كانوا بالنسبة اليه كالمفقودين • وأنه رزقه بغيرهم زيادة في الانعام والرحمة والرعاية ، بما يصلح ذكرى لذوى العقول والادراك •

والمهم في معرض القصص هنا تصوير رحمة الله وفضله على عباده الذين يبتليهم فيصبرون على بلائه ، وترضى نفوسهم بقضائه • ـ فأما قسمه ليضربن زوجه • فرحمة من الله به وبزوجته التى قامت برعايته ، وصبرت على بلائه ، وبلائها به • أمره الله أن يأخذ مجموعة من العيدان بالعدد الذى حدده • فيضربها به ضربة واحدة • تجزى عن يمينه ، فلا يحنث فيها • ـ • (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) •

هذا التيسير وذلك الانعام ، كانا جزاء على ما علمه الله من عبده أيوب من الصبر على البلاء وحسن الطاعة ، والالتجاء : (انا وجدناه صابرا ، نعم العبد انه أواب) •

شفاعـــة الغـــرانيق

(افتراء الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم)

س ـ ذكر بعض المؤرخين والمفسرين : على أن رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم اذا هوى فوصل الى قوله تعالى : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » • ألقى الشيطان على لسانه : « تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجي ، وأن قريشا سروا لذلك ، لكن رسول الله داخله الحزن والغم لذلك ، فأنزل الله نسخا لها بين الكلمتين : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى، ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » • فما هو القول الفصل في هذه الرواية ؟ وهل هذه الآية : « وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى

الشيطان في أمنيته الى آخرها » ، نزلت لهذا السبب ؟ أجب على هـذا السؤال بالجواب الذى لا يدع مجالا لهذه الشبهة ولك مزيد الشكر ؟

ج ـ لقد روى بعض المؤرخين ، ونقل عنهم المفسرون : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من قومه كفاعنه • جلس خاليا وتمنى فقال : ليتـه لا ينزل علي شيء ينفرهم عني ، وقارب رسـول الله قومه ودنا منهم ، ودنوا منه ، فجلس يوما في ناد من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم : (والنجم اذا هوى) حتى بلـغ : (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) • ألقى الشيطان كلمتين على لسانه : (تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى) فتكلم الرسول بها ثم مضى فقرأ السورة كلها وسجد وسجد القوم جميعا ، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً الى جبهته فسـجد عليـه ، وكان شيخاً كبيراً لا يقـدر على السجود ، ويقـال ان أبا أحيحه سـعيد بن العاص أخذ ترابا ورفعه الى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيرا ، فبعضهم يقول انما الذى رفع التراب الوليد ، وبعضهم يقول كلاهما فعـل ذلك ، فرضوا بما تكلم به رسول الله ، وقالوا قـد عرفنا ان الله يحيى ويميت ، ويخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع عنده ، وأما اذ جعلت لها نصيبا فنحن معك ، فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من قولهم حتى جلس في البيت ، فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام ، فعرض عليه السورة ، فقال جبريل جئتك بهاتين الكلمتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت على الله ما لم يقل ، فأوحى الله اليه : (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غـيره واذا لاتخـذوك خليلا) الى قوله (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) •

نقل هذه الرواية ابن سعد في طبقاته عن عبد الله بن حنطب ، وقد قال

الترمذي : ان عبد الله بن حنطب لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، أما الآية التى قيل انها نزلت بسبب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على الله ما لم يقل بذكره شفاعة الغرانيق وهى: (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك) الآية فلم تنزل بهذه المناسبة . فقد قال ابن عباس في رواية عطاء : « نزلت هذه الآية في وفد ثقيف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه شططا ، وقالوا : متعناسنة ، وحرم وادينا كما حرمت مكة من شجرها وطيرها ووحشها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ، فكرروا ذلك الالتماس ، وقالوا : انا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم ، فان كرهت ما نقول ، وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا ، فقل : أمرنى ربى بذلك ، فأمسك رسول الله عنهم ، وداخلهم الطمع ، فصاح عمر عليهم وقال : أما ترون رسول الله قد أمسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه ، فأنزل الله هذه الآية . ـ . وروى صاحب الكشاف أنهم جاءوا بكتابهم فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى ثقيف لا يعشرون ولا يحشرون ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالوا للكاتب ولا يجبون ، والكاتب ينظر الى رسول الله ، فقام عمر بن الخطاب وسل سيفه وقال : أسعرتم قلب نبينا يامعشر ثقيف أسعر الله قلوبكم نارا . فقالوا : لسنا نكلمك ، انما نكلم محمدا . فنزلت هذه الآية . ـ . وهذه القصة انما وقعت بالمدينة ، فلهذا السبب قالوا : ان هذه الآية مدنية .

وذكر الطبرى مسألة شفاعة الغرانيق ، فقال : حدثنى محمد بن

اسحاق عن يزيد بن زياد المدنى عن محمد بن كعب القرظى . ثم سرد رواية محمد بن كعب القرظى بما يقارب رواية عبد الله بن حنطب التى نقلناها عن طبقات ابن سعد ، الا انه قال : فأنزل الله عز وجل : (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم). فاذهب الله عن نبيه الحزن وأمنه من الذى كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم أنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتجى ، بقوله عز وجل حين ذكرت اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى (ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك اذا قسمة ضيزا ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) .. الى قوله : (لمن يشاء ويرضى) أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده ـ الخ ـ .

أما محمد بن كعب القرظى : فمنسوب الى بنى قريظة الطائفة المعروفة من اليهود ، فهو تابعى توفى سنة ثمانين ومائة . جاء في تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ما يأتى : وما تقدم نقله عن قتيبة من أنه ولد في عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، لا حقيقة له . وانما الذى ولد في عهده هو أبوه . فقد ذكروا أنه من سبى قريظة ممن لم يحتلم ولم ينبت فخلوا سبيله . حكى ذلك البخارى في ترجمة محمد .

قال الفخر الرازى في تفسيره للآية المتقدمة بعد أن ذكر قصة شفاعة الغرانيق : هذه رواية عامة المفسرين الظاهريين . أما أهل التحقيق فقد قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة . واحتجوا عليه بالقرآن والسنة ، والمعقول ، من وجوه : أحدها قوله تعالى : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل،

لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين) • وثانيهما قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى) • وثالثها قوله تعالى : (وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره ، واذا لاتخذوك خليلا) • وكلمة كاد ، معناها : قرب أن يكون الأمر كذلك مع أنه لم يحصل • ـ • ورابعها قوله تعالى : (ولولا أن ثبتناك لقد كنت تركن اليهم شيئا قليلا) • وكلمة لولا تفيد انتفاء الشيء لوجود غيره ، فدل على أن ذلك الركون القليل لم يحصل لوجود التثبيت • وخامسها قوله تعالى : (كذلك لنثبت به فؤادك) • وسادسها قوله تعالى : (سنقرئك فلا تنسى) •

أما السنة : فهى ما روى عن محمد بن اسحاق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة ، فقال : هذا من وضع الزنادقة • وصنف فيه كتابا • وقال الامام أبو بكر أحمد بن حسين البيهقى : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل • ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعون فيهم ، وأيضا فقد روى البخارى في صحيحه أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون ، والانس والجن ، وليس فيها حديث الغرانيق • وروى هذا الحديث من طرق عدة وليس فيها البتة حديث الغرانيق • وأما المعقول فمن وجوه :

أحدها : أن من جوز على الرسول صلى الله عليه وسلم تعظيم الأوثان فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفى الأوثان •

وثانيها : أنه عليه الصلاة والسلام ما كان يمكنه في أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمنا أذى المشركين له ، حتى كانوا ربما

مدوا أيديهم اليه . وانما كان يصلي اذا لم يحضروها ليلا ، أو في أوقات خلوة ، وذلك يبطل قولهم .

وثالثها : أن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر ، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجدا مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم .

رابعها : قوله تعالى : (فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) . وذلك لأن احكام الآيات بازالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول أقوى من نسخه بهذه الآيات التى تبقى الشبهة معها ، فاذا أراد الله احكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن بالقرآن فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى .

وخامسها : وهو أقوى الوجوه ـ انا لوجوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه ، وجوزنا في كل من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك ، ويبطل قوله تعالى : (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) . فانه لا فرق في العقل بين النقصان من الوحى وبين الزيادة فيه . فبهذه الوجوه عرفنا على سبيل الاجمال أن هذه القصة موضوعة .

ثم ذكر الفخر الرازى تفصيلات أخرى فلتراجع ، وانا نعتقد أن هذه القصة باطلة ومدسوسة ، ومن وضع الزنادقة الذين يريدون بالاسلام سوءا ، ومع هذا فليس من المعقول أن يعترف النبى صلى الله عليه وسلم : بشفاعة الغرانيق ، وهو يدعو الى عبادة الله تعالى ويحارب الأصنام ، ولو كان للشيطان سلطان عليه ، بدرجة أنه يملى عليه ويحرك لسانه بالكفر ،

لكان ألعوبة له ، ليس في هذه القصة ، بل في غيرها أيضا ، والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم من الشيطان ٠

قال ابن حزم في كتاب الملل والنحل جزء ـ ٤ ـ ص ٢٣ : والحديث الذى فيه وأنها الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى ، كذب بحت ، لأنه لم يصح قط من طريق النقل ، ولا معنى للاشتغال به ، اذ وضع الكذب لا يعجز عنه أحد ٠

وقال البيهقى : رواة هذه القصة كلهم مطعون فيهم ، وقال الامام النووى : نقلا عنه ، وأما ما يرويه الأخباريون والمفسرون أن سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما جرى على لسانه من الثناء على آلهتهم فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ، ولا من جهة العقل ، لأن مدح اله غير الله كفر ، ولا يصح نسبة ذلك الى رسول الله عليه وسلم ، ولا أن يقوله الشيطان على لسانه ، ولا يصح تسلط الشيطان عليه ، والا لزم عدم الوثوق بالوحى ٠ ـ ا هـ ـ

وقال الألوسى في تفسيره : (وأقبح الأقوال التى رأيناها في هذا الباب وأظهرها فسادا ، أنه صلى الله عليه وسلم : أدخل تلك الكلمة من تلقاء نفسه ، حرصا على ايمان قومه ، ثم رجع عنها ٠ ويجب على قائل ذلك التوبة ، كبرت كلمة خرجت من أفواههم أن يقولون الا كذبا ٠ وقريب منه ما قيل انها كانت قرآنا منزلا في وصف الملائكة عليهم السلام ٠ فلما توهم المشركون أنه يريد عليه الصلاة والسلام مدح آلهتهم بها نسخت ٠

وأنت تعلم أن تفسير الآية ، أى قوله تعالى : (وما أرسلنا من قبلك

من رسـول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطـان في امنيته ... الخ) .
لا يتوقف على ثبوت هذه القصة ، فأمثال هذه القصص المدسوسة المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هى التى جعلت للطاعنين في الاسلام مجالا للنقد ، وتشويه الحقائق ، وتقبيح المحاسن ، وقد حشرت في كتبنا من غير تحقيق .

انتهى نقلا عن كتاب السيرة المسمى « محمد رسول الله » لمؤلفه محمد رضا طبع سنة ١٣٦٨ هـ موافق ١٩٤٩ م .

قصة زينب بنت جحش مع زيد بن حارثة

س ـ قرأت تحت قول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « واذ تقول للذى أنعم الله عليه . وأنعمت عليه ، أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحـق أن تخشـاه » ما ذكره المفسر بقوله : انهـا نزلت في زينب بنت جحش ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد بن حارثة ، مكثت عنده حينا ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى ذات يوم لحاجة ، فأبصر زينب في درع وخمار ، وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش ، وقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال : « سبحان مقلب القلوب » وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ، ففطن زيد وألقى في نفسه كراهيتها في الوقت ، وأتى رسول الله ، فقال : انى أريد أن أفارق صاحبتى ، فقال له مالك ؟ أرابك منها شىء ؟ قال : لا ـ والله يا رسول الله ، ما رأيت منها الا خيرا ، ولكنها تتعاظم عـلى بشرفها ، وتؤذينى بلسانها ، فقال : له النبى صـلى الله عليه وسـلم « أمسك عليك زوجك واتق الله » أى اتق الله في أمرها . ثم ان زيـدا طلقها ، فذلك معنى قوله تعالى : « واذ تقول للذى أنعم الله عليه » أى بالاسلام . « وأنعمت عليه » أى بالعتق ، وهو زيد بن حارثة مولاه ، « أمسك عليك زوجك » يعنى زينب بنت جحش ، « واتق الله » أى

فيها ولا تفارقها ، « وتخفى في نفسك » أى تسر في نفسك ، « ما الله مبديه » أى مظهره ، قيل : ان في قلبه لو فارقها تزوجها ، قال ابن عباس حبها ، وقيل : ود أنه طلقها ٠٠٠ الخ ٠ هذا ـ وانني لأشك في هذه الرواية بهذا الشكل ، فهل لديك ما يزيل هذا الشك ويقفني على رواية تليق بمركز النبوة ؟

ج ـ اليك ما يزيل عنك الشك ان شاء الله ، ويريك وجه الصواب ـ وسأكتفى بما كتبه محمد محمود حجازى في تفسير هذه الآية ٠ وغيرها من آيات نزلت بهذا الصدد كما يلى :

كتب تحت الآيات يقول :

زيد بن حارثة بن شرحبيل : كان عبدا لخديجة بنت خويلد ٠ فوهبته للنبى صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه ، فكان يدعى زيد بن محمد حتى نزل قوله تعالى : (أدعوهم لآبائهم) فقيل : زيد بن حارثة ٠ ـ وزينب هذه بنت جحش ، وأخوها عبد الله بن جحش ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهى من ذؤابة قريش ٠

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت عمته فظنت أن الخطبة لنفسه ، فلما تبين أنه يريدها لزيد كرهت ذلك ، وامتنعت وامتنع أخوها عبد الله لنسبها ومكانتها من قريش ، وأن زيدا كان عبدا بالأمس ٠ فلما نزل قوله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) ٠

رضيا وقال أخوها : مرنى بما شئت ، فزوجها رسول الله لزيد ٠

هذه المرأة التى أكرهت على الزواج من زيد لأنها شريفة ، وهو عبد أعتق ، ولم تقبل الا لأمر الله ورســوله ، ماذا ننتظر منهــا ؟ مهما كان ايمانها ! ، انها انسانة ، ومعها نفس لوامة ، فلم تعاشر زيدا معــاشرة الأزواج ، كانت له كارهة ، وعليه متعالية ، وزيد رجل عزيز بالايمان ، يعتقد أن أكرم الناس عند الله الأتقياء ، وأنه لا فضل لانسان على آخــر الا بالتقوى ، لهذا كانت حياتهما الزوجية غير سعيدة ، وكان زيد يشكو منها لرسول الله كثيرا •

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه : أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزويج الله اياها ، فلما تشكى زيد للنبى خلق زينب وأنها لا تطيعه ، وأعلمه أنه يريد طلاقها ، قال له رسول الله على جهــة الأدب والوصية : « اتق الله » أى في قولك هذا ، « وأمسك عليك زوجك » وهو يعلم أنه سيفارقها زيد ويتزوجها هو ، ـ وهذا ما أخفــاه النبى في نفسه ـ ولم يرد أن يأمره بالطلاق ، لما علم أنه سيتزوجها ، وخشى الرسول من كلام المنافقين وقولهم : ان محمدا تزوج زينب بعد زيد وهو مولاه •

وقد عاتبه الله على هذا القدر حيث خشى الناس في شىء قد أباحه الله له لحكمة عالية وعلة سيذكرها القرآن : (لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) وعاتبه الله حيث قال لزيد : « أمسك عليك زوجك وأتق الله » مع علمه بأنه سيطلق ، وحيث خشى الناس والله أحق بالخشية في كل حال •

وليس في أمر النبى لزيد بالامساك وعدم الطلاق ـ مع علمه بانه مطلق حتما شىء ، فانه يأمر الناس جميعا بالايمان ، وقد علم أن منهم المستجيب

والكافر الذى يستحيل عليه الاجابة ، وانما أمره ليقطع عذره ، ويقيم عليه حجته •

ولما انقضت عدة زينب خطبها رسول الله ودخل بها بغير اذن ولا عقد ولا صداق ، لأن الله سبحانه زوجها له من فوق سبع سموات •

(فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ـ مواليهم ومن تبنوهم ـ اذا قضوا منهن وطرا) وكان أمر الله في كل شيء مفعولا لا محالة اذ هو صاحب الأمر ، واليه يرجع كله •

(ما كان على النبى من حرج) وليس عليه اثم ولا ضيق في كل شيء فرضه الله وسنه له ، وهكذا الأنبياء جميعا •

أيها الناس ليس محمد أبا أحد من رجالكم حتى تقولوا : كيف يتزوج محمد مطلقة ابنه ومولاه ؟ ولكن كان رسول الله وخاتم النبيين ، وامام المرسلين لا نبى بعده • ـ اهـ ـ

نعلم من سياق الآيات أن الحكمة في تزويج زيد بزينب تحطيم لفوارق الطبقات الموروثة وتحقيق لمعنى قوله تعالى : (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) وتقرير هذه القيمة الاسلامية الجديدة بفعل عملى واقعى • وان الحكمة في زواج النبى بها بعد تطليق زيد لها هو ابطال عادة التبنى المعمول بها كما جاء مصرحا بها في قول الله تعالى (زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذ قضوا منهن وطرا) •

علق السيد قطب في ظلال القرآن بقوله : « انما كان الأمر كما قال

الله تعالى : (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ، لكى لا يكـون عـلى المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا) ... وكانت هذه احدى ضرائب الرسالة الباهظة حملها رسول الله صلى الله وسـلم ـ فيما حمل ، وواجه بها المجتمع الكاره لها كل الكراهة . ولم تمر المسألة سهلة ، فلقد فوجىء بها المجتمع الاسلامى كلـــه ، كما انطلقت ألسنة المنافقين تقول : تزوج حليلة ابنه ؟ وفي هذا ما يهدم كل الروايات التى رويت عن هذا الحادث ، والتى تشبث بها اعداء الاسلام قديما وحديثا ، وصاغـوا حولها الأساطير والمفتريات ؟ ـ اهـ ـ

قال : محمد محمود حجازى : « ومن المؤسف أن ينـدس في كتب التفسير أقوال تنسب الى أكابر العلماء ، والله يعلم أنهم منها برءاء ، أو هى في الواقع سموم اسرائيلية ، وضعها من أسلم من اليهود عن حسن قصد أو عن سوئه ، ومنها ما قيل في تفسير هذه الآيات من نسبة أمور لا تليق بأى رجل عادى فضلا عن أشرف الخلق المشهود له من كافة الناس أنه رجل صادق ذو خلق . قالوا : ان محمدا رأى زينب فأحبها ثم كتم هذا الحب ثم لم يجد بدا من اظهاره فأظهره ، ورغب في زينب فطلقها زوجهـــا وتزوجها ، وزعموا أن العتاب في الآية لكتمان حبه لزينب .

ونظرة بسيطة الى تاريخ زينب وظروفهـا في زوافي زيد تجعلنا نؤمن بأن سوء العشرة التى كانت بين زينب وزيد انما هو من اختلافهما اختلافا بينا في الحالة الاجتماعية ، فزينب شريفة ، وزيد كان بالأمس عبدا ، وقد أراد الله امتحانها بزواج زيد لتحطيم مبدأ العصبية القبلية والشرف الجاهلى،

وجعل الشرف في الاسلام للتقوى فخضعت زينب مكرهة ، وأسلمت لزيد جسدها دون روحها فكان الألم والضيق .

والنبى محمد صلى الله عليه وسلم كان يعرف زينب من الصغر لأنها ابنة عمته فمن كان يمنعه منها ؟ وكيف يقدم انسان امرأة لشخص وهى بكر ، حتى اذا تزوجها وصارت ثيبا رغب فيها ؟

لا يا قوم : تعقلوا ما تقولون ، وتفهموا الحق لوجه الحق تدركوه بلا تلبيس ولا تشويش . ـ وانظر اليهم وهم يقولون : ان الذى أخفاه محمد هو حبه لزينب ، ولهذا عوتب !!

ولكن الحق هو أن هذا الزواج كان امتحانا في أوله لزينب وأخيها حيث أكرها على قبول زيد ، وفي النهاية كان امتحانا قاسيا للنبى صلى الله عليه وسلم حيث يؤمر به ، ويعلم نهايته ، وزينب تحت مولاه زيد ، والحكمة كما نطق القرآن هو تحطيم مبدأ كان معمولا به ومشهورا عند العرب ، هو تحريم زواج امرأة الابن من التبنى ، كتحريمها اذا كان الابن من النسب ، ولتغلغل العادة في النفوس جاء هدمها على يد النبى صلى الله عليه وسلم وعلى يد زيد بن حارثة مولاه .

فالذى كان يكتمه النبى صلى الله عليه وسلم في نفسه تأذيه من هذا الزواج المفروض وتراخيه في انفاذ أمر الله به ، وخوفه من لغط الناس وبخاصة المنافقين عندما يجدون نظام التبنى قد انهار بعدما ألفوه ، ولهذا فقط عوتب .

هذه الحادثة تلقفها المستشرقون ومن على شاكلتهم من المسلمين ،

وخبوا فيها ووضعوا وأباحوا لأنفسهم الخوض في الأعراض ، والتكلم في حق النبى صلى الله عليه وسلم ، وتصويره بصورة يترفع عنها كثير من الناس ، وكان سندهم في ذلك كله ما نقلته كتب التفسير من أقوال بعيدة عن الصواب جدا ، وقد علمت الحق فيها الذى تؤيده الشواهد الكثيرة والله أعلم بكتابه .

كلمة عن تعدد أزواج النبى صلى الله عليه وسلم

س ـ لقد تكلم بعض الناس في أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وكثرتهن ، يرمون الى أنه رجل شهوانى لا يعقل أن يكون نبيا !! . وكلامهم هذا يحز في نفس كل مؤمن ، ولهذا فانى أطلب الرد على مفتريات هؤلاء الأفاكين الحاقدين من مستشرقين وغيرهم ؟

ج ـ اعترض بعض الذين كتبوا سيرة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم من المسيحيين والمستشرقين على كثرة أزواجه صلى الله عليه وسلم وزعموا أنه شهوانى .

والحقيقة أن كثرة أزواجه لم تكن بدافع شهوانى ، فانه أراد بذلك أن يوجد بينه وبين أصحابه ، وكبار قومه صلة قوية ، ورابطة متينة ، بواسطة المصاهرة ، لأن ذلك مما يساعده ، ويشد من أزره ، للدفاع عن مبدئه السامى ونشر الدعوة الى الاسلام .

أما انه لم يكن شهوانيا فأمر لا ينكر ، وظاهر من حياته وأطواره ، لأنه صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وكانت في الاربعين من عمرها وهو في عنفوان شبابه في سن الخامسة والعشرين ولم يتزوج غيرها الى أن توفيت ، وكان عمره اذ ذاك خمسين سنة ، فاذا لم يكن الى هذا العمر رجل

شهوة ، بل كان قانعا بزوجة واحدة ، فهل من العدل أن نقول انه كان شهوانيا بعد ذلك ؟

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف الفراغ ، بل كان في جهاد مستمر ، فلم يذق للراحة طعما من مبدأ الرسالة الى أن مات ، فكان يقضى أوقاته في نشر الدعوة ومحاربة الوثنية والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والدفاع عن المسلمين وجمع شملهم وتعليمهم أمور دينهم ، وتثبيت دعائم المدنية الصحيحة الخالية من الشوائب ، ومكافحة الأعـــداء باللسان والسيف • وكان مع ذلك يتعبد آناء الليل وأطراف النهار ، وعلى العموم فقد تحمل من الأعباء ما تنوء به الجبال • ولم تشغله كثرة نسائه عن عبادة ربه وعن القيام بواجبات الرسالة •

وأما أنه كان يقصد من تعدد زوجاته ايجاد روابط المصاهرة وتأليف القلوب لنشر الدعوة فهذا واضح أيضا ، فان زوجته عائشة هى بنت أبى بكر الصديق ، وحفصـــه بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة هى بنت أبى سفيان ، وقد كان من أكبر أعداء رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، من أشراف قريش، وعدى ذلك قد كانت أم حبيبة اســـلمت قديما وهاجرت الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، وتنصر زوجها هنالك وأبت أن تتنصر معه ، ومات هناك ، فأكرمها النبى صلى الله عليه وسلم بزواجها • ـ وزوجته ميمونة ، هى خالة خالد بن الوليد الذى صار من أعظم قواد المسلمين وأبطالهم الذين اكتسبوا شهرة خالدة • ـ واما زوجته صـفية بنت حيي : فانما تزوجها لأنها بنت ملك من ملوك اليهود فلا تصلح الا له ، وقـــد تنافس المسلمون فيها لما وقعت في نصيب دحية بن خليفة الكلبى •

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قوي الجسم ، كما أنه كان ذا ارادة تفل الحديد ، وكان بشرا يأكل ويشرب ويشتهى ، وقد عصمه الله عن الذنوب · ـ وتزوج زينب بنت جحش وكانت عند مولاه زيد بن حارثة ، وطلقها زيد بعد أن كرهها ، وتزوجها رسول الله لابطـــال عادة التبنى ، ونسخ تحريم الزواج بامرأة المتبنى ·

هذا ملخص العلة في تعدد زوجاته بعد أن بلـغ من العمر الخمسين ، وبعد أن انقضى زمن شبابه ، زمن حدة الشهوة · هذا ولا يخفى أن تعدد الزوجات كان عادة مألوفة عند العرب ، على أن عقـــلاء الافرنج أدركوا حقيقة هذه المسألة ، فردوا على ما افتراه بعضهم من قصار النظر ·

قال الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل :

وما كان محمد أخا شهوة برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وشد ما نجور اذا حسبناه رجلا شهوانيا ،لاهم له الا قضاء مآربة من الملاذ ، كلا فما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت · لقد كان زاهداً متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار · وانهم يذكرون ـ ونعم ما يذكرون ـ أنه كان يصلح ويرقع ثوبه بيده · فهل بعد ذلك مكرمـة ومعجزة ؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله قائم ساهر الليل ، دائبا في نشر دين الله ··· الخ » · انتهى نقلا عن كتاب (محمد رسول الله) لمحمد رضا ·

س ـ انني والحمد الله مؤمن بما للأنبياء من معجزات ٠٠ غير اني أريد التعرف على المعجزة ما هى ؟ ولمن تكون ؟

ج ـ المعجزة حادث غريب ، جاء على يد رجل يدعى أنه رسول الله ـ ومن شأن ذلك الحادث أن يكون فوق طاقة المخلوق : كالانة الحديد لنبى الله داود ٠ واسالة النحاس لنبى الله سليمان ٠ وانقلاب العصا ثعباناً لنبى الله موسى ٠ وابراء الأكمة والابرص واحياء الموتى باذن الله لنبى الله عيسى ٠ وانشقاق القمر لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وعليهم أجمعين ٠ الى غير ذلك من الحوادث الغريبة التى لا يستطيعها مخلوق ولا يقدر عليها بشر ، فاذا ظهرت على يد رجل في وقت يدعى فيه الرسالة عن ربه والوساطة بينه وبين خلقه في تبليغ دينه ، علم أن الله لا يريد بخلق ذلك الحادث الغريب سوى تصديق صاحبه فيما يدعى وتأييده فيما يقول ٠ وبذلك تقوم حجته على معانديه وتخرس ألسنة خصومه ، لأنه يطالبهم بأن ياتوا بحادث غريب كحادثه ، ويخرقوا من العادة كما خرق له ، فاذا عجزوا عن الاتيان بمثله قامت عليهم الحجة ٠ قال تعالى : (ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة) ٠ وقد خرق الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم العادات ، كما خرقها لسلفه من الرسل عليهم السلام ٠ وأيده بالآيات البينات ٠

وناهيك بمعجزة هى أشرف معجزاته : ـ كتاب الله الناطق وحجته البالغة ، ومعجزته الدائمة على مدى الأيام ، وتكرار السنين ٠ أنزله الله بعد أن بلغ من العمر أربعين سنة ٠ وهو أمى لم يقرأ سفرا ، ولم يتعلم خطا ٠

وطلب من العرب الاتيان بمثل ذلك الكتاب فضعفوا ، بل طالبهم بسورة من مثله فعجزوا ، وليس من عقدة في ألسنتهم ، ولا عن عي في قوة بيانهم ، بل لأنه فوق طاقتهم ، وخارج عن مقدرتهم ، وهناك آمن من آمن فكان حجة له ، وكفر من كفر فكان حجة عليه • هذا واذا ظهر الحادث الغريب اكراما لمن وقف عند حدود دينه ولم يدع الرسالة ، فهو كرامة من الله تعالى لذلك الصالح ، كالبركة في الطعام لأبى بكر وهو قليل حتى شبع منه خلق كثير ، وأمثال ذلك من خوارق العادات ، فيجب الايمان بما جاء به الأنبياء ، وبمعجزاتهم ، وبما أخبروا به من المغيبات التى هى السمعيات •

أما القرآن الكريم الذى هو المعجزة الخالدة • فقد أدهش بفصاحته وحسن أسلوبه واعجازه فصحاء ذلك العهد من العرب الذين شهدوا بذلك، بل أثنوا جميل الثناء ، ومنهم من سجد حينما سمع آية منه كما هو مذكور في السير ممن بهرتهم بلاغته •

من بهرتهم بلاغة القرآن وشهدوا بكونه من عند الله

س ــ ذكرت أن القرآن الكريم الذى هو المعجزة الخالدة قد أدهش العالم بفصاحته وحسن أسلوبه واعجازه فصحاء ذلك العهد من العرب الذين شهدوا له بذلك • بل أثنوا عليه جميل الثناء ، ومنهم من سجد حينما سمع آية منه كما هو مذكور في السير ، فانى آمل منك أن تذكر لى أولئك الذين صرحوا بشهادتهم للقرآن ممن يناوئونه ومن بهرتهم آياته المعجزة ؟ ومن سجد لفصاحته لما سمعه ؟ ومن أسلم ؟

ج ــ من الذين شهدوا بأن هذا القرآن ليس من عند محمد ، ألد أعدائه : عتبة بن ربيعة فانه لما سمع القرآن من رسول الله ، رجع الى قريش وقال : « فوالله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط ، والله ما هــو بالشعر ولا

بالسحر ولا الكهانة ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ » . ـ ومنهم الوليد بن المغيرة : وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة فانه لما قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون»(١). قال له : أعده ؟ فأعاده ، فقال : « والله ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدق ، وما يقول هذا بشر ، وانه يعلو ولا يعلى عليه » . فقالت قريش : قد صبأ أبو الوليد ، والله لتصبأن قريش كلها . ـ أما أنيس أخو ابى ذر الذى ناقض اثنى عشر شاعرا في الجاهلية ، فانه رجع بعدما سمع القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « رأيت رجلا بمكة يزعم أن الله أرسله . فقال له أبو ذر فما يقول الناس فيه ؟ قال : يقولون شاعر . كاهن . ساحر . لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد وانه لصادق وانهم لكاذبون . وقد أسلم ضماد بن ثعلبة الأسدى عندما سمع رسول الله يقول :

(الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له) وأسلم عمر بن الخطاب بعد أن قرأ آيات من القرآن في بيت أخته فاطمة بنت الخطاب ، وقصة اسلامه هذه مشهورة . وأسلم كذلك الطفيل بن عمرو الدوسي وهو شاعر مشهور بعد أن تلا عليه رسول الله آيات من القرآن وقال : « والله ما سمعت قولا قط أحسن منه » . ـ ولما كان العرب أهل الفصاحة والبلاغة ، فقد كان المنصفون منهم يسلمون عند

سماعهم القرآن من غير معارضة ولا مكابرة ، لأن الحق أحق أن يتبع . أما الذين في قلوبهم مرض فقد كانوا يبذلون كل جهد لمنع الناس من سماع رسول الله يتلو القرآن خشية أن يؤثر فيهم ويسلموا . وحكى أبو عبيدة أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ (فاصدع بما تؤمر) فسجد وقال : « سجدت لفصاحة هذا الكلام » . وسمع أعرابى آخر رجلا يقرأ : (فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا) فقال : « أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام . هذا ومعجزة القرآن باقية ما بقيت الدنيا ، وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم يشهدها الا الحاضرون .

وقد حاول بعضهم معارضة القرآن فجاء كلامه سخيفا مضحكا ، فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب وهو عربى صميم : « يا ضفدع كم تنقين . أعلاك في الماء وأسفلك في الطين . لا الماء تكدرين ، ولا الشرب تمنعين » . ولما سمع قوله تعالى « والنازعات غرقا » قال : « والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما . لقد فضلت على أهل الوبر وما سبقكم أهل المضر .. الخ » ومن كلامه : « ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى . أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شرا سيف وأحشاء » وقال بعضهم « الفيل وما الفيل . له ذنب وثيل ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل » . وهذا كلام لا طعم له ولا حلاوة فيه . خال من المعنى يمجه كل ذوق ، ولا يتمالك سامعه من الضحك ، وقد أراد بعضهم معارضة سورة الاخلاص فأخفق واعترته رقة في قلبه فتاب . وحاول ابن المقفع المعارضة فلم يستطع واعترف باعجاز القرآن . والقرآن كله قليله وكثيره معجز .

وقد ورد في القرآن الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان وقت نزوله ومما سيقع بعد ذلك، كقوله تعالى : (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) وذلك قبل عام الحديبية • وقوله تعـالى : (غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) وقال تعالى (ليظهره على الدين كله) وقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وقوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحـات ليستخلفنهم في الأرض) الآية وقوله تعـالى (اذا جاء نصر الله والفتـح الخ) وقوله (والله يعصمك من النـاس) فلما نزلت هذه الآية منـع رسول الله أصـحابه من حراسته • هذه الآية تدل على صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم اذ كان من أخبار الغيوب لأنه لم يصل اليه أحد بقتل ولا قهر ولا أسر على كثرة أعدائه • وقوله تعالى (سـيهزم الجمع ويولون الدبر) • نزلت هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدروا ما هذا الجمع الذى سيهزم ولا المراد من الآية ، فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها ،لبس رسول الله درعه وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر : قال عمر رضى الله عنه فعلمت المراد منها حينئذ •

يقول محمد رضا في مؤلفه « محمد رسول الله » بعد أن كتب ما أسلفنا تحت عنوان (المعجزة ولمن تكون) وانى انتهز هذه الفرصة • فأنشر الى العالم الاسلامى رأى عالم انجليزى في رسول الله وهـو مستر بوسورث سميث مؤلف كتاب « محمد والاسلام » آملا أن يتدبره القارىء بامعان مع العلم أنه رجل مسيحى ولكنه منصف أبت عليه نفسه الا تقرير الحقيقـة

بغض النظر عن أي اعتبار آخر . قال ما ترجمته : « ان المعجزة الخالدة التى ادعاها هى القرآن .والحقيقة انها لكذلك . واذا قدرنا ظروف العصر الذى عاش فيه ، واحترام أتباعه له احتراما لا حد له ، ووازناه بآباء الكنيسة أو بقديسى القرون الوسطى لتبين لنا أن أعظم ما هو معجز في محمد « رسول الله » انه لم يدع القدرة على الاتيان بالمعجزات ، وما قال شيئا الا فعلـه وشاهده منه في الحال أتباعه . ولم ينسب اليه الصحابة معجزات لم يأتها أو أنكر صدورها منه . فأى برهان على اخلاصه أقطع من ذلك ؟

وقد كان محمد يدعى الى آخر حياته كما ادعى من مبدأ أمره أنـه رسول الله حقا . وانى أعتقد أن الفلسفة العالمية والمسيحية الصادقة ستعترف له بذلك يوما من الأيام » .

معجزات رسول الله ، ومنها انشقاق القمر

س ـ حدثنى عما أيد الله بها نبيه محمداً صـلى الله عليه وسـلم من معجزات ؟

ج ـ أيد الله نبيه محمدا ، وصدقه في دعواه بمعجزات كثيرة لا يساويه في كثرتها أحد قبله من اخوانه الأنبياء ، وقد خصه الله بمعجزات لم يعطها أحد غيره .

والمعجزات التى أيد الله بها نبيه محمدا ، منها ما هو حسى ، ومنهـا ما هو عقلى .

أما الحسية فكثيرة ومشهورة ، منها :

١ ـ انشقاق القمر فرقتين ، روى البخارى ومسلم من طريق أنس :

« ان أهل مكة سألوا النبى أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما » .

٢ ـ نبع المـاء من بين أصابعه الشريفة حتى شرب منه الكثير : روى حديث نبع الماء من بين أصابعه جماعة من الصحابة ، منهم أنس وجابر وابن مسعود ، وحدث ذلك يوم الحديبية وفي غزوة بواط أمام الجموع الكثيرة ، ولم ينكر هذا الحديث أحد من الصحابة .

في صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم . قال قتادة قلت لأنس كم كنتم ؟ قال ثلاثمائة أو زهـاء ثلاثمائة . وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الوضوء فلم يجدوه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فأمر الناس أن يتوضأوا منه ، فرأيت المـاء ينبـع من تحت أصـابعه فتوضأ النـاس حتى توضأوا من عند آخرهم .

٣ ـ تكثير الطعام ـ ومن معجزاته تكثير الطعام ببركته ودعائه ، وقد حدث مرارا .

٤ ـ حنين الجذع ـ كان مسجد النبى صلى الله عليه وسـلم مسقوفا على جذوع نخل ، فكان رسول الله اذا خطب يقوم الى جذع منها ، فلمـا صنع له المنبر سمع لذلك الجذع صوت كصوت العشار . سمعه أهل المسجد حتى ارتج المسجد وكثر بكاء الناس لذلك،ولا زال يحن حتى تصدع وانشق

فنزل النبى صلى الله عليه وسلم فالتزمه وحضنه فسكن . وحديث الجذع مشهور رواه من الصحابة بضعة عشر ، منهم أبى بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وسهل ابن سعيد ، وأبو سعيد الخدري ، وبريرة ، وأم سلمة ، والمطلب بن أبى وداعة ، كلهم حدث بمعنى هذا الحديث .

٤ ـ ابراء المرضى وذوى العاهات ـ رد عين قتادة بن النعمان ، وتفل في عين على بن أبى طالب يوم خيبر ، وكان رمدا فبرىء . ـ الاسراء والمعراج ، نسج العنكبوت في الغار . وما وقع لسراقة . ودعاؤه لعبد الرحمن ابن عوف بالبركة فصار أغنى العرب ، وكذا دعاؤه لثعلبة بالغنى ، ودعاؤه لمعاوية بالتمكن في البلاد فنال الخلافة . ولسعد بن أبى وقاص أن يجيب الله دعوته ، فما دعا على أحد الا استجيب له ، وقال للنابغة : لا يفضض الله فاك ، فما سقطت له سن وعاش ١٢٠ سنة . وتسبيح الحصا في يده ، وكان رجل يقال له بسرا بن راعى العير يأكل بشماله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع . قال : « لا استطعت » فما وصلت بعد الى فيه . هذا قليل من كثير من معجزاته صلى الله عليه وسلم .

س ـ سمعت بعض العلماء يقولون : ان انشقاق القمر لا يكون الا عند قيام الساعة لأن الله سبحانه وتعالى يقول (اقتربت الساعة وانشق القمر) والكثيرون يقولون : انه انشق فعلا معجزة أيد الله بها نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : فأطلب منك البيان المدعم بالأدلةحول هذا الخارق السماوى ، هل انشق فعلا ؟ أم أنه سينشق عند قيام الساعة ؟

ج ـ جاء في كتاب (محمد رسول الله) لمؤلفه محمد رضا ما فيه الغنية والاقناع ، كما يلي : ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر ، وقد نطق به القرآن . قال تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمر ، وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) .

وقد أجمع المسلمون على وقوع ذلك منه في زمنه عليه الصلاة والسلام، وجاءت بذلك الأحاديث المتواترة من طرق متعددة تفيد القطع(١) قال الفخر الرازي في تفسيره : والمفسرون بأسرهم على أن المراد أن القمر انشق ، وحصل فيه الانشقاق ودلت الاخبار على حديث الانشقاق . وفي الصحيح خبر مشهور رواه جمع من الصحابة ، قالوا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الانشقاق بعينها معجزة فسأل ربه فشقه وقال بعض المفسرين : المراد سينشق وهو بعيد ولا معنى له ، لأن من منع ذلك وهو الفلسفى يمنعه في الماضى وفي المستقبل ، ومن يجوزه لا حاجة به الى التأويل ، وانما ذهب اليه ذلك الذاهب لأن الانشقاق أمر هائل ، فلو وقع لعم وجه الأرض ، فكان ينبغى أن يبلغ حد التواتر .

نقول : النبى كان يتحدى بالقرآن ، وكانوا يقولون : انا نأتى بأفصح ما يكون من الكلام وعجزوا عنه ، فكان القرآن معجزة باقية الى قيام الساعة لا يتمسك بمعجزة أخرى ، فلم ينقله العلماء بحيث يبلغ حد التواتر . وأما المؤرخون فقد تركوه ، لأن التواريخ في أكثر الأمر يستعملها المنجم . وهو لما وقع الامر ، قالوا بأنه مثل خسوف القمر ، وظهور شئ في الجو على شكل

---

(١) روي انشقاق القمر عن أنس بن مالك وجبير بن مطعم وحذيفة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود .

نصف القمر في موضع آخر فتركوا حكايته في تواريخهم ، والقرآن أدل دليل وأقوى مثبت له ، وامكانه لا يشك فيه • وقد أخبر عنه الصادق الأمين ، فيجب اعتقاد وقوعه • وحديث الامتناع والالتئام حديث اللئام ، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السموات وذكرناه مرارا فلا نعيده • وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال : ألا ان الساعة قد اقتربت ، وان القمر قد انشق على عهد نبيكم •

وقال الزمخشري في تفسيره : انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة • عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين • وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما ، قال ابن عباس : انفلق فلقتين ، فلقة ذهبت وفلقة بقيت • وقال ابن مسعود : رأيت حراء بين فلقتى القمر • وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله : (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرده وكفى به ردا • وفي قراءة حذيفة وقد انشق القمر ، أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الأمير وقد جاء البشير بقدومه •

وفي تفسير الطبرى : وقوله وانشق القمر ، يقول جل ثناؤه وانفلق القمر ، وكان ذلك فيما ذكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل هجرته الى المدينة ، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية فأراهم انشقاق القمر حجة على صدق قوله وحقيقة نبوته ، فلما أراهم أعرضوا وكذبوا وقالوا هذا سحر مستمر ، سحرنا محمد فقال الله جل ثناؤه :

(وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) • وبنحو الذى قلنا جاءت الآثار وقال به أهل التأويل •

وحدث أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين • وعن عبد الله أيضا قال : انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال رسول الله لأبى بكر : اشهد يا أبا بكر ، فقال المشركون سحر القمر حتى انشق • قال القسطلانى شارح البخاري : وهذه معجزة من أمهات المعجزات الفائقة على معجزات سائر الانبياء لأن معجزاتهم عليهم السلام لم تتجاوز الأرضيات •

وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين •

فانشقاق القمر ثابت بنص القرآن ، أما من قال بأن المراد أنه سينشق ، فهو اما منكر للمعجزات حتى المذكورة في القرآن واما أنه لا يفهم اللغة العربية • فقد قال تعالى : (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر) ، لأن الكفار لما رأوا انشقاق القمر بعد أن سألوا رسول الله كابروا وقالوا انه سحر مستمر ، والآية هى معجزة الانشقاق ، والذين أنكروها بعد رؤيتها هم كفار قريش • وكان ذلك دأبهم • وقد روى أحاديث الانشقاق أهل السنن كالبخارى ومسلم والامام أحمد والبيهقى وبقية أهل السنن ، وقد ذكرنا أقوال كبار المفسرين •

قال الشيخ حمزة فتح الله رحمه الله في كتابه « باكورة الكلام في حقوق النساء في الاسلام » ومن ذلك يعلم أن لا محذور في انشقاق القمر لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان تأويل آيته بوضع المستقبل موضع

الماضي لتحققه لا داعي اليه فضلا عن كونه خلاف الصحيح • وقد ذكرت الجرائد الأجنبية مقالة عربتها جريدة الانسان العربيـة التى كانت تطبع بالاستانة العلية حاصلها : أنه عثر في ممالك الصين على بناء قديم مكتوب عليه أنه بنى عام كذا ، الذى وقع فيه حادث سماوى عظيم ، وهو انشقاق القمر نصفين ، فحرر الحساب فوافق سنة انشقاق القمر لسيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم » اهـ •

هذا ما أردت نقله مما فيه الكفاية والرد المقنع • وبهذا تعلم أن معجزات الرسل ومنهم محمد ليست من صنعهم • ولكنها من صنع الله تأييدا لهم على دعوى الرسالة •

س ـ قلت ان معجزات الرسل ليست من صنعهم ، ولكنها من صنع الله تأييدا لهم ، فأطلب منك الدليل الواضح على ذلك ؟

ج ـ الدليل على ذلك آيات كثيرة من القرآن ، دلت على أن المعجزة من صنع الله وحده ، ولا يأتى بها الرسول الا باذن ربه ، ومن هذه الآيات: قوله تعالى في سورة ابراهيم : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله ، لكل أجـل كتاب » وقوله تعالى في سورة ابراهيم أيضا : (قالت لهم رسلهم : ان نحن الا بشر مثلكم ، ولـكن الله يمن على من يشاء من عبـاده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) فهاتان الآيتان أفادتا أن المعجزة من عند الله يظهرها على أيدى الأنبياء متى دعت الحاجة اليها • وكذلك سير الأنبياء أكبر شاهد على أن المعجزة من صنع الله • ألم تر الى نبي الله موسى ! كيف أوجس في نفسه خيفة ، وولى مدبرا ،حين ألقى عصاه التى أمره الله بالقائها•

فكانت حية تسعى كأنها جان . قال تعالى في سورة النمل : « يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم ، وألق عصـــاك ، فلما رآها تهتز كأنها جان ، ولى مدبرا ولـم يعقب ، يا موسى لا تخف ، انى لا يخـاف لدي المرسـلون » . أتراه يخاف مما صنعت يداه ؟ أو يفزع من شيء عمله بنفسه ؟ لو أن المعجزة من صنع موسى ما اعتراه شيء من الفزع ، وللبث مكـــانه رابط الجأش ، مطمئن القلب . ـ ولتعلم أن كبرى معجزات الرسل كانت في النوع الذى اشتهر به قومه ، ونبغوا في معرفته حين رسالته اليهم . فموسى عليه السلام قد جاء قومه بعصاه التى انقلبت ثعبانا عندما أيد بها ، وذلك يشبه ما نبغ فيه قدماء المصريين من السحر ، فلما عجز السحرة عن مجاراته أيقنوا أنه من لدن اله قدير . وكذلك عيسى عليه السلام ـ فانه أحيا الميت ، وأبرأ الأكمه (من ولد أعمى) والأبرص باذن الله ، لأنه كان للطب شـأن في زمانه . وكذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه جاء بالقرآن ، لأن البلاغة والفصاحة كانت صناعة العرب المعروفة . وهكذا .

ولما كانت بعثة الرسل من مكملات كون الانسان ، ومن أهم حاجاته في بقائه : ـ . بعثهم الله مؤيدين بخوارق العادات ، وبالآيات البينات ، لينضم الناس اليهم فينتفعوا برسالتهم .

حاجة الناس الى الرسل

س ـ ذكرت آنفا أن بعثة الرسل من مكملات كون الانسان ، ومن أهم حاجاته في بقائه : فهل تسمح بشرح معنى ما ذكرت لأزداد يقينا وطمأنينة ؟

ج ـ الناس في كل زمان ومكان محتاجون الى المصلحين الذين يعملون

على ما فيه سعادة الجماعة والأفراد ، وتلك الحاجة واضحة وظاهرة ، اذ لولا المصلحون لظل الناس في جهلهم يعمهون ، لا يفرقون بين الرشد والغى ، ولا يميزون بين الضار والنافع . ولا أدل على ذلك من أن رقي الأمم وانحطاطها ، منوطان بوجود المصلحين وعدمهم ، ولا نزاع في أن الامة التى ظهر فيها المصلحون والمفكرون ، تكون أرقى من الأمة التى حرمت منهم . ومعلوم أن غاية الانسان التى ينشدها في حياته ، وأمله الذى يسعى اليه دائما ، انما هو السعادة ، اذ هى المقصد الأسمى والمطلب الأعلى ، للناس أجمعين . ـ . ولا يمكن للعقل الانساني أن يستقل بادراك معنى السعادة من غير أن يكون له صلة بالله تعالى العليم الخبير . ـ . يوضح هذا أن السعادة الحقيقية الكاملة لا تكون الا بالملك الدائم الذى لا يزول ، والنعيم الخالد الذى لا يفنى . أما ما عداها من اللذات المادية والمعنوية، فانها وان كانت سعادة في ظاهرها ، فانها سعادة ناقصة لأنها عرضة للزوال والفناء ، وكيف تكون سعادة حقيقية ، وهى منغصة بالأمراض والآلام ، وصدق من قال :

« لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم »

واذا كانت السعادة الحقيقية الكاملة هى النعيم المقيم ، فانها لن تكون في هذه الحياة لأن الدنيا بما لها وما عليها فانية لا بقاء لها . وانما السعادة الكاملة في الآخرة ، لأنها هى الباقية . ومهما أوتى العبد من ذكاء وفطنة ، فانه لا يدرك شيئا من أحوال الآخرة ، بل هو قاصر عن ادراكها ، فهو في أشد الحاجة الى من يبينها له . ـ . كذلك العقل قاصر عن ادراك العبادات التى شرعها الله للعباد لتوصلهم الى السعادة الخالدة . والعقول مختلفة

ومتفاوتة في ادراك الحسن والقبيح ، بل ان العقل قد يستحسن شيئا في وقت ويستقبحه في آخر ، والدليل على هذا من واقع الحياة كثير ، ومن ذلك أنه قد أتى على الانسان حين من الزمـــان ، استحسن فيه عبادة الأصـنام ، فاتخذها آلهة من دون الله ، حتى جاءهم رسول من عند الله ، فأخرجهم من الظلمات الى النور بعد أن أيقنوا أنهم في ضلال مبين .

لهذا ولغيره كان الناس في حاجة ضرورية الى ارســال الرسـل . فاصطفى الله من الناس رسلا مبشرين ومنذرين ، ومرشدين وهـــادين ، يرشدون الناس الى معرفة الله ، ومعرفة صفاته ويدعون كافة الخلق الى عبادة اله واحد ، متصف بالكمال ، منزه عن النقص ، ويشرعـون للناس قواعد العدل التى يخضع لها المالك والمملوك ، والسلطان والصعلـوك ، والعالم والجاهل فيشرعون لهم بأمر الله الحدود التى تنشر الأمن والسلام ، واحترام الدماء البشرية ، والأموال والأعراض ، وأن يرعى كل انسان حق الآخر . ويهدون الناس الى ما فرض الله من عبادات : كالصلاة والصيام والزكاة ، والى الأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة والوفاء ويبينون للناس أحوال الدار الآخرة ، وما فيها من ثواب يرغب في الخير ، وعقاب يرهب من الشر . ـ . على أن الرسل كانوا في كل أمة مرجعا للناس عند الحيرة ، وهداة الى الصراط المستقيم ، والطريق القويم في أمور الدنيا والآخرة . فبعثة الرسل من مكملات كون الانسان ، ومن أهم حاجاتـــه في بقائه . ومنزلتها من النوع الانسانى منزلة العقل من الشخص ، نعمة أتمها الله ، قال في سورة النساء « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » .

السمعيات

س ـ قلت فيما مضى ، انه يجب الايمـــان بالسمعيات : فما هى السمعيات ؟ ولم سميت بالسمعيات ؟ وما دليل ثبوتها ؟

ج ـ السمعيات : هى الأمور التى يتوقف ثبوتها على القرآن الكريم ، والسنة الصحيحة ، ولا يستقل العقل باثباتها ٠ ـ ٠ ودليل ثبوتها : ورودها في القرآن العزيز والسنة أيضا وثبوتها لا ينكره العقل ولا يستبعده ، ولا يعارضه ، اذ أن السمعيات كلها من خلق الله القوي العليم ، الذي لا يعجزه خلق شيء منها ٠ وقد جاء بها المعصوم صلى الله عليه وسلم فوجب التصديق بها ٠ وانما سميت بالسمعيات : لأن طريق ثبوتها موقوف على السمع من كتاب الله العزيز ، وما صح عن النبى الكريم صلى الله عليه وسلم ٠

ومن السمعيات ما سبق أن ذكرناه لك من الايمان بأنبياء الله ، ورسله السابقين ، وأنه لا يعلم عددهم الا الله ، وأن الله أنزل عليهم كتبا ٠ ـ ٠ ومن السمعيات التى أخبر الله تعالى ورسوله بها ،وأجمع المسلمون عليها٠ـ٠ ألملائكة ٠ الجن ٠ العرش ٠ الكرسى ٠ القلم ٠ اللوح ٠

س ـ أريد منك توضيحا لما ذكرت مع قرنه بالدليل ؟

ج ـ اليك البيان الواضح المدعم بالدليل مع الايجاز عن كل ما ذكرنا آنفا ، مرتبا كالآتى :

ألملائكة وهم :

أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال متنوعة ٠ يسكنون السماء والأرض ، وأكثرهم في السماء ، لا يأكلون ولا يشربون ٠

وأما الجن :

فهم أجسام لطيفة نارية . قادرة على التشكل بأشكال مختلفة ، ولهم قدرة عظيمة على الأفعال الشاقة ، والأفعال العجيبة . وهم مكلفون من حين الخلقة ، منهم المؤمن والكافر ، ومنهم الطائع والعاصى ، ومنهم المحب للخير والمحب للشر ، يأكلون ويشربون ، ويتناكحون ، ويتوالدون ، وقد ارسل اليهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن ، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد فآمنا به ، ولن نشرك بربنا أحدا ، وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا » الى أن قال : « وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا » الى أن قال : « وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ، فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ، وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا »(١) . ويجب على المكلف أن يؤمن بوجود الجن ، لأن وجودهم ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ، فمن أنكر وجودهم يكفر لانكاره ما علم من الدين بالضرورة .

وأما العرش :

فهو جسم عظيم علوي فوق السموات السبع ، وقد ذكره الله في عدة مواضع من القرآن الكريم ، ووصفه بالعظم ، وبأن من يحمله يوم القيامة من الملائكة ثمانية ، قال تعالى في سورة النمل : « الله لا اله الا هو رب العرش العظيم » . وقال في سورة الحاقة : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » .

(١) من سورة الجن .

وأما الكرسي :

فهو جسم عظيم علوى فوق السموات السبع ، وفوق العرش ، وقد ذكره الله في القرآن وأخبر أنه وسع السموات والأرض ، قال تعالى ، في سورة البقرة : « وسع كرسيه السموات والأرض » •

واما القلم :

فهو جسم عظيم علوي خلقه الله تعالى وأمره أن يكتب ما كان ، وما يكون الى قيام الساعة ، وردت بذلك السنة الصحيحة ، وأجمع المسلمون على ذلك ، فيجب علينا أن نؤمن بأن لله قلما كتب ما كان وما يكون •

وأما اللوح :

فهو جسم عظيم علوى كتب فيه القلم باذن الله جميع ما كان ، وما يكون ، وقد ذكره الله في القرآن ، وأجمع عليه المسلمون ، قال الله تعالى في سورة البروج : (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) فيجب على المسلم أن يؤمن بأن لله عرشا عظيما ، وبأن لله كرسيا وسع السموات والأرض ، وبأن لله قلما كتب كل شيء كائن ويكون وكان ، وبأن لله لوحا محفوظا أحصيت فيه جميع الأشياء • وهذه الأشياء الأربعة أمور ممكنة ، ورد بها الشرع ، وأجمع عليها المسلمون ، فيجب الايمان بوجودها ، ولا بجوز الخوض في بيان حقيقة واحد منها ، بل يجب تفويض ذلك الى علمه تعالى لأن بيان حقيقة كل منها لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة ، وما عدى ذلك لم يرد به الشرع فلا يعول عليه • ـ • ولعلك مستحضر لما يجب أن يعتقده العباد في ذات الله تعالى من أنه سبحانه مخالف للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله ، فليس تعالى جسما ولا حالا في جسم ، ولا متصلا

بجسم ، ومن أنه تعالى متصف بعلم وسع كل شيء ، لا يغيب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ٠ ـ ٠ فليس تعالى محتاجا الى العرش للاكتنان به ، والاتقاء والاستظلال ، ولا للكرسي للجلوس عليه ، ولا للقلم واللوح لتقييد ما يخاف نسيانه ، تعالى وتنزه عن ذلك ، فان هذا من شأن الحادث ، ومستحيل في حق الله تعالى ٠ بل هذه أمور أخبر بها الشارع فلا بد أن تكون لها حكم أخرى ، قد قصرت عقولنا عن ادراكها ، فيفوض علمها اليه تعالى، وهى مخلوقات عظيمة دالة على عظمة الله وقدرته ٠ ـ ٠ فالايمان بها تعبدى، قال تعالى في سورة (ص) : (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا)٠

الجن لا يعلمون الغيب

س ـ ذكرت أن الايمان بوجود الجن واجب : وبهذه المناسبة أرجو أن تفيدنى : هل الجن يعلمون الغيب ؟ فانى أسمع بعض الناس يزعم أن له تابعا من الجن يخبره بأمور من الغيب ؟

ج ـ الجن لا يعلمون الغيب ٠ فلله وحده علم الغيب ، فلا يعلمه انس ولا جن ، ولا احد من خلقه تعالى الا رسولا قد ارتضاه الله لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن الغيب معجزة له ، قال تعالى ، في سورة الجن : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول ، فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) ٠ أى ان الله اذا ارتضى رسولا ، فأعلمه الغيب الذى شاء اعلامه به ، فانه يحفظ هذا الرسول ، فيرسل اليه ملائكة يحفظونه من الشياطين ، ويعصمونه من وساوسهم ، وتخاليطهم ، حتى يبلغ الوحى ، واستمع الى القرآن ينفى عن الجن علم الغيب ، فقال في حق سليمان عليه السلام في سورة سبأ : (فلما قضينا عليه الموت ، ما دلهم على

موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ، ما لبثوا في العذاب المهين) • مات سيدنا سليمان عليه السلام والجن المسخرة له مدة حياته مجتمعة حول محرابه ، فمات متكئا على عصاه ، ولم يسقط على الأرض حتى أكلت (الأرضة) عصاه وذلك في مدة سنة كما قيل ! ظلوا يعملون خلالها كما ورد في بعض التفاسير ، فهذا الحادث يدلك دلالة صريحة ، على أن الجن لايعلمون من الغيب شيئا • ومن هذا يتبين لك في وضوح ضلال من يتلمسون الغيب من الشيطان الذي يظهر للناس في زعمهم ! على لسان انسان ، ويطلبون منه الكشف عن مستقبلهم ، أو معرفة حالة معينة تهمهم ، ويكون ذلك بطريقة خبيثة لا يقرها شرع ، ولا يرضاها عقل ، ـ وهذا والعياذ بالله من موروثات الجاهلية قبل الاسلام ، اذ كان الكهان والعرافون منتشرين ، وكانوا يخدعون الناس بالتمويهات والأباطيل وتوصلوا الى ذلك بما كانت الشياطين توحيه اليهم بما تسترقه وتختطفه من خبر السماء ، وكان ذلك قبل بعثة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وقبل أن تحرس السماء بالشهب فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حرست السماء بالشهب ، ومنعت الجن من استراق السمع ، قال تعالى في سورة الجن : « وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع ، فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » وقال جل شأنه من سورة الصافات : « انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ، وحفظا من كل شيطان مارد ، لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب ، دحورا ، ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » • ـ واذا ساغ انتشار الكهنة والدجالين قبل الاسلام ، لفشو الجهل وعدم حراسة السماء بالشهب ، فلا يسوغ هذا بعد أن أشرقت

علينا شمس الاسلام ، وحدثنا القرآن بأن ذلك كان وزال ، وحذرنا الرسول منه أشد تحذير وتوعد من صدق مثل هؤلاء الدجالين بسلب الايمان والعياذ بالله. ولو فقه الناس كتاب ربهم،وفطنوا الى سنة نبيهم ، لرجعوا الى الحق، ولنبذوا هذه الأباطيل الكاذبة التى تشين الحق ، وتلبسه ثوب الخزى والعار ولا يجوز تصديق من يدعي معرفة الغيب ، ولا الذهاب اليه ، ولا التردد عليه ، فقد صح أن رسولنا صلى الله عليه وسلم قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول ؛ فقد كفر بما أنزل على محمد « ص » . وفي رواية : لم تقبل له صلاة أربعون يوما » . ومن غفلة أكثر المسلمين عن تعاليم دينهم راجت بينهم هذه الأباطيل ، واغتر بها كثير منهم ، فاستغل الدجالون هذه السذاجة وانتهزوا هذه الفرصة لاكتساب العيش ، وهو اكتساب خبيث وحرام لا يرضاه الله . ويجب زجر الناس عن الالتفاف حول كل مشعوذ يدعى معرفة الغيب بواسطة الجن وغيرهم ، وتنفييرهم عن ذلك بالدليل والموعظة الحسنة،والأدب الرادع لمن لم ينزجر بالموعظة. وحسبكم دليلا على هذاقوله تعالى في حق نبيه محمد (ص) من سورة الأعراف : « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » . وقوله سبحانه : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله .. الآية » .

س ـ هل بقى من السمعيات غير ما ذكر فتحدثنى عنه ؟

ج ـ السمعيات غير ما سبق كثيرة ، لا يتسع لها هذا المختصر واكتفي بما اشتهر منها ، ومنها : اليوم الآخر . ولنبدأ أولا بما يأتي قبله اذ هو من

السمعيات التي نتحدث عنها بعد وهو سؤال القبر ، ونعيمه أو عذابه :

القبر أول منزل من منازل الآخرة . ومن الواجب اعتقاده شرعا الايمان بما فيه من سؤال ، ونعيم أو عذاب . وانكار واحد منها فسق وبدعة وضلالة وقد وردت بكل منها الأخبار الصحيحة التي أفاد مجموعها التواتر المعنوي ، وكل منها أمر ممكن عقلا ، وأجمع عليه جمهور المسلمين . أما أدلة السؤال في القبر فمنها :

١ ـ قوله تعالى(١): « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء » . روي عن ابن عباس في تفسيرها أنه قال : « الشهادة يسألون عنها في قبورهم » . وقال عكرمة رضي الله عنه في تفسيرها لما سئل عنها : « يسألون عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر التوحيد ، فيجيب بما يوافق ما مات عليه من ايمان أو كفر أو شك » وابن عباس وعكرمة لا يقولان ذلك بالرأي فلا بد أن يكون مأخوذا عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ قوله تعالى(٢) : « ربنا أمتنا اثنتين ، وأحييتنا اثنتين ، فاعترفنا بذنوبنا». فان الموتة هى التي تكون في القبر بعد السؤال على أحد القولين .

٣ ـ الأحاديث وهي كثيرة : منها ما رواه الطبراني باسناد جيد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذكر فتان القبر ، فقال عمر : أترد علينا عقولنا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله «ص» نعم كهيئتك اليوم ، فقال عمر : « بفيه الحجر » أي « بفم الفتان الحجر » وهذا

---

(١) من سورة ابراهيم (٢) من سورة غافر .

كلام تستعمله العرب كناية عن الجواب المسكت ، ومراد عمر منه أنه اذا ردت عليه روحه يستطيع أن يدافع عن ايمانه بالجواب الذى يسكت الفتان، وذلك لرسوخ الايمان في قلب عمر وثباته في نفسه • ومنها ما رواه البزار برواة ثقات عن عائشة رضي الله عنها ـ قالت : يارسول الله تبتلي هذه الأمة في قبورها فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة ؟ قال : « يثبت الله الذين آمنوابالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » • ومنها ما رواه البخاري واللفظ له ـ ومسلم عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان العبد اذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وانه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا ، أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما تقول في هذا النبي محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : أنظر الى مقعدك من النار ، أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : يراهما جميعا • وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه ، فيقال له لادريت ، ولا تليت ، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين » • ـ وغير ماسبق من الأحاديث كثيرة ، وقد جاء في بعضها أن اسم الملكين منكر ونكير • كما ورد أن السؤال بقولهما للمقبور من ربك ؟ وما دينك ؟ وما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول المؤمن : ربي الله ، وديني الاسلام والرجل المبعوث فينا محمد (ص) • ـ وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدري • ـ والسؤال يكون للبدن والروح معا ، كما يستفاد من الأحاديث السابقة • ومن قال ان المسئول هو البدن فقط أو الروح فقط ، فهو غالط ، والسؤال يكون لكل ميت سواء قبر أو لم يقبر ، بأن أكلته السباع أو الأسماك ، أو

أحرقته النار ، وذرته الرياح • لأن الله سبحانه وتعالى عليم بمكان هذه الأجزاء ، قادر على أن يحفظ منها ما تقوم به الحياة ، وتتعلق به الروح ولو كانت في قاع البحر ، أو في الهواء أو في بطون السباع • وقد استثنى العلماء ممن يسألون الأنبياء والصديقين والشهداء والمرابطين وغيرهم ممن ورد ذكره في الأحاديث •وحكمة السؤال اظهار ما كتمه العباد في الدنيا من ايمان وكفر ، وطاعة وعصيان ، فالمؤمنون الطائعون ، يباهي الله بهم الملائكة ، وغيرهم يفضحون عند الملائكة • أما أدلة نعيم القبر وعذابه فهي كما يلي •

نعيم القبر حق وعذابه حق ، فالقبر اما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار ، ويدل على ذلك قول الله تعالى في حق آل فرعون : « النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب »(١) فقد أثبتت الآية أن لهم عذابا قبل قيام الساعة• ولا يتصور أن يكون العذاب بالنار قبل عذاب القبر • ومما يدل على ذلك قوله تعالى في قوم نوح : « أغرقوا فأدخلوا نارا »(٢)• والفاء تدل على الفور والتعقيب بلا تراخ • ومما يدل على نعيم القبر قوله تعالى في حق الشهداء : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون • فرحين بما آتاهم الله من فضله ••• ألخ(٣) ، فقد أثبتت الآيات أن لهم حياة ورزقاً وفرحاً واستبشاراً وأماناً من الخوف والحزن ، وهذا نعيم ليس وراءه نعيم • وقد وردت أحاديث كثيرة وصحيحة ناطقة بعذاب القبر أو نعيمه ، منها : ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم ؛ مر بقبرين فقال : « انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ، ثم قال : بلى ، أما

---

(١) من سورة غافر • (٢) من سورة نوح • (٣) من سورة آل عمران •

أحدهما فكان يمشي بالنميمـة . وأما الآخـر فكان لا يسـتتر من بوله » .
وكثيرا ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : يستعيـذ من عـذاب القبر ، تعليما لأمته ، ففي البخاري عن أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم اني أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال،وفتنة المحيا والممات» . وفيه أيضا عن سعدبن أبيوقاص: كان صلى الله عليه وسلم يأمر بهؤلاء الكلمات : اللهم اني أعوذ بك من البخل ، وأعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك من أن أرد الى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا . يعني فتنة الدجال وأعوذ بكمن عذابالقبر » . فاعتقد كلذلك وأكثر من الاستعاذة من عذاب القبر لتنجو منه ، ولا تغتر بقـول من ينكر ذلك ، ويقول : ان الميت جمـاد لا ادراك له فلا يصح سـؤاله ، ولا يمكن تعذيبه ولا تنعيمه ، واننا لم نر ميتا تحرك أو جلس أو تكلم ، أو ظهر عليـه أثر عذاب أو نعيم . وأجبهم عن هذه الشبه بكل ثبات ويقين ، مبينا لهم أن كل ذلك ليس على الله ببعيد ، والله قادر على أن يجري على الميت ما يشـاء من غير اطلاعنا على شيء منه . وذلك لحكمة اقتضاها علمه ، وكيف يستبعد هذا والواحد يجلس بجوار النـائم ويكون النـائم في لذة أو ألم ، والجالس بجواره لا يشعر بشيء من ذلك ، ولا يراه ولا يسمعه ، وقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يشاهد جبريل عليه السلام ويسـمع كلامه ، ولا شعور بذلك لمن حوله من الصحابة . ومن نظـر في عجـائب ملك الله وملكوته ، وغرائب آثار قدرته ، لا يرى ذلك على الله ببعيد فضـلا عن أن يكون ذلك مستحيـلا .

البعث واليوم الآخر وما يقع فيه :

س ـ أريد البيان الواضح المستند على الأدلة عن البعث واليوم الآخر وما يقع فيه ؟

ج ـ اعلم أن للناس وراء حياتهم الدنيوية حياة أخروية ، فيها ينصف المظلوم من الظالم ، ويقيم الله فيها عدله بين عباده ، حيث قال جل شأنه : « أيحسب الانسان أن يترك سدى ؟ ألم يك نطفة من مني يمنى ؟ ثم كان علقة فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى(١) » بلى أنه على كل شيء قدير • فان هذه الآيات ذكرت في سورة القيامة التي أقسم الله فيها على جمع عظام الانسان ، لينبأ يومئذ بما قدم وأخر • فالبعث حق وهو أن يعيد الله الأموات أحياء يوم القيامة • أجمع على ذلك الأنبياء أهل الملل والشرائع السابقة عن آخرهم ، ودلت على ذلك النصوص القرآنية المحكمة ونطقت به آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : « أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم(٢) » • وقوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم ، وذلك على الله يسير(٣) » • والعقل يحكم بامكان اعادة الأجسام • وذلك لأن الاحياء بعد الموت مساو في الامكان بالخلق ابتداء • اذ الاعادة أهون من البدء عادة عند الناس ، قال تعالى : « وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وهو العزيز

---

(١) من سورة القيامة •
(٢) من سورة يس •
(٣) من سورة التغابن •

الحكيم(١) • ومن أنكر البعث واعادة الأجسام يكفر ، لانكاره ما علم من الدين بالضرورة ، وأجمعت عليه الشرائع كلها •

س ـ هل البعث غير الحشر ؟ وما معنى الحشر ؟ وما دليله ؟ وما حكم منكره ؟

ج ـ نعم : البعث غير الحشر ، ومعناه اخراج من في القبور من الأموات ـ أي اعادة الأرواح الى أجسامها التي خرجت منها عند الموت لكل ذي روح قبر أو لم يقبر • وذلك بعد النفخة الثانية في الصور • أما الحشر فهو سوق العباد بعد البعث الى موقف الحساب لفصل القضاء • وهو من السمعيات التي أجمعت عليها الشرائع كلها ، فيجب الايمان به ، ومن أنكره كفر ، لانكاره ما علم من الدين بالضرورة ، قال تعالى : «يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير(٢) » • وقال جل شأنه ؛ في سورة الأنعام : « ويوم نحشرهم جميعا » • وقال في سورة مريم : « يوم نحشرالمتقين الى الرحمن وفداً • ونسوق المجرمين الى جهنم وردا » • وأحوال الناس في الحشر مختلفة فمنهم الراكب • ومنهم الماشي على رجليه ، ومنهم العطاش الماشون على وجوههم • ومنهم من هو على صورة القردة • ومنهم الأعمى • ومنهم الأبكم الى غير ذلك مما الله أعلم به !! فاليوم الآخر من السمعيات : ويبتديء من النفخة الثانية ، وهي نفخة البعث ، ولا نهاية له • وقيل ينتهي بدخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار • وسمي باليوم الآخر : لأنه آخر أيام الدنيا ، أي يعقبها ، أو لأنه لا ليل بعده • واليوم الآخر أمر ممكن واقع لا محالة ، أخبرنا الله عنه في كتابه فقال تعالى في سورة لقمان : « يا أيها

---

(١) من سورة الروم • (٢) من سورة ق •

الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجـزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » • ويقع في ذلك اليوم من الأهوال والشـدائد والفزع مايجعل الولدان شيبا ، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت •• فيـه يقوم النـاس لرب العالمين ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ، « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا •

ومن السمعيات الحساب :

وهو توقيف الله العباد على أعمالهم قبل انصرافهم من المحشر ، وسؤالهم عنها ، بكيفية يعلمهـا الله تعالى ، وهو ممـا وردت به النصوص الشرعيـة ، وأجمعت عليه الشرائع كلها ، فيجب الايمان به ، ومن أنكره يكفر ، وهـو يختلف باختلاف الأشخاص والأعمال ، فمنـه السر والجهر ، ومنه اليسـير والعسير ، ومنه ما يكون مع الفضل ، ومنه ما يكون مع العدل ، ومن الناس من يدخلون الجنة بغير حساب ، ومنهم من يدخل النار بغير حسـاب •••• ودليله قوله تعالى في سورة الحجر : « فوربك لنسألنهم أجمعين ، عما كانوا يعملون » • وفي المـأثور ••• : « حاسبـوا نفوسـكم قبـل أن تحاسبوا » •• ويكـون الحســاب بعـد أخــذ العبـــاد صـحائف الأعمـال ، واذ ذاك تشهد على الشخص جوارحه ، جاء في سـورة النـور : « يوم تشـهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » • ويشهد بعض الخلائق على بعض• كما تشهد عليهم الملائكة من الملائكة والكتبة • قال تعالى في سورة ق: « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » • والحكمة في الحساب مع أن الله

عالم بتفاصيل أعمال العباد ، هي اظهار فضائل المتقين ، وفضائح الفجار على رءوس الأشهاد ، تتميما لمسرة الأولين • وزيادة في حسرة الآخرين •

ومن السمعيات صحائف الأعمال : وهي الكتب التي دونت فيها الملائكة ، ما فعله العباد في الدنيا من الطاعات والمعاصي ، وردت بذلك النصوص الشرعية ، وأجمع عليها المسلمون ، فيجب الايمان بذلك ، ومن أنكره يكفر ، قال تعالي في سورة الاسراء : « وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » • وقال تعالى في سورة الحاقة : « يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية ، فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه ، اني ظننت أني ملاق حسابيه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عالية ، قطوفهادانية، كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية • وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول : ياليتني لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانية » • وقد ورد أن الريح تطير الصحائف من خزانة تحت العرش ، فلا تخطىء صحيفة عنق صاحبها •• وورد أن الملائكة تأخذها من الأعناق وتضعها في أيدي أصحابها ، فالمؤمن يعطى كتابه بيمينه فيبيض وجهه عند قراءته • والكافر يعطى كتابه بشماله ، فيسود وجهه عند قراءته ، والأحاديث تفيد أن هذا عام لجميع الأمم •

ومن السمعيات الميزان والوزن :

وزن الأعمال حق ، والميزان حق ، أما الوزن فهو عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال • وأما الميزان فقد أجمع أهل السنة على أنه آلة حسية ، له

لسان وكفتان . لو وضعت السموات والأرض ومن فيهن في احدى كفتيه لوسعته ، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة . وقد وردت بهما النصوص الشرعية ، وأجمع على ذلك أهل السنة والجماعة ، فيجب الايمان بهما . قال تعالى في سورة الأعراف : « والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون » . وقال في سورة الأنبياء : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئاً ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » .. والمشهور عند أهل السنة أنه ميزان واحد لجميع الأعمال ولجميع الأمم ، والجمع في الآيات السابقة انما هو للتعظيم .. واختلف العلماء في الموزون : فذهب الأكثرون الى أن الموزون هو صحائف الأعمال ، ويؤيد ذلك ما رواه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله استخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : ألك عذر ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى ان لك عندنا حسنة ، وانه لا ظلم عليك، فتخرج بطاقة فيها : أشهد ألا اله الا الله، وأن محمداً عبده ورسوله . فيقول : حضر وزنك ، فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ قال : فانك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيء » . وذهب البعض الى أن الذي يوزن هو نفس الأعمال بأعيانها ، فتصور الحسنات بصور نورانية ، وتوضع في الكفة اليمنى ، وتصور السيئات بصورة ظلمانية، وتوضع في الكفة اليسرى .. والوزن يكون للمؤمنين ، والكافرين ، وأما

قوله تعالى في حق الكفار : « أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » • أي لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير ومثل ذلك ما رواه البخاري ومسلم واللفظ له ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم ، فيوزن بحبة فلا يزنها » • قال : وقرأ : « فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً » •

والوزن لا يكون للأنبياء والملائكة ، ومن يدخلون الجنة بغير حساب •

ومن السمعيات الصراط :

وهو جسر ممدود على ظهر جهنم ، يرده جميع الخلائق ، ويمر عليه المؤمنون وغيرهم • وقد وردت به النصوص الشرعية ، واجمع عليه المسلمون، فيجب الايمان به • روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة حديثا طويلا جاء فيه : « ويضرب جسر جهنم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأكون أول من يجوز ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وبه كلاليب مثل شوك السعدان ، أما رأيتم السعدان ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : فانها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم من يخردل أي يقطع أبعاضا صغيرة ، كالخردل ثم ينجو • وفي رواية : « ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجوز » • وقد ورد : « أنه أدق من الشعرة وأحد من السيف» وأهل السنة في تأويل هذا فريقان : بعضهم قال : ان وصفه بأنه أدق من الشعرة وأحد من السيف ليس مراداً منه ظاهره ، بل هو كناية عن شدة المشقة التي تلحق المارين عليه • لأنه يدق ويتسع بحسب أحوال الناس •

وبعضهم قال : المراد منه ظاهره ، ولا مانع من مرور العباد عليه وهو على هذه الحالة ، لأن قدرة الله صالحة لتمكينهم من ذلك .. والناس متفاوتون في المرور على الصراط سرعة وبطأ ونجاة من الوقوع في جهنم . فمنهم من يجوز على الصراط كلمح البصر ، ومنهم من يجوزه كالريح ، ومنهم من يجوزه كالجواد السابق ، ومنهم من يجوزه مشيا ، ومنهم من يجوزه حبواً ، ومنهم من لا يجوزه بل يسقط في جهنم اما على التأبيد والدوام وهم الكفار والمنافقون ، واما الى مدة يريدها الله ، ثم يخرج بعد ذلك وهم بعض عصاة المؤمنين الذين أراد الله تعذيبهم في جهنم .

ومن السمعيات الجنة والنار :

الجنة دار الثواب التي أعدها الله للطائعين . والنار دار العقاب التي أعدها الله للعصاة والكافرين . وهما من السمعيات التي وردت بها النصوص الشرعية كثيرا ، وأجمع على الايمان بها أهل السنة والجماعة ، فيجب الايمان بهما . ومن أنكرهما يكون كافرا ، لانكاره أمرا علم من الدين بالضرورة . وقد ذهب أهل السنة الى أن الجنة والنار موجودتان الآن مخلوقتان قبل خلق الانسان . واستدلوا على ذلك بقصة آدم وحواء واسكانهما في الجنة ، واخراجهما منها ، وأمرهما بالنزول منها الى الأرض . قال تعالى : « اهبطوا منها جميعا » وليست الجنة التي سكناها بستانا من بساتين الأرض كما قيل: والا لو كانت كذلك لقال : أخرجوا منها . وقد أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : على أن الجنة التي سكنها آدم وحواء هي جنة الخلد ، دار الثواب والنعيم المقيم ، ومما يدل على وجود الجنة والنار الآن قوله تعالى في سورة طه : « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » . وقوله تعالى في سورة آل عمران : « وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض

أعدت للمتقين » . ولا يشتبه عليك تشبيه عرض الجنة بعرض السماء والأرض أنها في حيزها ، لأن الغرض من هذا التشبيه الدلالة على سعتها ، وليست في حيز السموات والأرض ، بل هي فوق السموات وعرش الرحمن سقفها . فالجنة فوق السماء وتحت العرش ، يدل على ذلك قوله تعالى في سورة النجم « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى » ويدل كذلك قصة آدم عليه السلام .

وأما النار فهي تحت الأرض كما وردت بذلك الأخبار الصحيحة .. والجنة وما فيها من نعيم ، والنار وما فيها من عذاب ، كل ذلك خالد دائم . كما أخبر الله بذلك . فقال تعالى في سورة البينة : « ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية » وقوله تعالى في سورة الأحزاب « ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا ، خالدين فيها أبدا ، لا يجدون وليا ولا نصيرا » وقوله : « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا » . وقال عليه الصلاة والسلام : « اذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، نادى مناد بين الجنة والنار ، يا أهل الجنة خلود بلا موت ، ويا أهل النار خلود بلا موت » .

ولا يشتبه عليك أن الجنة والنار تفنيان ، لقوله تعالى في سورة الرحمن: « كل من عليها فان » وقوله في سورة القصص : « كل شيء هالك الا وجهه». لأن هاتين الآيتين قد استثني منها أشياء ـ شاء الله ألا تفنى ولا تهلك ـ منها الملائكة الذين يحملون العرش ، والجنة والنار ، و ... الخ . ويدل على هذا الاستثناء قوله تعالى في سورة الزمر : « ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله » . والحديث الذي رواه البيهقي

عن على رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في الجنة مجتمعا للحور العين يرقصن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها ـ يقلن : نحن الخالدات فلا نبيد » أي نهلك .. ولا يشتبه عليك أن يكون بقاء الجنة والنار ومن فيهما ، ودوام ذلك سبيل الخلود شبيها ببقاء الله ودوامه ، فشتان ما بين هذا وذاك .. فبقاء الله واجب لذاته عقلا وشرعا ، ويستحيل عليه سبحانه الفناء ، وأما بقاء الجنة والنار ومن فيهما فليس واجبا لذاته ، بل هو أمر ممكن عقلا ، فليس لدى العقل السليم مانع من فنائهما ، لكن الفناء لهما ممتنع شرعا لأن الله أخبر ووعد بذلك . وأخبار الله صدق ، ووعده حق لا يتخلف .

اسكان آدم وزوجه الجنة ، وما تلك الجنة :

س ـ ذكرت فيما سبق من أدلة على وجود الجنة : قصة آدم وحواء واسكانهما فيها ، واخراجهما منها ، مستدلا بقوله تعالى في سورة البقرة : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) وبقوله تعالى : (اهبطوا منها جميعا) . ثم قلت : وليست الجنة التى سكناها بستانا من بساتين الأرض كما قيل : ـ فبناء عليه أريد منك بيانا عما قيل حول جنة آدم من أنها بستان من بساتين الأرض ؟

ج ـ جاء في تفسير المنار للشيخ محمد عبده تأليف محمد رشيد رضا ما نصه :

فقد اختلف العلماء من أهل السنة وغيرهم في الجنة التي أسكنها آدم وحوى ، هل هي البستان أو المكان الذي تظلله الأشجار بحيث يستتر الداخل فيه كما يفهمه أهل اللغة ؟ أم هي الدار الموعود بها في الآخرة ؟ . والمحققون من أهل السنة على الأول .

قال الامام أبو منصور الماتريدي في تفسيره المسمى (بالتاويلات) :

نعتقد أن هذه الجنة بستان من البساتين أو غيضة من الغياض كان أدم وزوجه منعمين فيها ، وليس علينا تعيينها ، ولا البحث عن مكانها ، وهذا هو مذهب السلف ، ولا دليل لمن خاض في تعيين مكانها من أهل السنة وغيرهم • وبهذا التفسير تنحل اشكالات كثيرة وهي :

١ ـ أن خلق آدم في الأرض ، ليكون هو ونسله خليفة فيها ، فالخلافة مقصودة منهم بالذات فلا يصح أن تكون عقوبة عارضة •

٢ ـ لم يذكر أنه بعد خلقه على الأرض عرج به الى السماء ، ولو حصل لذكر ، لأنه أمر عظيم •

٣ ـ ان الجنة الموعود بها لايدخلها الا المؤمنون المتقون ، فكيف دخلها الشيطان الكافر الملعون ؟ •

٤ ـ انها ليست محلا للتكليف •

٥ ـ انه لا يمنع من فيها من التمتع بما يريد منها •

٦ ـ لا يقع فيها عصيان •

وبالجملة ان الأوصاف التي وصفت بها الجنة الموعود بها لا تنطبق على ما كان في جنة آدم ومنه كون عطائها غير مجذوذ ولا مقطوع ، وغير ذلك•

أقول : وقد أجاب بعضهم عن بعض هذه الاشكالات ، ولكل من الفريقين اشكالات وأجوبة أطال في بيانها ابن القيم في (حادي الأرواح) ولم يرجح شيئا ، ولذلك مال بعضهم الى الوقف • وما اختاره شيخنا أقوى• وقد قال به أبو حنيفة ، وتبعه أبو منصور • وقد ظهر لي عند كتابة تفسير الآيات شيء آخر لم يذكره الأستاذ الامام ولم أره في كتب التفسير ، وهو ان القول بأن آدم أسكن جنة الآخرة يقتضي أن تكون الآخرة هي الدار الأولى والدنيا فتكون التسمية للدارين غير صحيحة • وينافي أيضا كون الجنة

دار ثواب يدخلها المتقون جزاء بما كانوا يعملون ، كما ورد في الآيات الكثيرة ، وقد قال تعالى : (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) ولم يقل « أدخل » ولو انتقل من الأرض التي خلق فيها الى الجنة لقال هذا أو مابمعناه مما يشير الى الانتقال ، فقوله : «أسكن » يشير الى أن الخلقة كانت في تلك الجنة أو بالقرب منها •• وجاء في معنى وقلنا اهبطوا : الأصل في الهبوط أن يكون من مكان عال الى أسفل منه ، ولذلك احتج به من قال : ان آدم كان في السماء ، وقد يستعمل في مطلق الانتقال ، أو مع اعتبار العلو والسفل في المعنى • وقال الراغب : الهبوط الانحدار على سبيل القهر ، ولا يبعد أن تكون تلك الجنة في ربوة ، فسمي الخروج منها هبوطا ، أو سمي بذلك لأن ما انتقلوا اليه دون ما كانوا فيه ، أو هو كما يقال : هبط من بلد الى بلد ، كقوله تعالى لبني اسرائيل : " اهبطوا مصرا " •• انتهى نقلا من تفسير المنار• هذا واننا نترك للقارىء الاجتهاد بين الرأيين أيهما أصح فليقل به •

ومن السمعيات رؤية الله تعالى في الآخرة :

اعلم أن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة حق لاشبهة فيه على ما جاءت به الآيات والأحاديث الصحيحة المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم • وقد أجمع على الايمان بها أهل السنة من غير تكييف ولا تمثيل •• أما الكتاب ففي قوله تعالى في سورة القيامة في شأن المؤمنين : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » • وقوله في سورة المطففين : « على الأرائك ينظرون » • وقوله في سورة يونس في شأن الكفار : « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » • فانه يدل على أن المؤمنين يومئذ غير محجوبين عن ربهم ، اذ لو كانوا محجوبين لكانوا مذمومين مثل الكفار وهو باطل ، فثبت أن ليس بين

المؤمنين وبين الله حجاب ، فثبتت الرؤية المطلوبة • وأما السنة : ففي الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يا رسول الله : قال : فانكم سترون ربكم كذلك » • أي سترون ربكم رؤية واضحة ظاهرة كما ترون الشمس ليس دونها سحاب فوجه الشبه الوضوح والظهور ، وليس المراد به الجهة ، أو التحديد ، تعالى الله عن ذلك • وأحاديث الرؤية متواترة ، اذ صح نقلها عن كثير من الصحابة •

الدعاء ينفع العباد

من السمعيات التي ذكرها علماء التوحيد في كتبهم ان الدعاء ينفع العباد •• والدعاء هو الطلب على سبيل التضرع ، أو هو رفع الحاجات الى أرفع الدرجات • ومذهب أهل السنة سلفهم وخلفهم : أن الدعاء ينفع ويفيد صاحبه ، ولو صدر من الكافر ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « دعوة المظلوم مستجابة ولو كافرا » • وأما قوله تعالى في سورة غافر : « وما دعاء الكافرين الا في ضلال » • فمعناه والله أعلم ـ أنه لا يستجاب للكافرين دعاؤهم برفع العذاب عنهم يوم القيامة • فيجب الايمان بأن الدعاء ينفع الداعي ، وبأنه لا يغير شيئا من علم الله تعالى الذي اقتضت حكمته ربط الأسباب بمسبباتها ، والنتائج بمقدماتها ، فالذي يدعو ليجاب كالذي يأكل ليشبع ، ويشرب ليرتوي ، ويزرع ليحصد ، وكما أمر الله بالأكل والشرب ، فقال في سورة الأعراف : « يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا » فقد أمر بالدعاء فقال جل شأنه في الأعراف : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم

وقال في سورة النساء : « واسألوا الله من فضله » • وقال في سـورة البقرة . « واذا سـألك عبـادي عني فاني قـريب أجيب دعـوة الـداعي اذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشـدون » • فالدعاء سبب عادي له أثره ونفعه ، وتأتي بعده نتائجه ان شاء الله ، ما دام قد استوفى شروطه ، والدعاء ان لم يرفع القضاء الا انه يكون سببا في حصول الثواب ، أو في صرف السوء عن الداعي ، أو في انزال الله لطفـه بالداعي ، كما يشاء ربنـا الذي يقول : « فيكشف ما تدعون اليـه ان شـاء »(١) • روى الامـام أحمـد والترمـذى وأصحاب السنن عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيهـا اثم ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله بها احدى ثلاث خصال : اما أن يعجل دعوته ، واما أن يؤخرها له في الآخرة ، واما أن يصرف عنـه من السوء مثلهـا • قالوا : اذا نكثر » قال الله أكثر » أي أكثر اجابة •

وماذا علينا لو آمنا بأن الدعاء يرد البلاء ، وأنهما يتدافعان ؟ كما أخبرنا بذلك الصادق المصدوق ، صلى الله عليه وسلم ، فقـال ، « لا يغني حذر من قدر ، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وأن البلاء لينزل ويتلقـاه الدعاء فيتعالجان الى يوم القيامة » وروى الحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ونور السموات والأرض " •

---

(١) من سورة الأنعام •

شروط الدعاء وآدابه :

س ـ قلت أن الدعاء سبب عادي له أثره ونفعه وله نتائجه ، ما دام قد استوفى شروطه • فما هى شروطه ؟

ج ـ نعم للدعاء شروط ، وله آداب أيضا ـ أما شروطه فهي :

١ ـ أكل الحلال •

٢ ـ أن يدعو وهو موقن بالاجابة •

٣ ـ أن لا يكون قلبه غافلا •

٤ ـ أن لا يدعو بما فيه اثم أو قطيعة رحم ، وأن لايدعو بمحال •

أما آدابه فهي :

١ ـ أن يتحرى الأوقات الفاضلة ، كأن يدعو في السجود أو في دبر الصلاة المكتوبة قبل السلام ، وبين الآذان والاقامة لحديث أنس وغيره ، وفي ثلث الليل الآخر كما جاء به حديث النزول •

٢ ـ أن يكون على طهارة حسية فيكون متوضئا ، وطهارة معنوية فيكون تائبا مستغفرا الله من ذنوبه خاشعا خاضعا لله متضرعا •

٣ ـ أن يستقبل القبلة ، وأن يفتتح الدعاء بالحمد والصلاة على النبي وجعلها في وسطه وآخره •

٤ ـ أن لا يرفع صوته عاليا بالدعاء • وقد أجمع السلف والخلف على أن الدعاء نافع ومفيد للعباد ، ولهذا كانوا يكثرون منه ، ولو كان غير مفيد كما يدعي البعض لما دعت الأنبياء والرسل السابقون ، ولما دعا المصطفى صلى الله

عليه وسلم ، وأصحابه من بعده ، ولا أدل على نفع الدعاء من آيات كثيرة ذكرت في القرآن تعليما وارشاداً ، منها قوله تعالى في سورة البقرة : « ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعفعنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » • وقوله في سورة آل عمران : « ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » وقوله في سورة آل عمران : « ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » • فيجب أن نؤمن بأن الدعاء ينفع الداعي ، ولا يغير شيئا من علم الله تعالى • كما أن الضرب في الأرض لطلب الرزق ينفع صاحبه ، ولا يغير شيئا من سنن الله في الكون المبنية على ربط الأسباب بمسبباتها ، والمقدمات بنتائجها •• فالدعاء سبب عادي كما قلنا آنفا له أثره وتعقبه نتائجه ، ما دام قد استوفى شروطه • نسأل الله تعالى أن يجيب دعواتنا ، ويتقبل منا ، وأن يحفظنا من مزالق الشرك ، ومن الدعوات الشركية ، انه سميع الدعاء •

الشرك ، والأصل فيه

س ـ لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من أن نشرك به شيئا فقال تعالى في سورة النساء : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) • فما معنى الشرك ؟ وما الأصل فيه ؟

ج ـ الشرك ضد التوحيد ـ فمن عرف التوحيد تماما ، عرف ضده الذي هو عكسه ، وهو الشرك •• ومعنى الشرك في اللغة : الخلط • وفي الشرع الاعتقاد بأن لله شريكا في ذاته أو في صفاته أو في الهيته أو في عبادته أو في

ملكه والأصل في الشرك أن يوجه العبد أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى أو يعتقد أن لغير الله أثراً فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة ، أو أن لشيء من الأشياء سلطانا على ما خرج عن قدرة المخلوقين .

ومن أنواعه : أن يتخذ من دون الله أندادا يحبهم كحب الله ، وينسب اليهم من التدبير والتصريف مالا يقدر عليه الا الله ، وأن يلتمس منهم جلب الخير وكشف الضر ، ويقف بين أيديهم خاشعا خاضعا ذليلا ضارعا ، كما هو مشاهد من ذوي العقائد الزائفة .

الشرك في العبادة

س ـ عرفت مما مر معنى الشرك في الألوهية . والآن أسأل عن معنى الشرك في العبادة ؟

ج ـ الشرك في العبادة : عدم الاخلاص فيها لله سبحانه وتعالى كما أمر ، قال تعالى في سورة غافر : « فادعوا الله مخلصين له الدين » . وفي سورة الزمر : « قل الله أعبد مخلصاً له ديني » . وقوله في سورة البينة : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » .. فالدين القيم هو الاخلاص لله في العبادة : اعتقادية ، أو بدنية ، أو مالية .

ومن الشرك في العبادة : دعاء غير الله عند الشدائد ، والالتجاء الى غير الله في كشف الكربات وقضاء الحاجات . وقد أمر الله بأن تكون وجهة العبد لله وحده ، لقوله تعالى في سورة الأنعام : « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » وقوله « قل ان صلاتي

ونسكي ومحياق ومماتي لله رب العالمين • لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » • فالمفهوم من الآية الأولى • أن من وجه وجهه فيما لا يقدر عليه الا الله الى غير الله فقد أشرك ، لقوله تعالى : « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين » • فالصلاة هي الدعاء ، والنسك هو التقرب الى الله بأنواع الطاعات ، وخصصه بعضهم بذبح الهدي ونحوه مما يتقرب بذبحه الى الله تعالى •

الدعاء عبادة لا يستحقها الا الله تعالى

س ـ أريد الوقوف على الأدلة القائلة بأن الدعاء عبادة لا يستحقها الا الله تعالى ؟

ج ـ اليك هذه الأدلة التالية وهي من كتاب الله سبحانه ، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى في سورة غافر : « أدعوني أستجب لكم » وقال في سورة الأعراف : » ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وقال في سورة غافر : « فادعوا الله مخلصين له الدين » • فهذا الدليل من كلام الله على كون الدعاء عبادة تختص بالله وحده •

والدليل من قول رسول الله : « الدعاء هو العبادة » وقوله : « الدعاء مخ العبادة » أي لبها الذي هو أفضل شيء فيها •• وكيف لا يكون الدعاء مخ العبادة ؟ أو هو العبادة ؟ وعنده يشعر الانسان باللذة التي لا تعادلها لذة ، والسرور الذي لا يدانيه سرور ، وذلك عندما يتوجه في قضاء حاجاته الى من بيده ملكوت كل شيء ، الى من يدبر الأمر من السماء الى الأرض ، الى الغني الذي لا ينقص مافي خزائنه الانفاق ، الى السميع البصير القريب الى الرحمن الرحيم • وكيف لا يكون مخ العبادة : وهو محل الخضوع والتذلل ،

والانكسار والرجاء ، والافتقار • الى من يجيب المضطر اذا دعاه ، الى الذي وسعت رحمته كل شيء ، وأحاط علمه بكل الكائنات سبحانه وتعالى • قال في سورة غافر : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وقال في سورة يونس : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده » وقال في سورة غافر : « غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ذي الطول ، لا اله الا هو اليه المصير » • وقال في سورة المجادلة : ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شيء عليم » • ومن هذا يتبين المنع من دعاء غير الله ، أو دعائه معه ، وان من ينزل حاجته بعاجز مثله ، أو يدعوه مع الله سبحانه ، فقد خسر الدنيا والآخرة ذلك هوالخسران المبين •

هذا ما يفعله الجهل بأهله

س ـ يقول الداعون غير الله ـ من أولياء ـ عند الشدائد : اننا نعتقد أن الذى نطلبه من الأولياء : ليس بأيديهم ، ولكنه بيد الله سبحانه ، غير أننا نتقرب بهم ، ونجعلهم وسطاء في قضاء حاجاتنا فقط • فهل من دليل لهم على هذا الادعاء ؟

ج ـ هذا ما يفعله الجهل بأهله ، لا أقول الجهل الطبيعي فحسب ، بل والجهل المركب أيضا ؟ ولتعلم بأن لا دليل لهم اطلاقا ؟ ولو كان ثم دليل لأوردوه •• فاتخاذ الوسطاء فيما بين الله وبين عباده ليس الا في تبليغ الشرائع ، كالأنبياء ومن بلغ عنهم • أما في الدعاء فلا ؟ والحق أن الأدلة جاءت بعكس ما يدعون ويعتقدون ، ولو أنهم درسوا كتاب الله ، وتدبروا

آياته لما وقعوا فيما نهوا عنه ، ولما ضلوا السبيل !! ولكنه الجهل بقسميه هو الذي أوقعهم فيما هم فيه من محادة ومشاققه لله ولرسوله .. واليك هـذه الأدلة التي تدحض دعواهم ، وتبطل افتراءاتهم : يقول جل علاه في سـورة الاسراء : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى ، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بهـا ، وابتغ بين ذلك سبيلا » . تشـير هذه الآية الى قرب الله تعـالى من الداعي ، بحيث لا يحتـاج في دعائه الى رفـع صوته . وقال في سورة البقرة : « واذا سألك عبادي عني فأني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنـوا بي ، لعلهم يرشـدون » فهل هناك مكان لوسيط ؟ ويقول في سورة ق : « ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » . فهل قرب كهذا ؟ وفي سورة الحديد : « وهو معكم أينما كنتم » وفي سورة المجادلة : « مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا وهو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم ، أينمـا كانوا ، ثم ينبئهم بمـا عملوا يوم القيامة » . فهل توجد معية كهذه المعية ؟ وفي سورة الجن : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » . ويقول : « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين » . والظالمون هم المشركون كما جاء في الآيات . وهل جزاء كهذا ؟ ويقول لنبيـه صلى الله عليـه وسـلم : « قل لا أملك لنفسي نفعـا ولا ضرا الا ما شـاء الله » . واذا كان النبي لا يملك لنفسه جلب النفع أو دفع الضر ، فغيره من باب أولى . وقال سبحانه : « وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبـادتي سـيدخلون جهنم داخرين » . ومعنى عبادتي : « عن دعائي » وقد أمر الله بالتوكل عليه

وحده ، فقال في سورة المائدة : « وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين » . وفي سورة الطلاق : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » وفي سورة الزمر : « أليس الله بكاف عبده » . فهل رأيت أيها السائل هنا مكانا لوسيط ؟ وأخيرا أقول لك : ان الذين غرقوا في مناجاة الموتى جهلوا هذه الأدلة ، أو تجاهلوها ! . وما الدافع لهم سوى الجهل بقسميه من جهة ، وتقليد الآباء والشيوخ من جهة أخرى . ألست معي ؟ وسمي غير الله عبدا ؟ لأنه خاضع لله عابد له ، ـ أي طائع ـ وسميت طاعته لله عبادة . فلفظة عبادة اذا كلمة جامعة لكل ما تعبدنا الله به من العبادات الاعتقادية ، والمالية ، والبدنية والعملية ، ـ فعلا ، وتركا ، وعملا ، كما بينته السنة ، والدعاء هو القسم الأعظم منها .. ويكفينا أن نتدبر سورة الاخلاص : « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » . هذا ما حضرني في الاجابة على سؤالك ، ولا أخالك الا مقتنعا .. فلم يقل الله أدعوني بنبي ، أو ولي ، أو ملك ، متقربين بهم الي ؛ فافهم هذا ترشد ان شاء الله !! وان كان في الأدلة تكرار مثلا ـ فللمناسبة . وقد يكون في تكرارها نفع ! هذا ـ ولنا في الأنبياء أسوة حسنة ، فانهم في مناجاتهم لله : ما وجهوا وجهتهم الا اليه . وهذا خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك . ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء ، لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .

س ـ قلت ان الأنبياء عليهم السلام ما وجهوا وجهتهم في دعواتهم ومناجاتهم الا الى الله وحده • وأقمت دليلا من قول رسول الله (محمد) صلى الله عليه وسلم ، فاني أشكرك على ذكر الأدلة ، اذ بها التأكد والاقناع • ولذا فاني أريد التعرف على الأدلة التى وردت في القرآن للأنبياء الآخرين ، لأكون على صلة بها ؟

ج ـ أرى أنك موفق في كل ما تقدمت به من أسئلة ، وسأسرد لك ما وردت من أدلة جاءت في القرآن بنصها القرآني ، وسياقها اللفظي ، لقد ورد في حق آدم وحواء لما ندما على أكلهما من الشجرة التي نهاهما الله عن القرب منها ، قوله في سورة الأعراف : « ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » وهذه هي الكلمات التي أشار اليها في سورة البقرة بقوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم » وجاء في حق زكريا حينما توجه الى الله شاكيا عقم زوجته : « رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا ، واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا » فرد الله عليه باستجابة دعائه بقوله : « يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » الآيات من سورة مريم •• وجاء في حق موسى من سورة طه : « قال رب اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، وا حلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيرا من أهلي ، هرون أخي أشدد به أزري ، وأشركه في أمري ، كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، انك كنت بنا بصيرا » • وجاء في سورة ابراهيم نص الدعاء الذي توجه به الى ربه : « رب اجعل هذا البلد آمنا

واجنبني وبني أن نعبد الأصنام • رب انهن أضللن كثيرا من النـاس فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم ••• الى أن قال : رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » وجاء في سورة الأنبياء في حق أيوب : « وأيوب اذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له ، فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم ، رحمة منا وذكرى للعابدين » ومن سـورة الأنبياء في حق يونس لما التقمه الحوت « وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمـات ألا اله الا أنت سـبحانك اني كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين » • أي وكذلك ننجي المؤمنين الداعين بمثل هذا الدعاء • أما ما جاء في حق خاتمهم محمـــد صلى الله عليه وسلم فقوله في سورة آل عمران : « الذين قال لهم النـاس : ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » •• فهل وجه أحد من الأنبياء دعاءه الى غـير الله ؟ أو اسـتغاث به ؟ •• اللهم ـ لا ـ هذا وقد أخبر الله بأنه استجاب لهم • فما هي أسـباب الاجابة ، ووسائلهـا الصبر والصلاح والتقوى والمسارعة في الخيرات ، والخشـوع لله ، ودعاؤه رغبـا ورهبا •• فمن انحرف عن سبيل الأنبياء ، فقد ضـل سـواء السبيل • فهم الأسـوة وبهم القدوة ، قال تعـالى : « لقد كان لـكم في رسـول الله أسوة حسنة » •

س ـ قلت ان الله لا يستجيب للداعى الا فيما أذن فيه ولو للأنبياء ؟ فما الدليل على ذلك ؟

كان لنوح عليه السلام ابن ظالم لنفسه بالكفر والعصيان ـ فعندما حقت كلمة الله بانزال عذاب الغرق بقوم نوح وكان نوح قد صنع سفينة بأمر الله ليحمل أهله والمؤمنين فيها ، طلب منه أبوه أن يركب السفينة امتنع قائلا : « سآوي الى جبل يعصمني من الماء » فلما نزل العذاب وأحاط الماء بذلك الابن العاصي ، أدركت نوحا العاطفة الأبوية على ابنه ، وتذكر بأن الله أمره أن يحمل أهله في هذه السفينة ، نادى ربه طالبا نجاة ابنه ، كما جاء في سورة هود : « ونادى نوح ربه ، فقال رب ان ابني من أهلي وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين » . فرد الله عليه بقوله : « يا نوح انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، اني أعظك أن تكون من الجاهلين » . وفي قوله تعالى انه ليس من أهلك » دلالة على أن أهلية الدين أحق من أهلية النسب !. وقد استغفر ابراهيم لأبيه ، فلم يستجب له، لما تبين له أنه من أصحاب النار ، قال تعالى في سورة التوبة : « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم » . وفي الحديث الصحيح : يلقى ابراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة ، فيقول يارب انك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون . وأي خزي أخزى من أبي الأبعد ! فيقال يا ابراهيم اني حرمت الجنة على الكافرين ؛ ثم يقال يا ابراهيم أنظر ماذا تحت رجليك ؟ فينظر فاذا هو بذيخ متلطخ ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار . فيمسخ آزر ضبعا عند القائه في النار حتى لا يحزن ابراهيم حين يشاهد الملقى في النار ضبعا .. ومن

هنا يعلم أن الجنة لا تنال الا بالايمان والعمل الصالح ، وأن الانتساب الى الأنبياء والصالحين لا ينفع وحده . وقد ثبت في القرآن نهي النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته عن الاستغفار لموتاهم الذين ماتوا على الشرك ، كما جاء في سورة التوبة : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى ، من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » . وحدث النبي أصحابه كما جاء في صحيح مسلم بقوله : « استأذنت ربي في أن أزور قبر أمي فأذن لي ، واستأذنته في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي ، فزوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » . ولما حزن الرسول لموت عمه أبي طالب على الشرك ، نزل قوله تعالى كما في سورة القصص : « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقد ورد في الحديث الصحيح : « ان الله يستجيب دعوة العبد ما لم يدع باثم أو قطيعة » وكذا لا يستجيب الله فيمن سبق في علمه تعذيبه . أو لمن دعا بمحال .. ومن هنا يتبين من مفهوم هذه الآيات المنع من دعاء غير الله ، وان دعوة غير الله شرك وضلال .

دعوة غير الله شرك وضلال

س ـ قلت ان دعوة غير الله شرك وضلال ، وقد قرأنا ، وسمعنا من يقولون : ان دعاء غير الله ممن يعتقد صلاحهم توسل واستشفاع . فماذا تقول ازاء قولهم هذا ؟

ج ـ أقول : ان دعاء غير الله مع الله أو دونه شرك وضلال ، لا توسل واستشفاع . وما قول الداعين غير الله انه توسل واستشفاع : سوى اثارة شبهة تنطلي على من لا علم له بالأدلة القرآنية ، والنبوية ! أما من فهم الأدلة القاطعة القائلة بأن دعاء غير الله شرك وضلال ، فسوف يلفظ هذا القول

وينبذه نبذ النواة ، لعلمه بأن للتوسل والاستشفاع طريقة معروفة ، وله مآخذ خاصة ، منصوص عليها ، وكيف نسمي دعوة غير الله توسل واستشفاع ، مع أن الآيات القاطعة تقول بخلاف ذلك . كما ورد ذلك في غير ما آية من كتاب الله .. والصالح مهما بلغ به صلاحه ، فلا يخول له صلاحه بأن يدعى من دون الله أو معه . وهذا بعينه فعل أهل الجاهلية الأولى من المشركين ، وهو من الشرك الذي تساهل الناس به ووقعوا فيه ، بعد مضى خير القرون ـ فلا يجوز قطعاً أن يستغاث أو يستعان بغير الله ، سواء من الأولياء الغائبين ، أم من الأموات ، لكونه لم يثبت عن الله أو عن رسول الله ، أو عن خير القرون بوجه صحيح ، وان وجد حديث فهو موضوع ، أو ضعيف شديد الضعف ، أو مؤول لا يسوغ قبوله لمخالفته صريح القرآن . وأرشدك الى أن من علامة وضع الحديث : مخالفته لصريح القرآن . ولو أن هؤلاء الهاتفين بمن يعتقدون صلاحه عند الشدائد ؛ تدبروا آيات الله وما تعطيه من معان حول ما هم فيه ؟ لما وقعوا في الشرك ، ولعادوا الى التوحيد الخالص . اذ أن المسلم المحتاط لدينه ، لا يرضى لنفسه الكفر . وهذا خطاب الله لنبيه محمد (ص) ولمن أرسل اليهم في صورة القصص : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » . وفي سورة محمد : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » . وفي سورة الزخرف: « ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين » . وفي سورة طه : « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيمة أعمى ، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى ». وفي سورة الحشر : « ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم » .

فهل يعد مؤمنا بالقرآن : من أبى أن يتدبر ما فيه ؟ ولم ينقد لأوامره ونواهيه ؟ ربنا جل علاه يقول في سورة النساء : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » • ويقول في سورة الشورى : « وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله » • وفي سورة المائدة : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال في سورة المائدة مخاطبا نبيه : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم » •• فيجب أن نبين لمن يدعون الأولياء ويستغيثون بهم من دون الله أو مع الله ، انهم بذلك خالفوا نصوص الكتاب والسنة ، ونحتج عليهم بايمانهم بالله ورسوله ، ثم نبين لهم أن من يدعوهم لا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا ، وأنهم بذلك اتبعوا سنن من قبلهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، حيث ان الكثيرين من العوام لا يفقهون مافي الكتاب لبعدهم عن فهمه ، ولمحيطهم الموبوء الذي يعيشون فيه • ونرى أن رجوعهم موقوف على بيان مافي الكتاب والسنة ؟ أليسوا هم العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد ببيانه كما قال : « واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه » والذين هددهم الله بقوله : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ، الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا ، فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » • وان قيل : ان هذه الآيات نزلت في شأن أهل الكتاب ؟ فأقول : ـ ان المفسرين أجمعوا على أن العبرة في الآيات بعموم

اللفظ لا بخصوص السبب ـ فعلم من هذا : أن الآيات شاملة لأهل الكتاب المتقدمين ولغيرهم ممن لهم كتاب ، فافهم هذا ترشد ان شاء الله ٠

ما يستدل به الداعون غير الله

س ـ ذكرت في الرد أن الداعين غير الله ، قد يستدلون بحديث موضوع ، أو ضعيف ، أو مؤول ٠ ولم تذكر في الرد هذه الأحاديث أو بعضها كنموذج فقط ، فعليك الآن سردها أو سرد بعضها ، لأتخذها حجة لردع القائلين بصحتها ، والمحتجين بها ؟

ج ـ اليك سرد ما وقفت عليه منها ، نزولا على رغبتك وسعياً في اسعافك فمن الأحاديث التي يستدلون بها « لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه » ٠ قال الحافظ ابن حجر : لا أصل له ٠ وقال ابن تيمية : انه كذب ، ولا شك أنه من وضع الملاحدة الذين يسوقون الناس الى عبادة الأحجار والأنصاب والقبور ٠ ومنها « اذا أعيتكم الأمور ، فعليكم بأهل القبور » ٠ الى غير ذلك من ترهات ضمن الترغيب في نداء الأولياء ٠ وكقولهم : « من وقف بين يدي ولي لله حي أو ميت كحلب شاه أو كشج بيضة ، فكأنما تقطع جسمه في العبادة اربا اربا » ٠ ولا يخجل المحدث بهذا كما سمعناهم !! بل قد يقول عند التحدث به : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولعله لم يقرأ قول الرسول : « من قال علي ما لم أقل ، فليتبوأ مقعده من النار » ٠ وقوله : « ان كذبا علي ليس ككذب على أحد ، فمن كذب علي متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار » ٠ بل لقد تجرأ بعض وعاظنا كما سمعته بأذني يقول : « ما يطلب من الحي يطلب من الميت » : فيا لله العجب من هذه الجرأة السخيفة ؟؟ ولكنه الجهل المركب أعمى هؤلاء ؟ ـ أما الحديث الذي يؤولونه فهو ما جاء فيه : « اذا أحببت عبدي كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به،

ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ••• الى آخر ما جاء في هذا الحديث القدسي المشـهور ، مما قد يشتبـه على من لافهم له ، ولا روية عنده • ففهموا من هذا الحديث : الحـلول ، ناسين ان الله سبحانه : ليس كمثله شيء » • وأن المناسب هو ما ذكره شراح الحديث: على أن المعنى ، من كنت بصره كنت لسانه •• الى آخره : « كنت حافظـا لهذه الأعضاء : من أن تتحرك الى معصية ، بل الى ما فيه رضاي ، لأن القول بأن الله اذا أحب عبدا أعطاه سـمعا كسمعـه ، وبصرا كبصره ـ الى آخـر ما ذكر في هذا الحديث يدعو الى المشابهة والمماثلة ، والله سـبحانه ليس له شبيه ولا مثيل ، لافي ذاته ، ولا في صفاته • والقائل بهذا جاهل مفتون •

س ـ نعم ان الغالين في الاعتقاد في الأولياء يؤولون هذا الحـديث وأمثاله • ويؤولون أيضا قول الله سبحانه وتعالى في سـورة يونس : (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آ منوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) • فذهبوا في تفسير : لهم البشرى الى آخرها : على أنها الاطلاع عـلى الغيب ، والتصرف في الكون ، وقضاء حوائج زائريهم ، وعلى قبول وساطتهم وشفاعتهم لمن استغاث بهم الى آخر ما نسمعـــه مما لا نطيل بذكره ، فالأمل البيان الكامل لمعنى الحديث المذكور ، ولمعنى الآية ؟

ج ـ ليست لهم حجة على ما ادعوا : لافي الحديث ، ولا في الآية ، وانما فتنتهم بتأويل المشتبهات دعتهم الىما ذكرت •• فحقا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، اذا خاف العاصون والمفتونون ، وأن لهم البشـرى بدخول الجنة ، والتمتع بطيباتها ، وحورها وأنهارها • ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة فصلت : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون • نحن

أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » • فهذه هي البشرى المذكورة في الآية • والبشرى في الدنيا : يكتب لهم العزة والنصر ، وينعم عليهم بسائر النعم •• وقال العلامة البيضاوى في تفسير الآية : « أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ، ويتولاهم بالكرامة • ومحبة العبد لله تكون بطاعته ، ومحبة الله للعبد اكرامه بحسن مثوبته ، « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وهذا الجزاء ثابت لجميع المؤمنين الصالحين المتقربين ، الذين آمنوا ايمانا كاملا بالله ورسوله وكتبه واليوم الآخر ، وكانوا يتقون الله في كل ما يعملون ويذرون ، فهم يتقون غضبه ، هؤلاء لهم البشرى في الحياة الدنيا بالنصر فيها ، ما داموا ينصرون الله ورسوله ، ويقيمون شريعته ، وأحكام قرآنه • ولهم البشرى بحسن العاقبة وباستخلافهم في الأرض ان أقاموا الصلاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور • قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض» وأما البشرى في الآخرة فالنعيم في الجنة ذات القطوف الدانية ، لا تبديل لكلمات الله ، ولا خلف لوعده ، بل قوله الحق ، ووعده الصدق ، ومنه هذه البشارة، وذلك الفوز العظيم الذي ليس بعده فوز •• انتهى نقلا عن التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي •

وجاء في كتاب الوحي المحمدي « لمحمد رشيد رضا كشفا لهذه الأسطورة وتنديداً بها ما يأتي بالحرف : الكافرون بآيات الله صنفان : صنف يكذب بها كلها ، ولا يؤمنن بشيء منها • وصنف يشرك بالله غيره

فيها ، فينحله ما هو خاص به عـز وجل لا يقدر عليـه سواه بدعوى أن الله تعـالى هو الذي أعطاهم القدرة الغيبيـة على ذلك وصرفهم في العالم كرامة لهم ، أي هو الذي أشركهم معه كما كان المشركون يقولون في حجهم : لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك تملكه وما ملك ، وانما يتحـامون ألفاظ العبادة والشرك والخلق دون معانيها ، فيكذبون على الله تعالى وعليهم بما يكذبهم به كتابه المنزل ، ونبيه المرسـل ، ولـكنهم يؤولون ما هو حجة عليهم ، ويحرفون ما هو شبهة لهم ، فيحتجون به على جهلهم ، كآية « لهم ما يشاءون عند ربهم » وهي كأمثالها في جزاء جميع المؤمنين المتقين في الآخرة ويذكرون أن الله كان يرزق مريم عليها السلام ، بغير حسـاب ، وما كان رزقها من فعلها • ولا يدري أحد كيف سخره الله لهـا ، ويذكرون وحيه الى أم موسى بارضاعه والقائه في اليم ، وما هو من فعلها أيضـا ، وقد قيـل بنبوتهـا • ويذكرون عرش ملـكة سـبا ، وهو من آيات الله تعـالى لنبيـه سـليمان •

ان افساد هؤلاء الخرافيين للبشر في دينهم ودنياهم لأشد من افســاد المنـكرين للآيات المكذبين بها • ذلك بأنهـم أكبر أسـباب هـذا الانكار والتـكذيب ، بزعمهم أن الأنبيـاء ومن دونهم من الصالحين يتصرفون في الخلق بما يخالف سنن الله تعالى فيه ، أو يبدلونها بغيرها ويحولونها عما وضعت له ، وزعمهم أن الله هو الذي دعا الناس الى هذا الاعتقاد وجعله أساس دينه، فكذبوا بالدين من أساسه •• فدعوى تصرف الأنبياء والصالحين في الكون قول على الله بغـير علم • وافتراء على الله بكونه شرعا لم يأذن به الله ، وهو

أشد أنواع الكفر بالله ، لأن ضرره متعد بما فيه من اضلال الناس باعتقاد باطل ، يتبعه عبادة باطلة غير مشروعة •

وأما الحديث : فقد جروا في تفسيره على غير علم ولا هدى ولا كتاب منير • فقد تحكموا فيه بما تهوى أنفسهم ، ولا يدرون أنهم بذلك قد شبهوا الأولياء بالله ، حيث جعلوا سمع العبد كسمعه ، وبصره كبصره ••• الى آخره • فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا • وخلاصة المعنى للحديث المذكور ، هو أن الله حدث عن نفسه ، على أن من تقرب اليه بالنوافل من الطاعات : يكتب له محبته التي تكون سببا في حفظ أعضائه وحمايتها عن فعل ما يغضبه ، بأن يوفقه للعمل بمقتضى الدين الحنيف ، وهو جزاء منه على التقرب اليه ، هذا هو ما يحمل عليه معنى الحديث ، لا ما فسروه بما يمجه الذوق ، ويتبرأ منه الدين ، فالله سبحانه لا يحل في عين من أحبه ، ولا في أذنه ، ولا في لسانه ، ولا في يده ولا في رجله •• فما هذا الاختلاق ؟

وقد فند هذه الفرية السيد رشيد رضا في الجزء العاشر من التفسير بعد أن فسر الحديث الآنف تفسيرا يقتضيه مقام الألوهية بقوله : « وما يذكرونه من مرتبة وراء هذه تسمى وحدة الوجود • وهو عبارة عن كون وجود الخالق عين وجود المخلوق • وكون ذات العبد هي ذات الرب ، أولا عبد ولا رب • وما ثم الا شيء واحد له مظاهر وله أطوار ، كظهور الماء في صورة الثلج الجامد والسائل والبخار ، ـ انتهى • فهذه فلسفة مادية باطلة ، اخترعتها مخيلات صوفية البوذية والبراهمة ، وهي كفر بالله وخروج من ملل جميع الرسل • وقد فتن بها بعض صوفية المسلمين •

وجاء في كتاب « جامع العلوم والحكم » لزين الدين عبد الرحمن بن

شهاب الدين ابن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي تفسيرا لهذا الحديث : « فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، ... الى آخره ، قوله : « المراد من هذا الكلام : أن من اجتهد بالقرب الى الله بأداء الفرائض ثم بأداء النوافل ، قربه اليه ، ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان ، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه ، فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته ، وخوفه ومهابته ، واجلاله والأنس به ، والشوق اليه ، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة ، مشاهدا له بعين البصيرة . الى أن قال : فحينئذ لا ينطق العبد الا بذكره ، ولا يتحرك الا بأمره ، فان نطق نطق بالله ، وان سمع سمع بالله ، وان بطش بطش به ، فهذا هو المراد بقوله : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها .

ـ ومن أشار الى غير هذا فانما يشير الى الالحاد من الحلول والاتحاد . والله ورسوله بريئان منه ـ انتهى .. وجاء في كتاب ليس من الاسلام ، لمؤلفه محمد الغزالي ؛ اشارة الى هذا الحديث ما نصه : ـ

فالحديث يشير الى مرتبة التفاني في ارضاء الله ، تفانيا يجعل حواس المرء وجوارحه مسخرة في طاعة الله وحده ، ولا يعنى البتة : أن ادمان العبادة ينتهي بحلول أو اتحاد ، كما يتصوره السذج ، أو ينتهي بطور خارق للنواميس المعتادة كما صور ذلك المتصوفة في حديث مكذوب : « عبدي أطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون » انتهى .

وحـدة الوجود خرافة

س ـ ذكرت فيما سبق قول محمد رشيد رضا ، بعد أن فسر حديث : اذا أحببت عبدي ••• الخ بما يليق به ، قوله : « وما يذكـرونه من مرتبة تسمى وحدة الوجود • وهوعبارة عن كون وجود الخالق عـين وجود المخلوق ، وكون ذات العبد ، هي ذات الرب •• الى آخر ما قال : لهذا فاني أطلب مزيد البيان حول هذا الموضوع السخيف ؟ وذكر من انتحل هذه العقيدة أولا ؟ ولك مزيد الشكر ؟؟

ج ـ وحدة الوجود كما ذكر رشيد رضا : عقيدة سخيفة ، وفلسفةمادية باطلة اخترعتها مخيلات صوفية البوذية والبرهمية ، وهي كفر بالله وخروج من ملل جميع الرسل • هذا • واليك البيان مما كتبه العلامة محمد الغزالي في كتابه ركائز الايمان : قال لافض فوه : ان الشعور بالوجود الالهييجب أن يكون حيا غامرا لدى أولى الألباب • لـكن الـكون شيء غير صـاحبه ، والعالم شيء غير الله ، ومعرفتنا باللهفيما أوجد لاتعنى أن الموجد هو الموجود• ومن السخف أن يرتكس الفكر الانساني في هذه الحمأة •

ان الآلة شيء غير من اخترعها ، والقصر شيء غير من بناه ••• وقـد خلقنا الله وكلفنا ، ورتب على تكاليفه مثوبات وعقوبات • وأنزل بذلك كتبا وبعث رسلا ••• فكيف نجرؤ على وصفه بالهـزل والتزوير في ذلك كله ؟ ولقد أحصى العلماء العناصر التي يتكون منها العالم ، وقرروا ما لكل عنصر من خصـائص لاتزيد ولا تنقص ، فكيف توصف هذه العنـاصر بعد ذلك بأوصاف الألوهية ؟ ان القول بوحـدة الوجود هو ـ عنـد التـأمل ـ نفي للألوهية واثبات للكائنـات وحدها •• فالمـاء مثلا مادة معروفة ، وقد شرح الكيمائيون أسلوب وجودها من عنصريها الأساسيين • وهي من قبل ومن بعد لن تكون الا الماء • فالزعم بأنها اله أو جزء اله تخرص علمي سيسقط من

تلقاء نفسه ، وتبقى بعد ذلك العناصر وحدها دون أي وصف الهي ومن ثم قلنا : ان وحدة الوجود عنوان آخر للالحاد في وجود الله ، وتعبير ملتو للقول بوجود المادة فقط ، وما دام لا يوجد شيء وراء هذا العالم ، فالقول بأن الله داخله ، هو صورة أخرى للقول بنكرانه ... وفلسفة وحدة الوجود ، أو خرافة الوجود تفكير هندي قديم ، والقوم يتصورون أن هذا العالم أزلي أبدي ، وأن الأرواح تخرج من أجسادها لتعود في أجساد أخرى ـ وقد تكون أجساد حيوانات ـ وأن قصة الحياة تدور في هذا النطاق المحصور ، وتبدأ من حيث تنتهي ، وهكذا دواليك الى ما شاء الله ، والله في أوهامهم ـ هو هذه العمليات المتكررة . والغريب أن هذه الوحدة الموهومة قد تسللت الى بعض الديانات السماوية . وبين يدي قصيدة لشاعر عربي تصور هذه الأسطورة المنكورة تصويرا تاما : منها قوله :

على الوجود هو الله الذي اتجهت ... هذي النفوس اليه بالعبادات
له العوالم أعضاء مرددة ... فيها الحياة على بعد المسافات
وما الأثير وما الأجرام سابحة ... فيه ، سوى الدم ، يغلي بالكريات
ما كان قط عن الأشياء منفردا ... بل هو فيه لصوق الذات بالذات

وفي آخرها يقول :

حاولت ترويض عقلي فاندفعت به ... في مدحض زلق بالعبقريات
فخذ بكفي ولا تغضبك فلسفتي ... وعدها لي من بعض الحماقات

وهذا الذي قاله الشاعر حماقة لا ريب فيها ، ومن حق رب العالمين أن تغضبه تلك الفلسفة السمجة ، وأن يسخط على من يعتنقها ويروجها .. ومن

العجائب أن بعض المتصوفة من المسلمين قد انزلق الى هذه الهاوية ، وينسب الى الحلاج قوله :

سبحان من أظهر ناسوته   سر سنا لاهوته الثاقب
ثم بدا في خلقه ظاهرا   في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه   كلحظة الحاجب بالحاجب

وقد دفع الحلاج دمه ثمن هذا الحمق •

ولا أدري كيف يقول مسلم ، بل كيف يقول عاقل بوحدة الوجود ، ان كان حقا يؤمن بالله ، ويصدق المرسلين ؟

لو كانت الأرض لؤلؤا ومرجانا ما صح أن تكون ذاتا لله ، فكيف وهي الى جانب ذلك حصى وبعر ؟ ولو كانت زهرا فهناك الشوك ، ولو كانت وفاء وأمانة فهناك الغدر والخيانة ••

ان الصاروخ المنطلق في مداره شيء غير الانسان الذي أطلقه ، كذلك العالم شيء غير الرب الذي أبدعه وسيره « الله خالق كل شيء وهو على كل شيءوكيل ، له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون »(١) •

وأظننا أوضحنا بعد البون بين الاحاطة الالهية التي يحسها المؤمنون ، ووحدة الخالق والمخلوق التي يتوهما الخراصون • انتهى •

---

(١) من سورة الزمر •

من مزاعم الروحية الحديثة القول باستحضار الأرواح

س ـ لما لفكرة استحضار الأرواح من صلة وثيقة بفكرة وحدة الوجود ، أوجه اليك هذا السؤال التالى للرد عليه ٠ وهو : هل لديك معلومات عن هذه الفكرة فتذكرها مفصلة ، وتذكر اتصالها بالدين قبولا ، أو رفضا ؟

ج ـ اليك هذا الرد كما ذكره محمد الغزالي في كتابه « ركائز الايمان » المصدر السابق حول فكرة وحدة الوجود ما يأتي بالحرف :

عند بعض المتدينين طيبة تبلغ حد السذاجة وايمانهم بالغيب ـ اذا تجاوز حدود الكتاب والسنة ـ قد يكون ثغرة تنفذ منها الأساطير ، وتضار بها حقيقة الدين ٠٠ وقصة تحضير الأرواح التي شاعت في عصرنا هذا قد اكتنفتها أوهام شتي ، وسرت في ركابها أفكار ينكرها الاسلام ٠ ولكن لما كان الموضوع نفسه مثيرا ، ولما كان مضادا بطبيعته للمادية التي فرضت نفسها على العلم ، والسلوك ٠٠٠ فان كثيرا من الناس هش له بدوافع حسنة وظن أنه يستطيع نصرة الايمان عن طريقه ٠ ونحن نريد معالجة هذه النزعة من أساسها على ضوء ما نحفظ من كتاب ربنا وسنة نبينا ٠٠٠ ولعل احقاق الحق في هذه القضية يضع الحدود لجدل كثير ، ويغلق الأبواب أمام ترهات لا آخر لها ٠ ونتساءل أولا : هل الأرواح في العالم الآخر ـ أعني فترة البرزخ ـ تستأنف نشاطها العام على نحو ما كانت تسير في الحياة الدنيا، وان وسائلها في عالمها الجديد أوسع دائرة وأعظم اقتداراً ؟ ٠٠ ان بقاء الأرواح بعد الممات عقيدة لا ريب فيها ، وهي عقيدة جميلة مشرقة ، حبذا لو ذكرنا الناس بها حينا بعد حين ، فان صورة الموت ترسمها الأذهان في اطار قابض عفن ؟٠٠ وأكثر الناس في هذا العصر ـ يظن الموت مرادفا

للبلى والفناء ، ونهاية العهد بالاحساس والحياة والضياء ! وهذه الأفكار من نضح المادية التي تسود عالمنا الأرضي ، أو هي من بقايا الجاهلية الأولى في فهم الوجود وقضية الخليقة .

والدين ضد هذه الأوهام ، ونصوصه جازمة بأن الآخرة حق ، وأن الموت نقلة من عالم الى عالم ، ومن وجود مستيقن الى وجود مستيقن !... لكن هل الأرواح بعد هذه النقلة تستأنف سلوكها الأول - كما يقول معتنقوا الروحية الحديثة .. وأن بعضها يشتغل بالوعظ والارشاد ، وبعضها يشتغل بالطب وعلاج المرضى ، وبعضها يشتغل بالنصح الفردي وحل المشكلات العارضة ، وبعضها يتسكع دون عمل ، وبعضها يمد يده بالأذى للأحياء ، وبعضها يدور مذهولا لا يدري أنه مات !.. هكذا يكتب الروحانيون في رسائلهم ، بل ان بعض الأرواح عندما استحضر طلب (سيجارا) يدخنه ! ! الخ . هل هذه سمات العالم الروحي ووظائفه ؟ وهل صحيح أن ضروب الخدمة الاجتماعية تتاح لكثير من الأرواح ، لعلها ترقى وتنال رضوان الله وغفرانه ، أو لعلها تكفر عما فاتها في الماضي الأول أيام الحياة الدنيا ؟.. هنا نختلف مع دعاة هذه النحلة أشد الاختلاف وتفترق بنا الطرق ، فيذهبون حيث شاءوا ونثبت نحن على ما بين الكتاب الكريم والسنة المطهرة . الاسلام قاطع في أن ميدان العمل الانساني هو هذه الحياة الدنيا ، وأن المرء - في فترة الأجل الموقوت له ، يبتلى بفنون التكاليف ، ويتعرض لامتحانات شتى ، وأن نجاحه وسقوطه يتقرران عند انتهاء عمره على هذه الأرض ! وهو بالموت مباشرة يبدأ مثوبته أو عقوبته ؟.. قضي الأمر ، وطويت أوراق الامتحان ، ومن سجلاتها وحدها يكتب من أهل اليمين أو من أهل الشمال.

ليس هنـاك مجال آخر لتكليف ، ولا تعرض آخـر لامتحان ، ولا استئنـاف لحكم أو طلب لفرصة جديدة ٠٠ نعم فوق هذا الثرى وحده يكلف الانسان أن يؤمن بالله لا يراه ، ولكن يرى آثاره ، ويعرف أدلته ٠ ويكلف بايثــار الخير وأن ضحى بشهوته العاجـلة ، ونزل عن رغبـاته الحـاضرة ، ويكلف بالاعداد لليوم الآخر ، والبذر للحياة المستقبلة موقنا بعالم الغيب ، وان كان مغمورا بعالم الشهادة ٠٠ فوق هذا الثرى وحده ، وخلال العمر المقـدور له ، يصنع الانسان مصيره المرتقب ، ويستحيل أن تتاح له فرصة أخرى لمتاب ان كان خاطئا ، أو لارتقاء ان كان قاصرا ، فان الموت فاصل قائم بين حيـاتي العمل والجزاء ، أو حياتي البذر والحصاد !٠٠ واسمع الى اجابة الله للمجرمين وهم يلقون جزاءهم العدل : « وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمـل ٠ أو لم نعمـركم ما يتـذكر فيـه من تذكر وجاءكم النذير : فذوقوا فما للظالمين من نصير » ٠ وهذه الاجابة الالهية تكرار لما قد يسأله المجرمون عند ساعة الاحتضار ، عندما تذهب السكرة وتجيء الفكرة ، عندما يتلهفون على ماض ضاع سدى ، فيقول أحدهم : « رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت ٠ كلا ، انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » ٠ نعم الى يوم البعث لا مكان لعمـل ، لا استئناف لنشاط ، لا فرصة لتوبة ، لا مجال لترقيع ما فسد ؟٠٠ ان مجال العمل المطلوب والتوبة المنشودة في هذه الدنيا وحدها ، والمرء في عافية من دينه ، وفسحة من أجله ، واقبال من أمله ، فاذا دنت ساعة الرحيل عن هذه الدنيا أخذ الكرام الكاتبون يطوون دفاترهم ، دون اكتراث لتـوبة الغرغرة ، أو يقظة الضمير الصاحي بعد فوات الأوان ٠ انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون

من قريب »(١) .. « وليست التوبة للذين يعملون السيئات ، حتى اذا حضر أحدهم الموت ، قال : اني تبت الآن . ولا الذين يموتون وهم كفار »(٢) . والواقع ان قبول الايمان من كافر في هذه اللحظات ، أو قبول التوبة من مفرط ، أشبه ما يكون بقبول الغش في الامتحان ، وحسبان الطالب الذي يتلقف عونا من هنا وهنا ـ ليستطيع كتابة شيء في ورقته ـ مساويا للطالب الذي عكف على الدراسة ، وسهر الليالي في انتظار هذه الساعة .. وشتان بين الرجلين . ومن ثم كان الجواب الأعلى لما قال فرعون : « آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين : آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين »(٣) . وهذا المعنى الساري في آيات القرآن طولا وعرضا ترى مثله في أحاديث النبي ، صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث: صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . وتلك بداهة آثاره في الدنيا تخلفه بعد حياته ، ويجري عليه أجرها ما شاء الله . ومن فضل الله على كثير من خلقه أن جعل لهم (رصيدا) مفتوحا من المثوبة النامية الباقية ما بقي عملهم متجدد النفع مطرد الفائدة . فان العمل قد يكون محدود الدائرة لا يتجاوز خيره خطا معينا . على حين يؤلف البعض كتابا يسير هداه مع الأجيال ، أو يصنع دواء يستشفى به المرضى في القارات كلها .

لكن بدء هذا العمل النافع الواسع كان في حياة صاحبه ، وأثناء الاختبار المقرر على ظهر الأرض . أما بعد الممات فلا تكليف بعمل ، ولا مجال لابتلاء ولا « ملحق » لنجاح أو رسوب .

---

(١) من سورة النساء .

(٢) من سورة النساء .

(٣) من سورة يونس .

وخطب النبي صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الناس ، ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فقفوا عند نهايتكم . ان المؤمن بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه ، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه . فليأخذ أمرؤ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الكبر ، ومن الحياة قبل الموت، والذي نفس محمد بيده : ما بعد الموت من مستعتب ، ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار » .وتوكيدا لهذا المعنى ، وانتهازا لفرصة العمل في الدنيا قبل مغادرة الدنيا ، وفي أثناء العمر المتاح قبل انقضاء العمر ومفارقة الحياة يقول هذا الرسول الكريم : « أيها الناس ، كأن الموت في الدنيا على غيرنا قد كتب ! وكأن الحق فيها على غيرنا وجب ، وكأن الذين نشيع من الأموات سفر عما قليل الينا راجعون ، نبوئهم أجداثهم ، ونأكل تراثهم ، كأنا مخلدون بعدهم ، قد نسينا كل واعظة ، وأمنا كل جائحة ، طوبي لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية ، ورحم أهل الذل وخالط أهل الفقه والحكمة . طوبي لمن زكت نفسه وحسنت خليقته ، وطابت سريرته ، وعزل عن الناس شره ، وأنفق الفضل من ماله ، ووسعته السنة ولم يعدها الى البدعة » .

★ ★ ★

ولا تخالط مسلما ذرة من الشك، في صدق الجزاء المكتوب للصالحين ، والطالحين ، وأن مطالعة هذا الجزاء تبدأ مع مفارقة الروح الجسد ، ورحيل الانسان عن هذه الدار .. فاما هبت نسائم النعيم على أهل التقوى ، واستقبلتهم بشريات الفوز والنصر .. واما تطاير شرر الغضب على أهل الالحاد والعصيان ، ورأوا عواقب زيفهم عارا ونارا .. وذاك معنى الحديث :

« القبر اما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار » .. الارواح بعد الموت يستغرقها الجزاء المقدر لها على ما قدمت في حياتها الأولى ! . وتصور أنها تستأنف العمل بعد الموت في ميدان ما بيننا نحن الأحياء ، تصور معتل منكور ، لا صلة له بالدين ولا يعتمد على اثارة منه . فكيف ، بعد تعاليم الاسلام الواضحة ـ على ما أسلفنا ـ يجيء قوم فيزعمون أن الأرواح تعمل بعد الموت ، وانها تشتغل بالطب والتعليم حينا ، والتسول والاعتداء حينا . وأنها تشارك الناس أحوالهم ، وتقف حيث هي في انتظار من يشير اليها لتحصر في قفة أو دلو ، أو ما شاكل ذلك ! . ثم ان الجزاء الذي صوره القرآن في عشرات الصور لا تلمح له أثرا ، بل تكاد تظنه صفرا فيما يصور به الروحيون مذهبهم العجيب ، فلا جرم أن نرى الذهاب اليه انصرافا عن الاسلام نفسه ، وريبة في كتابه وسنته .

انني أعلم ـ كغيري من المسلمين ـ أن الأرواح المجرمة تحبس في سجنها الموحش القاسي ، وتلقى من العنت ما يشغلها عن السياحة والتسكع في شتى القارات ، تنتظر من يحضرها لتسأل فتجيب .

واعلم أن الأرواح الطيبة مرحة في بحبوحة النعيم الالهي ، وأنها قد تعرف ما يلقي الأهل والأقربون ، وأنها ترقب مجيئهم من دار الغرور الى دار الحبور ، وأنها لا تتكلف تسبيحا وتحميدا ، فقد أصبح ذلك طبيعة لها كالتنفس لأهل الأرض ، نعم ، نحن نعرف من كتاب ربنا وسنة نبيه أطرافا من ذلك الأمر المغيب ، وليس وراء ذلك العرفان الا الظن الذي لا يغني من الحق شيئا .. ومع هذه المعرفة المستيقنة ، فان المشتغلين بتحضير الأرواح لا بأس عليهم أي يستحضروا روح « كارل ماركس » ليقول لهم : انه في

نعيم مقيم ! وكم من كافر أحضروا روحه لتعلن سرورها بعالمها الجديد ؟ ولقد رأيت أن أسترسل وراء هذه الكائنات التي زعموا أنها أرواح تشتغل بهداية البشر ! فتتبعت مواعظها ، وقرأت ما أملت من كتب ، وألفت من خطب ، فماذا وجدت ؟ . وجدت من خلال العبارات المحمومة المتلقاه عن طريق الوسطاء أن الروحية دين جديد ! له تعاليم جديدة ! وسرعان ما وازنت بين هذا الدين وتعاليمه ، والاسلام الحنيف وما جاء به ، فأدركت أن التعاليم الجديدة مجموعة خرافات نبتت من الأرض ولم تنزل من السماء ، وأن من أوحى بها ليسوا أرواحا هادية وانما هم مردة الجن .. تتضافر الجماعات المشتغلة بتحضير الأرواح على الترويج لديانة جديدة تحل محل الديانات القديمة ، وتنسخ تعاليم الأنبياء الأولين ، وترسم للعالم طريقا أخرى تصلح لطوره المعاصر، وتلتقي فيها شتى الأجناس والنحل .. ولا يحتاج المرء الى عميق ذكاء ليرى أن الروحية الحديثة ، بما وفدت به من تعاليم تقوم على وحدة الوجود ، فالله والعالم شيء واحد ! وعلى تناسخ الأرواح وخلود الحياة المأنوسة لنا الآن ، فلا فناء للدنيا ، وليس هناك يوم للبعث والحساب العام ! وعلى أن الشرائع القديمة قد استنفدت أغراضها ، والروحية الحديثة هي التي ستهدي العالمين ، بوحيها العصري المتقدم !! ويبلغ هذا الخبل الروحي مداه عندما يكذب رسالة محمد ، ويؤكد الاشاعات حول عيسى وصلبه !. بل هنا ينكشف القناع عن الأهداف التي تعمل لها الروحية الحديثة والنيات الاستعمارية التي تختبىء خلفها ؟.. ومن الذي يختلق هذه الترهات ويروج لها ؟ عالم الأرواح الذي اتصل بالبشر فجأة لينير لهم الطريق !.. ونريد أن نقف القراء وجها لوجه أمام النصوص التي تشرح هذه الروحية الحديثة منقولة عن الصحائف التي ينشرها أتباعها ويتحمسون لها

أشد الحماسة •• في كتاب للجمعية الاسلامية الروحية اسمه : « التوحيد والتعديد » ، يقول الروح الرايد لهذه الجمعية : « اني صوت منبعث من السماء ينادي أهل الأرض أن آمنوا بالله ••• ا ني أحمل رسالة هداية من السماء أعد خطواتها بدقة عباد مخلصون لله تجمعوا في ملكوته الأعلى ••• ان دوري هو دور رسول يبلغ الرسالة ، ولقد جاهدت لأكون أمينا في ايصال ما حملته » ص ٤٥ ، ص ٤٨ • ثم يقول مسيلمة الجديد ، نبي الروحية الحديثة : « تذكروا دائما أنكم في الله وأن الله فيكم ؟» واسم هذا الروح الرائد للجمعية الاسلامية الروحية « سلفر برش » • ويقول « سلفر برش » هذا في كتابه الحكمة العالية الذي تلقاه عنه أتباعه: « نحن جميعا جزء من الروح الأعظم، وأنتم في مجموعكم مع بقايا الحياة الأخرى تكونون الروح الأعظم ، ولا وجود لله خارج هذه المجموعة ، ولو أن هذا القول لا يمكنني البرهنة عليه الا انه يحسن قبول كلمتي في هذا الصدد » • ص ٥٢ • وهناك روح آخر اسمه « هوايت هوك » ، يهيب بالناس قائلا : يجب أن نتحد في هذه الحركة في هذا الدين الجديد (!) وأن تسودنا المحبة ، وأن تكون لنا القدرة على الاحتمال والتفاهم ••• رسالتي ـ أي دعوة « هوايت هوك » زميل سلفر برش» ـ أن أواسي المحروم وأساعد الانسان على تحققه في نفسه مع الله سبحانه • الانسان اله مكسو بعناصر الأرض(!) وهو لن يدرك ما في مقدوره حتى يحس بجزئه الملائكي الالهي ••• » • العدد ١٢٧ من مجلة عالم الروح • ـ • وفي كتاب التوحيد والتعديد الذي أوحى به « سلفر برش » يقول : « ان اليوم الذي تنتشر فيه التعاليم الروحية في عالمكم سيكون فجرا ليوم سعيد •• اذ ستزول الفوارق بين الشعوب وتهدم الحواجز بين الأجناس ، وتذوب

الفوارق بين الطبقات وتتلاقى الأديان حول حقيقة واحـدة كما نبعت من حقيقة واحدة » ص ٥٧ . وهذا المعنى تؤكده مجلة عالم الروح » في العـدد ١٢٦ ، اذ تقول : « ان هذه المنظمة ستكون لـكل البشرية ، وعن طريقهـا سوف يوضح لنا سكان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة ، ويعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته ، وسوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد، وبين العقائد والأديان » . وفي كتاب التوحيد والتعديد ـ تعاليم « سلفربرش» يقول : « اذا كان التعصب للأديان في وهم اقامة المناسك معطلا عن التلاقي في صـعيد واحد ، وهو معـطل فعـلا (!) فان الأديان ليست في المناسـك ، فلتترك البشرية هذا جانبا ، ولتتلاق في مقابلة هذا الأمر الجديد من الاتصال الروحي » . ص ١٨٣ .

وهذا الـكلام المنطوي على استهجان المناسك الدينية واعتبـارها مثار اختلاف البشر هو ما يقـوله الروح الآخر « هوايت هوك » ، اذ يصرح بأن الروحية تحتضن الجميـع ولا تستثنى أحـدا ، يقول النـاس في زمانكم ان الطقوس والفرائض عديمـة النفـع ، ولـكن طقوسي وفرائضي تنحصر في تدريب الناس على تركيز القـوة الروحية » . وظاهر من هـذا التوافق أن مروجي الروحية يعملون لغاية مشتركة ، وأن العبادات المقررة لا وزن لهـا عندهم !!! وتبدو قيمة النصوص الدينية فيما جاء بكتاب التوحيد والتعـديد ، اذ يقول الكاتب دون حياء : « ان القصص الديني عن آدم ونشـأته وزوجه وولده ليس تاريخـا من وجهـة النظر العلمية كمـا يتوهم بعض المتعصـبين للأديان !!! » اذن ما هو يا مسيلمة الجديد ؟

يقول :« انه تكييف تقريبي للعقل البشري عن النشأة ، بدءا من الفرد

ذكرا كان أو أنثى ، وعن تكرار هذه النشأة في عوالمها ، سواء على هذه الأرض ، ومنها كانت النشأة ابتداء ، ومظهرا ، أو بالارتداد من عالم الروح بعثا ... فآدم الحقيقة عليها ، وآدم الخليقة منها ، أمران تصويريان للعقول لايدرك لهما أول ، ولا يعلم لهما كنه ، ولا ينقطع لهما فعل أو وجود » ص١٠١ وهذا كلام ساقط مفتري من أوله الى آخره وهو ترديد لفكرة تناسخ الأرواح وخلود الدنيا ، وانكار الجزاء ، وهو الغاء لرسالات السماء كلها ، وطعن خبيث في قواعدها ومناهجها وأخبارها ووصاياها ... والغريب أن هذا الهدم الديني العام الوافد من أوروبا يتلقاه ناس منا على أنه فجر روحي جديد ، ويقول عنه مستشار قانوني يرأس جمعية اسلامية روحية : « اذا كان الاتصال الروحي في هذا العصر يأتينا ممن أسميناه الغرب ، فان الله اليوم يأتي بالشمس من المغرب كما جاء بها قديما من المشرق » ...

وهذا كلام هزل ، فان هذه الروحية المزعومة حرب على الله والمرسلين ، ولا نشك في أن الحاقدين على الاسلام ، الكارهين لأمته ، المعوقين ليقظته ، هم الذين يدبرون مؤامرتها وينسجون حبالها . وللاستعمار الثقافي أساليب ماكرة خفية لتدويخ الفكر الاسلامي ، وبث الفوضى في جنباته ، والدعوة الى الروحية الحديثة . بعض هذا الهجوم على حقائق الاسلام وتعاليم نبيه ...

واسمع ما يقول الدجال « سلفر برش » ـ وهو الروح المرشد لبعض الجمعيات عندنا ـ في كتابه « الحكمة العالية » : « لا زال المسيح في عالمنا هو أعظم من نعرف ، ولم يحدث قبل يومه أو بعده أن تنزل الالهام الالهي الى الأرض بالقدر الذي نزل عليه » ... ثم يستتبع هذا الدجال

تكذيبه لنبوة محمد ، فيقول : كان عيسى آخر الأنبياء والمعلمين ، ذاك الذي ولد من أبويين يهوديين (!) ص ٥٣ • ثم يزعم أنه صلب ، لأنه بشر بتعاليم تخالف كنيسة عهده ، ص٤٦ • ومن غرائب الروحية الحديثة أنها توافق أخس المذاهب المادية في مواجهة الأديان السماوية والطعن عليها ، خصوصا الاسلام فيقول « سلفر برش » : لا توجد جنة ذهبية ولا جهنم نارية ، انما هذا هو تصور هؤلاء المحدودي النظر ! لا تقيدوا أنفسكم بكتاب واحد ولا معلم واحد ولا مرشد واحد • ـ • فولاؤنا لا لكتاب ولا لدين ولا لعقيدة ، ولكن للروح الأعظم وحده » • ولكي يزين للناس التحلل من عقيدة الايمان بالله، يقول : « حينما ينتقل الانسان الى العالم الآخر فلا عبرة بما كان يظنه أو يعتقده • وانما العبرة بما أداه من خدمات للعالم • ـ • فحينما يهوي الجسم المادي الى الأرض ، فكل عقائد الجنس البشري التي قاتل وجاهد من أجلها طويلا وتفرق شيعا وأحزابا تبدو جوفاء وعبثا لا معنى له ولا هدف • لأن هذه العقائد لم تساعد على تزكية الروح ذرة واحدة » • ص ٢٨ ، ١٢٤ ، ١٤٩ « كتاب الحكمة العالية » • ـ • وينكر سلفر برش فكرة بدء الخليقة ، كما ينكر أيضا فكرة نهاية الخليقة فيقول : « لا أستطيع القول انه يوما ما لم يكن هناك ضوء ثم وجد في اليوم التالي ، ان عالمكم لا زال يحتفظ بفكرة أن الخليقة بدأت على مثال ما ورد في قصة جنة عدن ، هذا ليس صحيحا •

لقد كان هناك تطور في عمل مستمر •

ليس حقا أن الكون كان معدوما ثم بدأ فجأة ، الكون كان دائما موجودا ، نحن نعرف أن الكون لا بداية له ولا نهاية » • ص ١١٠ « كتاب الحكمة العالية » • وهكذا يتضح لنا أن كل ما يقوله دعاة هذه

النحلة الخبيثة من أن دعوتهم تؤيد العقيدة الدينية وتدعمها ، انما هو ضرب من الخداع والدجل ، ويعلنها « سلفر برش » هكذا بصراحة وجلاء فيقول « لا يهم اذا كان الرجل مسيحيا أو كافرا ، المهم هو ما يفعله في حياته ٠

أعطني الرجل الذي لا يعتنق أي دين ، الذي لا يركع لذكر اسم الله ، ولكنه أمين ويحاول أن يخدم ويمد يده للضعيف ، ويساعد الكلب الأعرج ٠ الرجل المملوء شفقة للمنكوبين ، والذي يعاون من هم في ضائقة بحرارة ٠

ذلكم أكثر تدينا ممن ينتسب الى أي دين » ٠ (ص ١٠١) « كتاب الحكمة العالية »٠

وهكذا يروج الالحاد تحت ستار التنويه بمكارم الأخلاق !

كأن الدين عد الفضائل نافلة ٠ أو كأنه لم يتوعد بأشد النكال طوائف الكذبة والخونة ومانعي الخير ، وكارهي الناس !٠٠ ولكن الروحية الحديثة تحتال للقضاء على الدين كله ، وخصوصا الاسلام ، بوضع مبادئها في اطار براق من حب الانسانية والعطف عليها ومن المتاجرة ببعض الكلمات المطاطة في هذا المجال المفتعل ٠ مع أن الانسانية حين تكذب الوحي ، وتنكر المرسلين ، وتهمل أوامر الله ونواهيه ، تنسلخ من فطرتها وتهوي الى أسفل سافلين ٠ وما قيمة العالم كله يوم يجهل ربه ، ويهمل هداه ؟ ٠ ونتساءل : أرواح من من الموتى هى التي تبنت ابلاغ هذه الرسالة الخسيسة لأهل الأرض ؟ ـ ٠ أرواح الصالحين من المؤمنين ؟ كلا ، فهؤلاء عرفوا الله عن طريق موسى وعيسى ومحمد ، فيستحيل أن يخرجوا على كتبهم

ويتنكبوا طريقهم . ولو أتيحت لهم ـ جدلا ـ فرصة العودة الى الأرض ، والعودة اليها بعد الموت مستحيلة ، لما دعوا الناس في هذا الزمان الا الى اتباع محمد ، والأخذ من قرآنه وحسب ؟

أهي أرواح الفجرة من العصاة ؟ كلا ، فهؤلاء بعد ما غادروا الحياة ملكتهم حسرة قاتلة على زيغهم أيام الدنيا ، ثم هم في أيدي حراس غلاظ شداد ، قد أمسكوا بخناقهم ، توطئة لحساب شاق ؟

فكيف يتصور أنهم عادوا الى الحياة الدنيا عن طريق الاتصال الروحي يستأنفون التزوير والتضليل ؟ اننا لا نشك في أن مبادىء هذه الروحية الحديثة هي من عبث مردة الجن ، الذين استغفلوا نفرا من أبناء آدم ، واصطادوهم الى هذه المجالس ، مجالس الأشباح والأوهام ، مجالس تحضير الأرواح ، كما يقال ، ليملوا عليهم هذا المنكر من القول . وما أكثر عبث الجن بالانس ، وأوسع طرقه ، ولذلك يندد القرآن الكريم بأطراف هذه الفتنة فيقول : « ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس ، وقال أولياؤهم من الانس : ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا ، قال : النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ، ان ربك حكيم عليم » . ولا غرو ، فان الشيطان يستحلي اغواء بني آدم ، كما يستحلي أبناء آدم أكل السحت وارتكاب الزنا ؟ وعقبى هذه المتع كلها جهنم ... وفي عصرنا هذا أخذت سخرية الشياطين من البشر هذه الطريقة التي لم تؤلف من بدء الخليقة . ـ . فطلع علينا من يزعم أن أرواح الموتى اتصلت به لكتابة ونشر دين جديد للناس . واستمعنا الى أبواق الظلام ، فاذا هي تجدد الوثنيات القديمة ، وتحارب هدايات الله ، وتصد عن قرآنه

العظيم ، الكتاب الذي استوعب الوحي كله ، والأثر الفريد الباقي في القارات الخمس يقود الى الله ويقدم لعباده الحق الخالص النقي .

★ ★ ★

ولئن كنا نستنكر التعلق بما يسمى مجالس تحضير الأرواح على الأجانب الجهلة بالاسلام ، اننا لنستغرب من بعض المسلمين عدم مبالاتهم بالموضوع ونتائجه ، فربما سمح أحدهم لنفسه ـ طمعا في استكشاف غيب ، أو ابراء مريض ـ أن يحضر هذه المجالس ، وربما وضع الجن له طمعا في كلمة تصدق أو حاجة تقضى فيلقى لها زمامه كله ، فاذا هو بعد حين ناكب عن الصراط المستقيم . ـ . وللجن قدرة أبعد مدى من قدرة البشر ، انهم يغزون الفضاء بطاقاتهم العادية من زمان قديم ، ولكنهم لا يعلمون الغيب .. وما يكون غيبا أحيانا بالنسبة لنا قد يكون عيانا بالنسبة لهم ، والحدأة لا تعلم الغيب اذا كانت ترى من الجو مالا نراه نحن تحت أقدامنا ..

فاذا استطاع شيطان أن يعرف بعض ما نجهل ، عن الأشخاص أو الأشياء ـ وهي معرفة محدودة وقد تكون مغلوطة ـ فليس هذا علما بالغيب وبالتالي ، فان ما يثرثر به في مجالس التحضير لا يدل على شيء ذي بال ، ولا يسوغ أبدا أن يكون ذريعة لترك ما نعلم من شرائع الاسلام ... لكن هذه المجالس ، للأسف ، ولدت لنا في هذا العصر مسيلمة آخر ، وسجايا أخرى ، والجنون فنون ... اننا نحن المسلمين نؤمن بالمادة وبما وراء المادة، نؤمن بالحياة الحاضرة وبالحياة المقبلة ، ولايماننا مصادر وثيقة من كتاب معصوم وسنة مضبوطة ، ولا يليق بنا أن نأذن للأوهام بأن تتسرب الى هذا الايمان ... ثم أن الأحكام الشرعية عندنا تفرق تفريقا حاسما بين اليقين

العلمي ، والظن العلمي ٠٠ وهي تستبعد ابتداء الرؤى ، والالهـامات ، من مصادر المعرفة الشرعية العامة ٠٠ والعيب المأخوذ على بعض المتدينين ، والذي قد يصيب الدين نفسه اصابة جسيمة ، أنهم يخلطون في سلوكهم وفهمهم بين الرأي و اليقين ، أو بين الأحلام والحقائق ٠٠٠ ونحن ننصـح المسلمين أن يحذروا على أنفسهم من هذا الخلط ، والله ولي التوفيق ٠

أوليـــاء الله حقا من وصفهم في كتابه

س ـ أهل زماننا يطلقون لقب الولاية على كل من بنيت فوق قبره قبة ، وعلى من ظهرت على يده خوارق ولو من قبيل السحر أو الشعوذة ، وقد يحصرونها في طوائف مخصوصـة وعقـولنا لا تقبل مثل هـــذه الأقوال ٠ غير اننا لا نرضى لأنفسنا الجرى وراء الظنون ، بل لا بد أن نصدر عن دليل من كتاب ربنا في شان هؤلاء الأولياء ٠ فنسال : من هم الأولياء بحق ؟

ج ـ ولي الله ـ هو المؤمن ـ المطيع والمحب لله ـ والنـاصر لدين الله ـ وجمع الولي : أولياء وقد وصف الله أولياءه بأوصـاف ، فمن وجـدت فيـه فهو الولي ، ومن لا ـ فلا ـ ٠ وأما خلع لقب الولاية على من بنيت فـوق قبره مقصورة أو قبة ، فلا يصـدر الا ممن فسـدت فطرته ، وجمد فكره ، وممن ساقه التقليد الأعمى، والانخداع بالمظاهر الخلابة ، والأقوال البراقة، وهذه نصوص الكتاب المبين تريك في وضوح من هو ولي الله حقـا ؛ قال تعالى : « ألا ان أوليـاء الله لا خوف عليهم ولا هم يحـزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » ٠ وهم الذين وصفهم في سورة التوبة بقوله : « التـائبون ، العابدون ، الحامـدون ، السـائحون ، الراكعـون ، السـاجدون ، الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين ،

أولياء الله هم الذين « اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا(١) • وهم الذين « اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم »(٢) • أولياء الله هم الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون » • أولياء الله هم الموصوفون بأنهم « أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود » • فتراهم مع بعضهم كالولد مع والده ، والعبد مع سيده • ومع أعدائهم كالسبع على فريسته ، فهم رهبان بالليل ، فرسان بالنهار • أولياء الله هم الذين اشترى الله منهم « أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » • أولياء الله هم الذين ذكرهم في سورة الفرقان بقوله : وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما ، والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله الها آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ، ولا يزنون » الى قوله « والذين لا يشهدون الزور ، واذا مروا باللغو مروا كراما ، والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ، والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين اماما ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية

---

(١) من سورة مريم • (٢) من سورة الأنفال •

وسلاما » • ومن سورة الأنفال : « ان أوليـاؤه الا المتقون ، ولكن أكثرهم لا يعلمون » • وبالاجمال فأولياء الله حقـا هم الذين اتقوا كل مالا يرضي الله من ترك واجب ، ومندوب ، ومن فعل محرم ومكروه • هذا مع فعـل ما أوجب الله على عباده في الكتاب الكريم ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ها هم أولياء الله حقا كما وصفهم في كتابه ، لا من خالفوا أمرالله واتبعوا الشهوات ، واكتفوا بالرسوم الفارغة ، والألقـاب الجوفاء ، وادعوا للأولياء مالا يكون الا لله ، من علم الغيب ، والتصريف في الكون ، واغاثة المكروب ، بغير الأسباب المشروعة • ـ • هذا ولعلك أيها السائل فهمت مما سقت لك من أدلة تتبين منها عن الأولياء حقا من هم ؟ وبذلك تعرف الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، وما به يتميزون عن أولياء الرحمن •

أولياء الشيطان وما به يتميزون عن أوليـاء الرحمن

س ـ هل للشيطان أولياء ؟ ـ وهل وصفهم الله في كتابه ؟

ج ـ فكما أن للرحمن أولياء يتولونه بالطاعة • فللشيطان أولياء يتولونه بالطاعة • وهم بحق سبب اغواء الكثيرين من عبـاده • وقد وصفهم الله في كتابه فقال في سورة الأعراف « انهم اتخذوا الشياطين أوليـاء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون » وقال في سورة الأعراف أيضا :« انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » وقال في سورة النساء : « فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا » وفي سورة الكهف : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ، وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا » وفي سورة العنكبوت : « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » • ـ •

س ـ بماذا يتميز أولياء الشيطان عن أولياء الرحمن ؟

ج ـ لأولياء الشيطان علامات كثيرة يمتازون بها ، ولا تلتبس الا على الجاهل ، أو المقلد الأعمى أهمها : مخالفة ما جاء عن الله ، والتجافي عن سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انتحال بدع ما أنزل الله بها من سلطان، مع تأييدهم لها ، ووقوفهم في وجه المنكر عليهم ، وقوف المستميت المدافع عن دينه ، أو ماله ، أو عرضه وحرمه ، وأصدق دليل نفرتهم من التحاكم الى كتاب الله وسنة رسوله عند وقوع الاشتباه ، وعدم التسليم والرضا لما جاء عن الله هادما لمعتقداتهم ، أو مخالفا لأفعالهم . ـ . فهل يعقل أن يأبى ولى الله التحاكم الى كتاب الله والى سنة رسول الله ؟. وهل يليق بولي أن يتخذ المستحدثات دينا يدين الله بها ؟ وهو يتلو قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وهل نسلم بمن يعمل للظهور ويصرح بأنه ولي لله ؟ وبأنه من أهل التصريف والاذن المطلق ! ؟ وهل نسلم بأن للأولياء كرامات تحتارادتهم ، متى أرادوها فعلوها ؟ وهل هناك ما تدرك به الولاية ، سوى كمال المتابعة لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم والحرص على تنفيذ مافي الكتاب والسنة ، والرضا بحكم الله ظاهرا وباطنا . هل هناك ما تدرك به الولاية غير هذا ؟ نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ؟ ـ .

حول كرامة الأولياء

س ـ يقولون : ان الدليل على معرفة الولي : ظهور الخوارق على يديه ؟

ج ليس ظهور الأمر الخارق دليلا على الولاية ؛ لأنه قد يكون من باب السحر ، وقد يكون من باب التمويه والخداع ، وقد يكون من باب

الاستدراج ، فعلامة الولي فقط ، هي ما ذكره الله في القرآن ، وهي تقوى الله ظاهرا وباطنا ، أما ظهور الأمر الخارق : فان ظهر على يد ولي لله حقا فهو كرامة ، ولكنها لا تكون الا بارادة الله ، لا بارادة الولي ، وليس في استطاعة الولي الاتيان بها قطعا . ولقد افترى وشذ من قال : ان الكرامة تتبع ارادة الولي واختياره .ـ. ولالتباس الكرامة بالسحر والشعوذة على العامة وعدم التفريق بينها وبين الطلاسم : لم يكلف المسلم اعتقاد كرامة معينة ، من ولي معين . بل له أن يصدق في الاجمال بثبوت الكرامة لاغير. ولم يكلف الله العباد بتصديق غير الأنبياء في الخوارق . ولالتباس الكرامة بالسحر أنكرها أبو اسحاق الاسفراييني ، من علماء أهل السنة الأشعريين ، ولم يكفره أحد . ذكر هذا النشاشيبي في كتابه : (الاسلام الصحيح) وجاء فيه أيضا : ثم اذا اعتبرنا الضررين : ـ الضرر الذي ينشأ عن انكار الكرامة ، والضرر الذي ينشأ عن الاعتراف بالكرامة من أصحاب السحر والشعوذة ؛ فضرر الاعتراف بالكرامة أشد . وبسبب ذلك صارت العامة تخدم جميع أصحاب الخوارق والمشتبه في أنهم أولياء . حتى لقد بلغ من اعتقاد العامة هذا، أنهم نسبوا اليهم حصول الخير لمن يواليهم ، وحصول الشر لمن ينكر عليهم. وكادوا يكفرون بسبب هذا الاعتقاد ، اذ أن اسناد الحوادث من المصائب ونحو ذلك من الخير والشر الى غير الله كفر صراح والعياذ بالله . فصار الخوف من الأولياء أكثر من الخوف من الله ، وهذا كفر عظيم والعياذ بالله ، وقد جر هذا الاعتقاد الى الحلف بهم وبمقاماتهم وهو كفر ، لأنه ناشىء عن تعظيمهم ، ولولا التعظيم ما حلفوا بهم .ـ. وبالجملة ان افتتان الناس بالكرامة والأولياء تجاوز الحد وبلغ سيله الربى ، فيجب على الناس أن

يخففوا من غلوائهم في تصديق الكرامات ، وأن لا يجزموا بتصديق خارق معين انه كرامة ، وأن من جرى على يده ولي لما قدمناه • وقال الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية سابقا رحمه الله في هذا المعنى ، من رسالة التوحيد ما نصه : « وانما الذي يجب الالتفات اليه هو أن أهل السنة وغيرهم في اتفاق على أنه لايجب الاعتقاد بوقوع كرامة معينة على يد ولي لله تعالى معين بعد ظهور الاسلام ، فيجوز لكل مسلم بالاجماع ـ أي باجماع الأمة ـ أن ينكر صدور أي كرامة كانت من أي ولي كان ، ولا يكون بانكارها هذا مخالفا لشيء من أصول الدين ، ولا مائلا عن سنة صحيحه ، ولا منحرفا عن الصراط المستقيم • انتهى •ـ• أين هذا الأصل المجمع عليه مما يهذي به جمهورالمسلمين في هذه الأيام ، حيث يظنون أن الكرامات وخوارق العادات أصبحت من ضروب الصناعات ، يتنافس فيها الأولياء وتتفاوت بها هممهم، وكأنهم يملكون القدرة عليها ، وهو مما يتبرأ الله منه ، ودينه ، وأولياؤه ، وأهل العلم أجمعون •ـ• ا هـ •• ومن المعلوم لدى أهل العلم الصحيح أن تلك الادعاءات استعملها الباطنية من الاسماعيلية ، والرافضة ، الدائنين بالحلول والباطن ، فتغالى غلاتهم في ذلك حتى قالوا : ان الولاية أفضل من الرسالة وحتى أن شاعرهم وهو محيي الدين بن العربي « دفين الشام » نسب اليه أنه قال :

مقـام الولاية في برزخ   فويق الرسـول ودون النبي

وقد أحدث ابن عربي هذا ـ القول بالقطب • وهذا ابن عربي يسميه غلاة الصوفية « الشيخ الأكبر » • أما أهل الكتاب والسنة فقد لقبوه بالمجنون

وهم على حق في تلقيبهم له بهـذا اللقب ، لأن قوله في الولاية والكشف ، يشبه كلام المجانين سواء بسواء ٠

ولكي لا أنسب الى الغلو في قولي هذا ـ أسـوق الدليل الواضـح من قوله فيما هو قطرة من بحر في كتابه المسمى بالفصوص ٠ـ٠ قال في تفسير قوله تعالى من سورة البقرة : « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنـذرهم لا يؤمنون ٠ ختـم الله على قلوبهم وعلى سـمعهم وعلى أبصـارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » كمـا جاء بالحـرف ـ قوله تعـالى : « ان الذين كفروا » « سـواء أأنذرتهم أم لم تنذرهم » اسـتوى عندهم انذارك وعـدم انذارك لما جعلنا عندهم (لا يؤمنون بك ولا يأخذون عنك انما يأخذون عناه « ختم الله على قلوبهم » فلا يعقلون الا عنه « وعلى سمعهم » فلا يسمعون الا عنه « وعلى أبصارهم غشاوة » فلا يبصرون الا اليه ، ولا يلتفتون اليك والى ما عندك بما جعلنا عنـدهم وألقينـا اليهم ٠ « ولهم عـذاب » من العـذوبة (عظيم) ـ ا هـ ـ ٠ فانه بهذا التفسير قد جعل الذين كفروا أولياء ، لأنهـم يحبون الله ، فكفروا ، أي ستروا محبتهم ، وأنهم لا يؤمنون بمحمد صـلى الله عليه وسلم ، ولا يأخذون الا عن الله ٠٠ وصرح بهـذا وهو معنى شعره المتقدم « ان الولاية أفضل من الرسالة ، على أن جهة الولاية مقدمة على جهة الرسالة ٠ ولهذا أفتى كثير من العلماء بكفر ابن عربي ، لمخالفته لما عليه سلف الأمة ، وخرق نصوص الشريعة الاسلامية ٠ انتهى نقلا عن كتاب (صيحة الحق) لمؤلفه (محمد درويش) رئيس أنصار السنة المحمدية بسوهاج سابقا رحمه الله تعالى ٠

س ـ يستشهد الغالون في ادعاء الكرامة للأولياء طوع ارادتهم بقولهم « ما صح أن يكون معجزة لنبي ، فيصح أن يكون كرامة لولي » ومنهم من يقول عن هذا الخبر ، انه حديث نبوى ، فهل لهم على قولهم هذا دليل من كتاب أو سنة ؟

ج ـ ليس لهم دليل على قولهم هذا ، لا من كتاب ولا من سنة ، بل هو من الرجم بالغيب ، ومن الأمر الذي يتحاشي عن قوله كل مؤمن ـ فخوارق العادات التي تظهر على يد مدعي النبوة كانت لاعجاز من في زمانهم من المضادين لهم ، وتكون في الغالب من جنس ما هو شائع بينهم ، فكانت معجزة موسى العصا واليد ؛ لأن السحر كان فاشيا ، ويتبارى فيه ـ٠ ومعجزة عيسى ابراء الأكمه(١) ، والأبرص ، وهو من جنس ما هو فاش في ذلك الوقت ، وهو الطب ـ٠ ومعجزة نبينا الخالدة القرآن ٠ كانت من جنس ما يتفاخر العرب به في ذلك الوقت ، وهي الفصاحة والبيان والبلاغة٠ حتى كانوا يعقدون لذلك مواسم ٠ وقد تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا ، وذلك لما أنكروا كونه من عند الله ، فلما لم يستطيعوا وعجزوا عن الاتيان بمثل ذلك سمي معجزة ٠ وبهذا تعلم أن كرامات الأولياء ليست كمعجزات الأنبياء ٠ لأن معجزات الانبياء تكون بعد التحدي ، وتكون من المعجز حقيقة ، التي لا يتسنى على يد غير النبي ظهورها ٠٠ وما نتج ذلك الادعاء من الناس في شأن كرامات الأولياء الا لما غلوا في محبتهم ، وأفرطوا في صفاتهم ، فبنوا تلك العقائد الخاطئة التي ذكرتها لجهلهم ٠ فالكرامة من صنع الله لا من صنع الأولياء ـ٠ ومن عجب أن الغالين في الاعتقاد فيهم، نسبوا اليهم مالا يليق الا بمقام الربوبية المحضة ٠ فادعوا لهم علم الغيب ،

---

(١) من ولد أعمى ٠

ناسين قول الله في سورة الأنعام : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » • وقوله في سورة الجن : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول » • ولعظم جهل الناس ينسبون الى الموتى مالا يقدرون على فعله في حياتهم الدنيا ، مما لا يتاح للبشر ولا دخل له في طوع امكانهم • وأما خوارق العادات للأنبياء فجائزة كمعجزة لمن يكذبهم ، ولمن شك في نبوتهم، مما يؤيد دعوتهم الدينية • مع الاعتقاد بأنها ليست من صنعهم ، ولا مما يبلغه علمهم ، أو تناله قدرتهم ما لم يؤيدهم الله تعالى بها •

معجزات الأنبياء ليست من صنعهم

س ــ ذكرت في آخر الرد على السؤال الآنف : على أن معجزات الأنبياء ليست من صنعهم ، ولا مما يبلغه علمهم ، أو تناله قدرتهم ــ فهل من دليل تقيمه على ذلك ؟

ج ـ ان لدي أدلة كثيرة لا دليلا واحدا ، وهي من كتاب الله سبحانه لا من غيره فاستمع لها : قال تعالى في سورة الأنعام : « قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم ، والله أعلم بالظالمين » • قال تعالى : « وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون » • وقال : « واقسموا بالله جهدا أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات عند الله ، وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون(١) • وقال تعالى : « قل اني على بينة من ربي و كذبتم به ، ما عندي ما تستعجلون به ، ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين» وقال تعالى : « ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه ، فقل انما الغيب لله ،

(١) من سورة الأنعام •

فانتظروا اني معكم من المنتظرين » وقال تعالى : « فلعلك تارك بعض مايوحى اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل » وقال تعالى : « قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ؛ وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله » • وقال تعالى في سورة الاسراء : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي ! هل كنت الا بشرا رسولا » •-• فالحاصل من معنى الآيات : أن المعجزات من عند الله يظهرها على أيدي الأنبياء متى دعت الحاجة اليها • ألم تر الى نبي الله موسى كيف أوجس في نفسه خيفة وولى مدبرا ولم يعقب حين أمره الله أن يلقي عصاه ، فألقاها فاذا هي حية تسعى ؛ أتراه يخاف مما صنعت يداه ؟ ويفزع من شيء عمله بنفسه ؟ لو أن المعجزة من عمل موسى ما اعتراه شيء من الفزع ، وللبث مكانه رابط الجأش مطمئن القلب !! وعسى أن تكون الآن قد اطمأنت نفسك الى أن المعجزة والكرامة من صنع الله وليس للأنبياء ولا للأولياء فيهما من أثر •

ونعجب من كون هذه الخوارق التي يدعيها المسلمون اليوم للأولياء ، لم تظهر في زمن الصحابة الذين هم أشد تمسكا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالمسارعة الى فعل الخيرات ، مع الورع الشامل ، واليقين الكامل • فما بالها لم تظهر على يد أبي بكر أو عمر أو عثمان أو على يد بقية

العشرة المبشرين بالجنة ؟ فهل الأولياء الباقون أعظم قدرا عند الله من الخلفاء الراشدين ، حيث أكرمهم بالقدرة على اظهار الخوارق ، واختصهم بهذه الخصوصية ، أم هل هناك شيء منع ظهور تلك الخوارق على أيدي الصحابة الكرام ؟ أم ماذا ؟ •

س ـ يزعمون أن الناس في هذا الزمان أحوج الى ظهور الخوارق لضعف ايمانهم ؟

ج ـ هذا يحتاج الى دليل ، ولكن الصواب : أن ضعف الايمان هو الذي جعل تلك الشائعات الباطلة ، والخرافات المرذولة مقبولة ، وانه ماترك المنتحلين لها يقدمون على انتحالهم اياها والترويج لها ، سوى قلة الايمان وضعف اليقين • ولو أن شيوعها وتدوينها زاد من يقين الناس في ربهم ، وفي تمسكهم بدينهم وظهرت آثارها في انقيادهم الى ما قال الله ورسوله ، لميزنا بين ما يقبله الدين منها ومالا يقبله ، هذا ـ واننا لم نعد في زماننا هذا محتاجين لمثل هذه الأباطيل والسخافات ، لأنه لم يعد ينخدع بها سوى السذج والبسطاء من الذين لا فهم لهم ، ولا علم عندهم ، فالزمان زمان جد وعمل وتضحية ، لا زمان خداع وختل،الزمان زمان مخترعات هي بالمعجزات أشبه ، لا زمان اشاعات وأكاذيب •

حديث علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل

س ـ قد يستدل القائلون على دعواهم الخوارق للأولياء بحديث : « علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل » • هذا الحديث الذى طالما سمعناهم يرددونه كدليل على جواز حصول الخوارق على أيدى المشهورين لديهم بالولاية ، فما درجة هذا الحديث من الصحة ؟ وهل يصح الاستدلال به؟

ج ـ حديث علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل : « لا يصح الاستدلال به لأنه حديث موضوع كما ذكره غير واحد من الحفاظ ، فلا يغترن أحد بذكر بعض الصوفية قصار النظر له في كتبهم ، وتعليقهم عليه بما لا طائل تحته • فان مقام الأنبياء لا ينال لغيرهم ولو بلغت أعماله الصالحة عنان السماء ، بل ومقام الصحابة لا يناله غيرهم ، فضلا عن مقام الأنبياء أنفسهم • ويدل لذلك ما روي في البخاري من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » • فاذا كان مقام الصحابة لا ينال لغيرهم ، فكيف بمقام الأنبياء أنفسهم ؟؟ دعوا عنكم سماع هؤلاء ، وارموا بقولهم هذا وراء ظهوركم ، وذلك لفساده من كل الوجوه •

فمن أنبياء بني اسرائيل : داود ، وسليمان ، وموسى ، وهارون ، وعيسى ولا يخفى ما اختصهم الله به من الرتب العليا ، والمزايا العظمى؟ فهل يبلغ عالم رتبة داود الذي ألان الله له الحديد ؟ أو سليمان الذي وهبه الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ولو لنبي ؟ أو موسى الذي كلمه الله بلا واسطة ، وأعطاه من المعجزات الباهرات تسع آيات لن يتسنى لعالم حصول واحدة منها ؟ وفلق له البحر ونجاه من عدوه ، الى غير ذلك ؟ وعيسى الذي خلقه الله من روحه ، ورفعه الى السماء ؟ فهل يبلغ عالم من علماء هذه الأمة درجة من ذكرنا ؟ ولو كان الأمر كما ذكر ؛ اذا لادعى النبوة كل عالم ، فما هذا الضلال يا ترى ؟ ؟

س ـ ويحتجون أيضا بحديث : « الآبدال في هذه الأمة ثلاثون ، قلوبهم على قلب خليل الرحمن كلما مات رجل أبدل مكانه رجل » رواه الامام أحمد عن عبادة بن الصامت ، ويروى أربعون رجلا • فهل يصح هذا الحديث ؟

ج ـ لم يصح هذا الحديث ، وطرقه كلها ساقطة ، لا يعول عليه ، كما ذكره ابن حجر وغيره ، وقد ولع بهذا الحديث المتصوفة بدون تحقيق ، على عادتهم في تعلقهم بحبال العناكب وانهماكهم في حب الأوهام ، والخيالات الغريبة •• وعلق عليه الشيخ أحمد محمد سوركتي ناظر مدارس الارشاد بجاوة سابقا بقوله رحمه الله : « أظن واضع هذا الحديث من ملاحدة الباطنة• ومعناه مأخوذ من خرافات اليونانيين القدماء كما يروى وان بدلوا اللفظ والعدد •• انتهى نقلا عن الجزء الأول من مجلة الذخيرة لشهر محرم ١٣٤٢ ـ هـ لمنشئها الشيخ أحمد محمد سوركتي • وربنا جل وعلا غني بذاته عن العالمين من كل وجه ، فلا يحتاج الى من يعينه في تدبير ملكه ، لا أوتاد ولا أقطاب ولا أغوات • هذا ـ وواضعوا مثل هذا الحديث : يروجون بضاعتهم المزجاة • وقال ابن الجوزي : « جميع الأحاديث التي وردت في الأبدال كلها ضعيفة • وذهب ابن تيمية الى أن طرق هذه الأحاديث ساقطة لا يعول على شيء منها • وقال السخاوي والشيباني : له طرق عن أنس كلها ضعيفة •

واذا علمت ذلك فلا تغترن بأمثال هؤلاء وما هم عليه من ادعاء الولاية والكشف والتصريف في الكون ، واظهار الأمور الخارقة ، ولو مشى على

الماء أو طار في الهواء ، فان ذلك لا ينفعه ، وكل من خالف مولاه ، فهو متبع لهواه ٠ ـ وقد زعم البعض ممن لا بصيرة لهم بأن هناك مرتبة اذا بلغها الولي سقطت عنه جميع التكاليف الشرعية ٠ وقد كفانا الرد على هؤلاء حجة الاسلام محمد بن محمد الغزالي ، الطوسي حيث قال : « لو زعم زاعم أن بينه وبين الله حالة أسقطت عنه التكاليف الشرعية فلا شك في كفره ، وقتله أفضل عند الله من قتل سبعين كافرا ، لأنه يغر الناس بظاهره ٠٠ انتهى ما قاله الامام الغزالي رحمه الله ٠

مزاعم الذين يستغيثون بالأولياء ويتقربون اليهم بالنذور

س ـ ان للمستغيثين بالأولياء والمتقربين بهم الى الله مزاعم يروجون بها مزاعمهم كقولهم ٠ اننا لا نفعل ذلك الا تقربا الى االله لاعتقادنا بأنه المؤثر حقيقة ، وانه بيده وحده الأمر كله ، وان لا ضار ولا نافع الا هو ، وانما لقربهم من الله بالطاعات فعلنا معهم ما ذكر ، لنجعلهم وسائط بيننا وبين الله ، معتقدينبأن الأشياء كلها من الله واليه ، وأن ما شاء كان ، وما لم يشأ لميكن ٠ فما وجه هذا الادعاء ؟ وهل نسلم به ٠

ج ـ انه ادعاء واه لا ينبغي لعاقل أن يتعلق به أو يدعو اليه ، لأن الاستغاثة بالأولياء الميتين والغائبين غير جائزة بحال من الأحوال ٠ـ٠فاستغاثة بمن لا يرى ولا يسمع ، ومن لا يقدر على نفع نفسه ، ودفع الضر عنها ؛ لا يصدر الا ممن طمس الله عين بصيرته ، وأنساه الشيطان ذكر ربه ٠ ـ ٠ أما استغاثة الحي بالحي الحاضر فيما يقدر عليه فجائزة لقول الله تعالى في حق موسى عليه السلام : « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه(١) » فهذا من الجائز ، ولأن الله أمر بالتعاون على البر

(١) من سورة القصص ٠

والتقوى . وجاء في الحديث الأمر بنصرة المظلوم ، والأخذ على يد الظالم ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما » ومعنى نصره ظالما : ردعه عن ظلمه . وأمثال هذا كثير . ـ . أما الاستغاثه بالأموات وبالغائبين فمما لم يسوغه الشرع ، ومما لم يأت عليه دليل لا من كتاب ولا من سنة . ـ . ويجب أن نستغيث عند الاضطرار ، ونلجأ عند الحاجة الى من يسمع ويرى ، ومن هو أقرب الينا من حبل الوريد ، والى من بيده ملكوت كل شيء . هذا هو الحق ، وذلك هو الصواب . كيف وقد نهينا شرعا عن دعاء غير الله ، وعن الالتجاء الى سواه . وعن الاعتصام بحبل غيره ، في غير ما آية . قال تعالى : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا(١) . وقال: « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين(٢) » وقال : « فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين(٣) » . وفي سورة الرعد : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال » . ـ . وقول من يفعل ذلك مع أصحاب القبور : اننا نعتقد أن المؤثر هو الله ، غير أننا نعتقد فيهم لقربهم من الله ، فنفعل ذلك معهم كوسطاء . فقول هراء باطل ، وغرور غرهم به الشيطان ، وقولهم هذا مشابه لقول المشركين كما حكي في سورة الزمر : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » . فدل قولهم هذا : على أنهم لا يعتقدون فيهم الضر والنفع وغير

---

(١) من سورة الجن . (٢) من سورة الأحقاف .
(٣) من سورة الشعراء .

ذلك ، بل هم يعتقدون أن ذلك لله وحده ، وانما جعلوهم وسطاء فقط • أفيرضى المؤمن التشبه بقوم عصوا الله ورسوله ؟ ـ فما داموا يعتقدون أن المؤثر هو الله وحده ، وأن المدعوين من دونه لا يملكون نفعا ولا ضرا ، فحري بهم أن يعدلوا عنهم الى من يملك لهم ما أرادوا ، وهو الله وحده لا غيره • فالله سبحانه غني عن الوسطاء •

س ـ يقولون : ان من له حاجة الى ملك مثلا نراه يتوسل اليه في قضاء حاجاته بوسيط أو وسطاء ، وشفعاء ـ ونحن نجعل الأولياء كوسطاء وشفعاء لا غير ؟

ج ـ لقد جانبهم الصواب وأعماهم التعصب للتقليد الأعمى ، حيث شبهوا الله سبحانه بملوك الدنيا ، وغفلوا عن قوله تعالى : « وهو معكم أينما كنتم » وقوله : « واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » وقوله : « ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم •• الخ » وقوله « يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويعلم السر وأخفى » • وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » • ـ • أفيليق بمن هذا حاله جل وعلا أن يشبه بالملوك العاجزين عن تدبير ممالكهم ، والذين لا يعلمون من أمر رعيتهم الا مابلغهم عن طريق وسيط ، أو مكتوب كما ذكرت • والذين كثيرا ما يجري منهم الظلم ، أو تخفيف العقوبة ، أو تخفيض مدة السجن ، الى غير ذلك ؟ انه لا يستوي بين الخالق والمخلوق ألا من طمس الله بصيرته ، وأعمى عين قلبه •

وصحيح أن المغالطين والسوفسطائيين من أشباه الأنعام ، ومن ذوي العلم الناقص يقولون بذلك • غير أنه لا يقوم لهم فيه عذر عند الله • قال

تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسئولا (١) » . والقائل سبحانه : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار(٢) » . ويعلم من ذلك أن من شبه الله خالقه بالمخلوقين من وجه أو وجوه ، فهو مشرك والعياذ بالله . لأنه ساوى في عمله المشركين القائلين في معبوديهم : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » والقائلين : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » وما دام لنا شرعا بينا فلا ينبغي أن نتخذ شرعة المشركين شرعة لنا .

س ـ أولئك الذين ذكرت مشركون . لم يعبدوا الله ، ولم يستجيبوا لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم . أما هؤلاء فمقرون بوحدانية الله تعالى ، ويصلون ، ويصومون ، ويحج المستطيع منهم البيت ، ويزكون أفيستوون مع المشركين ؟

ج ـ ماذا نقول فيمن عمل عمل المشركين ، وشابههم في أفعالهم ، واعتقد معتقداتهم ؟ أفنقول عنه : انه مؤمن ، وعلامات الشرك فيه ظاهرة ، ظهور الشمس في رابعة النهار ؟ بعد أن وضح له الدليل ، وبان له السبيل ، أفنغالط أنفسنا في تسميته موحدا بحجة أنه يصلي ويصوم ويزكي ويحج ! والحال أنه يعمل بعملهم !!. اننا ان قلنا بذلك فقد غالطنا عقولنا ، وخالفنا أمر ربنا القائل في سورة النساء : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا » وفي سورة البينة : « وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » . ـ . فالدين القيم هو اخلاص العبادة لله وحده .

---

(١) سورة الاسراء . (٢) سورة هود .

والشرك في الأصل هو : أن يوجه العبد أي نوع من أنواع العبادة لغير الله تعالى ، أو أن يعتقد أن لغير الله تأثيرا فوق ما وهبه الله من الأسباب الظاهرة ، أو أن لشيء سلطانا على ما خرج عن قدرة المخلوقين ! وهو اعتقاد من يعظم سوى الله مستعينا به فيما لا يقدر عليه المخلوقون . ومن أنواعه : أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كحب الله ، وينسب اليه من التدبير والتصريف مالا يقدر عليه الا الله . ويتقرب اليه بأنواع العبادة التي لا يتقرب بها الا الى الله . فيخر له ساجدا ويطوف حوله ، ويقبل ضريحه ، ويلتمس منه جلب الخير وكشف الضر ، ويقف بين يديه خاضعا ذليلا ضارعا . ـ . فمن شابه المشركين في أفعالهم تلك صار مثلهم . وذلك لأنه حصل منه ما حصل منهم . ـ . وصلاة هؤلاء التي لا تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ، وصيامهم الذي ليس لهم منه الا الجوع والعطش . وزكاتهم التي ليس لهم منها الا مدح الناس لهم بالجود والكرم . لا تعد فارقا بينهم وبين المشركين الا في الظاهر . فلندع الغرور بالظواهر ، فقد ورد في الحديث : « ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم ».

س ـ كيف يستوون مع الكفار وهم لا يعلمون أن التجاءهم الى الأولياء ، واعتقادهم فيهم نوع من الشرك . بل انهم اعتقدوا فيهم لقربهم من الله بطاعته ؟

ج ـ هذا من الجهل بمعنى الشرك . فان تعظيمهم الأولياء بما ذكرت، ونحرهم النحائر باسمهم شرك . كيف والله يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « فصل لربك وانحر » أي صل لربك وحده ، وانحر له لا لغيره ويقول : « فلا تدع مع الله أحدا » على أنه سبحانه قد سمى الرياء شركا ،

فكيف بما ذكرت من الاعتقاد . - . فهذا الذي يفعلونه لأوليائهم ، هو عين ما فعله المشركون ، وصاروا به مشركين . ولا ينفعهم قولهم انهم لا يعلمون أن الالتجاء بالأولياء ونداءهم نوع من الشرك ، وهم مقرون بوحدانية الله تعالى ؟ لأن فعلهم كذب قولهم .

الجهل لا يكون عذرا في اعتناق العقائد الشركية

س ـ هلا نعذرهم لجهلهم بأن ما يفعلونه شرك ؟ وهل يسوغ لنا أن نحكم عليهم بالشرك مع ذلك وهم متحلون بالايمان ، وبفعل شرائع الدين ؟

ج ـ ما دام أنهم عرفوا أن هناك معتقدات ، وأنهم عبدوا الأولياء اعتقادا فكيف نعذرهم في جهل حق خالقهم ورازقهم ومن يدينون له بالايمان والاسلام ، ومن مخلوقاته ماثلة أمامهم ، مع علمهم بأن الأولياء لا يملكون لهم نفعا ولا ضرا . فدعواهم باطلة ، وحجتهم داحضة ، وقد خرج الفقهاء في كتبهم في باب الردة ، أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر وان لم يقصد معناها . وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ، ولا ماهية التوحيد، فصاروا كفارا كفرا أصليا . - . فالله فرض على عباده افراده بالعبادة بقوله : « ألا تعبدوا الا الله » واخلاصها بقوله : « فاعبدوا الله مخلصين له الدين » . وبقوله : « ألا لله الدين الخالص » . - . ومن نادى الله ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، وخوفا وطمعا ، ثم نادى معه غيره فقد أشرك في العبادة ، فان الدعاء من العبادة ، وقد سماه الله عبادة في قوله تعالى : « ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » بعد قوله : « أدعوني أستجب لكم » هذا ـ وقد عقب محمد الغزالي في كتابه « ليس من الاسلام»

بقوله : « قد نجد لهم بعض العذر اذا كانوا بمنأى عن العلماء ، أو كانوا بين علماء خلطوا في الدين ، ولقنوهم خلاف ما أراد الله ، فقبلوه منهم دينا لجهلهم ؟ فهم كمن لم تبلغه الدعوة » انتهى . ـ . وقال ذاكرا فتك الجهل بأربابه : في كتابه (مع الله) مهيبا بأهل الايمان في دفع معرته ، وازاحة الحجاب عنه بقوله : « فان فتك الجهل بالناس ذريع ، وغلبة الأوهام تذهب بهم بددا في كل فج ، وتخيل اليهم أنهم على صواب ، والواقع أنهم موغلون في الضلال ... والسر هو الجهل ، الجهل بأقسامه كلها . من بسيط ، الى مركب ، الى جهالة الطيش والهوى » ... ثم قال : والعلم بحاجة ملحة الى أن ينشط أهل الايمان الصحيح لشرح أصوله ، وابداء صفحته ، ودحض الشبه المثارة حوله ، واستخراج الجهال من الكهوف المطروحين بها ، لتمتلىء صدورهم بأنفاس الحقيقة الرحبة . واستطرد قائلا : « ان حاجة البشر الى العلم الكثير ، كحاجة الأرض المجدبة الى الغيث الهاطل . ـ ولا بد أن يسخر الدعاة جميع وسائل التعليم والايقاظ ، كي ينصفوا الحق ويوصلوه الى الخلق انتهى .

س ـ ماذا يجب عمله ازاء هذا الجهل المطبق بأقسامه كما ذكرت ؟

ج ـ يجب أن يقوم دعاة من العلماء المستبصرين المستنيرين أولي الصبر والأناة والخلق السهل ، والحكمة ، لبث الدين الصحيح ، ولتفنيد ما ألصق به وأدخل عليه ، على ضوء الكتاب العزيز ، والسنة الغراء ، بدون زيادة أو نقص ، ليعود المسلمون الى العمل بكتاب ربهم والاهتداء بهدي رسولهم ، تاركين ما كان عليه الآباء والشيوخ مما خالفوا فيه هذين الأصلين للكتاب والسنة . غير عابئين بالمظاهر الخلابة . والأقوال البراقة . كما أنه يجب

على الدعاة سلوك سبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته ، حتى لا تكون للعوام في النفرة عنهم ، وعدم الاصغاء لأحاديثهم حجة . وأن يأخذوهم بالرفق واللين ، وأن لا يخلطوا كلامهم بذم لآبائهم أو شيوخهم الذين طواهم سجل الدهر ، أو بتوبيخ أو تقريع ، حتى تكون لدعوتهم نتائجها وآثارها الصالحة . ففي الدعوة بالحكمة مع الرفق سر عظيم ، ولهم في رسول الله أسوة حسنة ، اذ كان في دعوته مطبقا قول الله له : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا » . ويقول أيضا : « ما كان الرفق في شيء الا زانه ، ولا نزع من شيء الا شانه » . وكيف وقد أثنى الله عليه بقوله : « فبما رحمة من الله لنت لهم . ولو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك » . وبقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » . غير أنه لا بأس بتقريع وتوبيخ من تمادى في غيه بعد البيان وذلك بالآيات والأحاديث الشديدة الوقع . أما اذا بقي في غيه وعلى عناده ، فيجب نبذه وطرده ، وبغضه ومجانبته . لأن الحب في الله ، والبغض في الله ، من أوثق عرى الايمان . ـ كما ورد ذلك في الحديث الشريف . وعلى الواعظ أن يكون متحليا بالفضائل ، عاملا بما يدعو اليه ، حتى يقبل نصحه ، ويسمع قوله . ولله در أبي الأسود الدؤلي اذ يقول في ميميته مخاطبا المعلم :

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضـ ... ـنى كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ... أبدا وأنت من الرشاد عقيم

لا تنـه عن خـلق وتأتي مثـله عــار عليـك اذا فعلت عظيـم
ابـدأ بنفســك فانهـا عن غيهـا فـاذا انتهت عنـه فأنت حـكيم
فهنـاك يقبـل ما وعظت ويقتـدى بالعـلم منك وينفـع التعلــيم

أما ما ورد في الكتاب والسنة حول تغليظ عقوبة من أمر بمعروف ونهى عن منكر وخالف قوله فعله • فمنه ما جاء نقلا عن كتاب رياض الصالحين » للامام النووي : قال تعالى : « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ، وأنتم تتلون الـكتاب أفلا تعقلون » وقال : « يا أيهـا الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » • وقال اخبارا عن شعيب عليه السلام : « وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه » • وعن أبي زيـد أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحا فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » متفق عليه ـ قوله : تندلق أقتابه ، هو بالدال المهملة ، ومعناه تخرج ، والأقتاب الأمعاء ، وأحدها قتب بكسر القاف وسكون التاء ـ انتهى •

المستغيثـون بالموتى

س ـ يقول المستغيثـون بالمـوتى : قد جاء في الأحاديث المشهورة ، كحديث الشفاعة يوم القيمة ، جواز الاستغاثة بالأنبياء ، فانه صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبي البشر ، ثم بنوح ، ثم بابراهيم ، ثم بموسى ، ثم بعيسى ، ثم بمحمد ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين•

ثم قالوا : اذا صح هذا ، فالاستغاثة بالأولياء جائزة • فهل لهم دليل في هذا الحديث ؟

ج ـ ليس في هذا الحديث دليل على جواز الاستغاثة بالأموات والغائبين من الأولياء وهو يفيد فقط ، بما يحصل من توسل الناس بشفاعة الأنبياء يوم القيامة في فصل القضاء • وهذا في البخاري في حديث الشفاعة المطول ، لا ننكره ؟ غير أننا ننفي كونه حجة لمن يدعون الأموات من دون الله ، لأنه من باب استغاثة الحي بالحي ، فان استغاثة الحي بالحي جائزة شرعا لما في ذلك من التعاون المأمور به ، الذي لولاه لم يحصل بين الناس تماسك ، ولانحلت الروابط ، وضعفت العصبية ، وهذا مصرح به فيالقرآن ففي قصة الاسرائيلي مع القبطي جاء قوله تعالى : « فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه » • أي استغاث الاسرائيلي بسيدنا موسى حينما سطا عليه القبطي • ففي ذلك دليل على جواز الاستغاثة بالمخلوق الحي القريب فيما يقدر عليه لا غير !! ـ أما استغاثة القبوريين بمن يعتقدون صلاحه من الموتى فغير جائزة شرعا وعقلا ، بل هو شرك ينبغي التنبيه عنه ، وانكاره بحسب المراتب الثلاث المذكورة في الحديث • ـ هذا ، ولقد شاع بين الناس ما هو أبعد في التعمق ؟

يقول الصنعائي في كتابه : « تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد » مشيرا الى القبوريين : ـ ان هؤلاء يجعلون للولي حصة من الولد ان عاش ويشترون منه الحمل في بطن أمه ليعيش ويأتون بمنكرات ما بلغ اليها المشركون الأولون • ولقد أخبرني بعض من تولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور : أنه جاءه انسان بدراهم وحلية نساء ، وقال : هذا

لسيدي فلان ـ يريد صاحب القبر ـ نصف مهر ابنتي ، لأني زوجتها ، وكنت قد ملكت نصفها فلانا ـ يريد صاحب القبر ـ انتهى كما جاء بالحرف .

النذر للأولياء لا يجوز ـ ولا يجب الوفاء به

س ـ ما قولكم في النذر للأولياء كما هو شائع بين عوام المسلمين : ـ النذر بالدراهم ، النذر بالأنعام ، النذر بالزرع ، النذر بالزيت ، بغير ذلك . مع اعتقادهم بأن هذا النذر يحقق لهم مطالبهم ، فما حكم هذا النذر ؟ وهل يجب الوفاء به ؟ مع أن الناذرين للأولياء يقولون : اننا ننذر لهم لاعتقادنا صلاحهم ، ولأن الله يحبهم لأنهم عبدوه ، ولان المنذور به في الغالب ينتفع به قرابة الولي ، أو الفقراء والمساكين ، فهم لذلك يرون أنهم مثابون ؟

ج ـ توجيه النذر باسم الأولياء لا يجوز ، وتلك العلل التي ذكرتها لا تعد عذرا في فعله وفاعله مخالف لصريح السنة الغراء ، قائل على الله بدون علم ، وقد يكون اعتقادهم الخير والصلاح منهم خطأ ، لأن الصلاح الحقيقي لا يعلمه الا الله ، وقولهم : ان المنذور به ينتفع به قرابة الولي أو الفقراء والمساكين . لا يمكن أن يكون حجة للناذر على هذا الوجه الفاسد . ـ . وهل هناك مانع في التصدق على قرابة الولي ، أو الفقراء والمساكين ؟ وقصدهم به الى بيوتهم بدون نذر ، فهم موجودون في كل مكان ، وعلى قارعة الطريق ، فمن أراد التصدق عليهم فسيجدهم بدون بحث ، وبغيرمشقة والصدقة فضلها عظيم ، ولكن ليس محلها المقابر ، أو تتوقف على قبول الولي لها ، فالله الذي يتقبلها لا غيره ، ـ ولعل القائل بهذه العلل يريد تغطية الحق بهذا الستار الزجاجي ، فالحق بين ، والباطل بين : « وماذا بعد

الحق الا الضلال فأني تصرفون » • ـ • أما معنى النذر ، بأن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر ، أو لقضاء حاجة ، كأن تقول : بعد أن قضى الله حاجتك ، أو شفى مريضك ، أو رزقك مالا أو ولدا ، لله على صوم كذا ، أو صلاة ، أو حج ، أو صدقة ، أو غير ذلك من ألوان الطاعات والقربات ، شكرا لله على ما أنعم ، فجائز • قال الامام البخاري : حدثنا يحي بن صالح ، حدثنا فليح بن سليمان ، حدثنا سعيد بن الحارث أنه سمع ابن عمر يقول : أو لم ينهوا عن النذر ؟ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان النذر لا يقدم شيئا ولا يؤخر وانما يستخرج به من البخيل » وقال أيضا : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدر له ، ولكن يلقيه النذر الى القدر قد قدر له ، فيستخرج الله به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يوتى عليه من قبل ، وهذا في النذر المباح الذي يقصد به وجه الله وحده كما تقدم آنفا • وقال حدثنا أبو نعيم حدثنا مالك عن طلحة عن عبد الملك عن القاسم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه » وقال أيضا : حدثنا موسى بن اسماعيل ، حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : بينما النبي يخطب اذ هو برجل قائم فسأل عنه ، فقالوا أبو اسرائيل ، نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم • فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مروه فليتكلم ، وليستظل ، وليقعد ، وليتم صومه » ـ نفقه من هذه الأحاديث ، أولا : أن النبي نهى أن يعتقد الناذر أن النذر يجر له نفعا في العاجل ، أو يصرف عنه ضرا ، أو يرد قضاء ، أو

يدرك به شيئا لم يقدره الله تعالى ، أو يدفع عنه ما جرى به القدر عليه • ثانيا : يجب الوفاء بالنذر على كل حال ان كان النذر طاعة ، كالصلاة والصيام ، والحج ، والصدقة • ثالثا :يجب عدم الوفاء بالنذر ان كان في معصية • انتهى ملخصا من كتاب (صيحة الحق) لأبي الوفاء رحمه الله تعالى • ــ • هذا ــ وان الذين ينذرون للأولياء ممن نراهم ، لا ينذرون الا وهم جازمون بأن النذر يجري عليهم الخير ، ويدفع عنهم الشر ، ولولا هذه العقيدة لما أقدموا على النذر ولما فكروا فيه •

س ــ هل جهل الناذر للأولياء هذه الأحاديث الصحيحة التي هي براهين ناطقة دالة بمفهومها ولفظها على بطلان النذر للأولياء ؟ وهلا وجد علماء يجلونها ويوضحونها حتى لم تعد خا فية على من يدين بعقيدة التوحيد ؟

ج ــ مما لا شك فيه أن مثل هذه الأدلة ليس من السهل فهمها على العوام الذين ليست لهم قدرة على الاطلاع على الكتب التي تحتويها • ــ • أما الذين يلبسون على العوام من المنتسبين الى العلم فهم الذين يفهمونها ، غير أن حفاظهم على الجاه والمال جعلهم يسكتون عن نشرها بين العوام • بل ومنهم من يجيز النذر للأولياء ، ويعده توسلا وتقربا الى الله • فسوغوا التسويغات الغير السائغة عقلا وشرعا ، كما جاء في السؤال السابق • ــ • أما العوام ففي يقيني لو أنهم علموا ما يحويه النذر للأولياء من أخطار ، وما يجمع من آثام لما أقدموا عليه ، ولكنه الجهل بقسميه الطبيعي والمركب جعلهم يقدمون عليه •

أولا : أن الناذر زيتا أو شمعا ليوقد على قبر من هذه القبور التي رفعت فوقها القباب ، ونصبت عليها التوابيت ، فقد جمع في نذره هذا بين ثلاث

خطايا : الخطيئة الأولى النذر لغير الله • ألخطيئة الثانية : الوفاء به من حيث هو وفاء بمعصية • ألخطيئة الثالثة : ايقاد السرج على القبور ، وقد لعن رسول الله فاعليه ، بقوله : « لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » ـ أولئك الذين لعنهم الله • « ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ». أفبعد هذا التهديد والوعيد يبيح مؤمن لنفسه هذه الأفعال التي لا تعود عليه الا بالخسار وسوء الدار •

ثانيا : أن النذر عبادة • والعبادة اذا صرفت لغير الله صار ذلك شركا بالله لالتفاته الى غيره تعالى فيما يرغب أو يرهب • فقد جعله شريكا لله في العبادة ، فيكون قد أثبت ما نفته كلمة : « لا اله الا الله » فعكس مدلولها ، فأثبت ما نفته ، ونفي ما أثبتته من التوحيد • فكل شرك وقع أو يقع فهو ينافي كلمة الاخلاص وما تضمنته من التوحيد • قال الرملي في شرح المنهاج « وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ ، أو على اسم من حلها من الأولياء ، أو تردد في تلك البقعة أو المشهد أو الزاوية ، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت اليه ، أو بنيت على اسمه ، فهذا النذر باطل غير منعقد ، فان معتقدهم ان لهذه الأماكن خصوصيات ، ويرون أنه مما يدفع به البلاء ، وتستجلب به النعماء ، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء • حتى انهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم انه استند اليها عبد صالح • وينذرون لبعض القبور السرج والشمع والزيت • ويقولون : القبر الفلاني يقبل النذر ، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض ، أو قدوم غائب ، أو سلامة مال ، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل

مطلقا . ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة لقبر (ابراهيم الخليل) عليه السلام . ولقبرغيره من الأنبياء والأولياء ، فانالناذر لايقصد بذلك ـ الايقاد على القبر ـ الا تبركا وتعظيما ، ظانا أن ذلك قربة ، فهذا مما لاريب في بطلانه . والايقاد المذكور محرم ، سواء انتفع به منتفع أم لا . ـ انتهى ما قاله الرملي رحمة الله عليه .

فهذا النذر باطل بالاجماع من وجوه : ـ منها أنه نذر لمخلوق ، والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون لمخلوق . ومنها أن المنذور له ميت ، والميت لا يملك شيئا . ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله عز وجل ، واعتقاد ذلك كفر . وقد ابتلي المسلمون في زماننا هذا بالتعلق بالأولياء الأموات وعنوا بالنذر لهم ، والاستغاثات بهم. لجهلهم المطبق والعياذ بالله . ـ . ولماذا لا يصرف الناذرون نذرهم تقربا الى الله وحده . فيتصدقون بها على الأحياء الذين يتضورون جوعا ؟ ..
ويعجبني قول حافظ ابراهيم :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم ... وبألف ألف ترزق الأموات
من لى بحظ النائمين بحفرة ... قامت على أحجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجري حولها ... سيل النذور وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى ... ووسيلة تقضى بها الحاجات

الحجة على من يدعون غير الله

س ـ لقد غسلت عن قلبي درن الشكوك والأوهام ، بما سقت من أدلة ناصعة ، تدحض حجج من يدعون غير الله ، وينذرون لهم لينالوا منهم أو بواسطتهم ما يحتاجون اليه ، هذا ـ وليس لي غنى عن حجج من الكتاب والسنة كسلاح أدافع به ، وأقف في وجه هذا الزحف المدمر ؟

ج ـ لقد تركت مناقشتك الحرة أثراً في نفسي أشعر معه بالدافع القوي على البحث عن الأدلة الساطعة الكاسحة لتلك الأباطيل ، القادرة على تطهير القلوب والنفوس من أدرانها وأقذارها ، وهى كما يلى فأصغ لها سمعك وألق لها بالك :

قال تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى » وقال تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون » •

ومعنى يلحدون في أسمائه : ـ يميلون الى أسماء غير أسمائه فيدعون بها ويلجأون الى أربابها •

وقال : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين » أي انك ان دعوت أحداً من دون الله فقد ظلمت نفسك لوقوعك في الشرك بدعائها ، والخضوع لها ، وصدق الله اذ يقول : « أن الشرك لظلم عظيم » وقال : « ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » وقال : « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب » ـ أي كلاهما سواء في الضعف •

وقال : « ذلكم الله ربكم له الملك ، والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ، ولو سمعوا ما استجابوا لكم ، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير » • أي أنه ليس لهم ملك يملكونه ولو قليلا كقطمير مثلا ، والقطمير : قشرة نواة التمر • • •

وما دام الأمر كذلك فلا فائدة في دعائهم • وذكر أنهم أي المعبودون من دون الله ، يكفرون بعبادة النـاس اياهم وينكرون • حتى يتمنى عابـدوهم العودة الى الدنيا ليتبرأوا منهم • ومصداق ذلك قوله تعالى في سورة البقرة : « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب• وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا • كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار » • ـ نتبين من هده الأدلة : بأن لا يدعى الا الله ، ولا يستعان الا به لقوله تعـالى في سـورة الفاتحة : « اياك نعبد واياك نستعين » ولقوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتـذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شيء قدير • تولج الليل في النهار ، وتولج النهار في الليل ، وتخرج الحي من الميت ، وتخـرج الميت من الحي ، وترزق من تشاء بغير حساب » • وقوله : « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله » • وقوله : « لله ما في السماوات وما في الأرض ، وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » • فما دامانك تعلم بأن كل شيء بيد الله ، لا بيد غير الله فلم لا تطلبه منـه ؟ وتترك نـداء غـيره ؟ •

وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : « كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجـده أمـامك ، اذا سألت فاسـأل الله ، واذا اسـتعنت فاسـتعن بالله ، واعلم ان الأمة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء

قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » رواه الترمـذي وقال حسن صحيح • ـ وأرى أنه لو فكر المتشبثون بدعاء الأموات في معنى هذا الحديث ، ومفاده ، لما دعوا الا الله • ولما لجأوا الا اليه سبحانه • ـ فالميت فارقته الحياة ، وصار جمادا ، ثم صار ترابا بعد أن صار رفاتا ، فعاد الى حالة لم يشعر معها أو يحس فلا سبيل الى اللجؤ اليه ، أو التعلق به ! ! وليسأل الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم •

س ـ يقول الداعون غير الله : ان هذه الآيات نزلت في معرض النهي عن عبادة الأصنام خاصة ، بحجة أن سبب نزولها هو النهي عن دعاء الأصنام ، موجهة الى عبادها ، فلا دليل فيها واضح يفهم منه النهي عن دعاء الأولياء ، فهل لقولهم كما ذكر أثر من الصحة أفدني ؟

ج ـ ان ادعاءهم تخصيصها بنهي عباد الأصنام وحدهم ، أمر لا مبرر له ، اذ ليس في الآيات ما يدل على التخصيص ، أما كون نزولها سببه نهي عباد الأصنام عن عبادتها ، فلا يدل على التخصيص أيضا ، اذ أن الكثير من الآيات سببها خاص ، لكن معناها عام • ولا يقول بهذا الا جاهل لا يفرق بين الأسباب والمعاني • فقد بين المفسرون ، بأن من الآيات ما سببها خاص، ومعناها عام ، وهذه الآيات منها • ومنها ما سببها خاص ومعناها خاص • فالعبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب ، غير أن من يحكم رأيه ، ويتبع هواه لا يهتدي الى الصواب • ـ • ومن أين لهم دليل التخصيص ؟ أمن الكتاب ؟ أم من السنة ؟ أم من الأئمة من قال به ؟ اللهم لا • ولا دليل لهم الا التقليد الأعمى ، والجهل المركب ؟ ما معنى : ولا تدعوا من دون الله » وقوله : « فلا تدعوا مع الله أحدا » أفليس دون الله : غير الله ؟ فاذا كان هذا هو المعنى : فكل ما سوى الله داخل في النهي ـ لآنها كلها دون الله؟فهل لمن

يحكم هواه الرجوع عن غيه ، والعودة الى الحق بعد وضوحه ، سبحانك اللهم ! « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » •

س ـ عرفنا الحال مع الأولياء والصالحين• فكيف الحال مع الأنبياء؟ فهل يستوون مع هؤلاء في عدم الالتجاء اليهم ، وفي دعائهم ، والاستغاثة بهم ، وهم المبلغون عن الله ، والواسطة العظمى ، والشفعاء ، فماذا علينا لو دعوناهم في المهمات ولو تبركا • وجعلناهم وسطاء كما كانوا وسطاء فيما بيننا وبين ربنا في حياتهم الدنيا ـ فهل من دليل يفهم منه النهي عن دعائهم ؟

ج ـ ليس لنا أن نهتف داعين بمن دون الله كائنا من كان ولو نبيا مرسلا ، أو ملكا مقربا لأننا لم نؤمر بذلك ، بل نهينا عنه بصريح الكتاب وصحيح السنة ، ولا يجوز أن نجعلهم وسطاء بعد مماتهم بيننا وبين الله كما كانوا وسطاء في حياتهم • ففي حال حياتهم يسمعون نداءنا ويرون حالتنا ، ويتنزل عليهم الوحي كل غدوة وروحة • أما اليوم وقد كمل الدين ، وقد فارقوا هذه الحياة الدنيا ، ولم يدروا من أخبارنا شيئا • فما الداعي الى دعائهم والاستغاثة بهم • لأن من يدعو يريد ممن يدعوه استجابة دعائه وانجاز مطلوبه • ـ • ومن جعل وساطتهم في تبليغ الرسالة : دليلا على توسطهم بعد مماتهم بالدعاء ، فلا شك في فساد عقله ، وموت شعوره ، وحرمانه من كل حظ شريف • وعلى هذا لم يوجد دليل من الكتاب ولا من السنة ، ولا من عمل الصحابة ، ومن تبعهم باحسان الى يومنا هذا • ـ • سوى عمن نبذوا القرآن واتبعوا خطوات الشيطان ، وحسبوا أنهم على شيء • ـ • أما الأدلة الواضحة فتنفي جواز ما ذكرته ، وتقول بخلافه • فاستمع لما قال الله : وليس في حق الأنبياء فحسب ، بل وفي حق الملائكة ،

قال سبحانه : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذا أنتم مسلمون » • وقال : « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم • الى آخر الآية » وقال في سورة الاسراء : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا • أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا » • ـ • فدل على أن الذين تدعون من دون الله كعيسى والعزير • انهم عباد أمثالكم ، فهم يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب لديه • ـ • أليس هذا نهي عن دعوة الأنبياء خاصة ؟ فافهم لتقيس عليه دعوة غير الأنبياء • وقال تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » وقال في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : « فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب » وقال : « ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله ، وقالوا حسبنا الله• سيؤتينا الله من فضله ورسوله ، انا الى الله راغبون » وقال : « ومن يطع الله ورسوله ، ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » فجعل الطاعة لله ولرسوله ، وجعل الخشية والتقوى لله وحده • وقال : « يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين » • أي هو وحده حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين •ـ• اذا عرفت هذا : فسوف لا يلتبس عليك من أمر الخرافيين شيء بعد اليوم • كيف وقد نفى الله عن نبيه محمد التأثير وعلم الغيب ، ففي

نفي التأثير عنه ، قال مخاطبا اياه بعد أن رمى وجوه المشركين بحفنة من الرمل في وقعة بدر فأقذت كل أعينهم « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » ، وهذا دليل واضح في أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم : ليس له من التأثير شيء في ذلك . فالمؤثر هو الله وحده ، الذي أوصل حبات التراب الى عيون المشركين ، ليشتغلوا بذلك عن التجهيز على المسلمين . ـ . وفي نفي علم الغيب عنه قال ردا على تعنت المشركين ، في اقتراحهم الآيات الكونية عنه : « قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم اني ملك » . وبقوله : « قل ما كنت بدعا من الرسل ، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ، ان أتبع الا ما يوحى الي » . وبقوله : « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

فعلم من ذلك بأن الله نفى عن نبيه علم الغيب واثبته لله وحده .

الغيب لله وحـــده

س ــ يزعم الذين يدعون الأولياء الأموات من دون الله : بأن الاولياء يعلمون الغيب ويكشفون عن بعض الأشياء المغيبة ، وهذه كتب المناقب طافحة بما نسب اليهم مما قالوه وحكوه عن علم بالمغيبات فما قولك نحو هذا الزعم ؟ فهل لهم دليل عليه ؟

ج ـ الغيب لله وحده كما قال سبحانه وتعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو » . فحصر علم الغيب له سبحانه . وقال : « ان الله يعلم غيب السموات والأرض » . وقال لنبيه المبلغ عنه : « فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين » وقال : « قل لا يعلم من في السموات

والأرض الغيب الا الله » . وقد حكى سبحانه عن نوح عليه السلام فيما رد به على قومه : « ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول اني ملك ، ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما في أنفسهم اني اذا لمن الظالمين » . ـ . أي أنه يكون ظالما لو ادعي لنفسه خلة من هذه الخلال التي نفاها عن نفسه ، ومنها علم الغيب ، وقال تعالى « ولله غيب السموات والأرض ، واليه يرجع الأمر كله ، فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون » . وقال تعالى : « وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ؟ قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم ، قال : « ياآدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم ، قال : ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والأرض ، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » . ـ . بهذا يتبين لك أن الملائكة على سمو مكانتهم لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تعالى . ـ . وفي الحادثة التاريخية التي هلك فيها المنافقون يرأسهم عبد الله بن أبي أقوى دليل على نفي علم الغيب عن الأنبياء الا بوحي الله . ـ . ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقفله من غزوة غزاها : عرس ليلا بالطريق ، ومعه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، بعد الأمر بالحجاب ، وكانت تركب على بعير في هودج عليه ستار ، فذهبت في تلك الليلة لبعض شأنها ، فأبطأت حتى رحل النبي والجيش ، ورحل الهودج خلوا منها ، ولم يعلم النبي بها الا بعد أن نزلوا . أما هي فلما عادت ولم تجد أحدا مكثت في مكانها ، وكان في مؤخرة القوم رجل مؤمن هو : صفوان بن المعطل السلمي فأركبها وعاد بها . ـ . وهناك خاض المغموص

عليهم في النفاق بحديث الافك المشهور ، وانقطع الوحي مدة طويلة من الزمن ، والنبي يستفتي في شأنها • فلو كان النبي يعلم الغيب لعلم أولا بأن زوجته تأخرت فعاد لها ، ولم تحدث هذه الحادثة المشئومة ، أو لعلم براءتها ، ولم يستفت أحدا ، ولما احتاج الى سؤال من هم أعرف الناس بها : زيد بن حارثة - بريرة - وزينب بنت جحش - وعلي بن أبي طالب ، وغيرهم ، بل مكث في حيرة ، ولم يعلم براءتها الا بعد أن برأها الله بوحي من عنده على رسوله • في هذه القصة التي كادت أن تكون مثار فتنة عمياء بين المهاجرين والأنصار بآيات واضحات تحوي الافتاء ببراءة عائشة ، والتثريب على أولئك المتربصين بالنبي الدوائر ، الباغين له العيب ، عن طريق زوجته الطاهرة أم المؤمنين • - • ولذا فأرى مدعي جواز الاطلاع على المغيبات أفاكا ، قائلا على الله بغير هدى ولا كتاب منير •

أسماء الله الحسنى

س - جاء في سورة الأعراف قول الله تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » • لذا فاني التمس منكم بيانها ؟ وبيان عددها اجمالا وتفصيلا ؟ وذكر ما يترتب عليها ؟

ج - جميع أسماء الله تعالى تعتبر صفات لله تعالى الا اسما واحدا فقط هو (الله) فانه علم على الذات وليس صفة • وهذه الصفات عددها لا يقل عن مائة الا واحدا ان قلنا أن أسماء الله تعالى (توقيفية) وهو قول الجمهور وهو الراجح ، بمعنى أننا نتوقف عن اطلاق أية صفة على الله تعالى وأي اسم الا اذا ورد بهذا الاسم نص من كتاب أو سنة ، وعددها يزيد على ذلك

كثيرا ان قلنا : ان أسماء الله تعالى (توفيقية) بمعنى أن كل اسم يليق بالله تعالى يجوز اطلاقه عليه ولو لم يرد به نص • وقد ذكر علماء التوحيد من الصفات التي يتصف الله بها ثلاث عشرة صفة ، وقالوا : ان كل مكلف يجب أن يلم بها ويعرفها ويؤمن بها ايمانا جازما ، لأن هذه الصفات لا بد منها للاله ، وما عداها متفرع منها ، أو داخل فيها ، أو تابع لها وقد سبقت • وتقريبا لفهم القارىء نثبتها هنا فنقول ، هي :

١ ـ الوجود • ٢ ـ القدم • ٣ ـ البقاء •

٤ ـ المخالفة للحوادث • ٥ ـ القيام بالنفس • ٦ ـ الوحدانية •

٧ ـ العلم • ٨ ـ الارادة • ٩ ـ القدرة •

١٠ ـ الحياة • ١١ ـ السمع • ١٢ ـ البصر •

١٣ ـ الكلام •

وهي الصفات الواجبة في حق الله تعالى •

وأسماء الله الحسنى كلها هي التي ننادي بها ربنا ، وبها نذكره ونعبده ونسأله ، قال تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » • (الأعراف) : ١٨٠ :

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله تسعة وتسعين اسما ـ مائة الا واحدا ـ من أحصاها دخل الجنة » • (رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه) • وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله تسعة

وتسعين اسما ـ مائة الا واحدا ـ لا يحفظها أحد الا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » • (رواه البخاري) • واليك هذه الأسماء ومعانيها :

ألله	**علم على الذات الالهية المقدسة •**
ألرحمن	**ألمنعم بجلائل النعم •**
ألرحيم	**ألمنعم بدقائقها •**
ألملك	**ألمتصرف في ملـــكه •**
ألقدوس	**ألمطهر من العيوب والنقائص •**
ألسلام	**ألأمان لخلقه •**
ألمؤمن	**ألمؤمن لخلقه من العذاب والمصدق وعده لهم •**
ألمهيمن	**ألمسيطـــــر •**
ألعزيز	**ألغـــالب •**
ألجبار	**ألمنفـــذ لأوامره •**
ألمتكبر	**ألمنفرد بصفات العظمة •**
ألخالق	**ألموجد للمخلوقات من غير أصل ، أو المقدر •**
البارىء	**ألخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل •**
ألمصور	**ألمعطي لــكل شيء صورة تميزه عن غيره •**
ألغفار	**كثير المغفرة وستر الذنوب •**
ألقهار	**ألقابظ على كل شيء والقاهر لــكل شيء •**
ألوهاب	**كثير النعم دائم العطاء والمنن •**
ألرزاق	**خالق الأرزاق وخالق أسبابها •**
ألفتاح	**الذي يفتح خزائن رحمته لعباده •**
ألعليم	**ألعالم بكل شيء فلا يغيب عنه شيء •**
ألقابض	**قابض الأرواح أو مضيق الرزق على من يشـــاء من عبـــاده •**

ألباسط	موسع الرزق على من يشاء .
ألخافض	ألذي يخفض من يستحق الخفض بالخزي والذل والعذاب .
ألرافع	ألذي يرفع من يستحق الرفعة من المتقين .
ألمعز	يعز من استمسك بدينه ويعطيه النصرة والغلبة .
ألمذل	ألذي يذل أعداءه
ألسميع	ألمدرك لكل ما يسمع .
ألبصير	ألمدرك لكل ما يبصر .
ألحكيم	ألحاكم الذي لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .
ألعدل	العادل الكامل في عدالته .
أللطيف	ألذي لطف (دق) علمه بما في القلوب .
ألخبير	ألعالم بخفايا الأمور ودقائقها .
الحليم	ألذي لا يستفزه غضب ولا يتعجل العقوبة .
ألعظيم	ألبالغ أقصى مراتب العظمة .
ألغفور	كثير الغفران .
ألشكور	ألذي يعطي الكثير على العمل القليل .
ألعلي	ألذي بلغ أعلى مراتب العظمة التي لا يتصورها عقل ولا يدركها الفهم .
ألكبير	ألذي لا تستطيع الحواس ولا العقول ادراكه .
ألحفيظ	ألذي يحفظ الكون من الخلل والاضطراب ويحفظ أعمال العباد فلا يضيع منها شيء .
ألمقيت	خالق الغذاء الروحي والمادي .
ألحسيب	الذي يكفي عباده ، أو الذي يحاسبهم يوم القيمة .
ألجليل	ألذي له صفات الجلال .
ألكريم	ألمعطي من غير سؤال ولا عوض .
ألرقيب	الذي يراقب الأشياء ويلاحظها .
ألمجيب	ألذي يستجيب لمن دعاه .

ألواسع	ألذي وسع علمه ورحمته كل شيء •
ألحكيم	صاحب الحكمة •
ألمجيد	ألبالغ النهاية في المحبة والشرف والعظمة •
ألباعث	باعث الرسل والهمم ومن في القبور •
ألشهيد	ألعالم بكل مخلوق •
ألحق	الثابت الذي لا يتغير •
ألوكيل	ألقائم بأمور عباده وبسائر ما يحتاجون اليه •
ألقوي	صاحب القدرة التامة •
ألمتـــين	ألذي بلغ النهاية في الشدة •
ألولي	ألمتولي أمر خلقه •
ألحميد	ألمحمود المستحق للثنـــاء •
ألمحصي	ألذي لا يغيب عن علمه شيء •
ألمبدىء	ألمظهر للأشياء من العدم •
ألمعيـد	ألذي يعيدها بعد عدمها •
ألمحيي	خالق الحياة في كل حي •
ألمميت	سالب الحياة من الأحياء •
ألحي	صاحب الحياة الدائمة •
ألقيوم	ألقائم بنفسه والمقيم لغيره •
الواجـد	ألذي يجد كلما أراده فلا يحتاج لغيره لغناه المطلق •
الماجد	ألبالغ النهاية في المجد والعظمة •
ألواحد ـ ألصمد	ـ القـــادر ـ المقتـــدر •
ألمقـدم	ألذي بيده تقديم كل شيء حسا ومعنى •
المؤخر	الذي بيده تأخير كل شيء حسا ومعنى •
الأول	ألذي لا ابتداء لوجوده •
الآخر	ألذي لا انتهاء لوجوده •
ألظاهر	ألذي أظهر وجوده بآياته ومخلوقاته •

ألباطن	ألخفي بذاته فلا يعلمها أحد على ما هي عليه •
ألوالي	ألذي تولى الأشياء وملكها •
ألمتعالي	ألمنزه عن النقائص •
ألبـــر	كثير الخير عظيم الاحسان •
ألتواب	ألذي يوفق العصاة للتوبة ويقبلها منهم •
ألمنتقم	ألمعاقب من يستحق العقوبة •
ألعفــو	ألماحي لسيئات من أناب اليه •
ألرؤوف	عظيم الرأفة والرحمـــة •
مالك ألملك	ألذي تجري الأمور في الســماوات والأرض حسب مشيئته ذو الجلال والاكرام •
ألمقسط	ألمنصف للمظلومين من الظالمين •
ألجامع	الذي يجمع الناس يوم القيامة •
ألغني	ألمستغني عن كل ما عداه والمفتقر اليه كل منسواه
ألمغني	ألمتفضل باغناء من شاء من خلقه •
ألمــانع	ألذي يمنع أسباب الهلاك •
ألنــور	ألظاهر بنفسه والمظهر لغيره •
ألهــادي	ألذي هدى وأرشد كل شيء الى ما فيه صلاحه •
ألبـديع	ألذي لا نظير له •
ألبــاقي	ألدائم الوجود •
ألوارث	ألباقي بعد فناء الموجودات •
ألرشــيد	ألمرشد لعبــاده والذي تجــري تصــاريفه بمنتهى الحكمة والسداد •
ألصبور	ألذي لا يتعجل بالعقوبة ولا يتعجل بشيء قبلأوانه (أ هـ) •

(من كتاب مع الله) في صــفاته وأسمــائه الحسنى ـ تأليف ـ حسن أيوب) • كما نقلها من العقائد الاسلامية ـ ص ١٢٤ ، ١٢٥ ـ •

ما نسب الى المشهورين بالولاية بحضرموت

من خوارق غيبية

س ـ انني أسمع حكايات ومناقب منسوبة الى بعض الأولياء المشهورين بحضرموت يمجها سمعي ويرتاب في تصديقها قلبي ، وانما لعدم اطلاعي على كتب المناقب بقيت في حيرة ـ • فهل لديك من كتب المناقب ما يشهد لتلك الحكايات التي نسمعها ؟

ج ـ نعم : لدي كتاب من كتب المناقب يسمى (المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي) تأليف محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي ، طبعة سنة ١٣١٩ هجرية • مكتفيا بذكر ما نسب الى البعض • مع احتفاظي بتكريمهم ، وبقائي على تقديرهم • اذ لعله منسوب اليهم وهم منه براء !! حيث أن الشلي كتب ما كتب بناء على ما سمعه ، وعلى ما قرأه فقط بدون تأمل واعمال فكر ، أو عرض على الكتاب والسنة ، بل بناء على حسن ظنه فيمن نقلوها اليه ، وحكوها له ، وبدافع حب أعمى لمن نسبت اليهم • واليك هذه النماذج مما كتبه في هذا السفر : ـ •

جاء في صفحة ـ ٢١١ ـ منه في ترجمة علوي بن محمد بن على مانصه : وحكي أن الشيخ عبد الله باعباد سأل صاحب الترجمة عما ظهر له من المكاشفات بعد موت والده (الفقيه المقدم) فقال ظهر لي ثلاث : أحيي وأميت وأقول للشيء كن فيكون ، وأعرف ما سيكون • فقال الشيخ : نرجو فيك أكثر من هذا ـ انتهى ـ ومنه في صفحة ـ ٢١٧ ـ في ترجمة على بن أبي بكر السكران بن الشيخ عبد الرحمن السقاف ، قال : ومن كراماته : انه يكاشف أصحابه بما يضمرونه ، قال تلميذه المعلم الصالح باحرمل : كنت

عنده مشتغلا بالذكر فاعترضتني خواطر ، فالتفت الي وقال : ذكر الله أولى من هذه الخواطر • ـ انتهى ـ ومنه في صفحة ٢٨ ـ في ترجمة الشيخ أبو بكر بن سالم صاحب عينات • قال : بعد أن ذكر له عدة كرامات وخوارق ومنها : أن بعضهم سافر من الهند مع تجار مقصودهم بندر المخا ، فخالفت الريح عليهم لكونه آخر الموسم وتعبوا ، ثم اتفقوا على الرجوع الى الهند ، فرأى خادمه ، أي خادم الشيخ المذكور ، شيخه صاحب الترجمة في المنام يقول : قل لأهل السفينة : أنذروا وابشروا • فاستيقظ فأخبرهم بما رأى فنذر كل واحد على حسب قدرته ، فجاءتهم ريح طيبة أوصلتهم بندر المخا ، فأعطوا خادمه ما نذروا به ، فخرج الى عينات وأخبره الشيخ بما وقع لهم قبل أن يتكلم ، وقال له هات النذر فقال له حتى تخبرني به ، فقال : هو كذا وكذا • ـ • انتهى •

ومنه في صفحة ـ ١٨٨ ـ في ترجمة عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم، ومن كراماته : أن رجلا أنشد أبياتا تتعلق بالبعث والحساب ، فتواجد صاحب الترجمة وخر مغشيا عليه • فلما أفاق ، قال للرجل أعد الأبيات ؟ فقال الرجل : بشرط أن تضمن لي الجنة ، فقال : ليس ذلك الي أطلب ما شئت من المال ؟ فقال الرجل : ما أريد الا الجنة ، فقال : ان حصل لنا شيء ، ما كرهنا ، ودعا له بالجنة • فحسنت حالة الرجل ، وانتقل الى رحمة الله ، وشيعه صاحب الترجمة وحضر دفنه وجلس عند قبره ساعة فتغير وجهه ثم ضحك واستبشر ، فسئل عن ذلك فقال : ان الرجل لما سألاه الملكان عن ربه فقال : شيخي عبد الله باعلوي فتعبت لذلك • فسألاه أيضا : فأجاب بذلك ، فقالا : مرحبا بك ، وشيخك عبد الله باعلوي •

قال بعضهم ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ مريده حتى بعد مماته ـ انتهى ـ •

ومنه في صفحة ـ ١٨١ ـ في ترجمة السيد عبد الله بن علوي الحداد •• واتفق أن الشيخ حسين بن محمد بافضل مرض بالمدينة مرضا أشرف منه على الموت وكشف للسيد صاحب الترجمة أن مدة حياة الشيخ قد انقضت، فجمع جماعة من أصحابه واستوهب له من كل واحد منهم شيئا من عمره ، وأول من وهب له صاحبنا السيد عمر أمين ، فقال : وهبته من عمري ثمانية عشر يوما ، فسئل عن ذلك فقال : مدة السفر من طيبة الى مكة اثنا عشر يوما ، وستة أيام للاقامة ، ولأنها عدة اسمه تعالى : (حي) • ووهبه الآخرون شيئا من أعمارهم ، وكذلك صاحب الترجمة وهب له من عمره ، فجمع ذلك وكتب في رق وتوجه به الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم • وسأله الشفاعة في ذلك ، وحصل له خشوع عظيم ، ثم انصرف وهو يقول : قد قضى الله الحاجة واستجاب ، « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » • فشفي الشيخ حسين من ذلك المرض ، وعاش تلك المدة الموهوبة له • حتى أن السيد أشار وهو بتريم الى أن الشيخ سيموت في هذا العام ، فمات كذلك بمكة المشرفة • ـ • انتهى ـ •

ومنه في صفحة ١٢٣ ـ في ترجمة عبد الله بن أبي بكر العيدروس • ومما وقع له من احياء الموتى لزوجته الشريفة عائشة بنت عمر المحضار ، مرضت مرضا شديدا وحركوها فاذا هي ميتة ، فأتى اليها صاحب الترجمة وناداها باسمها ثلاث مرات ، فأجابته في الثالثة وعوفيت من المرض • ومما وقع له من كفاية الشر ، أن امرأة أرادت أن تسرق ثمر نخلته ومعها ولدها فوضعته

ورقت النخلة فلما نزلت وجدته ميتا . فصرخت بالبكاء ، ثم أخبروها بأن النخلة للعيدروس فردت ما أخذت وتابت فقام ولدها . انتهى ـ .

ومنه في صفحة ١٤٧ ـ في ترجمة عبد الرحمن بن الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم بعد أن ذكر له عدة كرامات . وكان عزم على الحج ونوى أنه بعد الحج يسيح في الأرض ولا يعود الى حضرموت ، فلما وصل الى الجوف أتاه النبي صلى الله عليه وسلم في جمع من الصحابة والأولياء ومعهم والده وأمروه بالرجوع الى بلده . وقالوا له : مقامك بها أنفع ، فرجع ولم يحج ظاهرا ، وقد شوهد في مشاعر الحج سنين عديدة وسأله بعض خواصه هل حججت ؟ فقال : أما في الظاهر فلا ... وجاء فيه : ومن كراماته أنه رؤي في أماكن متعددة في آن واحد ، وان كثيرا ما يرى قميصه فارغا ليس فيه أحد ثم يعود اليه بعد ساعة . ولم يخطر ببال أحد شيئا الا كاشفه به » ـ ومن كراماته أنه أمسك الشمس عن الغروب . قال الشيخ عبد الرحيم بن على الخطيب : رجعنا مع الشيخ من زيارة هود وقت الاصفرار وقال ما نصلي العصر الا في فرط بالربيع . فتعجبنا لقوله لبعد المسافة . ثم أمرنا بالذكر ومشينا وأمسكت الشمس عن الغروب حتى وصلنا الى الفرط فغربت ! فقال بعضنا لبعض : فعل الشيخ مثلما فعل الشيخ اسماعيل الحضرمي انتهى .

ومنه في صفحة ٩ ـ من الجزء الثاني في ترجمة محمد بن على المشهور بالأستاذ الأعظم الفقيه المقدم جاء فيها : ومن كراماته أن خادمه باخريصة سافر سفرا طويلا ، فبلغ أهله أنه قد مات ، فتعبوا وأتوا الأستاذ فأطرق ساعة وقال : لم يمت باخريصة ، فقيل له : قد جاء الخبر بموته ، فقال :

اطلعت على الجنة فلم أجده فيها ، ولم يدخل فقيري النار ، ثم جاء الخبر بحياته ٠ وقدم هو بعد مدة ٠ انتهى ـ ٠

هذا هو ما رأيت في نقله الكفاية كنموذج لما درج عليه كتاب المناقب ومؤلفوها ، لتفهم منه مبلغ فساد عقائد أولئك القوم ٠

س ـ كيف ساغ للناس قبول مثل هذه الحكايات ، وفيها ما فيها من مناوأة للشرع ومنافاة للعقيدة السلفية الخالصة المستقاة من نصوص الكتاب الكريم ، وصحيح السنة الغراء ؟

ج ـ ان غلو أولئك الكتاب ومن قلدوهم في قبول مثل هذه الحكايات السخيفة : هو حسن الظن فيمن نسبت اليهم ، ورويت عنهم ، لهذا تلقوها بالقبول ، وأنزلوها من قلوبهم منزلة العقائد الصحيحة ٠

س ـ وهل نسمح لأنفسنا بالجري وراء حسن الظن الآيل بنا الى تصديق مثل هذه الادعاءات أو نقول به ؟

ج ـ حسن الظن الآيل بنا الى تصديق مثل هذه الخوارق ، يجب أن لا نسمح به ، أو أن نجري معه ٠ وأن لا نقبل الا ما يقبله الشرع ، ويكون له مسوغ يجعل القول به مقبولا كما أنه يجب أن لا نجزم بولاية من نسبت اليه الولاية ٠ نعم لنا أن نقول بولاية من رأينا فيه صفات الأولياء الذين وصفهم الله بها في كتابه ، أما أن نقطع بولاية أحد بناء على أعماله ، فلا ٠ بل لنا أن نحسن الظن به فقط ، لأن البواطن لا يعلمها الا الله سبحانه فليس لنا اطلاع عليها ٠ وفي الحديث : « ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة » ٠ ذلك لأن العبرة بالخاتمة بناء على

ما سطر في اللوح المحفوظ من سعادة أو شقاوة ، وان علم هذا عند الله وحده • ويروى في الحديث الشريف : أن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها : أنها دخلت على عثمان بن مظعون المهاجري بعد موته ، وكان أخا لزوجها في الله ، فقالت والرسول صلى الله عليه وسلم حاضر : « رحمة الله عليك أبا السائب ، شهادتي عليك لقد أكرمك الله » فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : (وما يدريك أن الله أكرمه ، أما أني فأرجو له الخير ، والله وأنا رسول الله ما أدري ما يفعل بي » • مصداق ذلك قوله تعالى : « وما أدري ما يفعل بي ولا بكم » •

ما قيل حول حسن الظن

س ـ ان من يقولون بحسن الظن فيمن اعتقدوا فيهم الولاية يسندون ذلك الى حديث يسندونه الى رسول الله جاء فيه : « خصلتان ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله ، وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله ويبنون عليه حسن الظن المطلق فيمن نسبوا اليهم الخوارق ، والاطلاع على الأمور الغيبية • فهل قرأت هذا الحديث أو سمعته ؟

ج ـ هذا الحديث طالما سمعناه المرة بعد المرة من أفواه وعاظنا الحضرميين ، يستشهدون به على حسن ظنهم فيمن قالوا عنهم أنهم أولياء لله ، وأن لهم من الكرامات ما سمعت عنها فيما سبق نقله عن كتاب المشرع الروي ، وفي غيره مما نسب الى الصوفية • ـ وقد راج هذا الحديث عند من لم يتبين معناه بعد • والأدهى والأمر : كون أكثر من يتسمون بالعلم من الحضارم قبلوا هذا الحديث ، وأنزلوه منزلة الأحاديث النبوية المعتبرة ؟ هذا ـ ولم أسمع أن أحدا منهم ارتاب في صحته أو ناقشه اطلاقا • وأقول ان حسن الظن بالله سبحانه مما لا شك فيه ، ولا مجال لنفيه ، فقد جاء في

الحديث القدسي الذي رواه رسول الله عليه الصلاة والسلام عن ربه تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه اذا ذكرني الى آخره » . لكن حسن الظن بعباد الله ، وفيهم المؤمن والكافر ، والطائع والعاصي ، والصادق والكاذب و ، و ، و ... الى آخر - لا يقبله على أنه حديث نبوي الا من غلب عليه الجهل المركب . اذ أن عباد الله كل مخلوقاته بنص القرآن ، قال تعالى : « ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتية يوم القيمة فردا » . كيف والرسول يقول محذرا من الجري مع الظن : « اياكم والظن ، فان الظن أكذب حديث النفس . (رواه البخاري) والله سبحانه وتعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، ان بعض الظن اثم » . أمرنا الله باجتناب الكثير من الظن حتى لا نقع في الخطأ . - وقد نعى الله على أقوام جريهم وراء الظنون . كالتي ملأت عقول القوم بالخرافات ، والتي أفسدت حاضرهم ومستقبلهم بانزالها منهم منزلة اليقين !! فقال سبحانه : « ان يتبعون الا الظن وما تهوي الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى » . وقال : « وما لهم به من علم ، ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغني من الحق شيئا » وقال مخاطبا نبيه محذرا اياه : « وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون » . هذا - ومما يروي عن الامام علي بن أبي طالب قوله : « حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة » وليس هذا مطلقا ، ولكن في أشياء يجهلها الانسان قد تجر عليه الوبال ، وسوء العاقبة . مما لا حاجة بنا الى ذكره . فكم تورط أقوام بناء على حسن ظنهم

فيمن ليسوا من أهله . وما بنيت هذه العقائد الزائفة الفاسدة الا على مثل هذه الظنون الكاذبة .

تعريف الحديثين النبوي والقدسي

س ـ من بين الأحاديث النبوية أحاديث تسمى بالأحاديث القدسية ، ولعدم قدرتي على التفرقة بين الأحاديث النبوية والأحاديث القدسية : ألتمس منك أن تذكر لي ما به أستطيع التفرقة بينهما ، فهل لديك ما تسعفني به من أقوال العلماء العارفين بدرجة الأحاديث وتمييز نبويها من قدسيها ؟

ج ـ لا شك من أن للعلماء المتبحرين علما بذلك ، اذ هم الذين حملوا الينا الأحاديث في مؤلفاتهم وقالوا عن هذا انه قدسي وعن هذا انه نبوي ، لأمارات اصطلحوا عليها ، وأول دليل هو عندما يحدث الرسول عن ربه . وجاء في كتاب « ألوحي الى ا لرسول محمد » تأليف عبد اللطيف السبكي ما يأتي تحت عنوان : « الحديث النبوي والحديث القدسي » .

كل ما ينسب الى الرسول يسمى حديثا نبويا : باعتبار أن لفظه من كلام الرسول ، أو أن عمله أو تقريره كان من جانبه شخصيا . ـ وأما ما ينسب الى الله تعالى : فهو ما يسمونه حديثا قدسيا . ومن أمثلة ذلك : يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ... الى آخره » ومنها عبدي اذا رضيت بما قسمت لك فقد أرحت واسترحت ، وكنت عندي مرضيا » . وهكذا . ـ والأحاديث القدسية محصورة العدد ، فهي قرابة المئة حديث أو تناهزها قليلا ، كما يذكر في كتاب « العقد المنظم في أقسام الوحي المعظم » . لمؤلفه الشيخ علوي بن السيد عباس المالكي المكي .

والسنة كلها وحي من الله كما فرغنا من تقرير ذلك غير مرة ، وانما تنسب الى الله أو الرسول ، باعتبار اللفظ الذي ورد به الحديث قدسيا كان ، أو نبويا • ـ • والعلماء يذكرون رواية الحديث القدسي في صيغ متعددة ، فبعضهم يقول : روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه • وبعضهم يقول : جاء في الحديث القدسي • ولا يذكر لفظ روايته ، ولا حكايته • ولكن لفظ يرويه عن ربه ••• وافظ يحكيه عن ربه • بينهما مغايرة في نظر بعض الباحثين • ـ فلفظ يرويه عن ربه : يراد منه : أن النبي بلغنا الحديث بلفظه الذي نزل به من عند الله كما نزل لفظ القرآن •• وهذا معنى كونه قدسيا • وأما لفظ يحكيه عن ربه ، فمعناه : أن الحديث نزل بلفظ من عند الله ، وأن النبي يحكي لنا ذلك اللفظ القدسي بما يرادفه هو ، وأن ذلك مسموح به للرسول في حكاية الأحاديث القدسية • وعلى ذلك فالحديث القدسي يشمل نوعين : أحدهما من عند الله بلفظه ومعناه •• والرسول يبلغنا اياه ، دون تصرف فيه • ـ والثاني انه منسوب الى الله باعتبار انشائه ، وأنه تعالى هو الذي تكلم به : أولا ـ ثم أخبرنا النبي به بلفظ من عنده ، ويظل مع هذا في عداد الحديث القدسي ••

وخلاصة هذا : ان الحديث القدسي نازل من عند الله بمعناه ولفظه ••

ثم قد يبقى اللفظ السماوي • ـ أو يحكيه النبي بلفظ جديد من عنده ، كما هو مسموح له بذلك ـ وأما الحديث النبوي فينزل وحيا بالمعنى فقط ، ولفظه دائما من عند الرسول صلى الله عليه وسلم •

(الحديث القدسي والقرآن)

س ـ ذكرتم الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي بما تيسر لـكم الاطلاع عليه • ومن هنا رأيت اتمـاما للفائدة أن أتعـرف على الفرق بين الحديث القدسي والقرآن لأن الـكل من عنـد الله أوحاه الى نبيـــه ؟

ج ـ اليك الجواب على سؤالك من المصدر الآنف بلفظه كما يلي :

حينما يكون الحديث القدسي مرويا بلفظه النازل من عند الله لا يعـد قرآنا لأسـباب عدة : منها : أن القـرآن لا ينزل على النبي الا في اليقظـة ، والحديث القدسي قد ينزل في اليقظة أو في المنام ، أو الالهام ، أو النفث في الروع كالأحاديث النبوية •

ومنها : أن القرآن للتشريع وللتعبد بتلاوته في الصـلاة وفي غيرها • ـ والحديث القدسي للتشريع فقط ، وليس للتعبد بتـلاوته ، ولا يكتفي به في الصـــلاة •

ومنها : أن القرآن للتحدي ، ومطالبة الـكفار أن يأتوا بشيء يشبهه • والحديث القدسي لم يقصد منه التحدي ، ولا يعد لفظه معجزا •

ومنها : أن للقرآن خصائص بلاغية ، من حيث فواصله ونغمات تلاوته، وأنه لا يروى الا بلفظه ، لا بمعناه ، والحديث ليس له ذلك •

ألتوسل بجاه الأنبياء والأولياء ـ أو بحقهم على الله غير مشروع

س ـ ادعى المجيزون دعاء الأنبيـاء والأوليـاء من دون الله : أنهم يتوسلون بجاههم وبحقهم على الله وأن التوسل بجاههم وبحقهم على الله جائز شرعا • وأوردوا حكايات وأحاديث يعتقدون أنها تؤيدهم عـلى ما يدعون ؟ من هذه الحكايات ما أسندوه الى الامام مالك بن أنس رحمه الله على أنه قال للمنصور الخليفة العباسي لما وقف مسلما على النبي صلى الله عليه وسـلم وانصرف يدعو : « ولم تصرف وجهـك عنه ـ أي عن

قبر النبي صلى الله عليه وسلم : وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام يوم القيامة ، بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله » • وكحديث توسل آدم بعد أن أكل من الشجرة التي نهاه الله عن القرب منها : بالنبي صلى الله عليه وسلم : الى غير ذلك من أحاديث يطول ذكرها ، فهل فيما ذكر حجة لهم في جواز التوسل كما ذكر ؟ وهل لهذه الحكايات أصل يعتمد ؟

ج ـ ان ما أوردوا من حكايات تجيز التوسل كهذه الحكاية • وأحاديث كهذا الحديث ، كلها واهية لم يصح منها شيء • والحكاية هذه مروية عن محمد بن حميد الرازي عن الامام مالك الى آخرها • ـ • قال ابن تيمية في كتابه : « مسألة جليلة في التوسل والوسيلة » • فمحمد بن حميد الرازي المذكور في سند هذه الحكاية من أبطال الكذب المشهورين • قال فيه صالح ابن محمد الأسدي : ما رأيت أحدا أجرأ على الله منه وأحذق بالكذب • وقال أيضا وهذه الحكاية منقطعة ، فان محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا ، ولا سيما في زمان أبي جعفر المنصور ، فان أبا جعفر توفي بمكة سنة ثمان وخمسين ومائة • وتوفي مالك سنة تسع وسبعين ومائة • وتوفي محمد ابن حميد الرازي سنة ثمان وأربعين ومائتين • ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم الا وهو كبير مع أبيه ، وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث كذبه أبو زرعة ، وابن وارة ، وقال يعقوب بن شيبة : كثير المناكير• وقال النسائي : ليس بثقة • وقال ابن حبان : ينفرد عن الثقات بالمقلوبات ، وآخر من روى عن مالك على الاطلاق : هو أبو حذيفة أحمد بن اسماعيل السهمي توفي سنة تسع وخمسين ومائتين • وفي الاسناد أيضا من لا يعرف حاله • والمعروف عن مالك وغيره من الأئمة وسائر السلف من الصحابة والتابعين : أن الداعي اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم : ثم أراد أن

يدعو لنفسه ، فانه يستقبل القبلة ويدعو في مسـجده ، ولا يستقبل القبـر ويدعو لنفسه . بل يستقبل القبر عند السلام عليه صلى الله عليه وسلم والدعاء له . وأما حديث توسل آدم فمكذوب كما بينه الحفاظ . ـ . انتهى كلام ابن تيمية .

فليتق الله العلماء والمفتون ، وليقولوا قولا سديدا . وليتنكبوا بالعوام عن طريق الوثنية ومظانها . فان من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، وما شرع التوسل وطلب الا بالأعمال الصالحة التي يعملها المتوسل مخلصا فيها لوجه الله أما أن يقول بجاه فلان ، أو بحق فلان ، فلا يجوز ، لأن الله ليس ند بنا الى هذا . ولأنه لاحق لمخلوق على الله يكون به وسيلة . ولكن هناك حق لعباد الله تكفل به ، فقد تكفل للداعي بأن يستجيب له ، بقوله : « أدعوني أستجب لكم » . وحق تكفل به لكل دابة أن يرزقها بقوله : « وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها » وتكفل للمظلوم بأن ينصره ، وتكفل لمن أطاعه أن يدخله الجنة وهذا وأمثاله واضح في غير ما يدعون ، وما دام لم يشرع التوسل ويطلب الا بالأعمال الصالحة التي عملها المتوسل نفسه مخلصا فيها لوجه الله تعالى . ـ فلم لا نصلح الأعمال حتى تكون لنا وسائل الى الله تعالى ، فكل عمله لنفسه كما قال تعالى : « من عمل صالحا فلنفسه » .

التوسل المشروع

س ـ قلت انه لم يشرع التوسل ويطلب الا بالأعمال الصالحة التي عملها المتوسل نفسه مخلصا فيها لوجه الله . فأطلب منك الدليل على ذلك ؟ ثم اني أطلب بيانا عن الوسيلة وعن معناها اللغوي ؟

ج ـ سأشرح لك أولا معنى الوسيلة لتتوصل بذلك الى ما تطلبـه من دليـل ، ثم أفيض في الأدلة التي يفهم منهـا على أن الوسـيلة لم تشرع الا بالأعمال الصالحة كما ذكر ، ـ فهاك معنى الوسيلة : ـ فالوسيلة في الأصل ما يتوصـل به الى الشيء ، وجمعهـا وسـائل ، وفي المصباح : الوسـيلة هي ما يتقرب به الى الشيء • والجمع الوسائل ، وتوسل الى ربه بوسيلة ، تقرب اليه بعمل • وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولفظ التوسل يراد به ثلاثة معان: أحـدهما : التوسـل الى الله بطاعتـه ، وهو فرض لا يتم الايمـان الا به • ثانيها : التوسل الى الله بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، وبشفاعته ، وهـذا كان في حياته ، ويكون يوم القيمة يتوسلون بشفاعته ، ثالثها : التوسل بمعنى الاقسام على الله بذاته ، والسؤال بحقه ، فهـذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه ، لافي حياته ولا بعد مماته ، لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم ، وانما ينقل شيء منه في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة • أو عن من ليس قوله حجة• وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه أنه لا يجوز ونهوا عنه ، حيث قالوا : لا يسأل بمخلوق ، ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيـائك • وقالوا أيضـا : ألوسيلة كلمة تستعمل في معان : منها القرب الى الله بطاعته ، والتوسل الى مرضاته ، بفعل أوامره ، واجتناب نواهيه ، والجهاد في سبيله ، والتبتل اليه بالدعاء ، وبأنواع العبادات ، مع الخوف من عذابه ، والطمع في رحمته • وهذا هو التوسل المأمور به في قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة ، وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » • ويفسرها الآية الأخرى في سورة الاسراء : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ، فلا يملكون كشف

الضر عنكم ولا تحويلا ، أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ، ويرجون رحمته ، ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا » .
فبين تعالى أن الذين لا يملكون كشف الضر عمن يدعونهم ولا تحويلا ، هم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بالدعاء والرجاء في رحمته، والخوف من عذابه ، فغيرهم من باب أولى لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم وهذا لا يخالفه دليل لا من قول النبي ، ولا من فعله ، ولو فعله أو أمر به لنقل عنه كما نقل غيره أما ما نقل مما يخالف ذلك من جواز الاقسام على الله بشيء من مخلوقاته، أو التوسل به في دفع المضار، أو جلب المنافع فغير ثابت. وما نقل في هذا المعنى فلا يعتمد عليه لأنه عمن لا يوثق به ، وغير ثابت ، كما بينه الحفاظ ونقاد الحديث من الرجال . فارجع الى كتبهم ومؤلفاتهم ان شئت الوقوف على ذلك . ولقد نهى كبار العلماء عن الاقسام على الله بشيء من مخلوقاته ، والاستغاثة به من دون الله . فهذا أبو يزيد البسطامي يقول : ان استغاثة المخلوق بالمخلوق ، كاستغاثة الغريق بالغريق . وقال أبو عبد الله الرقاشي : استغاثة المخلوق بالمخلوق ، كاستغاثة المسجون بالمسجون، وقد صدقا حيث مثلا الحق الذي لا محيص عنه . ـ أما توسل العوام وجهلة العلماء بالأموات واستشفاعهم بجاههم وحقهم على الله ، واتخاذهم ذلك من الوسيلة فبعيد جدا ، وليس لهم دليل يعتمد . وهم بذلك مخالفون ما عليه الرسول وصحابته ومن تبعهم باحسان ، ـ أما توسل المؤمنين الأتقياء بأعمالهم الصالحة الصادرة منهم مع الاخلاص فجائز وثابت . والدليل على ذلك ما رواه البخاري ، في باب من استأجر أجيرا فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد أو من عمل في مال غيره فاستفضل . حدثنا أبو اليمان أخبرنا

شعيب عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتي أووا المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا : انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلا ولا مالا فنأى بي في طلب شيء يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج قال النبي صلى الله عليه وسلم : وقال الآخر اللهم كانت لي بنت عم كانت من أحب الناس الي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها ، فانصرفت عنها وهي أحب الناس الي وتركت الذهب الذي أعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصغرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها • قال النبي صلى الله عليه وسلم وقال الثالث : اللهم اني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله أد الي أجري فقلت له كل ما ترى من أجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق ، فقال

يا عبـد الله لا تستهزىء بي فقلت اني لا أستهزىء بك ، فأخـذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون •

اذا فلا مانع من التوسل بالأعمال الصالحة ، والايمان ، وبمحبة النبي عليه السلام ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، فهذه وما أشبهها وسائل صحيحة ومعقولة •• وأما من ضيع حقـوق الله فارتكب المناهي وتهـاون بالطاعات ، ثم لجأ الى التوسل بأعمال غيره • فهو في الآخرة من الخاسرين، وليس له ذرة من عقل • وفي الحديث القدسي « ما تقرب الي عبادي بمثل أداء ما افترضت عليهم ، ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه » • الحديث الى آخره كما تقدم •

س ـ ذكروا لنا حكاية وزعموا أنها دليـل لهم على جـواز التوسـل بالأنبياء والأولياء ـ وذلك أن أعمى جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم: وشكا اليه ، وطلب منه أن يدعو الله له برد بصره ، فأمره النبي (ص) أن يتوضـأ ويدعو الله بقوله : « اللهم اني أتوجه اليك بنبيك محمـد نبي الرحمة ، يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي فيقضيها لي » فرد الله بصره • فما قولـكم في هذه الحكاية ؟ وهل فيهـا دليل لهم اذا صحت ؟

ج ـ حديث الأعمى اشتهر بعدة روايات ، وحصل في معناها نزاع بين العلماء ، وقد رواه المصنفون في دلائل النبوة ، وذكره العلمـاء في معجزات النبي صلى الله عليـه وسـلم وما أظهره الله ببركة دعائه من الخـوارق ، والابـراء من العـاهات ، فانه ببركة دعائه لهـذا الأعمى أعاد الله عليـه بصره • رواه البيهقي من حديث عثمـان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفـر الخطمي • قال سمعت عمارة بن خزيمـة بن ثابت يحـدث عن عثمـان بن

حنيف ، أن رجلا ضريرا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني ، فقال : « ان شئت أخرت ذلك فهو خير لك ، وان شئت دعوت » قال : ادعه ، فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ، ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء : اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة . يا محمد اني أتوجه بك الى ربي في حاجتي ، فيقضيها لي ، اللهم فشفعه في وشفعني فيه » . قال : فقام وقد أبصر . ومن هذه الطريق رواه الترمذي من حديث عثمان بن عمر ، ومنها ما رواه النسائي وابن ماجه أيضا ، وقال الترمذي حديث حسن غريب لا يعرف الا من هذا الوجه ، من حديث أبي جعفر ، وهو غير الخطمي ، هكذا وقع في الترمذي . وسائر العلماء قالوا : هو أبو جعفر الخطمي ، وهو الصواب .

قال ابن تيمية : فان في حديث الأعمى سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو له ، وأنه علم الأعمى أن يدعو ، وأمره في الدعاء أن يقول : « اللهم فشفعه في » وانما يدعى بهذا الدعاء اذا كان النبي حيا داعيا شافعا ، بخلاف من لم يكن كذلك . فهذا يناسب شفاعته ودعاءه للناس في محياه في الدنيا ويوم القيامة اذا شفع لهم . ـ . انتهى . ويجاب أيضا ـ أن في سند هذا الحديث أبا جعفر الخطمي ، قال فيه أحمد والنسائي ليس بالقوي . وقال ابن المديني : كان يخلط ، وقال ابن حبان : ينفرد بالمناكير عن المشاهير . وقال أبو زرعة يهم كثيرا . وكيف يمكن استدلال برواية ينفرد بالمناكير عن المشاهير ؟ هذا ـ وقد جاء في الرد عليه في كتاب (صيحة الحق) لمؤلفه أبي الوفاء محمد درويش رئيس أنصار السنة بسوهاج رحمه الله ما يأتي :

ولو نظرنا الى المتن لوجدنا اضطرابا شديدا ، وخلطا غريبا ، اذ بنا نرى الحديث ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأمر الرجل بأن يناجي الله سبحانه وتعالى ، ويتوجه اليه • نراه مرة أخرى : ينسب اليه بأنه أمره أن يخاطبه هو ويدعوه بقوله : يا محمد » ! وكيف يأمر النبي بما نهى الله عنه بقوله : « فلا تدعوا مع الله أحدا » وهذا بينا نراه يقول : اللهم اني أسألك ، اذ به ينصرف عن الله ويقول : يا محمد ، فأين العقول ؟ ثم هذا الضريرالذي جعله الله مظهرا لهذه الآية الكبرى ، ثم يظل نكرة لا يعرفه أحد ، وهم يتحدثون برد عين قتادة ، وشفاء عين علي ، فما بالهم لا يذكرون هذا الذي أتي النبي أعمى ، ثم أبصر من بعد العمى • وبعد فلو سلمنا أن هذا الحديث صحيح سندا ومتنا فهو بنجوة عن التوسل بالأشخاص ، فان الرجل ما جاء الى النبي الا ليدعو له ، وقد خيره الرسول ، فأبى الا الدعاء • فكان عليه الصلاة والسلام أمره بأن يسأل الله أن يستجيب له دعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، والأمر لم يخرج عن حدود التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم في حياته • وذلك لا شك في جوازه ، بل والتنافس فيه • وبهذا تعلم أن من يدعون الأموات بناء على هذه الحادثة على خطأ ، فالاستغاثة في قضاء الحوائج ، ودفع الشرور بالأموات ، أمر مخالف لسنة الله التي أناط بها الكون ، وجعل ذلك سببا لدفع المضار وجلب المنافع ، غير معقول ، ولا مقبول عند ذي لب سليم • ولم يقل به أحد من العقلاء • بل هو أمر ينبذه العقل ، ويرفضه الشرع • وقد شنع عليه الكتاب والسنة أشد التشنيع ، في عشرات من آيات الكتاب العزيز ، الموضحة بعشرات من أحاديث الرسول الكريم ، ولم ينقل عن أحد من الصحابة المشهورين بطريق يوثق به ، أنه كان يطلب

من ميت أو يبيح ذلك • ولا أنهم يقدمون الأموال والشموع والزيت لأصحاب المقابر ، أو أنهم كانوا يرفعون القباب والمقاصير عليها • وأن فعل ذلك هو عين فعل الجاهلية بأصنامهم ومعبوديهم • ـ ومن العجب أن نرى الذين ينتمون الى الطرق الصوفية : يعلقون آمالهم في دفع المضار وجلب المنافع بشيوخهم أحياء وأمواتا ، ويدعونهم عند كل حركة وسكون ، وقيام وقعود ، بحجة أنهم أهل كرامات ، وأهل تصريف في الكون • أو أنهم شفعاء يتوسطون في قضاء الحوائج بينهم وبين الله • ـ وهذا العمل وهذا الاعتقاد منهم فيهم ، هو الذي أرسل الله الرسل لمحاربته ، وهو صرح الشيطان الذي هدمه القرآن •

فلندع الشفاعات الشركية التي لا تجدي سوى البعد عن الله سبحانه وتعالى :

الشفاعات الشرعية

س ـ يظهر من قولكم فلندع الشفاعات الشركية : أن هناك شفاعات شرعية ، وشفاعات شركية • فأبدأ الآن بالسؤال عن الشفاعات الشرعية فما هي اذن ؟ ولتكن الاجابة مدعمة بأدلة من الكتاب والسنة ؟

ج ـ ها هو الجواب مفصلا ، ومدعما بالحجة التي تثبت اليقين وتنفي الشك ، فأقول : اعلم أن الشفاعة التي هي رفع حاجات المشفوع له الى الله بدعاء الشافع جائزة وثابتة للنبي صلى الله عليه وسلم بالكتاب والسنة في حياته الدنيا ويوم القيامة ، أما في حياته البرزخية فلا • وهي فيما أذن الله ، ولمن أذن له فيه فقط ، لا مطلقا • وهي نائلة من لا يشرك بالله شيئا • روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أسعد

الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال : « لا اله الا الله خالصا من قلبه » . وعن عوف بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : » أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة ، وبين الشفاعة . فاخترت الشفاعة » . وهي لمن لم يشرك بالله شيئا » رواه الترمذي . فأسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين جردوا التوحيد لله ، وأخلصوه من التعليقات الشركية ، وهم الذين ارتضى الله لهم الشفاعة سبحانه وتعالى. كما قال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى) وقال : (يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا » . فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضاه سبحانه قول المشفوع له واذنه للشافع . فأما المشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضى له ، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له ، واذنه للشافع . ـ فما لم يوجد مجموع الأمرين . لم توجد شفاعة . وهذه الشفاعة في الحقيقة ، انما هي منه سبحانه وتعالى ، فانه الذي أذن والذي قبل ، والذي ارتضى عن المشفوع له ، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة . فالرب تبارك وتعالى: هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه . ـ ويشفع الرسول يوم القيامة فيمن أراد له الشفاعة . ففي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أنه قال : « آتي تحت العرش فأخر له ساجدا ، ويفتح الله علي بمحامد لا أحصيها الآن ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك واشفع تشفع ـ فيحد لي حدا ثم ادخلهم الجنة ، ثم أعود ، فذكر أربع مرات . فالشفاعة كلها لله ، ليس

لأحد فيها شيء • ومعلوم : أن أعلى الخلق عند الله ، وأفضلهم الرسل والملائكة المقربون ، وهم عبيد محض ، لا يسبقونه بالقول ، ولا يتقدمون بين يديه ، ولا يفعلون شيئا الا بعد اذنه لهم وأمره • فيأذن سبحانه لمن يشاء أن يشفع فيه ، فصارت الشفاعة في الحقيقة انما هي له تعالى • والذي شفع عنده انما شفع باذنه له • والشفاعة جائزة أيضا للأولياء يوم القيامة ولكن بعد اذنه لمن يشاء فيمن يشاء ، هذه هي الشفاعة الشرعية التي أذن فيها الشرع •

أما استشفاع القبوريين بأرباب القبور فغير جائزة ، وهي من الشفاعات الشركية والعياذ بالله ، لأن المشفوع له تقدم اليهم معتقدا فيهم القدرة على رفعها ، واستجابتهم فيها • ـ فعباد الأصنام قالوا : « هؤلاء شفعاؤنا عند الله» وقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى زلفى » •

س ـ علمنا من الجواب الآنف بأن الشفاعة للأنبياء جائزة في حياتهم الدنيا لا لغيرهم ، وفي عرصات القيامة جائزة لهم ولغيرهم ، وكونها متوقفة على اذن الله الى آخر ما ذكرت • ولكن هناك شفاعة غير الوساطة، لا يرى الكثيرون مانعا منها ، سواء في حق الأنبياء وغيرهم كالتوجه الى الله بطلب الدعاء منهم ، وكذا التوسل بجاههم أو بحقهم على الله أحياء وأمواتا • فهل لديكم ما يخالف معتقدهم هذا ؟

ج ـ ان طلب الدعاء من أحد الصالحين الأحياء ممن يظن أنه مجاب الدعوة جائز لطالب الدعاء أو لغيره كما فعله عمر بن الخطاب وأصحابه في الاستسقاء ، فانهم قدموا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء وصاروا يؤمنون على دعائه • وهذا الدعاء الذي دعا به العباس مشهور في كتب الحديث والأحكام ، ونصه هكذا كما جاء في سبل السلام شرح بلوغ

المرام للصنعاني : « اللهم انه لا ينزل بلاء الا بذنب ، ولا يتكشف الا بتوبة، وقد توجهت بي القوم اليك لمكاني من نبيك ، وهذه أيدينا اليك بالذنب ، ونواصينا اليك بالتوبة ، فاسقنا الغيث . فأرخت السماء مثل الجبال حتي اخصبت الأرض ، أخرجه الزبير بن بكار في الأنساب ، وأخرجه أيضا من حديث ابن عمر استسقي بالعباس عام الرمادة سنة ثماني عشرة . ففيه دليل على جواز طلب الدعاء من أهل الخير والصلاح ، وفيه فضيلة العباس ، وتواضع عمر . وكما كان الصحابة يطلبون الدعاء لهم والاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو المشار اليه فيآية : « ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله ، واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما » . ـ وقيدنا جواز ذلك بالأحياء دون الأموات ، لانه لم يرد عن أحد منالصحابة، ولا عن أحد من الأئمة المشهورين فيما علمنا أنه جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو الى قبر غيره بعد موته وطلب منه الدعاء والاستغفار والشفاعة، وهم أعلم بمعنى الآية وأرغب من غيرهم في الخير ، وأحرص ممن دونهم على الطاعات ، فلو علموا أن ذلك من الطاعات لفعلوا ، ولو فعلوا لبلغنا . وحيث لم يبلغنا ذلك عن الصحابة ولا عن أحد من الأئمة المشهورين من طريق يوثق به ، فالواجب الوقوف عند الحد . كيف وقد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وأنه قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » . ـ أما التوسل بجاههم أو بحقهم على الله فغير مأثور ، وما لم يكن مأثورا فهو بدعة . وقد مر بك ما جاء في البدعة من وعيد . فلتدع

بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المأثور ، لا بما دبجته أيدي المضللين والمغرضين ، الشارعين ما لم يأذن به الله ، وما ليس لهم به علم ٠ هذا وقد عرفت ما جاء في التوسل بجاه الأنبياء والأولياء وبحقهم في الباب المخصص ، لذلك فارجع اليه ؟

الشفاعة الشركية

س ـ فيما سبق بينت معنى الشفاعة الشرعية ، وقد ذكرت قبل الاجابة ، على أن الشفاعة شفاعتان : شرعية ، وشركية ، وبما أن الاجابة عن الشفاعة الشرعية قد وضحت فيما جاء من رد كما أريد ٠ـ فأوجه السؤال الآن عن الشفاعة الشركية ، وعن الأدلة الفارقة بينها وبين الشفاعة الشرعية ٠ فهل تجيبني ؟

ج ـ ان الاجابة عن سؤالك أمر متعين ، وسوف لا آلو جهدا في الرد مع ابراز الأدلة الواضحة المقنعة المفيدة كما يلي :

ان معنى الشفاعة الشركية ، يفهم من معنى الجواب عن الشفاعة عموما كما تقدم ، ونزولا على رغبتك في طلب البيان أو رد ما يأتي كما استقيته من الكتب والتفاسير المعتبرة :

جاء في كتاب « الفرقان بين أولياء الرحمن ، وأولياء الشيطان » لابن تيمية ما يأتي :

عن الامام أبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي رحمه الله ، قال « لماصعبت التكاليف على الطغام والجهال ، عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع لأنفسهم فسهلت عليهم ، اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم ، قال : وعندي أنهم كفار بهذه الأوضاع ، مثل تعظيمهم القبور واكراما والتزامها بما

نهى عنه الشرع ، من ايقاد النيران عليها ، وتقبيلها ، وتخليقها . أي تطييبها بالخلوق « نوع من الطيب » وخطاب الموتى بالحوائج ، وكتب الرقاع عليها : يا مولاي افعل لي كذا وكذا ، وأخذ ترابها تبركا ، وشد الرحال اليها ، والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى . ـ انتهى كلامه .

وقال البكري الشافعي في تفسيره عند قول الله تعالى : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » : وكان الكفار اذا سئلوا : من خلق السموات والأرض ؟ قالوا الله . فاذا سئلوا عن عبادة الأصنام ؟ . قالوا : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » . لأجل شفاعتهم عند الله . وهذا كفر منهم ؟ ـ انتهى كلامه .

فتأمل ما ذكره ابن عقيل والبكري من تعظيم القبور ، وخطاب الموتى بالحوائج ، وأن ذلك كفر . ـ وقال الحافظ العماد ابن كثير رحمه الله في تفسيره عند قوله تعالى : « والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » ـ انما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا الى الأصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين بزعمهم ، فعبدوا تلك الصور ، تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة . ـ أي نسبوا عبادتهم لها عبادة للملائكة ، ـ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا ، فأما المعاد فجاحدون له ، كافرون به . قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد : « ليقربونا الى الله زلفى » ليشفعوا لنا عنده ، ويقربونا اليه، ولهذا يقولون في تلبيتهم اذا حجوا في جاهليتهم : « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك » . وهذه الشبهة التي اعتقدها المشركون في قديم الدهر وفي حديثه ، وجاءتهم الرسل بردها والنهى

عنها ، والدعوة الى افراد العبادة لله وحده لاشريك له • قال تعالى : « ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » والطاغوت كل ما عبد من دون الله فأطغى العابد له بخضوعه له واعتقاده فيه » وقال تعالى : « وما أرسلنا قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون» • وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى ، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير اذنهم فيما أحبه الملوك أو كرهوه ، قال تعالى : « فلا تضربوا لله الأمثال » تعالى الله عن ذلك ـ انتهى •

ومن تفسير المنار تحت آية « ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » الآية من سورة النساء ـ •

جاء تعقيبا عليها : ـ ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين ، وهم يفعلون مثلما يفعل جميع المشركين ، ولكنهم يفسدون في اللغة كما يفسدون في الدين ، فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة ، وقد يسمونها توسلا وشفاعة • ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء ، ولكنهم لا يأبون أن يسموهم أولياء وشفعاء ، وانما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الأسماء ولو لم يكن منهم الا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات ، وتفريج الكربات ، لكفى ذلك عبادة له هو ، وشركا بالله عز وجل ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الدعاء هو العبادة » رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح • وفي رواية : « الدعاء مخ العبادة » • والأولى تفيد حصر العبادة في الدعاء ، وهو حصر على سبيل المبالغة ، كأن ما عدى الدعاء لا يعد

عبادة بالنسبة اليه • وقد قالوا ان هذا الحديث من قبيل حديث : « الحج عرفة » أي هو الركن الأهم الذي لايعتد بغيره عند تركه • ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء في أكثر الآيات الواردة في ذلك ، وهي كثيرة جدا : يعلم كما يعلم من اختبر أحوال البشر في عبادتهم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التي يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس ولا سيما عند الشدة • ثم استطرد قائلا : ـ ومن يشرك بالله أحدا أو شيئا يدعوه معه ، أو يذكر اسمه مع اسمه ، أو يدعوه من دونه ملاحظا في دعائه أنه يقربه اليه زلفى ، أو غير ملاحظ ذلك ولا متذكر له ، وان كان بحيث لو ذكر به ذكره • ـ وهذا النوع من الشرك في العبادة الذي يتجلى في الدعاء ، هو أقواها • لأن الاعتقاد فيه وجدانيا حاكما على النفس ، مستعبدا لها ، ودونه الشرك المبني على النظر والفكر ، الذي يحاجك صاحبه بالشبهات المنتزعة من تشبيه الخالق بالمخلوقين ، وقياسه على الملوك الظالمين ، كقولهم : ان الانسان المذنب الخاطيء ، والضعيف المقصر ، لا يليق به أن يخاطب الاله العظيم كفاحا ، ولا أن يدعوه مباشرة ، بل عليه أن يتخذ له ولياواسطة بينه وبينه ، كما يتخذ آحاد الرعية الوسطاء الى الملوك والأمراء من المقربين اليهم • وقد يكون صاحب هذه النظرية مقلدا فيها بالرأي والقول الذي يسميه حجة ودليلا • ـ سليم الوجدان من تأثيرها لعدم التقليد فيها بتكرار العمل فهو لا يلابسه الا قليلا • ـ وكذلك من يشرك في ربوبية الله تعالى ، باتخاذ بعض المخلوقين شارعين ، يحلون له ما يرون تحليله ، ويحرمون ما يرون تحريمه ، فتبعهم في ذلك • ـ من يشرك بالله أي نوع من أنواع الاشراك فقد ضل عن القصد ، وتنكب سبيل الرشد ـ ضلالا بعيدا ـ عن

الصراط المستقيم ـ صراط الهداية ، موغلا في مهامه الغواية ، لأنه ضلال يفسد العقل ، ويدسي النفس ، فيخضع صاحبه ، ويستخذي لعبد مثله ، ويخشع ويضرع أمام مخلوق يحاكيه ، أو يزيد عليه في عجزه ، فيطيع من لا يطاع ، ويرجو ولا موضع للرجاء ، ويخاف ولا موطن للخوف ، ويكون عبدا للأوهام ، عرضة للخرافات ، لا استقلال لعقله في ادراكه ، ولا لارادته في عمله ، بل يكون عقله وارادته في تصرف بعض المخلوقات التي لا تملك له ولا لأنفسها نفعا ولا ضرا ، ولا هداية ولا غواية •

نعلم من هذا ومما بيناه من قبل في مثل هذا البحث أن سبب عدم مغفرة الله للشرك مع جواز غفران غيره ـ يوخذ من قاعدتين : ـ احداهما : ـ أن الجزاء في الآخرة هو بسلامة الأرواح وسعادتها ، أو هلاكها وشقاوتها ، هو تابع لما تكون عليه في الدنيا من سلامة الفطرة وصحة العقيدة التي يلازمها فعل الخيرات ، وعمل الصالحات • أو فساد الفطرة وخطأ العقيدة ، والتدنس بالرذيلة ، (الثانية) ان لما يكون عليه الناس من الأمرين درجات ودركات: أسفلها وأخسها الشرك ، وأعلاها كمال التوحيد ، ولكل منهما صفات وأعمال تناسبها • ـ فلو جاز أن يغفر الشرك فتكون روح صاحبه مع أرواح النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، تجول مع الملائكة المقربين في عليين، لكان ذلك نقصا أو تبديلا لسنة الله تعالى في خلق الناس التي ترتب عليها أن يكون منهم شقي وسعيد • فريق في الجنة وفريق في السعير • ـ انتهى ما جاء في المنار •

اذاً تحقق ما مر في هذا البحث أن الشفاعة لله جميعا ، وأنه لا يشفع عنده أحد الا باذنه ، وأن اعتقاد جهلة المسلمين في الأولياء : أنهم شفعاء

ووسطاء بين الله وبين عباده ، ما هو الا قول تقولوه ، وزور تزوروه ، فهم له منتحلون ، وعنه مسئولون •

تعــريف السنــة

س ــ أرى أن ما عليه جهلة المسلمين من اشراك بالله لم يكن سببه سوى الجهل بالسنة ، وعدم القدرة على التفريق بينها وبين البدعة • والا لما وقعوا فيما هم فيه ؟ ــ ولذا فاني أسألك عن تعريف السنة فقط لأكون على بصيرة بها ، فهل تسمح بذلك ؟

ج ـ تستعمل كلمة السنة في معان كثيرة : منها القضاء والحكم المستمر، كما في قوله تعالى: في سورة الاسراء : « وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ، واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا ، سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا » • وكما في قوله في سورة غافر : « فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده » ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : « أبغض الناس الى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ومبتغ في الاسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم أمرىء مسلم ليهريقه بغير حق » • وسنة الجاهلية أحكامهم ، وقضاياهم • ـ • وقد تستعمل بمعنى الطريقة والسيرة التي يسيرون عليها ، فيقال : فلان سن طريقة كذا ، بمعنى سار فيها وان لم يكن هو الذي اخترعها ، كما في القاموس • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « النكاح سنتي ، أي طريقتي التي اخترارها وأسير عليها • أو كما قال • ومن المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم ليس هو أول من ابتدع النكاح • وقد تستعمل السنة بمعنى البيان ، ويقال سن الرجل الأمر ، أي بينه ، كما في معجم الطالب وغيره من القواميس • وقال الآمدي : سنة كل أحد ماعهد منه المحافظة عليه ، سواء كان ذلك في الأمور الحميدة أو غيرها • وأما في

الشرع : فتطلق على ما كان من العبادات نافلة منقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم : وقد تطلق على ما صدر عن الرسول من الأدلة الشرعية ، مما ليس بمتلو • ـ • ويقال : سن فلان سنة كذا ، بمعنى بين طريقا قويما ، وسن الله أحكامه : بينها للناس • ـ • وقد تستعمل كلمة سن : بمعنى أجرى ، فيقال : سن الله على يدي فلان حاجتي ، بمعنى أجراها ، كما في أساس البلاغة ، ويقال : سن فلان سنة حسنة ، بمعنى طرق طريقة حسنة • وتطلق السنة أيضا على الطريق المستوي ، كما في المخصص • ـ كل ذلك في اللغة • ـ وأما في اصطلاح الفقهاء ، ما يستحق فاعلها ثوابا ، ولا يستحق تاركها عقابا • ـ وأما السنة بمعنى أنشأ خطة جديدة ، أو عملا جديدا لم يسبق له نظير ، فهي قد تستعمل في اللغة العربية أيضا ، ولكن لا يجوزذلك في الشرع • وبالخصوص في صور العبادات حتي للأنبياء فضلا عن غيرهم• وكل ما يطلق عليه كلمة السنة مما جاء عن الرسول فهو من جملة الوحي •

س ـ فهل من دليل على أن ما يطلق عليه كلمة السنة مما جاء به الرسول أنه من جملة الوحي ؟

ج ـ ها هي الأدلة كما جاءت في القرآن ، وهذا نصها ، قال تعالى في سورة النساء : « انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » • أي بما أفهمك الله من كتابه • ـ وليس للرسول حق التشريع المطلق لقوله تعالى ، في سورة يونس : « قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي » • ولقوله في سورة هود : « فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا » • أي تتعدوا حدود الله • ولقوله في سورة القيامة : « فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه » • ولقوله في سورة آل عمران : « ليس لك من الأمر شيء » • ولقوله تعالى في سورة ابراهيم :

« فانما عليك البلاغ » . ولقوله في سورة النجم : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » . وفي سورة النساء : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » . ولقوله في سورة الشورى : « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » . قاله سبحانه في معرض التوبيخ والانكار .

نعم قد ادعى البعض جواز التشريع للرسول بالاجتهاد ، معتمدين على حديث : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » وحديث : « لو قلت نعم لوجبت » في الحج في كل عام .

ولكن ذلك ليس يقيني الدلالة على المقصود ، لقبولها التأويل والاحتمال ، بارادة التأكيد وفرض الحث في الأول . وفرض مصاحبة الوحي في الثاني . ـ ونصوص الكتاب صريحة في عكسه ، وهي مقدمة اتفاقا على رواية الآحاد ، بل قال المحققون مطلقا ، لا تجوز الزيادة في الشرع وبالخصوص في العبادات ، لأن الله لم يأذن بذلك بل نهى عنه في كتابه ، ووبخ عليه من سبق من الأمم بقوله : « لا تغلوا في دينكم » وبقوله : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » وبقوله: « أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون ، أم لكم ايمان علينا بالغة الى يوم القيمة ان لكم لما تحكمون » وبقوله : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » والمقصود من ذلك أن من لم يتخذ الاسلام دينا ، وطلب غيره له دينا ، لن يتقبله الله منه ، وهو خاسر في دنياه وآخرته . ـ والاسلام هو ما جاء به الرسول عن ربه فقط . لا ما يخترعه ويبتدعه فلان وفلان من صور العبادات . وقال تعالى : « أليوم

أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ٠ فعلم من ذلك أن الدين كامل لا يحتاج الى زيادة ، وأن الله لم يرض لنا غيره ٠ ـ ولا يعقل أن نتقرب الى الله بما لم يرضه ، لأن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ٠ (الحديث) ٠

تعريف البدعة أو البدع

س ـ وضحت في هذا المبحث تعريف السنة لغة واصطلاحا ، وشرعا ، ثم أتيت بالأدلة التي تبين ما هي السنة ؟ الى آخر ما شرحت في نص الأدلة على أن السنة وحي من الله ٠ وهذا هو ما أطلبه ، وأسعى في التعرف عنه ٠ ـ والآن أسألك عن البدعة ما هي ؟

ج ـ ألبدعة عكس السنة ٠ وهي الزيادة في الدين بما لم يأذن به الله ، ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال به ، أو فعله ، أو أقره٠ وهي ضلالة وفي النار ٠ أي مخترعها والعامل بها اذا علم أنها بدعة في النار ٠ ـ فننصح اخواننا المسلمين باتباع الرسول فيما أمر ونهى ، وبتفهم القرآن حق الفهم ، والعمل بما جاء فيه ، وننصح لهم باحياء سنن الرسول واشاعتها بين الناس الذين طغت البدعة عليهم ، فظنوا أنها سنة ، بما روج لها دعاة الضلال ٠ وسماسرة السوء الذين جعلوا القرآن عضين في الخزائن، والذين اتخذوا الدين شبكة أغراض ٠ كما اني أنصح لكل متنور ألا يخاف في الله لومة لائم ، بل وأن لا يتوانى في انكار البدع بأي وسيلة كانت ، لينال رضى الله ، ووعده المضمون بقوله صلى الله عليه وسلم : « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغرباء الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي » ٠ فياهل ترى : يرجع المسلمون الى تصفية دينهم من البدع والوثنيات ٠ والى احياء سنته بالعمل بها اذ أن البدع هي آفة الدين ، ومن

أكبر الكبائر ، لأنه تكليف بما لم يشرعه الله ، قال صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » . وقال تعالى في سورة الأنعام : « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » . واعلم أن الابتداع في الدين أمر شنيع ، لأنه خروج عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . والتعصب للبدعة ضلال كبير ، يغضب الرب سبحانه .

ولو علم المروجون للبدع بأن في نشرها طيا للسنن لما روجوا لها ، ولما حاموا حولها ، كيف وقد روي « ما أحدث قوم بدعة الا رفع من السنة مثلها » . وان من استحسن شيئا وجعله دينا فقد شرع ومن شرع فقد كفر ، قاله الشافعي رحمه الله تعالى . فالعامل بالبدعة وان ظنها حسنة جهلا منه واعتمادا على ما تعلمه من المبتدعة ، فليس له فضل في العمل بها ، بل ولا يسلم من العقاب لعمله بالبدعة . ـ فعلى طالب الخلاص لنفسه ونجاتها أن يعود الى تفهم القرآن ، وصحيح السنة ، ليسلم من البدعة ، ويكون عمله موافقا للسنة ، فانه ما أوقع الناس في البدع الا الجهل بالسنة .

س ـ أريد دليلا من الكتاب والسنة على كون العامل للشيء استحسانا والحال أنه مخالف للسنة لا يقبل الله عمله ؟ ولا يثيبه عليه ؟ بل ولا يسلم من العقاب ؟

ج ـ جاء في سورة الكهف قوله تعالى : « قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » . قال ابن كثير في تفسيرها : « وانما هي عامة في كل من عبد الله على طريقة غير مرضية ، يحسب أنه مصيب فيها ، وأن عمله مقبول ، وهو مخطىء وعمله مردود كما قال تعالى : « وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ،

تصلى نارا حامية » • الآية من سورة الغاشية • ـ وقال في سورة الفرقان : « وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » وهذه الأحكام المذكورة في هذه الآيات محكوم بها على من كان في قلبه عقائد زائغة مبتدعة ، فأعماله : صلاته وصومه وحجه ، وطلبه العلم محض نصب يتعب به ، كما أفاده قوله : « عاملة ناصبة » وأشار اليه ابن كثير • وتكون يوم القيامة هباء منثورا ، كما أفادته الآية الأخرى ، ولا يقبل الله له جهادا ولا صرفا ولا عدلا كما أفاده حديث : « ان الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » • قال المنذري في الترغيب والترهيب ص ٣٧ ـ رواه الطبراني ، واسناده حسن • ـ وأعماله برمتها غير مقبولة كما أفاده حديث : « أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته • وفي كتاب (الاعتصام) للشاطبي بعد أن أورد حديث:«ان الله حجب التوبة على كل صاحب بدعة»• كتب يقول : ـ فهذه شهادة الحديث الصحيح لمعنى هذه الآثار • وحاصلها أنه لا توبة لصاحب البدعة عن بدعته ، فان خرج منها ، فانما يخرج الى ماهو شر منها كما في حديث أيوب ، أو يكون ممن يظهر الخروج عنها وهو مصر عليها بعد ، كقصة غيلان مع عمر بن عبد العزيز • ـ وأيوب الذيأشار اليه ، هو أيوب السختياني • وحديثه هو : « « ما زاد صاحب بدعة اجتهادا الا ازداد من الله بعدا » ـ ثم كتب يقول : ومن هنالك قلنا : يبعد أن يتوب بعضهم لأن الحديث يقتضي العموم بظاهره • يشير الى حديث : « ان الله حجب التوبة على كل صاحب بدعة » • ثم استطرد يقول : وسبب بعده عن التوبة ، ان الدخول تحت تكاليف الشريعة صعب والنفس انما تنشط بما يوافق هواها ، لا بما يخالفه • وكل بدعة فللهوى فيها مدخل ، لأنها

راجعة الى نظر مخترعها ، لا الى نظر الشارع ، فعلى حكم التبع لا بحكم الأصل مع ضميمة أخرى ، وهي : أن المبتدع لا بد له من تعلق بشبهة دليل ينسبها الى الشارع ، ويدعي أن ما ذكره هو مقصود الشارع ، فصار هواه مقصودا بدليل شرعي في زعمه ، فكَيف يمكنه الخروج عن ذلك ، وداعي الهوى متمسك بحسن ما يتمسك به ؟ وهو الدليل الشرعي في الجملة ـ أ هـ •

س ـ فهل العمل الذي لا يقبله الله من المبتدع : ـ العمل مطلقا أم الذي خالتطه البدعة ؟ لأني أستبعد أن تكون أعماله غير مقبولة ، حتى التي تكون موافقة للسنة منها ؟

ج ـ قال المناوي في فيض القدير : (١ : ٧٢) في تفسير البدعة : وهي الأهواء والضلالة • (حتى) أي الى أن يترك بدعته ، بأن يتوب منها • (أي أن أعمال المبتدع غير مقبولة) الى أن يتوب منها ويرجع عنها الى اعتقاد ما عليه أهل الحق • ثم قال : ـ وكما أن عمل المبتدع غير مقبول ، فذنبه غير مغفور • ـ ولم أر من تعرض للعمل المنفي قبوله في هذا الحديث ما المراد به؟ ألعمل المشوب بالبدعة فقط ، أو حتى الموافق للسنة • ـ فظاهر الخبر التعميم أما المشوب بالبدع فظاهر على أنه اذا عمل عملا على قانون بدعته عده سنة وهو لا يشعر ، ولا ثواب فيما خالف السنة • ـ وأما غيره فلأنه اذا عمل السنة فهو حال عمله يعتقد كونه بدعة : فهو بمعزل عن قصد التقرب والامتثال • انتهى •

ثم قال المناوي في تلك الصفحة ، وقد قال ابن القاسم : لا تجد مبتدعا الا وهو منتقص للرسول صلى الله عليه وسلم ، وان زعم أنه يعظمه بتلك

البدعة ، فانه يزعم أنها هي السنة ، ان كان جاهلا مقلدا ، وان كان مستبصرا فيها • فهو مشاقق لله ولرسوله • ثم قال : وقد ذم الله قوما راوا الخير شرا ، وعكسه ، ولم يعذرهم فقال : « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال في سورة فاطر : « أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا » وفي هاتين الآيتين دليل قاطع على أن نية المبتدع وقصده الخير فيها ، لا يكون شيء منها عذرا دافعا عنه عقوبة الله في الدارين ، وكذا جهله بالبدع ، وعدم تعمده التعبد بها لا يعذره عند الله بحكم الآيتين • كما أفاده كلام المناوي •

أقسام البدع

س ـ رأيت في بعض الكتب : أن البدعة تنقسم الى خمسة أقسام : واجبه ، ومنوبة ، وجائزة ، ومكروهة ، ومحرمة • فما تقول : في هذا التقسيم ؟

ج ـ تقسيم البدع هذا التقسيم لم يبن على أساس من الشرع ، انما هي آراء واستحسانات • وقد أنكر كثير من العلماء هذا التقسيم اذ أن النبي حينما ذم البدع لم يستثن ، بل قال : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة» واليك ما قال العلامة عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي في كتابه المسمى : (جامع العلوم والحكم) شرح خمسين حديثا من جوامع كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ص ـ ١٩١ ـ قوله : « واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبدعة ، وأكد ذلك بقوله : « كل بدعة ضلالة » • والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشرع يدل عليه • وأما ما كان له أصل من

الشرع يدل عليه ، فليس ببدعة شرعا ، وان كان بدعة لغة • وقد جاء في وعيد المبتدع قوله صلى الله عليه وسلم : « من ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله ورسوله ، كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا • فقول الرسول : « كل بدعة ضلالة من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين • وهو على حد قوله صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » • فكل من أحدث شيئا ونسبه الى الدين ، ولم يكن له أصل من الدين يرجع اليه فهو ضلالة ، والدين منه بريء • وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات ، أو الأعمال ، أو الأقوال الظاهرة والباطنة • وأما ما وقع في كلام بعض السلف من استحسانات بعض البدع : فانما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية • فتبين من ذلك أن البدعة قسمان لغوية ، وشرعية • ـ انتهى كلامه •

وجاء في كتاب الاعتصام للعلامة أبي اسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي رحمه الله ردا على هذا التقسيم قوله : والجواب أن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي بل هو في نفسه متدافع لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي ، لامن نصوص الشرع ولا من قواعده ، اذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو اباحة ، لما كان ثم بدعة ولكان العمل داخلا في عموم المأمور بها ، أو المخير فيها ، فالجمع بين تلك الأشياء ، أي بين عد تلك الأشياء بدعا ، وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو اباحتها ، جمع بين متنافين • ـ أما المكروه منها والمحرم فمسلم من جهة كونه بدعة ، لا من جهة أخرى ، اذ لو دل دليل على منع أمر أو كراهته ، لم يثبت ذلك كونه بدعة ، لامكان

أن يكون معصية ، كالقتل والسرقة وشرب الخمر ونحوها . فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البته . انتهى .

التمثيل على البدعة اللغوية

س ـ جاء في كلام ابن رجب الحنبلي عن البدعة قوله : وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع : فانما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية . وبناء عليه أطلب منك بيانا للبدعة اللغوية ، مع التفريق بينها وبين البدعة الحقيقية ؟

ج ـ ألبدعة اللغوية هي العمل من السلف الصالح بما له أصل في الدين يرجع اليه . اذ أن البدعة الحقيقية هي احداث مالا يرجع الى أصل في الدين. واليك المثل : فمن ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على امام واحد في المسجد ، وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال : نعمت البدعة هذه . وروي عنه أنه قال : ان كانت هذه بدعة فنعمت البدعة . ـ وهذا مما له أصل في الشرع . وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث الناس على قيام رمضان ، وكان الناس يقومون في المسجد جماعات متفرقة ، ووحدانا . وهو صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه غير ليلة ثم امتنع من ذلك ، بأنه خشي أن تفرض عليهم فيعجزون عن القيام بها . وهذا قد أمن بعده صلى الله عليه وسلم . ومنها أنه أمر باتباع سنة خلفائه الراشدين ، فان الناس اجتمعوا عليه في زمن عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم . ـ ومن ذلك أذان الجمعة الأول زاده عثمان لحاجة الناس اليه ، وأقره علي واستمر عمل المسلمين عليه . وروي عن ابن عمر أنه قال : هو بدعة ، ولعله أراد ما أراده أبوه في قيام رمضان . ومن ذلك جمع المصحف

في كتاب واحد ، توقف فيه زيد بن ثابت ، وقال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، كيف تفعلان ما لم يفعله النبي صلى الله عليـه وسـلم : ثم علم أنه مصلحة ، فوافق على جمعه • وقد كان النبي يأمر بكتابة الوحي ، ولا فرق بين أن يكتب مفرقا ، أو مجموعا ، بل جمعه صـار أصـلح • وكذلك جمع عثمـان الأمة على مصحف واعدامه لمـا خالفه ، خشـية تفـرق الأمة • وقد استحسنه علي وأكثر الصحابة رضي الله عنهم ، وكان ذلك عين المصلحة • وقـد روى الحـافظ أبو نعيم باسنـاد عن ابراهيم بن الجنيـد قال : سمعت الشافعي يقول : ـ ألبدعة بدعتان : بدعة محمـودة ، وبدعة مذمومة • ـ فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السـنة فهو مذموم • ومراد الشـافعي رضي الله عنه ما ذكرنا من قبل من أن البدعة المذمومة ما ليس له أصل في الشريعة ترجع اليه • وهي البدعة في أصل الشرع • ـ وأما البدعة المحمودة فما وافق السنة ، يعني ما كان لها أصل من السـنة ترجع اليـه • وانما هي بدعة لغة لا شرعا • وقد روي عن الشافعي كلام آخر يفسر هذا ، وهو انه قال : ألمحدث ضربان : ما أحدث مما يخالف كتابا أو سنة أو اجماعا أو أثرا فهذه البدعة ضلالة • وما لم يخالف : فلا •

س ـ ماذا يلزمنـا في مثـل هذه الأزمان التي انتشرت فيها البـدع وادعى أربابها أنهم انما فعلوها لمقاصـد حسنة ، وغايات نبيلة ، وما المخلص من هذه البدع ، والمميز لمقبولها من مردودها ؟

ج ـ في هذه الأزمان التي بعد العهد فيها بعلوم السلف : يتعين ضبط ما نقل عنهم من ذلك كله ، ليتميز به ما كان من العلم موجودا في زمانهم، وما أحدث في ذلك بعدهم • فيعلم بذلك السنة من البدعة • وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « لقد أصبحتم اليوم على الفطرة وانـكم

ستحدثون ويحدث لكم ، فاذا رأيتم محدثة فعليكم بالعهد الأول . وابن مسعود قال هذا : في زمن الخلفاء الراشدين . وروى ابن حميد عن مالك قال : لم يكن شيئا من هذه الأهواء في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبي بكر وعمر وعثمان . ـ وكان مالك يشير بالأهواء الى ما حدث من التفرق في أصل الديانات من أمور الخوارج والروافض والمرجئة ونحوهم ممن تكلم في تكفير المسلمين ، واستباحة دمائهم وأموالهم ، وفي تخليدهم في النار . أو في تفسيق خواص هذه الأمة ، أو عكس ذلك ، ممن زعم أن المعاصي لا تضر أهلها ، وأنه لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد . ـ وأصعب من ذلك ما أحدث من الكلام في أفعال الله وقضائه وقدره ، مما سكت عنه النبي والصحابة والتابعون لهم باحسان ، فقوم نفوا كثيرا مما ورد في الكتاب والسنة من ذلك . وزعموا أنهم فعلوه تنزيها لله عما تقتضي العقول بتنزيهه عنه ، وزعموا أن لازم ذلك مستحيل على الله عز وجل . ـ وقوم لم يكتفوا باثباته ، حتى أثبتوا باثباته ما يظن أنه لازم له بالنسبة الى المخلوقين . وهذه اللوازم نفيا واثباتا درج صدر الأمة على السكوت عليها . ومما حدث بعد ذلك : القول في الحقيقة بالذوق والكشف ، وزعم أن الحقيقة تنافي الشريعة ، وأن المعرفة وحدها تكفي مع المحبة ، وأنه لا حاجة الى الأعمال ، وأنها حجاب . أو أن الشريعة انما يحتاج اليها العوام ، وربما انضم الى ذلك الكلام في الذات والصفات ، مما يعلم قطعا مخالفته للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة .

ومما حدث في هذه الأمة بعد عصر الصحابة والتابعين ، الكلام في الحلال والحرام بمجرد الراي ، ورد كثير مما وردت به السنة في ذلك

لمخالفته الرأي والأقيسة العقلية • والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم • انتهى ما جاء في الجواب ، وهو منقول من كتاب (جامع العلوم والحكم) لابن رجب الحنبلي • ـ •

حول الحقيقة والشريعة

س ـ جاء في كلام ابن رجب قوله : « ومما حدث بعد ذلك : القول في الحقيقة بالذوق والكشف ، وزعم بعضهم أن الحقيقة تنافي الشريعة» فالتمس منك أن تتحدث عن هذا الموضوع بما يتبين لي به معنى الكلمتين ؟ وهل هما مسمى لشيء واحد ؟ أو بينهما مغايرة كما يزعمون ؟

ج ـ ألحقيقة والشريعة لفظتان متفقتان : نصا وروحا ، ومعنى • وان ثم فرق فهو في المعنى اللغوي فقط • ـ • فالحق مصدر ، وضده الباطل ، ومنه الحقيقة ، وهي : كل مايلزم المرء حمايته والدفاع عنه من الحقوق والواجبات الدينية والمدنية والشخصية والجماعية • والشريعة مصدر ـ بمعنى شرع وبين وأوضح • وهي تطلق على ما شرعه الله وبينه في كتابه ، وعلى لسان رسوله لعباده من التوحيد والعبادات والمعاملات والأحكام وغير ذلك • أما التفريق الذي جرى على ألسنة الصوفية ، ومن شايعهم وسار بسيرهم ، من أن الحقيقة غير الشريعة فغير مسلم به ، لأنه لم يرد في كتاب الله ، ولم يجر على لسان رسول الله ، ولا على ألسنة الخلفاء والصحابة ومن تبعهم باحسان• كيف وربنا يقول : « فماذا بعد الحق الا الضلال » • ويقول : « الحق أحق أن يتبع » ويقول : « ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم » • ويقول : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا

الدين ولا تتفرقوا فيه » • ويقول : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها » • ويقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا » • ويقول : الرسول صلى الله عليه وسلم : « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا : كتاب الله وسنتي » •

فتبين من هذه الأدلة أن الحقيقة والشريعة لمسمى واحد وهو الدين • فلم يجر هذا التفريق الا على ألسنة الصوفية ـ ليبنوا على ما يسمونه الحقيقة أوهامهم السخيفة وآراءهم الممقوتة الباطلة ، وادعاءاتهم الكاذبة • ـ وهذا التفريق مبتدع ومخترع لا غير ، وحتى انهم يسمون علماء الشريعة أهل الظاهر ، وعلماء الحقيقة بزعمهم علماء الباطن • ولقد ضمني منذ أمد بعيد مجلس تصدره من يقول بقول الصوفية وينتصر لآرائهم ، فسمعته يقول : متبجحا بمقام الصوفية ، متندرا بمقام الفقهاء علماء الشريعة « ان فقهاء الشريعة بمثابة أربعة من العميان جيء لهم بفيل ، فقبض أحدهم على خرطومه ، والثاني : على أذنه ، والثالث : على قائمة من قوائمه ، والرابع : مس بطنه وتحسسها • ـ فلما استوصفوا الفيل ، قال كل منهم : أنا سأصفه لكم • فقال الذي قبض على خرطومه : ألفيل كأنبوبة كبيرة معوج طرفها • وقال الذي قبض على أذنه : ألفيل كالطبق العظيم • وقال الذي قبض على قائمة من قوائمه : الفيل كالاسطوانة ، وقال الذي مس بطنه : ألفيل كالخيمة . ثم قال : هذا مبلغ معرفة علماء الشريعة ومدى ما وصلوا اليه !! ـ أما علماء الحقيقة ، فاذا استوصف أحدهم الفيل فسيصفه كله » • فأعجب الحاضرون بهذا المثل الذي يصور علماء الشريعة بهذه الصورة • وليس فيهم من أنكر، أو من استشكل • فلم يكن منهم سوي الاعجاب فقط • هذا مبلغ تندرهم

بالفقهاء الذين أخذوا علمهم من كتاب الله وسـنة رسوله . ـ ألا قاتل الله الجهـــل ؟؟

اننا نسائل هؤلاء القـائلين بالفـرق بين الشريعة والحقيقـة بالأسـئلة الآتية:هل علم الرسول هذا الفرق بين الشريعة والحقيقة ؟ وهل هو من الموحى به اليه من قبل الله جل علاه ؟ ـ فان قلتم : نعم ـ علم الرسول هذا العلم . وهو من الموحى به اليه . فتقول : ان الذي بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم هو هذا الدين المسمى (الشريعة) كما جاء في النص القـرآني . فلم يذكر في الموحى به اليه أن هناك دينا يسمى (الحقيقة) وهو غير الشريعة . ولو كان لبلغه كما بلغ الشريعة ، لقول الله له : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته » هذا ـ والكتمان مستحيل في حقه صلى الله عليه وسلم ؟ وان قلتم انه بلغه ضمن ما بلغه ، فنقـول : ان الدين الذي بلغه ، هو هـذه الشريعة التي قال عنها هو عليـه الصلاة والسـلام : « تركتكم على المحجة البيضـاء ، ليلهـا كنهـارها ، لا يزيغ عنها بعـدي الا هالك » أو كما قال . فان وافقتم بأن الحقيقة جاءت ضمن ما بلغه ؟ فنوافقكم على ذلك ، غير أننا لا نقول بأن الشريعة شيء ، والحقيقة شيء ، بل نقول : انهما شيء واحد ، لا تنفك احداهما عن الأخرى ، وباتفاقكم معنا على هـذا يزول الاشكال . أما اذا أصررتم على قولكم ، فلا مندوحة لـكم من اقامـة الدليل من النص القرآني ؟ وأني لكم ذلك ؟؟

عمل الناس اليوم مشوب بالبدع

س - ان للبدع شيوعا في وقتنا الحاضر،فقلما تجد عملا من الأعمال الدينية الا وهو مشوب بالبدع ، ومنها ما هو محض بدعة ٠ واذا سئل أكثر علمائنا عنها ، قالوا انها بدعة حسنة ٠ ويستدلون بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها ٠ وأجر من عمل بها من بعده الى يوم القيامة ٠ ويستدلون بما قاله سيدنا عمر بعد أن جمع الناس في قيام رمضان على امام واحد : « نعمت البدعة هذه » وبغيرها مما سنه الخلفاء الراشدون للمصلحة كالأذان الذي زاده عثمان يوم الجمعة ٠ - وبناء على ذلك روجوا للبدع ، وشددوا النكير على من خالفهم ٠ ورموه بالجهل تارة ، وبقلة الفهم تارة أخرى ، وشغلوا بالجدل حول ما ابتدعوه ، حتى قلبوا السنة بدعة ، والبدعة سنة ٠ ولطغيان الجهل المركب في محيطنا لم يعد المسلم اليوم يفرق بين أمر الله ، وبين ما سنه المستحسنون باسم الدين ٠ فما من عبادة الا وألصق بها ما ليس منها ، كالتلفظ بالنية في الصلاة مثلا ، وكزيادة مسح الرقبة في الوضوء ، وكالاذكار عند غسل الأعضاء في الوضوء ، وكالصلاة على النبي بصوت مرتفع مع الأذان ، وكالترحيم عند أذان الصبح مع الترضي على خليفة من الخلفاء الراشدين بعد كل مرة ، وهو قول المؤذن : « يا أرحم الراحمين ارحمنا ، يكررها ثلاث مرات بصوت مرتفع ثم يقول : بجاه أبي بكر الصديق رضي الله عنه - ثم يعيدها ويقول آخرها بجاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٠ وهكذا ٠ الى آخره » ٠ وكتقسيم مقامات التراويح في رمضان والترضي على الخلفاء لكل خليفة مقام معروف وذلك بصوت مرتفع من جميع المصلين وكذا الاحتفالات في بعض ليالي رمضان في المساجد مع اشعال المصابيح الكثيرة وترتيل الأناشيد والمدائح النبوية التي تحوي مثل قول المنشد :

لولاك ما خلقت شمس ولا قمر ولا سماء ولا لوح ولا قلم

ومن أفضع ما ابتدع باسم الدين : الاستغاثات بالأموات ، والعكوف حول أضرحتهم للاستشفاع في قضاء الحاجات ، وكشف الكربات ، وكبناء

القباب على قبورهم ونصب التوابيت فوقها والباسها ٠ ـ ٠ وبالرغم من وجود هذه البدع وشيوعها ، فلا يوجد من بين علمائنا من ينكرها ، وان وجد فهونادر لا يقام لقوله وزن ، فما المخرج من هذه البدع ؟ وهل لهذا الليل من صبح ؟

ج ـ لست أنت وحدك الذي تنكر هذه الأعمال ، وتتألم لحصولها ، بين علماء يروجون لها ، ويشايعون من يعملها ، بل ويلقنونهم أدلة يؤولونها حسبما تهوى أنفسهم ، كالأدلة التي مر ذكرها ٠ وسوف يأتي ان شاء الله يوم تظهر فيها طائفة قائمة على أمر الله ، تنشر دين الله من كتابه ، ومن سنة نبيه ، لا تخاف في الله لومة لائم ٠ « وأنه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » ٠ وستتغلب جيوش الحق على جيوش الباطل ٠ « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز » ٠ وقولك : انهم يستدلون بحديث : « من سن في الاسلام سنة حسنة ٠٠٠ الى آخره » ٠ وبقول الخليفة عمر لما رأى اجتماع المصلين فيصلاة التراويح : « نعمت البدعةهذه » وبالأذان الذي زاده عثمان يوم الجمعة ٠ ـ ٠

فالدليل بالعكس ، ولو فكروا قليلا لما فاهوا بمثل هذه الأدلة التيهي في الحقيقة تؤيد المنكرين عليهم ٠ أو لعلهم خافوا من أن يستدل بها عليهم ، فاستدلوا بها من باب المغالطة ، فان معنى سن سنة حسنة : أجرى سنة من السنن التي سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحياها وبينها للناس ٠ وانك لو نظرت الى السبب الذي من أجله تحدث النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث : لوجدت أنهم أولوه كما تهوى أنفسهم واليك بيان السبب: « فعن أبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه قوم عراة مجتابي النمار أوالعباء

متقلدي السيوف عامتهم بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى ما بهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الى آخر الآية ان الله كان عليكم رقيبا • والآية التي في آخر الحشر: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد • ـ • تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » • رواه مسلم • قوله : مجتابي النمار هو بالجيم وبعد الألف باء موحدة ، والنمار جمع نمرة وهي كساء من صوف مخطط ، ومعنى مجتابين لابسيها قد خرقوها في رؤوسهم • وقوله تمعر وجهه بالعين المهملة أي تغير ، وقوله : رأيت كومين بفتح الكاف وضمها أي صبرتين ، وقوله : كأنه مذهبة ـ يراد به الصفا والاستنارة انتهى ـ عن (رياض الصالحين)•

وسن مأخوذ من السنن ، والتقيد بأن له أجر من عمل بها من بعده • فخرج ثواب من عمل بها قبله ، والتقيد بالاسلام ، للاشارة بأن العمل الصالح مع الكفر لا ينفع في الآخرة ، والعمل السيء الذي سلف في وقت الكفر يعفو الله عنه ، ان صدق في التوبة والاسلام ، لقول الله تعالى : « عفا الله عما

سلف » الآية من سورة المائدة . ويقول الله سبحانه : « قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » . الآية من سورة الأنفال . ولقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا أسلم العبد فحسن اسلامه يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها وكان بعد ذلك القصاص » .

واما استدلالهم بقول الخليفة عمر : (نعمت البدعة هذه) عندما رآهم يصلون التراويح في جماعة . وبما أحدثه عثمان من زيادة أذان يوم الجمعة : فدليل على تحكيم عقولهم دون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويرده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . فهذا من أمر الرسول باتباع سنة خلفائه والأخذ بها ، لأنها في الحقيقة سنته ، اذ هم أعرف بسنته من غيرهم . ومثل هذه الأدلة لا تشتبه الا على من ليس له المام بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولو أننا اتبعنا سنة كل من سن سنة يراها حسنة بمجرد فهمه وذوقه وهواه : لما بقي بأيدينا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم غير القليل ، وذلك لكثرة المستحسنات المحدثة . والجماعة في التراويح فعلها الرسول ثلاث ليال ثم تركها خشية أن تفرض ، رحمة بالأمة . فعليك أيها السائل أن تعرض كل ما تراه من عمل الناس اليوم على معياري الشرع الشريف : الكتاب والسنة . فتعمل بما وافقهما ، وتترك ما خالفهما ، لقوله سبحانه : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » ولقوله تعالى في سورة النساء : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا»

وستعرف من هنا أن ما عليه الناس اليوم يحتاج الى فحص وتمحيص ، وانى عرضه على الكتاب والسنة قبل العمل به ، حتى تعمل على بصيرة وبينة ٠

نموذجا من تأويلهم الفاسـدة

س ـ يحتجون بما ورد في شأن الأولياء في القرآن ـ كقوله تعالى في سورة يونس : ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٠ الذين آمنوا وكانوا يتقون ٠ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » فقالوا ان هـذه الآية تدل على شفـاعة الأولياء ووساطتهم عنـد الله أحيـاء وأمواتا ٠ وعلى أن لهم التصريف في الكون ، لقوله تعالى « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » ٠

ويحتجون بهذا الحـديث القـدسي : « لا يزال عبـدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه » ٠

فجعلوا هذا الحديث حجة على تصرف الأولياء أحياء وأمواتا ، ما دام أن لهم هذه الميزة ـ فزعموا أن للولي سمعا من سمع الله ، وبصرا من بصر الله ، وبطشا من بطش الله الى آخر ما جاء في هذا الحديث ٠ فهل لهم حجة على ما ادعو لأوليائهم في الآية ، وفي الحـديث ؟ أرجو الاجابة بالتوضيح ؟

ج ـ ليست لهم حجـة على ما ادعوا ، لافي الآية ، ولا في الحـديث! وانما فتنتهم بتأويل المتشابه دعتهم الى ما ذكرت ٠ ـ ٠ فحقا ان أولياء الله لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون ٠ فهم لا يخافون اذا خاف العاصـون ، ولا يحزنون اذا حـزن المجرمون والمفتونون ٠ وأن لهـم البشرى بدخـول الجنة ، والتمتع بطيباتها وحورها وأنهارها ، ونظير هذه الآية قوله تعـالى: « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا

تحزنوا ، وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ، ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم » الآية من سورة : فصلت • ـ فهذه هي البشرى المذكورة في الآية ، والبشرى في الدنيا يكتب لهم العزة والنصر • وينعم عليهم بسائر النعم • ومن البشرى في الدنيا الرؤيا الصالحة التي يراها المسلم أو ترى له كما جاء بذلك الحديث الصحيح • وقال العلامة البيضاوي في تفسيره لهذه الآية : « أولياء الله هم الذين يتولونه بالطاعة ، ويتولاهم بالمحبة والكرامة ، ـ وهذا الجزاء ثابت لجميع المؤمنين الصالحين ، المتقربين الى الله الذين آمنوا ايمانا كاملا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، وكانوا يتقون الله في كل ما يعملون ويذرون ، فهم يتقون غضبه وعقابه بترك ما يغضبه • ـ • هؤلاء لهم البشرى في الحياة الدنيا بالنصر فيها ما داموا ينصرون الله ورسوله ، ويقيمون شريعته ، وأحكام قرآنه ، ولهم البشرى بحسن العاقبة وباستخلافهم في الأرض ان أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور ، وقال تعالى : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض»• وأما البشرى في الآخرة : فالنعيم المقيم في الجنة العالية ، ذات القطوف الدانية • لا تبديل لكلمات الله ، ولا خلف لوعده ، بل قوله الحق ووعده الصدق ومنه هذه البشارة ، وذلك هو الفوز العظيم الذي ليس بعده فوز •

انتهى نقلا عن التفسير الواضح لمحمد محمود حجازي • ثم عقب المفسر بقوله : وهنا لبعض الناس كلام في الأولياء لست أراه ••• نسأل الله التوفيق والهداية •

ومن تفسير المنار الجزء الحادي عشر لمحمد رشيد رضا ، قوله :

وأما البشرى التي زفها الله اليهم فهي قوله : « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة » البشرى الخبر السار الذي تنبسط به بشرة الوجه فيتهلل وتبرق أساريره . وهذه البشرى مبينة في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . فأما البشرى في الحياة الدنيا فأهمها البشارة بالنصر وبحسن العاقبة في كل أمر ، وباستخلافهم في الأرض ، ما أقاموا شرع الله وسنة رسوله ، ونصروا دينه وأعلوا كلمته . وأما في الآخرة فمن أكملها وأجمعها لمعاني الآية لأكملهم قوله تعالى : « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون : نزلا من غفور رحيم » . ـ ألمشهور في تنزل الملائكة عليهم أنه يكون يوم القيامة ، وكذا عند الموت ، ولا مانع من شموله لما في الدنيا من تثبيت قلوبهم ، وتقوية الهام الحق والخير فيهم ، كما قال تعالى في الملائكة الذين أمد الله بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر : « وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به » الآية . ثم قال « اذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا » . وقد يكون منه الهام الحق والخير كما ورد في حديث ابن مسعود مرفوعا عند الترمذي « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ، واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان » ثم استطرد قائلا : ذلك ما فسرنا به

الآيتين بشواهد مما في معناهما من الآيات ، والقرآن خير ما يفسر به القرآن وأصحه ، وكل ما خالفه وخرج عنه فهو باطل ، وعززنا بأمثل ما روي من الأخبار والآثار فيهما • فأولياء الله الذين يشهد لهم كتاب الله بالولاية : هم المتقون الصالحون ، ولكن اشتهر بين المسلمين بعد عصر السلف ما يدل على أن الأولياء عالم خيالي غير معقول ، لهم من الخصائص في عالم الغيب والتصريف في ملكوت السموات والأرض ، فوق ما ورد في كتاب الله وأخبار رسول الله الصادقة في أنبياء الله المرسلين ، بل فوق كل ما وصف به جميع الوثنيين آلهتهم وأربابهم التي اتخذوها من دون الله • وينقلون مثل هذه الدعاوى عن بعض من اشتهروا بالولاية ممن لهم ذكر في التاريخ، ومن لا ذكر لهم الا في كتب الأدعياء الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات بهم ، ممن يسمون بالصوفية وأهل الطريق ، ينقلون عنهم ما يؤيدون به مزاعم الخرافية الشركية • ـ ولئن أنكر عليهم منكر واحتج عليهم بكتاب الله وحديث نبيهم : مفسر أو محدث ـ ليقولن هذا ضال مضل منكر للكرامات ، مخالف للقرآن ، وقرأوا عليه : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وهل هذه الآية الا كقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » • وغيره مما أوردنا من الشواهد آنفا ، نعم ان هؤلاء المؤمنين الصالحين درجات • أشرنا آنفا الى أعلاها وأدناها وفصلنا القول فيهم في الكلام على حب الله ورسوله من تفسير (١٠ ـ ٢٤) هذه الولاية الخيالية المبتدعة من محدثات الصوفية ألبسوها أولا ثوب الشريعة ، وجعلوا للشريعة

مقابلا سموه الحقيقة ، ثم صاروا يلبسون عليها لباسا ، ويبعدون بها حسا ومعنى ، بقدر ما يبعدون عن الاتباع ، ويوغلون في الابتداع . ـ انتهى ماقاله السيد رشيد رحمه الله .

وفي تفسير ابن كثير تحت هذه الآية قوله :

يخبر تعالى أن أولياءه هم الذين آمنوا وكانوا يتقون . فكل من كان مؤمنا تقيا ـ كان لله وليا . (فلا خوف عليهم) أي فيما يستقبلونه من أهوال الآخرة (ولا هم يحزنون) على ما وراءهم في الدنيا . (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) قال : سأل رجل أبا الدرداء رضي الله عنه عن هذه الآية ، فقال : لقد سألت عن شيء ما سمعت أحدا سأل عنه ، بعد رجل سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له بشراه في الحياة الدنيا ، وبشراه في الآخرة الجنة » ـ انتهى .

وأما الحديث فقد جروا في تفسيره على غير علم ولا هدى ولا كتاب منير . فقد تحكموا فيه بما تهوى أنفسهم ، ولا يدرون أنهم بذلك قد شبهوا الأولياء بالله حيث جعلوا سمع العبد كسمعه ، وبصره كبصره ، الى آخره . فتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . ـ وخلاصة المعنى للحديث : المذكور هو أن الله سبحانه حدث عن نفسه على أن من تقرب اليه بنوافل الطاعات يكتب له محبته التي تكون سببا في حفظ أعضائه وحمايتها عن فعل ما يغضبه » بأن يوفقه للعمل بمقتضى الدين الحنيف ، وهو جزاء منه على التقرب اليه . هذا هو ما يحمل عليه معنى الحديث ما فسروه مما يمجه الذوق ، ويتبرأ منه الدين . فالله سبحانه لا يحل في عين من أحبه ، ولا في أذنه ولا في لسانه ،

ولا في يده ، ولا في رجله • فما هذا الاختلاق • وقد فند هذه الفرية السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار في الجزء العاشر ، بعد أن فسر الحديث الآنف الذكر تفسيرا يقتضيه مقام الألوهية بقوله : » وما يذكرونه من مرتبة وراء هذه المرتبة تسمى وحدة الوجود • وهو عبارة عن كون وجود الخلق عين وجود الحق ، وكون ذات العبد هي ذات الرب • أولا عبد ولا رب • وما ثم الا شيء واحد له مظاهر وأطوار ، كظهور الماء في صور الثلج الجامد والسائل والبخار • فهذه فلسفة مادية باطلة ، اخترعتها مخيلات صوفية البوذية والبراهمة • وهي كفر بالله ، وخروج من ملل جميع الرسل • وقد فتن بها صوفية المسلمين • انتهى •

وجاء في كتاب (جامع العلوم والحكم) تفسيرا لهذا الحديث قوله : « المراد من هذا الكلام : أن من اجتهد بالتقرب الى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل ، قربه الله اليه ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان ، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه ، فيمتلىء قلبه بمعرفة الله تعالى ، ومحبته ، وعظمته ، وخوفه ومهابته ، واجلاله ، والأنس به ، والشوق اليه ، حتي يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة • الى أن قال : فحينئذ لا ينطق العبد الا بذكره ، ولا يتحرك الا بأمره ، فان نطق نطق بالله ، وان سمع سمع بالله ، وان بطش بطش به ، فهذا هو المراد بقوله : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها • ومن أشار الى غير هذا فقد أشار الى الالحاد من الحلول والاتحاد ، والله ورسوله بريئان منه • ـ انتهى ـ •

وجاء في كتاب (ليس من الاسلام) لمؤلفه محمد الغزالي الطبعة الثالثة

لسنة ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ ـ م تحت حديث : « من عادى لي وليا .. الى آخره » قوله : ـ فالحديث يشير الى مرتبة التفاني في ارضاء الله تفانيا يجعل حواس المرء وجوارحه مسخرة في طاعة الله وحده ـ ولا يعني البتة ـ أن ادمان العبادة ينتهي بحلول واتحاد كما يصوره بعض السذج ، أو ينتهي بطور خارق للنواميس المعتادة ، كما صور ذلك المتصوفة في حديث مكذوب : « عبدي أطعني أجعلك ربانيا تقول للشيء كن فيكون . ـ انتهى ـ . هذه هي اجابتي على سؤالك وأرى فيها الكفاية لمن عقل ؟؟ ثم اعلم ان مصدر هذه البدع هو التقليد الأعمى لا غير ! والحال أن الاجتهاد في تفهم الأدلة والنصوص لابد منه . وهذا هو التقليد على بصيرة .

الاجتهاد والتقليد

س ـ قلت ان الاجتهاد في تفهم الأدلة والنصوص لا بد منه . وهذا هو التقليد على بصيره ؟ فعليك أن تبين معنى الاجتهاد ؟ حيث أني أسمع من أن العلماء يمنعونه ويزعمون أن بابه مقفل ، فهل يسلم لهم هذا الادعاء ؟ وهل لهم دليل عليه ؟

ج ـ سأحدثك أولا عن الاجتهاد ما هو : ومن ذلك تستنتج معنى التقليد وحكمه . فالاجتهاد في اللغة : بذل الجهد والوسع فيما فيه كلفة ، وفي الاصطلاح : استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة الكلية ، والقواعد العمومية . ـ . والاجتهاد لفهم معاني الكتاب الكريم واجب على من له استعداد تام لتطبيق ما يحدث من الأحكام عليها . فكل من عرف اللغة العربية وفقه مواقع الأحكام فيجب عليه الاجتهاد ، لقوله تعالى : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله

وأولئك هم أولوا الألباب » الآية من سورة الزمر • ومعنى أحسنه : أوفقه لمقتضى الحال ، والزمان ، والمكان ، وأقواه سندا وبرهانا ، وأقربه الى العقل • ومن المعلوم أن من لم يبذل جهده في التأمل والتدبر لا يمكنه أن يميز بين الحسن والأحسن ، قال تعالى في سورة الأعراف : « خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » • ومن لم يبذل جهده في التدبر ، لم يكن آخذا بما فيه بقوة ، ولا ذاكرا ما فيه ، قال تعالى في سورة ص : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ، وليتذكر أولوا الألباب » وهذا صريح في أن الله لم ينزل الكتاب الا لتدبر ما فيه • وقال في سورة محمد : « أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » • وهو توبيخ شديد لمن اعرض عن القرآن ولم يتدبر ما فيه • وقال في سورة آل عمران : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » ولا يتصور أن يكون الشخص معتصما به ، ومستمسكا بأحكامه ، وهو لا يعرف ما فيه • ولا يمكننا الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله الا بعد العلم بهما ، والتدبر فيما فيهما ، وقال تعالى في سورة يوسف: « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » • ولا شك أن من لم يعلم ما جاء به الرسول ، لا يكون داعيا الى الله على بصيرة ، لأن البصيرة هي الحجة والبرهان ، ولا حجة ولا برهان بيد المقلد الأعمى • ـ وأما كون الانسان يقلد شخصا معينا في أمر من أمور دينه ، بحيث يقدم قوله على ماثبت له من الكتاب والسنة مع امكان تناول الدليل ، فهو ممنوع شرعا وعقلا بنص الكتاب والسنة •

س ـ هل توجد في القرآن آيات تنعى على المقلدين تقليدهم ، وتوبخهم على اتباع آبائهم فيما ورثوه عنهم من الآراء بغير حجة ؟

ج ـ نعم توجد آيات من القرآن تنعى على المقلدين تقليدهم لآبائهم بغير حجة واليك سردها : قال تعالى في سورة البقرة : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » . وقال في سورة المائدة : واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول ؟ قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولايهتدون » . وقال في سورة لقمان : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير » . وقال في سورة الأحزاب : « وقالوا ربنا انا أطعنا سادتناوكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا » . وقال في سورة الزخرف : « وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ، قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا : انا بما أرسلتم به كافرون » . فكل من عارض آية محكمة أو سنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون تابعا لخطة هؤلاء الذين ذمهم الله في القرآن ومستحقا لما استحقوه من العذاب. لأن جميع الأحكام والعقوبات ، والثواب والجزاء ، انما هي تابعة للصفات لا للذوات لقوله تعالى : « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا » وقوله « سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . هذا هو مما في الكتاب .

وأما ما جاء في السنة من الشواهد ـ فمنها قوله صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع » • ولم يقيد ذلك بزمان ولا مكان • وروى مالك في الموطأ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :«تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله » • وأما السلف الذين مدحهم الله في كتابه بقوله : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه»• ومدحهم الرسول بقوله : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم •• الخ » فليس أحد منهم كان يقلد أحدا في دينه ، بل كانوا يتعلمون عن بعضهم ما جاء عن الله ورسوله من الأحكام المعضدة بالأدلة النقلية والعقلية • ثم يتبعون مارجح دليله وثبت أصله ، ويبذلون جهدهم في فهم كتاب الله وسنة رسوله ، دون آراء الرجال لأنهم غير معصومين ، بل قد نهوا جميعا عن التقليد الأعمى الذي نسير عليه اليوم ، من أننا نكتفي بآراء الرجال من دون بحث عن الدليل • أما تقليد الغير مع معرفة الدليل فجائز •

الأئمة الأربعة ينهون عن التقليد الاعمى

س ـ اتضح لي مما مر أن الاجتهاد غير ممنوع ، وأن التقليد الأعمى الذي لايقوم على الدليل غير جائز • لكني أسمع من ألسنة من يدعون غلق باب الاجتهاد ووجوب التقليد الأعمى نسبة قولهم بذلك الى أئمة المذاهب الأربعة : أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد • ـ رضي الله عنهم فهل ثبت عن الأئمة أنهم قالوا بذلك ؟ أم أن هذا محض افتراء عليهم ؟

ج ـ نسبة القول بذلك الى الائمة محض افتراء • اذ أنهم قالوا بخلافه، واليك ما قالوه كما روي عنهم • نقل ولي الله الدهلوي في كتابه عقد الجيد،

في أحكام الاجتهاد والتقليد ، عن أبي حنيفة أنه قال : « لاينبغي لمن لايعرف دليلي أن يفتي بكلامي . وكذا نسب هذا القول للشعراني في الميزان واليواقيت . وقال أبو الليث السمرقندي : عن أبي حنيفة أنه قال : لا يحل لأحد أن يفتي بقولنا مالم يعلم من أين قلناه » . وهذا تصريح منه بتحريم ذلك . وقيل لأبي حنيفة : كيف اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه ؟ قال : « أتركوا قولي واعملوا بكتاب‌الله » وقيل له : اذا كان خبر الرسول يخالفه ؟ فقال : « أتركوا قولي وخذوا بقول الرسول » فقيل له : اذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ فقال : « أتركوا قولي لقول الصحابة » وصح عنه أنه قال: « اذا صح الحديث فهو مذهبي » .

وأما مالك بن أنس : ـ فقد روي عن الامام مالك بن أنس رضي الله عنه أنه قال : « انما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا في رأيي فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه » وروي عن مزين وعن عيسى بن القاسم عن مالك أنه قال : « ليس كل ما قال رجل قولا وان كان له فضل يتابع عليه ، لقول الله تعالى : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم‌الله ، وأولئك هم أولوا الألباب » . الآية من سورة الزمر . وروى سحنون عن ابن وهب عن‌مالك أنه قال : يا عبد الله ما علمته فقل به ودل عليه ، وما لم تعلمه فاسكت عنه، واياك أن تقلد الناس قلادة سوء . قال : وجاء رجل الى مالك ، فسأله ، فقال مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ـ . فقال الرجل أرأيت ؟ فقال مالك : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » ـ الآية ـ . وقال : لم يكن فتيا الناس أن يقال لهم:

قلت هـذا ؟ كانوا يكتفون بالرواية ، ويرضـون بها • وهـذا تصريح بأن الأولين ما كانوا يأخذون بآراء الأئمة ، وانما كانوا يأخذون برواياتهم عن الشارع فقط • ومن المشهور عن مالك أنه كان يقول : « كل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه الا صاحب هذا القبر » ويشير الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم • ويقول : كل كلام منه مقبول ، ومنه مردود الا كلام صاحب هذا القبر • والروايات في هذا المعنى كثيرة جدا •

وأما الشافعي : ـ فكان من أكثر الناس نهيـا عن التقليد ، وحثا عـلى الاجتهاد ، ولنمثل هنا ببعض المنقول عنه : فقد صرح في الأم أنه ليس لأحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول الا بالاستدلال • وقد روى الحافظ البيهقي بسنده الى الربيع بن سليمان أنه قال : سمعت الشافعي وقد سأله رجل عن مسألة فقال : روي عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنه قال : كذا وكذا : قال السائل : يا أبا عبد الله أتقول بهذا ؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وقال : ويحك أي أرض تقلني ، وأي سماء تظلني ، اذا رويت لرسول الله ولم أقل به • نعم على الرأس والعينين • وروى البيهقي أيضا بسنده الى الربيع قال : سمعت الشافعي يقول : اذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسـلم : فقولوا بسـنة رسـول الله ودعوا ما قلت ، وقال الشافعي أيضا : أجمع الناس على أن من استبانت له سنة رسول الله لم يكن له أن يدعها لقول أحد • وصح عنه أيضا أنه قال : كل مسـألة صح فيهـا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي •

وأما أحمد بن حنبل : ـ فقد روي عنه أنه قال : كان أحسن أمر الشافعي عندي أنه كان اذا سمع الخبر لم يكن عنده قال به وترك قوله . وقال أيضا : قال لنا الشافعي : اذا صح عندكم الحديث فقولوا لى كي أذهب اليه . هذا ومن أراد المزيد فلينظر في الكتب المعتبرة كالأم ، ورسالة المزني، ومناقب الشافعي ، وأعلام الموقعين ، والمدخل ، وكتاب الانصاف ، ونحوها من كتب القوم .

س ـ اذن فما نسير عليه من التقليد الأعمى لا يجوز لما في كلام الأئمة من تصريح بذلك ؟

ج ـ الأمر كذلك ، فانه لا يجوز التقليد الأعمى الا للعامي البسيط الذي لا فهم له ، ولا علم عنده ولا استعداد . وأما من له قدرة وفي امكانه أخذ الدليل من كتاب الله وسنة رسوله فلا يجوز له . والمقلدون بهذا المعنى آثمون مفترون على الله الكذب ، وقائلون على الله مالا يعلمون . قال تعالى: في سورة النحل : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام ، لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » . وقال مخاطبا نبيه في سورة الاسراء : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » . فقال المقلدون تقليدا أعمى : لا نستعمل في دين الله سمعا ولا بصرا ولا فؤادا ولا نقفوا علما ، بل نتبع رأي فلا وفلان . قال تعالى في سورة الزمر : « ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون » . فقال المقلدون : ان القرآن غير مفهوم ، وان عقولنا لا تصل الى فهمه ، فجعلوه عضين في الخزائن ، واكتفوا بتكرار لفظه دون

تدبره ، واتبعوا في ذلك سنن الذين خلوا من قبلهم ، وشملهم المثل الذي ضربه الله فيهم بقوله في سورة الجمعة : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » . وقال في سورة آل عمران : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » . وقال في سورة الأنعام : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » . وقال : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » . فقال المقلدون : اختلافنا رحمة ! وقالوا نعتصم برأي فلان وفلان ، ونرد ما تنازعنا فيه الى قول من نختاره اماما ، وما اختلفنا فيه من شيء فحكمه الى فلان وفلان . ـ فتفرقوا بذلك ، وتقطعوا زبرا ، كل حزب بما لديهم فرحون ، وصارت كل فرقة تدعي رجحان ما هي عليه بغير دليل ولا برهان .

قولهم الاختلاف رحمة

س ـ جرى على ألسنة وعاظنا هذا الحديث :« اختلاف أمتي رحمة » ويبنون عليه اختلاف المذاهب على بعضها في بعض المسائل ويطبقونه عليه ، فهل هذا الحديث صحيحا ؟ وهل ادعاؤهم هذا يطبق على هذا الحديث ؟

ج ـ حديث اختلاف أمتي رحمة : هو خبر لا أصل له ، قال هذا القول السيد درويش الحوت في كتابه أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب. وغيره . وقد ذكره كثير من الفقهاء في كتبهم بدون سند ، وهو من التساهل الذي لاينبغي ، بل الله يأمرنا أن نسد باب الاختلاف بقوله في سورة الشورى : « وما اختلفتم فيه من شيء ، فحكمه الى الله » . وبقوله في سورة النساء : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون

بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » وقال في سورة الأنعام : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » • وقال في سورة هود : « ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك » فجعل الفرقة المرحومة هيالتي لم تكن من المختلفين،وقال في سورة البقرة : « وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم » فجعل الاختلاف بغيا أو نتيجة البغي • ـ أما اختلاف أئمة المذاهب ، أو علماء المذاهب : فليس اختلافا في الدين ، ولكنه اختلاف في الرأي الذي هو نتيجة الاجتهاد والتدبر لا غير ، وهذا من الجائز • ـ ويجوز اتباع ما ثبت دليله من أقوالهم ، وترك ما لم يثبت دليله ، مع احترامهم • أما كون الانسان يتبع الأخف من دون معرفة الدليل ، فلا يجوز لأنه من التتبع للرخص • وهذا لا يتناوله معنى الحديث ولو فرض صحته • ـ ولتعلم أن اتباع مذهب مخصوص والتعصب له ، وتخطئة من عمل بمسألة صحت في غير مذهب امامه ، ليس من الجائز ، لأن الدين لله ، ولم نؤمر الا باتباع الرسول فقط • ففي سورة الحشر قال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » • فانك اذا تبعت اماما ، فأنما تتبع في الحقيقةرسول الله صلى الله عليه وسلم لكون الأئمة ناقلون عنه لا غير • وليس لهم حق التشريع مطلقا ، بل يجوز لمن تمذهب بمذهب الشافعي مثلا أن ينتقل الى مذهب آخر ، لأنه لم يوجد البته الأمر باتباع مذهب من المذاهب • حتى لو ترك الانسان جميع المذاهب لمسألة صحت عن رسول الله ، وخالفها اجتهادهم لم يأثم •

ألاقتداء بمـذهب دون مذهب

س ـ من أي شيء نتج الاقتداء بمذهب دون مذهب ؟ كما هو حاصل الآن ، أفدني عن بيان السبب ؟

ج ـ نشأ هذا الافتراق على ما يظهر كما رأيته في كتاب (الاســلام الصحيح) للنشاشيبي ـ عن افتراق البلدان التي يعيش فيها الأئمـة : فكان مالك بالمدينة المنورة ، وأبو حنيفة بالعراق ، والشافعي ببغداد ثم في مصر ، واحمد بن حنبل بعد في بغداد ، والأوزاعي في الشام • ـ وأرى أن لو كانوا بمحل واحد لما حصـل افتراق • ـ أما الاقتـداء بهم جميعـا فيجوز لصـحة اجتهادهم ، وارتضاء الأمة فعلهم •

س ـ أي مذهب أفضل وأوضح من هذه المذاهب الأربعة الفقهية ؟

ج ـ كلها فاضلة ، وكلها صحيحة ، اذ لا يمكن انكار مذهب منهـا برمته ،و لا يمكن بحال أن يقال : هذا المذهب صحيح وهـذا المذهب غـير صحيح ، لأنهم أئمـة مجتهـدون غير معصـومين لا محالة ، فهم سـواء في الاجتهاد ، وسواء أيضا في عدم العصمة •

س ـ هل من الممكن رجوع الأمة الاسـلامية الى مذهب واحد ؟ وما هو هذا المذهب ؟

ج ـ نعم من الممكن رجوع الأمة الاسلامية الى مذهب واحد ، وهو مذهب السلف الصـالح أصـحاب النبي والتابعـين لهم باحسـان ، بل هو الصواب • كيف وقد قال مالك رحمه الله : « من أحدث في هذه الأمةشيئا لم يكن عند سلفها ، فقد زعم أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم خان الرسالة • لأن الله يقول في سـورة المائدة : « أليـوم أكملت لكم دينكم ،

وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاســلام دينـا » ٠ ـ ٠ وأرى أنه اذا اجتمع مؤتمر عام بحضرة الفطـاحل من علمـاء المذاهب كلهـا ، أمكن أن يقرروا الأصول ، ويوفقوا بين الفروع ، فيؤسسوا مذهبا سلفيا محضـا ، سواء في العقائد ، أم في العبادات ، وسائر الأعمـال ٠ ـ ولـكن أنى يكون ذلك ؟ والتقليد الأعمى والتعصب المذهبي يسود العالم ٠

س ـ للمقلدين أدلة يستدلون بها كما هي معروفة لديهم ، منهـا : ثبوت الحكم بالاقرار والشـاهد ، وقبـول قول القائف ، والخارص ، والقاسم ، والحاكمين بالمثل في جـزاء الصـيد ، وقبول اعـلام المؤذن بدخول الوقت ، والافطار والصوم ، والترجمة ، والتعريف ، والجرح ، والتعديل ، والبـائع ، والذابح ، والمرأة في انقطاع الدم ، وفي دعوى الارضاع ونحوها ٠ أفلا يصح أن تكون هذه الأدلة دليلا لهم علىدعواهم التقليد الأعمى ؟

ج ـ كل ما ذكر من الأدلة ٠ تمثيل لحكم الشارع لا غير ، وكل ذلك مما شرع لنا قبوله ، ومما جرى عليـه فعل الرسـول صلى الله عليه وسـلم وأصحابه وسلف الأمة الذين جاء مدحهم في الكتاب والسنة يقول الله تعالى في سورة التوبة : « والسابقون الأولون من المهـاجرين والأنصـار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه » ٠ ويقول الرسـول صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم » ٠ ـ وأما التقليد الأعمى وجعل آراء الرجال من النصوص الشرعية ، فمما لم يأذن به الله ، ولم يسنه رسول الله ، ولا أصحابه ، ولا أحد من سلف الأمة ، فهو بدعة وضلالة ، ومشاققة لله ولرسوله ٠ قال تعالى في سورة النساء : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ، ونصله

جهنم وساءت مصيرا » • وقال في سورة الأحزاب · « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمر أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » • ولو كان التقليد الأعمى في الدين حجة أو عذرا مقبولا ، لعذرنا الكفار القائلين : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » والقائلين : «حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا » • وكثيرا ما يقع الناس بسبب التقليد الأعمى في مخالفة السنة •

ولمحمد الغزالي كلمة كتبها في كتابه (ركائز الايمان بين العقل والقلب) تتصل بالموضوع يقول فيها :

وينبغي أن يدرك الجمهور أنه ليست هناك مذاهب أربعة في الاسلام بمعنى طرق أربعة ينقسم المسلمون فرقا فرقا على صعيدها ••• فالفقهاء الأربعة الكبار لا يمثلون أكثر من وجهات نظر فقط للاسلام الواحد الذي لا يقبل تعددا ولا تفرقا •

وهذه الوجهات فيها الخطأ والصواب ، وليس هناك الزام ديني للمسلم أن يلتزم وجهة نظر واحدة في فهمه للعبادات والمعاملات ••• ولكي يقترب المسلمون من هذه الحقيقة أرى أن يدرس الموضوع الفقهي ابتداء من نصوص الكتاب والسنة ، ثم تذكر في الشرح أفهام الأئمة الأربعة ، ومن يدانيهم من الفقهاء الآخرين ، على أنها وجهات نظر في معنى النص ، وأن هذه الوجهات متساوية القيمة العلمية • ويمكن عن طريق المقارنة الدقيقة ترجيح قول على آخر ، كما يمكن للقارىء أن يتخير من هذه الأفهام ما يستريح اليه ، بقطع النظر عن نسبة هذا القول لامام بعينه •

ان هذا المنهج له فوائد جمة : فهو يجمع المسلمين قاطبة على أصول دينهم ، ويقطع دابر التعصب المذهبي الذي شاع بين جماهير غفيرة ... وهو ـ بفتح باب المقارنة ـ يطلق العقول من سجن التقليد ، ويمحص كثيرا من الآراء ، التي تنسب الى الأئمة وليست لها وجاهة علمية ... ان القضاء الشرعي في مصر اعتمد على فقه الأحناف في فسخ زواج الشيخ علي يوسف ـ وهو من زعماء الاصلاح الحديث ـ باحدى الفتيات العربيات ، بدعوى أنها قرشية (!) وهو مصري فليس لها بكفء ...

أترى أبا حنيفة لو كان موجودا يقضي بهذا العبث ؟

ثم ان هذا التحرر المنشود هو البداية لمواجهة ما جد من أحداث ، وما أكثر ما يحتاج الى رأي الفقه الاسلامي في هذه الأيام .

ولا أحب أن تكون في كلامي رائحة انتقاص لأئمتنا الأوائل ، فنحن تلامذة لهم في أكثر من ميدان ...

واعتقادي انهم لو وجدوا اليوم ما سلكوا الا هذا المسلك الذي نقترحه !.. انتهى منقولا بالحرف .

عهد التقليد

س ـ متى ابتدأ عهد التقليد وفترت همم أكثر العلماء عن الاجتهاد؟

ج ـ جاء في كتاب (التربية الاسلامية) للصف الأول ثانوي بمدارس الجمهورية العربية المتحدة الطبعة الرابعة ـ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ ـ م ما نصه :

ابتدأ هذا العهد من منتصف القرن الرابع الهجري بالتقريب ، حين طرأت على المسلمين عدة عوامل أثرت في كل مظهر من مظاهر نهوضهم ،

وأحالت نشاطهم التشريعي الى فتور ، فراضوا أنفسهم على التقليد ، وحصروا عقولهم في دائرة محدودة من فروع مذاهب الأئمة وأصولها ، وبلغ من ركونهم الى أقوال أئمتهم أن قال أبو الحسن الكرخي من علماء الحنفية : « كل آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ » !! ـ وبهذا وقف التشريع عندما وصل اليه أئمة العهد السابق ، وقصر عن مسايرة ما يجد من التطورات والمعاملات والأقضية والوقائع •

س ـ هل هناك عوامل أدت الى وقوف حركة الاجتهاد والتزام تقليد السابقين ؟

ج ـ جاء في كتاب التربية الاسلامية أيضا ما يأتي :

ومن أهم العوامل التي أدت الى هذا الوقوف والتزام تقليد السابقين أربعة :

أولا : تناحر الملوك والولاة والأفراد مما سبب انقسام الدولة الاسلامية وشغل ولاة الأمور بالحروب والفتن لاتقاء المكايد ، فدب الانحلال العام ، وفترت الهمم في العلوم والفنون ، وكان لهذا الانحلال أثره في وقوف حركة التشريع •

ثانيا : انشغال تلاميذ مدرسة كل امام بالانتصار لمذهبهم ، وتأييد أصوله وفروعه بكل الوسائل •

ثالثا : اهمال المسلمين تنظيم أمر التشريع ، وعدم وضعهم النظام الكفيل بأن لايجترىء على الاجتهاد الا من هو أهل له ، مما سبب الفوضى في التشريع والاجتهاد ، وقد ادعى الاجتهاد من ليس أهلا له • وبهذا تعددت الفتاوى وتباينت ، وتبع هذا تعدد الأحكام في الأقضية ، مما جعل فقهاء

ذلك الزمن يفكرون برفض كل اجتهاد ومنعه ، وهذا ماعبروا عنه « سد باب الاجتهاد » • وجعلوه علاجا ودرءا للفوضى التشريعية • ورأوا تقييد المفتين بأحكام الأئمة السابقين ، فعالجوا الفوضى بالجمود ؟؟

رابعا : أن العلماء فشت فيهم أمراض خلقية حالت بينهم وبين السمو الى مرتبة الاجتهاد • فقد فشا بينهم التحاسد والأنانية ، فكانوا اذا طرق أحدهم باب الاجتهاد ، فتح على نفسه أبوابا من التشهير به ، وحط أقرانه من قدره ، فلهذا كان العالم يتقي كيد زملائه وتجريحهم ، بأنه مقلد وناقل، لا مجتهد ومبتكر • وبهذا ماتت روح النبوغ ، وضعفت ثقة العلماء بأنفسهم ، وثقة الناس بهم ، فولوا وجوههم نحو مذاهب الأئمة ، وأوجبوا التقليد بما قال السابقون •

نبذة موجزة في ترجمة أئمة المذاهب الأربعة

أبي حنيفة ، مالك ، الشافعي ، أحمد بن حنبل •

س ــ بناء على ما ذكر نحو الاجتهاد والتقليد في التشريع فيما مر من مواضيع : أرى أن لا غنى عن ايراد نبذة من تاريخ الأئمة وسيرهم ليكون القارىء على الاطلاع بما لا غنى عنه نحوهم ؟

ج ـ اليك نبذة من تاريخهم على التوالي كما جاء في المصدر الآنف الذكر مبتدئا بأبي حنيفة •

أبو حنيفة :

هو النعمان بن ثابت ، ولد بالكوفة سنة (٨٠) هـ • وتوفي ببغداد سنة (١٥٠) هـ • وهو من أتباع التابعين ، أدرك أربعة من الصحابة ولم يلق أحدا

منهم ، وقيل بل لقي أنس بن مالك . تلقى أبو حنيفة الفقه عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود ، وكانت خطته في الاستنباط للأحكام الفقهية ما قاله هو عن نفسه : « أني آخذ بكتاب الله اذا وجدته ، فمالم أجده فيه أخذت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه ، التي فشت في أيدي الثقات. فاذا لم أجد في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله : أخذت بقول أصحابه ، من شئت ، وأدع من شئت. ثم لا أخرج عن قولهم الى قول غيرهم ، فاذا انتهى الأمر الى ابراهيم النخعي والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ، فعلي أن أجتهد كما اجتهدوا . وقد برع في القياس والاستحسان وتوسع فيهما ، وكذا أصحابه ، حتى اتسعت بذلك المسائل الفقهية وكثرت كثرة عظيمة جدا .

وكان لأبي حنيفة أصحاب أجلاء أخذوا العلم عنه وشاركوه في الرأي والاستنباط . ومن أشهر أصحابه : أبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ابن الهذيل .

وقد نشأ مذهبه بالكوفة موطنه ، ثم انتشر منها في سائر بلاد العراق ، وكثير من البلاد الاسلامية . وهو الآن سائد في مصر الا في الريف والصعيد منها ، والشام وتركيا وألبانيا ، والبلقان ، والأفغان ، وباكستان ، ويقل في فارس ، واليمن ، والحجاز .

الامام مالك :

هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي نسبه الى ذي أصبح ـ قبيلة من اليمن ، ولد مالك سنة (٩٣) هـ . بالمدينة المنورة ، وتوفي

سنة (١٧٩) هـ . ولم يرحل عن المدينة الى غيرها من البلاد . وكان اماما في الحديث ، واماما في الفقه معا ، وقد أجمع الناس على فضله وامامته في كل منهما . ـ وكان اعتماده في فتواه على كتاب الله أولا ، ثم على السنة ، وكان يقدم عمل أهل المدينة على خبر الواحد ، اذا كان مخالفا له . وذلك لاعتقاده أن أهل المدينة توارثوا ما كانوا يعملون به عن سلفهم ، وسلفهم توارثوه عن الصحابة . فكان ذلك أثبت عنده من خبر الواحد . وبعد السنه يرجع الى القياس ، ومما لا شك فيه أن كثيرا من مسائل مذهبه بني على المصالح المرسلة . وقد تلقى عنه الشافعي الحديث . ومذهب مالك الآن هو السائد على بلاد المغرب وصعيد مصر ، وبلاد السودان ، وأساس مذهبه (المدونة) ونشأ المذهب المالكي بالمدينة المنورة موطنه . ثم انتشر بالحجاز ومصر وما وراءها من بلاد أفريقية ، والأندلس ، وصقلية ، والمغرب الأقصى والجزائر ، وليبيا ، ويقل في العراق ، ومدن الحجاز .

الامام الشافعي :

هو محمد بن ادريس القرشي ، يلتقي نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف . ولد سنة (١٥٠) هـ ـ بمدينة غزة يتيما ، ثم انتقلت به أمه الى مكة ، وتوفي بمصر سنة (٢٠٤) هـ ـ وقد حفظ القرآن في صباه ، ثم خرج الى قبائل هذيل ببادية العرب ، فاستفاد الفصاحة منهم ، وحفظ كثيراً من أشعارهم ، وكان يضرب به المثل في (الفصاحة . وتفقه الشافعي بمكة على شيخ الحرم ومفتيه (مسلم بن خالد) ثم رحل الى المدينة بعد أن حفظ الموطأ وقرأه على الامام مالك ، وأخذ العلم عنه ، فمالك هو الأستاذ الثاني للشافعي . ثم سافر الى العراق ثلاث مرات والتقى خلالها بأصحاب

الامـام أبي حنيفـة ، وكانت له منـاظرات مع محمـد بن الحسن ، ونشر بالعراق مذهبه القديم • ثم جاء الى مصرسنة ١٩٨ هـ ونزل (مدينة الفسطاط) التي فيها جامع عمرو بن العاص ، ونشر علمه بين المصريين ، وكون (مذهبه الجديد) بمصر ـ واستمر يملي على تلاميذه ويفيدهم من علمه وفقهه الى أن توفاه الله تعالى سنة (٢٠٤) كما أسلفنا • ومن املائه كتاب (الأم) وهو كتاب جليل عظيم الفائدة ، وقد طبع بمصر وهو أساس مذهبه (الجديد) ومبدأ الشافعي في الاجتهاد ما قاله في كتاب الأم ونصه : ـ « ألأصل قرآن أو سنة ، فان لم يكن فقياس عنهما ، واذا اتصـل الحديث عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد به فهـو المنتهى ، والاجمـاع أكبر من الخبر المفرد ، والحديث على ظاهره • واذا احتمل المعاني فما أشبه منها ظاهره أولاها به ، ولا يقاس أصل على أصل ، ولا يقال للأصل : لم ؟ وكيف ؟ وانما يقال للفرع : لم ؟ فاذا صح قياسه على الأصل صح ، وقامت به الحجة • ـ فهو ينظر الى السنة الصحيحة الثابتة نظره الى القـرآن ، يرى كلا منهمـا واجب الاتباع • وقد ظهر مذهب الشافعي أولا بمصر حين رحل اليها في أواخر حياته • وكان للشافعي نفسه ثم لتلاميذه فضل الـكشف عن مزايا مذهبه والتعرف به • ثم ظهر بالعراق ، وغلب على بغداد وعلى كثير من بلاد الشام واليمن والحجاز ، ودخل بلاد فارس ، وبعض بلاد الهند وغيرها من بـلاد الاسـلام • وهو الآن غالب على ريف مصر ، وفي الحجـاز وفي بلاد الأكراد ، وربع أهل السنة في الشام شافعية • مسلموا سرنديب (جـزيرة سيلان) وجزائر الفلبين ، وأندونيسيا ، ومسلموا سيام ، والهند الصينية ، كل هؤلاء شافعية • ـ والمذهب الشافعي قليل الذيوع جدا في الهند وباكستان•

الامام أحمد بن حنبــل :

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي ، ولد ببغداد سنة (١٦٤) هـ ـ وتوفي ببغداد سنة (٢٤١) هـ ـ فلما شب تلقى العلم عن أكابر المحدثين من أهل عصره ، وتلقى عنه الحديث الأئمة العظام ، ومنهم البخاري ومسلم : وقد غلب عليه الاشتغال بالحديث والانتصار للسنة حتى لقب بامام أهل السنة • وأخذ أحمد الفقه عن الامام الشافعي ، فهو تلميـذ الامام الشافعي في الفقه ، ومبدأ الامام أحمـد في الاجتهاد قريب من مبـدأ الشافعي • وله فتاوي مبنية على أصـول : ـ أحـدها النصوص القرآنيـة ، والحديث المرفوع ، والأصل الثاني : فتاوي الصحابة ، والأصل الثالث : اذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم أقربها الى الكتاب والسـنة ، ولم يخرج عن أقوالهم • ـ والأصل الرابع : الأخذ بالحديث المرسـل ونحـوه ، وهو عنده أولى من القياس • والأصل الخامس القياس : وهو عنـده مستعمـل للضرورة •

ونشأ مذهب الامام أحمد في أول أمره ببغداد ، وانتشر بالعراق ، ولم يخرج منه الى غيره الا في القرن الرابع ، وكانت له الغلبة ببغداد وبلاد نجد، وقد انتشر بالشام ـ ويندر الآن المذهب الحنبلي بمصر ، وربع أهل السنة في الشام حنابلة ، ويقل في العراق ، وقد أصبح المذهب الحنبلي في نجد صاحب المقام الأول ، وقد غدا المذهب الرسمي للحجازيين حكومة وشعبا ـ انتهى •

من أصول التشريع الاجماع والقياس

س ـ ذكرتم في تراجم الأئمة كما تقدم : الاجماع والقياس : وعلى أنهما من أصول التشريع ، وبما أني أجهلهما تماما فارجو منكم الافادة عن تعريف كل منهما على حدة ولكم الشكر ؟

ج ـ استجابة لطلبك ونزولا على رغبتك سأشرحهما وذلك بناء على ما استقيته من المنهج الديني : جزء أول ثانوي لمدارس السودان الوسطى ـ مبتدئا أولا بالاجماع حسبما جاء في المصدر حرفيا : الاجماع هو الأساس الثالث من أصول التشريع الاسلامي : والمراد به اتفاق المجتهدين وأهل الرأي في هذه الأمة في عصر من العصور على حكم شرعي • فلا يعتبر وفاق العوام ، ولا خلافهم ، ولا اتفاق بعض المجتهدين دون البعض • فاذا وجدنا مسألة من المسائل ولم نجد لها دليلا من كتاب الله ولا سنة رسول الله •

ووجدنا السلف قد أجمعوا على رأي فيها • فان جمهور العلماء يرون ذلك حجة في الدين • وكان أبو بكر يعمل بما في الكتاب ، فان لم يجد نصا فيه ، يعمل بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فان لم يجد في الأمر سنة جمع رؤوس الناس وخيارهم ، فاستشارهم ، فان أجمع رأيهم على شيء قضى به • وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك •

أخرج الترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تجتمع أمتي على ضلالة • ويد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ الى النار »• وقال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غيرسبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » • وأظهر شيء يمكن أن يكون مثالا للاجماع : هو الاجماع الذي يكون في المسائل التاريخية ، مثل

حادثة الفيل ، وكدخول العرب مصر ، وفتحهم بلاد الشام وفارس • ومثل اجماع الصحابة على خلافة أبي بكر وعمر ، وكاجماع المسلمين على جمع وكتابة القرآن الكريم • مع أن النبي لم يفعله ، وكالاجماع على مصحف عثمان رضي الله عنه • ـ • انتهى •

القياس والرأي :

ذهب الجمهور من الصحابة والتابعين ، والفقهاء ، الى أن الاجتهاد بالرأي والقياس أصل من أصول التشريع الاسلامي • ومن تعريفاته التي عرفوه بها ، قالوا : القياس : اظهار حكم الأصل في الفرع لوجود علته فيه • ـ مثال ذلك اختلفوا في حد شارب الخمر ، فقال الامام على بن أبي طالب رضي الله عنه : انه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى واذا هذى افترى ، فأرى عليه حد الافتراء ، فحدوه ثمانين جلدة ، قياسا على حد القاذف •

وقد استدل العلماء على أن القياس أصل من أصول التشريع بأدلة كثيرة منها قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولي الأبصار » • ومنها ما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم : أقر معاذا على اجتهاده برأيه فيما لم يجد فيه نصا عن رسول الله ، فانه لما بعثه الى اليمن ، قال : كيف تصنع اذا عرض لك قضاء ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله • قال : فان لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله • قال : فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال : أجتهد رأيي لا آلو • قال معاذ : فضرب رسول الله صدره ، ثم قال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله » • واستدلوا على أنه حجة من الناحية العقلية ، فقالوا : ان النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية لا تفي

صراحة بالأحكام ، فانها متناهية ، والحوادث غير متناهية ، فنحن محتاجون الى القياس فيما لم ينص عليه ، معتمدين في ذلك على ما عرف من قواعد الدين العامة ، ومستندين على أحكامه الكلية التي انطوت على أسرار وحكم تمكن من حمل الأشباه والنظائر ، مما لم يرد فيه نص صريح على ما ورد فيه النص لوجود العلة في الأمرين • هذه هي القواعد والأسس التي عرفت عند العلماء ، بأنها أصول التشريع الاسلامي ، وان كان القليل منهم قد خالف في قاعدتي الاجماع والقياس • وهناك قواعد تعتبر جزئية بالنسبة لهذه ، ولذلك أخذ بها بعض الأئمة دون بعض •

اختلاف الفقهاء ـ أسبابه وموضوعه

س ـ الخلاف الناشىء بين الفقهاء في بعض الأحكام الفقهية : فما أسبابه ؟ وما موضوعه ؟

ج ـ جاء في الجزء الأول ثانوي لمدارس السودان طبع دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٣ م ما يأتي :

نريد أن نبين لك أن علماء الأمة قد اختلفوا في بعض الأحكام الفقهية سواء أكانت مأخوذة من الكتاب أم من السنة • وسواء في ذلك الصحابة أو من جاء بعدهم فما سبب هذا الاختلاف ؟ ـ مثلا اختلف علماء الصحابة في فهم قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » فذهب بعضهم الى أن المراد بالأقراء الأطهار ، وذهب بعضهم الى أن المراد الحيضات • واختلف فقهاء المذاهب في مسح الرأس الذي جاء في قوله تعالى : « وامسحوا برؤوسكم » فقال مالك بوجوب مسح جميع الرأس ،

والشافعي بوجوب أقل ما يطلق عليه اسم المسح ، والحنفية قالوا بمسح البعض • ولكنهم اشترطوا مسح ربع الرأس ، وكل منهم قد رجع في مأخذه الى الآية : أو الى السنة المبينة للكتاب • ـ فهم المالكية أن الباء زائدة في قوله تعالى : « وامسحوا برؤسكم » والمراد مسح جميع الرأس • ـ وفهم الآخرون : أن الباء للتبعيض ، فقالوا بمسح البعض • فاستقر كل منهم على ما فهم من كتاب الله •

مما تقدم يظهر لنا أن أهم أسباب الاختلاف هي :

(١) فهم كتاب الله على ضوء اللغة العربية •

(٢) تفاوتهم في حفظ السنة ، واختلافهم في فهمها •

(٣) تفرق الصحابة في الأمصار الاسلامية ، وأخذ أهل كل مصر بما حفظوه من علماء الصحابة الذين استقروا معهم •

(٤) تدخل العرف والعادة والبيئة في بعض الأحكام الشرعية •

(٥) انتشار الحضارة الاسلامية ، وتقدمها ، وحاجتها الى تشريعات لتنظيم حياة المجتمع الاسلامي الكبير •

لهذه الأسباب وغيرها اختلف علماء المسلمين ، وتعددت مذاهبهم ، واتسع مجال الفقه الاسلامي ليسع جميع القضايا التي اقتضتها الدولة الاسلامية المترامية الأطراف •

موضوع الخلاف

من المسلم به أن المسلمين سلفاً وخلفاً لم يختلفوا على المعاني الكلية التي

بها قوام الدين ، مثل توحيد الله ، وقواعد الاسلام ، وتحريم ما حرم الله بنص قرآني صريح ، أو سنة متواتره ، بل أن موضوع اختلافهم لم يتعد الفروع التي لا يؤدي الاختلاف فيها الا الى الخير .

ويدل على مرونة الفقه الاسلامي ، وسعته التي تكفي الناس في حالتي القوة والضعف . ولم يكن الخلاف في الفروع موضع ذم ، وانما المضر فيه التعصب المذهبي الذي يؤدي الى التفرقة بين الأمة ، كما حصل ذلك في بعض العصور الاسلامية .

أما في هذا العصر ، عصر التقدم والازدهار العلمي ، فاننا في حاجة الى آراء فقهائنا ، سواء منهم الأربعة أو غيرهم . ولكن لما كان العمل بمرور الزمن انحصر في فقه المذاهب الأربعة أو كاد ، كان لابد للمسلم أن ينظر اليها فيما يحتاج اليه من تعاليم ، سواء في دينه أو معاملته . لأن العلماء دأبوا على نشر هذه المذاهب ، وأخذ كل قطر بفقه مذهب معين .

هذا ما يمكن أن تفهمه بايجاز عن التشريع الاسلامي ومراحله ، واختلاف مذاهبه ، ويمكنك أن ترجع الى هذا التاريخ الحافل في مثل تاريخ التشريع للخضري ، وكتاب فقه الاسلام للأستاذ حسن أحمد الخطيب ، والاسلام عقيدة وشريعة للشيخ محمود شلتوت ، ومثل كتاب الموافقات للشاطبي ، وارشاد الفحول للشوكاني ، وكأعلام الموقعين لابن القيم ، وكتاب بداية المجتهد لابن رشد . فهذه الكتب وأمثالها خير معين لك على تفهم أسرار التشريع الاسلامي . ـ انتهى ـ .

السنة النبـوية والتمثيل عليهـا

س ـ أتوجه اليك بهذا السؤال أطلب فيه بيان أقسام السنة بأمثلة تدل عليها ؟

ج ـ السنة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة : فمثال القول ما رواه مسلم في صحيحه عن أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » . ومثال الفعل ما رواه مسلم عن عائشة رضي الله عنهـا : « أن النبي صلى الله عليـه وسلم يصلي الضحى أربعاً ويزيد ماشاء الله » . ومثال التقرير ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بقل هـو الله أحـد ، فلما رجعوا ذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : سـلوه لأي شيء يصـنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقـرأ بهـا ، فقـال النبي : « أخبروه أن الله يحبه » . ومثال الصفة قول علي رضي الله عنـه في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان أوسع الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشرة ، من رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه » .

منزلة السنة من القـــرآن

س ـ ما هي منزلة السنة من القرآن ؟

ج ـ تأتي السنة في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم من حيث الرجوع اليها ، لا من حيث الاستدلال بها ، وهي الأصل الثاني من أصول التشريع،

فيجب الأخذ بالسنة والعمل بمقتضاها متي ثبتت من طريق صحيح ، سواء منها ما يتعلق بالعقيدة ، أو المعاملة ، أو الخلق . ولقد فرض الله على الناس اذا حدث بينهم خلاف أن يعودوا الى كتاب الله ، والى سنة رسوله ، فيحتكموا اليهما ، ويسلموا لأمرهما ، ان كانوا مؤمنين ، قال تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » . وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا وان ما حرم رسول الله ، مثل الذي حرم الله » .

وظيفة السنة

س ـ يظهر مما تقدم أن للسنة وظيفة خاصة بها ، فما هى اذن ؟

ج ـ لما كان القرآن دستورا كاملا لمختلف نواحي الحياة في شتي العصور ـ ومن طبيعة الدساتير أن تأتي بمقاييس كلية تعالج أمهات القضايا ثم تتفرع عنها جزئياتها . كان ولا ريب مشتملا على قواعد هي أصول التشريع ، وقد وكل الله الى رسوله ايضاح هذه القواعد وتفصيلها ، وجعل مهمته بعد التبليغ أن يبين ما ورد في القرآن الكريم ، قال تعالى : » وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » . فالعبادات والمعاملات ، والأحوال الشخصية ، وغيرها . قد جاءت في القرآن بشكل كلي ، تولى النبي بيانها وتحديد جزئياتها ، فالزكاة أمر الله بأدائها في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

« أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ولكن لم يبين المقدار الذي تجب فيه الزكاة ، ولا المقدار الواجب اخراجه ، ولا الشخص الذي يجب عليه ووكل بيان ذلك الى الرسول ، فقام الرسول صلى الله عليه وسلم : بهذه المهمة ، وفصل كل ذلك وأوضحه أجمل توضيح .

كتابة السنة في عصر النبوة

س ـ هل كتبت السنة في عصر الصحابة ؟

ج ـ ان الصحابة مع ما أوتوه من موهبة في سرعة الحفظ ، وما كانوا عليه من شوق لاستماع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم واستيعاب لما يقوله ، كان الكثير منهم يكتب أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، ويدونها عنده : كرافع بن خديج ، وجابر بن عبد الله ، وسمرة بن جندب ، وعلي بن أبي طالب ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وعبد الله بن عمرو بن العاص . ـ وقد قال عبد الله : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهتني قريش وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟ ! فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأومأ بأصبعه الى فيه فقال: « اكتب فوالذي نفسى بيده مايخرج منه الا حق » . رواه أبو داود . وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريره رضى الله عنه أنه قال : « ما من أحد من أصحاب النبي أكثر حديثاً مني ، الا ما كان من عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب » وقد جمع عبد الله بن عمرو الأحاديث التي كتبها عن النبي صلى الله عليه وسلم في مجموعة سماها : « الصحيفة الصادقة » ويقال ان فيها ألفا من الأحاديث الشريفة . ـ ذكر ذلك ابن الأثير في أسد الغابة » وقد استأذن

أبو رافع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب أحاديثه فأذن له ، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣/٤٤٠) وروى البخاري في صحيحه أنه كان لدى علي بن أبي طالب رضي الله عنه صحيفة كتب فيها بعض الأحاديث التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن سعيد بن هلال قال : « كنا اذا اكثرنا على أنس بن مالك رضى الله عنه ، أخرج الينا مجال ـ « صحفاً عنده » فقال : سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكتبتها وعرضتها عليه . ونقله الدكتور محمد حميد الله الهندي عن مستدرك الحاكم في مقاله النفيس عن أقدم تأليف في الحديث النبوي المنشور في مجلة المجمع العربي في دمشق في المجلد الثامن والعشرين ». وهناك كثير من المخطوطات الدالة على أن عدداً غير قليل من الصحابة كانوا يكتبون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجمعونه . ـ ومن الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة رسائله الى الملوك والرؤساء . وبكتابة الوثائق والمعاهدات وهو جزء من حديثه ، وقد بقي بعض كتبه محفوظاً الى الآن ، مثل كتابه الى القوقس ، وكتابه الى المنذر بن ساوى ، وكتابه الى النجاشي . ـ وما رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم من أنه نهى عن الكتابة بقوله : « لاتكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . فقد كان هذا النهي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الأمر حينما خشي أن يختلط بالقرآن ، ويقع التباس بينهما ، أما بعد ذلك وقد استقر الأمر وانتفى خوف اللبس ، وأمن الاختلاط ، فقد سمح صلى الله

عليه وسلم بكتابة الحديث وتسجيله ، فكان يكتب عنه كما يكتب القرآن الكريم ، وقدمنا قريبا ذكر طائفة من الصحابة كانوا يكتبون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

كتابة السنة في عهد التابعين

س ـ هل كتبت السنة في عهد التابعين ؟ ومن هم التابعون ؟

ج ـ نعم : عني التابعون بتدوين السنة خوف ضياعها ٠ والتابعون هم الذين لم يدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ، وأدركوا أصحابه رضوان الله عليهم ، فأخذوا عنهم أحاديثه ، وتلقوا منهم أقواله وأفعاله ، وقد شاعت بين هؤلاء التابعين كتابة الحديث الشريف ، فكتبه كثيرون منهم ، يضيق المقام عن عدهم ، ومن أشهرهم الحسن البصري ، والشعبي ، وسعيد بن جبير ، وعبد الرحمن بن حرملة ، وهمام بن منبه ٠ ـ ولا تزال خزائن العلم تحفظ نسخاً عن صحيفته التي دون فيها كثيراً من الأحاديث الشريفة ، وعرفت بصحيفة همام بن منبه ٠ وقد بلغت أحاديث همام ١٣٨ حديثاً ٠ وقد ولد همام في حدود سنة ـ ٤٠ ـ من الهجرة ٠ وتوفي سنة ـ ١٣٢ ٠ وقد كان كثير من التابعين الذين كتبوا الحديث الشريف ٠ جمعوا أقوال الصحابة وفتاويهم٠ فلماتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ـ وهو من التابعين الذين اجتمعوا بكثير من الصحابة ، كتب الى علماء الأمصار ، وحفاظ الحديث في عصره يأمرهم بجمع الحديث مجردا من غيره ، فكتب ٠ كما في صحيح البخاري ـ الى أبي بكر بن حزم ، وكان في المدينة : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب الى محمد بن مسلم بن شهاب الزهري عالم الحجاز والشام والى غيره من علماء الآفاق ٠ وتوفي عمر بن عبد العزيز قبل أن يبعث

اليه أبو بكر بن حزم بما كتبه . ثم شاع التدوين في الطبقة التي تلي طبقة الزهري في كثير من البلاد والأمصار ، وألفت تصانيف كثيرة ، وانصرف كثير من الناس على اختلاف مواهبهم الى الاشتغال بالحديث ، يحفظونه ويكتبونه ، ويسمعونه ويروونه ، وكثيراً ما كان يقطع بعضهم المسافات البعيدة ، ويتحمل مشاق الأسفار لتلقي الحديث عن الثقات من الرجال .

صيانة السنة وظهور الحاجة لتدوين ضوابطها العلمية

س ـ هل تنبه المحدثون الى تدوين ضوابط علمية للسنة صيانة لها ممن يندس في المحدثين وليس منهم ، أو من نيته سيئة نحو الاسلام ؟

ج ـ مما لا ريب فيه أنه قد يكون في عداد المشتغلين بالحديث من هو ضعيف الفهم أو سيء الحفظ ، أو قليل الضبط ، أو من يتستر بالاسلام ويبطن غيره ليكيد له . فنجم عن انخراط هؤلاء في عداد المشتغلين بالحديث أن ظهرت أحاديث منسوبة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عهد للحفاظ بها من قبل ولذلك رأوا أن من واجبهم حفظاً لحديث رسول الله صلى اللهعليه وسلم أن يتنبهوا اليها ، ويكشفوا حال رواتها ، ويبينوا الضعاف منهم والوضاعين . ـ فوضعوا لذلك قواعد راسخة تنفي افتراء المفترين ، وتقف الباحث على حال الراوين . ومن أهم هذه القواعد : ـ أسباب وضع الحديث ـ التحري في الأخبار الصحيحة وتمييزها عن غيرها ـ علامات الحديث الموضوع ـ البحث في الأسانيد والرواة .

س ـ بين لى هذه القواعد كلا منها على حدة حتى يتيسر لى فهمها ، وحتى يعم النفع ببيانها ؟

ج ـ سأوضح هذه القواعد وأبينها حسبما جاءت مفصلة في الكتاب

المسمى : (التربية الاسلامية الآنف الذكر) وهي كما يلي : بحسب عناوينها •

أسباب وضع الحديث :

لقد كان للوضع أسباب متنوعة ، كشفها العلماء وبينوها ، أهمها ما يلي :

(١) الزندقة وكراهية الاسلام : فقد عجز الأعداء عن هدم بناء الاسلام الشامخ ، وأدركوا أنه شريعة محكمة ودين قيم ، ولم يجدوا ثغرة في القرآن الكريم ينفذون منها الى ما يريدون فاندمجوا في جماعة المسلمين ، ووضعوا أحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم منها : لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه • ! ـ

(٢) مسايرة الأهواء : كما صنع غياث بن ابراهيم حين رأى المهدي معجبا بالحمام والطيور ؛ فروى الحديث الصحيح : « لاسبق الا في خف أو حافر أو نصل » وزاد فيه : « أو جناح » فأدرك المهدي كذبه، وسقطت منزلته ، وأمر بذبح الحمام •

(٣) الترغيب في الخير والترهيب من الشر : فقد لجأ بعض الرواة الى وضع الأسانيد لبعض ما يستحسن من الكلام ثم ينسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقصدوا بذلك ترغيب الناس في الخير وترهيبهم من الشر ، وجهلوا أنهم بهذا ارتكبوا اثما عظيما ، واذا ذكروا بقوله صلى الله عليه وسلم : « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » قالوا نحن نكذب له لا عليه ! !

من أسباب وضع الحديث :

كما أن العلماء أيضاً لاحظوا ما ينبغي أن يكون عليه الراوي من الدقة والضبط ، وردوا أخبار بعض الرواة الذين لم يحصل الاطمئنان اليهم كما في الحالتين الآتيتين :

(١) الغفلة وضعف الحفظ : وذلك أن بعض الرواة لا يستطيع أن يتقن حفظ ما يسمع فكان يكتب مسموعاته ، وربما ضاعت كتبه أو أحرقت فجعل يحدث ما حفظه فغلط •

(٢) اختلاط العقل وكبر السن : فقد حصل أن بعض الرواة اذا حدثوا خلطوا فيما يحدثونه •

جهود العلماء في تحري الأخبار الصحيحة وتمييزها عن غيرها

لما رأى الأئمة الراسخون : أن الوضع قد ذر قرنه ، وجدوا أنه لزام عليهم أن يهبوا هبة رجل واحد • ليضعوا منهاجاً صحيحاً ، ومقياسا ضابطا يميز الحديث الثابت من غيره ، ويعرف بحال الرواة ليقبل منهم من يقبل ، ويرد منهم من يرد ، فكان أن وضعوا علامات فارقة يهتدى بها الى معرفة الحديث الموضوع ، وقواعد يتوصل بها الى بيان حال الرواة مقبولهم ومردودهم •

أهم علامات الحديث الموضوع التي ذكرها العلماء هي :

(١) أن يعترف واضعه بالوضع •

(٢) أن يكون لفظ الحديث ركيكا ، يخالف المألوف من بلاغة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) أن يجيء الحديث على خلاف مقتضى العقل والمنطق الصحيح ، مثل قولهم : « جور الترك ، ولا عدل العرب » (!)

(٤) أن يكون مخالفاً لصريح القرآن ، مثل : « ولد الزنا لا يدخل الجنة الى سبعة أبناء » . فانه مخالف لصريح القرآن لمثل قوله تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » .

(٥) أن يكون مخالفاً لحقائق التاريخ المعروفة عن عصر النبوة ، مثل حديث : « دخلت الحمام فرأيت رسول الله جالساً وعليه مئزر » فان النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يدخل حماماً قط ، ولا كانت الحمامات العامة معروفة في الحجاز في عصر النبوة .

البحث في الأسانيد :

ثم انهم بالاضافة الى خلو الحديث مما سبق نظروا فيه من نواح أخرى .

(١) اهتموا بدراسة السند حتي يعرف حديث الثقة فيقبل ، وحديث الضعيف فيرد ، وأعرضوا عما لا سند له ، وأنت تعلم أن الله قد وفق المسلمين الصحابة فمن بعدهم الى رواية الأحاديث بأسانيدها . — والاسناد أن يذكر كل راو اسم من روى عنه . وهكذا حتي يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن المبارك : « الاسناد من الدين ، ولو لا الاسناد لقال من شاء ما شاء » . وقال سفيان بن عيينة : « حدث

الزهري يوما بحديث ، قلت هاته بلا اسناد ، فقال : « أترقى السطح بلا سلم ؟ ! » .

(٢) وضعوا أصولا يرجع اليها في معرفة الرواة الثقات من غيرهم ، وهذه الأصول هي ما سمي بعلم « الجرح والتعديل » . ـ فالجرح : هو الحكم على راو برد حديثه ، لوجود صفة تستدعي عدم الاطمئنان الى روايته ، كضعف الحفظ ، وقلة الضبط ، والفسق ، والكذب . ـ والتعديل : هو الحكم على راو من الرواة بقبول حديثه ، لاتصافه بصفات حسنة تقتضى الاطمئنان ، والصدق والعدالة . وأجمعوا بعد البحث على أن الصحابة كلهم عدول ، وأن التابعين لم يكن فيهم من يتعمد الكذب ، وأما تابعوا التابعين : فكانوا على مراتب متفاوتة ، من الحفظ ، والضبط ، والقوة ، والضعف .

(٣) وعلى هذا الأساس قسموا الحديث الى أربعة أقسام :

الأول : الصحيح : وهو ما اتصل سنده بنقل الثقة العدل الضابط عن مثله حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير شذوذ ولا علة .

الثاني : الحسن : وهو ما كان رجاله عدولا ، غير أنهم لم يبلغوا من الضبط والاتقان درجة رجال الصحيح ، وهذان القسمان هما المقبولان اللذان تستنبط الأحكام منهما ، ويؤخذ منهما التشريع .

الثالث : الضعيف : وهو مالم تتحقق فيه شروط الصحيح ولا الحسن .

كضعف الراوي في حفظه ، واختلاف المحدثين في ورعه واتقانه ، أو سقوط راو أو أكثر من سنده ، وهذا لا يحتج به في الأحكام .

الرابع : الموضوع : وهو المفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذه القواعد التي وضعها العلماء ، والجهود التي بذلوها لحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدس والتزوير ؛ بهذا كله لم يبق حال واحد من الدساسين مستوراً لدى العلماء النقاد الذين رزقهم الله بصيرة حادة ، وخبرة واسعة في تمييز الحديث الصحيح من الموضوع ، وأصبح باب الكذب والوضع موصداً في وجه الدجالين والمفترين . وقد حدث في زمن الرشيد ، أن زنديقا وضع طائفة من الأحاديث، فبلغأمره الرشيد فأمر بقتله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أين أنت من الأحاديث التي وضعتها فيكم ؟ أحرم بها الحلال ، وأحلل بها الحرام ، ما قال النبي منها حرفاً . فقال الرشيد : أين أنت يازنديق من عبد الله بن المبارك ، وأبي اسحاق الفزاري ؛ فانهما ينخلانها نخلا فيخرجانها حرفاً حرفاً .

ذكرت هذه الحادثة في رسالة الموضوعات لملا علي القاري : ص ـ ١٤ ـ .

أشهر كتب السنة وأصحابها

١ ـ صحيح البخاري للامام محمد بن اسماعيل البخاري ، واتفق العلماء على أنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم . ولد البخاري عام ـ ١٩٤ ـ وتوفي عام ـ ٢٥٦ ـ هـ .

٢ ـ صحيح مسلم : للامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، وهو من أئمة الحديث في عصره ، وقد لقي البخاري وأخذ عنه ، ويعتبر جمهور العلماء كتابه أصح الكتب بعد صحيح البخاري ، ولد عام ـ ٢٠٤ ـ وتوفي عام ـ ٢٦١ ـ هـ ٠

٣ ـ سنن أبي داود : وهو سليمان بن الأشعث السجستاني ولد عام ـ ٢٠٢ ـ وتوفي عام ـ ٢٧٥ ـ هـ ٠

٤ ـ سنن الترمذي : وهو محمد بن عيسى الترمذي ولد عام ـ ٢٠٠ ـ وتوفي عام ـ ٢٧٩ ـ هـ ٠

٥ ـ سنن النسائي : وهو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني الحافظ ، ولد عام ـ ٢١٥ ـ وتوفي عام ـ ٣٠٣ ـ هـ ٠

٦ ـ سنن ابن ماجة : وهو أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجة ، ولد عام ـ ٢٠٩ ـ وتوفي عام ـ ٢٧٣ ـ هـ ٠

٧ ـ الموطأ : للامام مالك بن أنس رحمه الله ، ولد عام ـ ٩٣ ـ وتوفي عام ـ ١٧٩ ـ هـ ٠

٨ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وهو مسند ضخم رتبه على حسب الرواة من الصحابة ، وهو أوسع المسانيد المعروفة ٠ ولد عام ـ ١٦٤ ـ وتوفي عام ـ ٢٤١ ـ هـ ٠

ألاصطلاحات :

اذا قيل : في حديث رواه « الشيخان » : فالمراد بذلك البخاري ومسلم • وكذا اذا قيل : في حديث « متفق عليه » • واذا قيل في حديث : رواه « الستة » فالمراد بهم ـ البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة • ـ واذا قيل في حديث : رواه « أصحاب السنن » فالمراد بهم : أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجة • ـ وكذا اذا قيل رواه الأربعة » •

انتهى ما جاء حول هذا الموضوع في كتاب التربية الاسلامية •

التفويض في التشريع

س ـ هناك مسألة : رأيت من المستحسن السؤال عنها ، وهى مسألة التفويض في التشريع ؟ فان أتباع الصوفية يزعمون : أن الله يفوض الى عباده الصالحين من أنبياء وغيرهم حق التفويض في التشريع ، فهل لقولهم هذا أثارة من علم ؟

ج ـ لقد كفانا مئونة الرد عليهم فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكي في كتابه « الوحى الى الرسول محمد » فقال : ـ وهناك مسألة يتجه اليها البحث أحيانا بين أهل العلم ؛ وهي : مسألة التفويض • ـوقد تعرض لها الجلال المحلي في شرحه على جمع الجوامع ، في أصول الفقه الشافعي جزء ـ ٢ ـ صفحة ٣٩٢ ـ وهي مسألة عقلية ، وكان الجدل المحكي فيها فرضاً عقليا • • لا أكثر • وحاصلها : هل يجوز ـ عقلا ـ أيقال من جانب الله لنبي من الأنبياء : ـ أحكم بما تشاء في الوقائع فانه صواب موافق لحكمي ؟ ؟ فيكون

ذلك تفويضا • ويكون النبي المفوض ملهما بالصواب ، فيأتي حكمه دائما موافقا لحكم الله في واقع الحادثة ؟ ؟

يحكي الجلال المحلي : أن الشافعي تردد في القول بجواز هذا عقلا ، فهو لا يجيز حصوله : لا وقوعا ولا عقلا ، لأن العقل يستبعد أن يفوض الله لنبي ، أو لغير نبي أن يحكم بما يشاء • ـ وغير الشافعي يخالفه ، ويجيز فرض هذا عقلا فقط • ولا يستبعد التفويض من الله لمن يشاء من عباده • ـويقرر الجلال المحلي أن التفويض لم يحصل من الله تعالى لأي نبي ، ولا لغير نبي كما يرى الشافعي • وعلى هذا تكون المناقشة في ذلك من باب الجدل في شيء يفرضونه • ويكون اجماعهم واقعا على عدم جوازه شرعاً • ويستقر الأمر كله على أن التشريع من عند الله ، ولا يتسرب اليه ذلك الاحتمال الجدلي • والحق أن فكرة التفويض التي سوغها قليل من العلماء في حكم العقل ، فتحت علينا باباً غير مأمون على عقائد الناس ، فقد تذرع بها أناس سذج من مقلدي الطرق الصوفية ، ونسبوا بزعمهم الى شيوخهم أموراً مخترعة مبتدعة ، وزعموا أن شيوخ طريقتهم مفوضون فيما يزعمونه من خرافات تؤخذ عليهم • والأسلم لنا كمسلمين أن نكف عن التوسع في هذا الافتراء ، وأن نقف عند كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم• وما كان في هذا الاطار من الأئمة الثقات • والله يعصمنا من الزلل ويعفو عما يكون • ـ انتهى ما قاله عبد اللطيف السبكي • وفيه الرد المقنع على سؤالك وبالله التوفيق •

ما جاء حول زيارة القبور

س ــ بدى لى هنا : أن أسأل عن زيارة القبور ، أهى سنة أم بدعة ؟ واذا كانت سنة : فما علة سنيتها ؟

ج ــ زيارة القبور سنة : لفعله صلى الله عليه وسلم ، ولقوله ، ــ أما علة سنيتها : فلتليين القلب والاتعاظ ، ثم الدعاء للموتي • هذا وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهىعن زيارة القبور في صدر الاسلام نهيا باتاً خوفا من انصراف الناس اليها لما اعتادوا من عبادة الأصنام • ولكن بعد أن ارتاضت نفوسهم على الاسلام ، واطمأنت الى الانصراف عن عبادة غير الله ، بما شرح الله به صدورهم من آي الذكر الحكيم ، أباح لهم زيارتها بقوله : كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فانها تذكركم الآخرة » • فتكون زيارة القبور سنة اذا كانت لتليين القلب برؤية القبور ، وتذكر الآخرة ، أو للترحم على أهلها ، لما رواه ابن ماجة : «زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة » • أما اذا كانت للاستشفاع بأربابها ، أو لطلب قضاء الحاجات منهم ، أو للتبرك والتوسل الى الله بالاقسام على الله بالمقبورين ، أو بجاههم ، أو بحقهم ، على الله كما يفعل الناس اليوم فغير جائزة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه ابن ماجة فيسننه عن زيد بن ثابت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « زوروا القبور ولا تقولوا هجرا » أي قولا غير لائق • كالنياحه والطلب منهم ونحو ذلك ، أما زيارة النساء للقبور فحرام لما روى عن ابن ماجة وأحمد والحاكم عن حسان بن ثابت عنه صلى الله عليه وسلم : « لعن الله زوارات القبور » • ونهين لكونهن في الغالب لم يزرن لتليين القلب لضعف عقولهن ، بل للتوسل بالقبور والتبرك بها أو الطلب من أهلها كما

هو مشاهد ! واللعن للتشديد في التحذير فقط • وقد روى النسائي والترمذي وأبو داود والحاكم عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » • ـ وقد زار النبي صلى الله عليه وسلم القبور وعلم أصحابه كيفية الزيارة • ولكن للتذكر والترحم على أهلها ، والاعتبار بحالهم ، وكيفية الزيارة أي زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المقابر يقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد » • فهذه كيفية الزيارة السنية ، فاذا زرت فاعمل بها • وأبدل لفظة بقيع الغرقد بقولك : اللهم اغفر لأهل هذه المقبرة مثلا • والغرقد شجر معروف عند أهل المدينة كان ينبت في البقيع • فلهذا قيل له : بقيع الغرقد • أما غير هذه الزيارة ؛ فزيارة بدعية ، فيجب الانتهاء عنها ! هذا وجميع الزيارات التي نراها اليوم زيارات بدعية ، وقد تكون شركية ، اذا قصد منها قضاء الحوائج من الموتى والالتجاء اليهم • ـ فافهم ! !

حكم بناء المساجد على القبور

س ـ في كثير من البلاد الاسلامية تبنى مساجد على قبور الصالحين • فما الحكم في تلك المساجد ؟ وهل أخذت هذه العادة عن المسلمين ؟

ج ـ اتخاذ القبور مساجد من المنكرات لقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في صحيحه عن جندب عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا وان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك » • وقد روى مسلم أيضا في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى

المقبرة فقال : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وانا ان شاء الله بكم لاحقون، ثم قال : اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » . وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر ما صنعوا » . قالت عائشة : ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أني أخشى أن يتخذ مسجدا » . وجاء في كتاب (ليس من الاسلام) لمؤلفه محمد الغزالي ما نصه : فشا في بلاد كثيرة ، بناء المساجد على قبور الموتى ، اعزازاً لذكراهم ، وتقربا الى الله كما يقال : بمحبتهم ومجاورتهم . مع أن النصوص قاطعة بمنع هذا العمل ، ولعن مرتكبيه ، وكان أولى بهؤلاء البانين أن يدعوا الموتى الى ما قدموا ، وأن يقفوا عند حدود الله فلا يعصون وصاياه. ... وهذه البدعة تسربت الى المسلمين من النصرانية بعد تحريفها. فقد صح عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، يقال لها مارية » وذكرت ما رأته فيها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أولئك قوم اذا مات فيهم العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً ، وصوروا فيه تلك الصور ؛ أولئك شرار الخلق عند الله » . وهذه البدعة دخلت النصرانية من الوثنية الأولى . ـ فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس وغيره من السلف : أن وداً ، وسواعاً ، واخوانهما ، كانوا قوما صالحين من أمة نوح عليه السلام . فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم . فكان هذا مبدأ عبادة الأصنام ...

واغلاقا لباب الفتنة ، وسداً لذرائع الفساد ؛ شدد النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين في خطر هذا المسلك • وعزم عليهم أن ينفضوا أيديهم من الموتى ، وأن يستقبلوا الحياة بجهدهم وعزمهم ، دون تعويل على صالح مات أو بقي • ـ فالانسان لا يجدي عليه الا عمله الصالح ، وفي هذا الارشاد المبين يقول صلى الله عليه وسلم : « لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها » • ويقول : « الأرض كلها مسجد الا المقبرة والحمام » • ويقول : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، اني أنهاكم عن هذا » !! وكان يوصي جيوشه وهو يطارد الوثنية في جزيرة العرب ـ أن لا تدع صنما الا طمسته ، ولا قبراً الا سويته بالأرض • وعن المعرور بن سويد قال : صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة ، صلاة الصبح فقرأ فيها : « ألم تـر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل • ولايلاف قريش » ثم رأى الناس يذهبون مذاهب بعد انصرافهم من الصلاة فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل يا أمير المؤمنين : مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم يصلون فيه !! فقال : انما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم، ويتخذونها كنائس وبيعاً ••• !! فمن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ، ومن لا فليمض ولا يتعمدها •••

وقد دعا رسول الله ربه ألا يكون قبره بعده عيداً ـ موسما تتلقى اليه الوفود • والخبراء بحقائق الأديان ، وطبائع النفوس ، يعرفون الحكمة ، فيما أمر به الله ورسوله ، من تحريم اتخاذ القبور مساجد ، ـ ان رجاء البركة أول ما يذكره الخارجون على هذه النصوص ، والمحرفون لها ، لكن هذه البركة المزعومة سرعان ما تتحول الى تقديس الهالكين، والاتجاه اليهم

بالأدعية والنذور ، والاستصراخ بهم في الأزمات والنوائب ، فاذا لم يكن الأمر شركا محضا ، فهو مزلقة اليه مهما كابر المعاندون • وقد رأيت عشرات من الظلامات المكتوبة ترمى في ضريح الامام الشافعي ، أو ترسل اليه بالبريد !! وسمعت المئات من سفهاء العامة يلهثون بالنجوى الحارة حول قبر الامام الحسين وغيره !! ولم أر أسفه من هؤلاء وأولئك الا الذين يعتذرون عنهم من صعاليك المتصوفة ، وأدعياء المعرفة • على أن علاج هذه المناكر المبتدعة لا سبيل اليه الا باشاعة العلم والخلق ، وتهذيب العقول والطباع • فان النبي صلى الله عليه وسلم : لم يهدم الأصنام الا بعد أن مكث عشرين عاما يكون الأمة التي تؤمن بالله وتكفر بالطواغيت ـ • انتهى ما قاله الغزالى •

هذا ونحن هنا في زياراتنا نرى ونلمس نفس الشيء الذي تألم من رؤيته الغزالى بمصر !! فهل من منيب ؟

تجصيص القبور ـ والبناء عليها ـ واضاءتها

س ـ فهمت الحكم في اتخاذ القبور مساجد ، فما الحكم في رفعها ؟ وتجصيصها ؟ والبناء عليها ؟ واضاءتها ؟

ج ـ رفع القبور وتجصيصها وبناء القباب والمقاصير عليها ، واضاءتها : من المحدثات في الدين ، والمعين على هذا العمل بماله ، يتقرب الى الشيطان ؟ وهو بمثابة من يسلح قاطع طريق ، لأن المقيمين لها خالفوا السنة النبوية ، ولأنهم أيضا لا ينوون من ورائها : المال ، والجاه ، والمباهاة لاغير • ـ ويجب أن تصرف هذه الأموال في وجوه البر : كعمارة المساجد ، أو بناء

المدارس ، أو المستشفيات ، أو على محاويج المسلمين ، وغير ذلك من أنواع القرب • ـ وان هذا وأمثاله لا يقصد من ورائه تعظيم شعائر ، ولا محبة لولي ! ولكنها الأغراض الشخصية • ـ وانما محبة الولي تكون في اقتفاء آثاره الطيبة التي اتبع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وليس من علامات الولاية بناء القباب ، والا لضاقت الدنيا بسعتها لذلك ، لكثرة الأولياء الذين هم المتقون • وان دعوى الولاية لطائفة مخصوصة من المسلمين ، أو لطوائف لا تتعداهم ، أو لأشخاص معينين ، فقول لا دليل عليه ، وجرأة على الدين ، دين العدل والمساواة • ولو وجهت نظرة فاحصة أيها السائل الى مفاسد تلك الأبنية المقامة على القبور في المجتمع الاسلامي : لأدركتك الغيرة الدينية ، ولذهبت ان قدرت لتأخذ معولا فتهدمها وتمحوها من الوجود ؟؟ ألا ترى الناس يعتقدون في كل من بنيت على قبره قبة بأنه من أهل التصرفات ، والامدادات ؟ ومن المغيثين والمجيرين لمن لجأ اليهم ، وقصد ساحتهم !!

ان مفاسد هذه الأبنية على العقيدة الاسلامية ظاهرة وخطيرة ، ولكن أين الدعاة والمرشدون ؟ ـ وخوفا على العقيدة من هذه المخاطر : حرم النبي صلى الله عليه وسلم بناء القبور ، وأمر بهدم المبني منها ، فقد روى مسلم في صحيحه عن حيان بن حصين الأسدي المكنى بأبي الهياج الأسدي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : ـ أي علي رضي الله عنه ـ لأبي الهياج : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم • ألا تدع قبرا مشرفا الا سويته بالأرض • ـ ونهى أيضا عن تجصيص القبر ،

أي طلائه بالجص ، والبناء فوقه ، والكتابة عليه ، ويدل لذلك ما رواه مسلم أيضا عن جابر رضي الله عنه ، أنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبر أو يبنى عليه ، أو يكتب عليه شيء • وروى هذا الحديث أيضا الامام أحمد وأبو داود والنسائي عن جابر •

ومما جاء حول هذا الموضوع : في فتوى للشيخ حسن الباقوري على سؤال يطلب منه صاحبه فيه بيان الحكم في البناء على القبور ، واضاءتها ، قوله : ان تزيين القبور واقامة أضرحة عليها ، ضرب من الوثنية وعبادة الأشخاص ، وقد منعه الاسلام ، ونهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم : فقد روى جابر رضي الله عنه أنه قال : نهى رسول الله أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه » • وقال علي لأحد أصحابه وهو يوصيه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا تدع تمثالا الا طمسته ، ولا قبرا مشرفا الا سويته بالأرض » • واذا كان المسلمون اليوم يتخذون من تزيين القبور ، مجالا للتفاخر والتظاهر ، ويمضي بعضهم في هذا الشطط ، حتى يقيم الضريح على القبر ، اظهارا للميت بأنه من أولياء الله ، أو بأنه من سلالة فلان ، أو فلان • واستغلالا لهذه الرابطة على حساب الدين ، فان ذلك حرام • وليس من الدين اضاءة القبور ، اشادة بها أو بأصحابها ، لأن الذي يضيء القبر ، هو عمل الميت ، وما ادخره من صالح وطيب ، لا تلك القناديل ، أو الشموع ، أو الثريات التي أقامها الأحياء • انتهى عن كتاب ليس من الاسلام للغزالي •

وهذه أقوال الأئمة في حكم البناء على القبور ، نلخصها فيما يلي :

قال النووي في شرح المهذب في مذهب الامام الشافعي : قال الشافعي والأصحاب : يكره أن يجصص القبر ، وأن يكتب عليه اسم صاحبه أو غيره ، وأن يبني عليه • وهذا لا خلاف فيه عندنا • وبه قال أحمد ومالك وداود وجماهير العلماء •

وقال الشافعي في الأم : ورأيت من الولاة من يهدم ما بني فيها ـ أي المقابر ـ قال : ولم أرى الفقهاء يعيبون عليه ذلك •

وجاء في رد المحتار علي الدر المختار في مذهب أبي حنيفة أنه لم ير من أجاز البناء على القبور • ثم قال في شرح المنية ، وعن أبي حنيفة يكره أن يبنى عليه بناء من بيت أو قبة أو نحو ذلك ، كما روي عن جابر : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تجصيص القبور ، وأن يكتب عليها » رواه مسلم وغيره • ـ انتهى ـ ومراده بالكراهة ، كراهة التحريم • لأن الكراهة متى أطلقت تنصرف اليها عند الحنفية •

وجاء في كشاف القناع في مذهب الامام أحمد ما نصه : ويكره البناء عليه ـ أي القبر ـ سواء لاصق البناء الأرض أو لا ـ ولو في ملكه ـ من قبة أو غيرها للنهى عن ذلك لحديث جابر قال : « نهى أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه ، وأن يقعد عليه » رواه مسلم والترمذي ، وزاد الترمذي : وأن يكتب عليه ، وقال : حديث حسن صحيح •

س ـ ما العلة في هدم القبور المشرفة ؟

ج ـ العلة واضحة ، وان من نظر الى ما يعمله النـاس اليوم من تعظيم القبور المشرفة والتي بني حولهـا : من تأليه أربابها وجعلهم شركاء لله في العبادة • ـ وهذا هو السبب ؟ بل هو ما خافه الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته من أن تلجأ الى عبادة القبور بعد أن منعت من عبـادة الأصـنام • ولذا فقد نهى عن زيارة القبور مطلقا في أول الاسلام ثم أباحهـا فيما بعـد بقوله : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة »• فبين صلى الله عليه وسـلم ما يقصـد من وراء زيارة القبـور ، وهو التذكر والاعتبار ثم الترحم على أهلها والدعاء لهم •

وقال ابن القيم في كتابه (اغاثة اللهفان ، من مكايد الشيطان) : يجب هدم القباب التي على القبور ، لأنها أسست على معصية الرسـول • وروى عن أحمد منع البناء ـ أي تحريمه في وقف عام ، وفاقا للشافعي وغيره ، وقد قال الشافعي : رأيت من الولاة بمكة من يأمرون بهدم ما بني على القبور الى أن قال : قال أبو حفص : « تحرم الحجرة بل تهدم ، وهو أس القول بتحريم البناء في المسبلة ، وهو الصواب ، انتهت عبـارة كشاف القنـاع مع بعض حذف يستغنى عنه • ـ • وعبارة ابن القيم التي أشار اليها هي : « وكذلك القباب التي على القبور يجب هدمها كلها لأنها أسست على معصية الرسول لأنه قد نهى عن البناء على القبور كما تقدم • فبناء أسس على معصية الرسول ومخالفته بناء غير محترم ، وهو أولى بالهدم قطعا • وقد أمر صلى الله عليـه

وسلم بهدم القبور المشرفة ، فهدم القباب والمساجد التي بنيت عليها أولى وأحرى ، لأنه لعن متخذي المساجد عليها ، ونهى عن البناء عليها • ـ فيجب المبادرة والمسارعة الى هدم ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ونهى عنه • والله سبحانه يقيم لدينه وسنة رسوله من ينصرهما ويذب عنهما ، فهو أشد غيرة وأسرع تغييرا • ـ • وكذا يجب ازالة كل قنديل ، فان فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولا يصح الوقف على اتخاذ السرج والقناديل على القبور ، ولا يحل اثباته ، ولا تنفيذه ، ـ انتهى •

هذه أيها السائل العلل التي كانت سببا في تحريم البناء على القبور كما وضحناها ناطقة بوجوب هدم القبور المشرفة وهدم ما بني عليها ، فتأملها ترشد ان شاء الله • ثم ان شئت فسائل الذين يجيزون رفع القبور وبناء القباب والمساجد عليها فما هو دليلهم ؟ فليأتوا به من الكتاب والسنة ان كانوا صادقين ؟ •

تحريم الجلوس على القبور

س ـ ذكرتم أن الجلوس على القبور محرم ، ولم تذكروا الأدلة التى استندتم اليها ، فهل من الميسور ذكرها ؟

ج ـ لا شك أن لنا سندا على قولنا بتحريم الجلوس على القبور ، ولولا السند لما قلنا به ، كدأبنا في كل رد على ما سئلنا عنه ! وها هي الأدلة :

روى مسلم والامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتخترق ثيابه فتخلص الى جسده ، خير له من أن يجلس

على قبر » • وقد روى الامام أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي مرثد عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها » • والجلوس المنهي عنه هو الجلوس عليها ذاتها ، أما الجلوس حولها لانتظار انتهاء الحفر أو الدفن أو نحو ذلك فلا بأس به ، لما رواه البراء قال : « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فانتهينا الى القبر ولما يلحد ، وفي رواية : حتى يلحد • فجلس فجلسنا حوله • وكذلك روى البخاري ما يؤيد ذلك • وما ذاك الا لما في الجلوس عليها من الاهانة والاحتقار له • وأما القيام على القبر قليلا بعد الدفن ، والدعاء للميت بالتثبيت والمغفرة فمأثور ، فقد روى عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الرجل من أمته يقوم على قبره ويقول : استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فانه الآن يسأل » •

ما جرت به العادة من تلقين الميت بعد دفنه

س ــ بنى الناس على قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حق الميت بعد دفنه ، سلوا له التثبيت الى آخره ، قاعدة تلقين الميت ، وهو : أن أحدهم يجلس عند قبره بعد أن يوارى بالتراب ويلقنه ألفاظا ليرد بها على الملكين عند السؤال ، منها اذا سألاك عن ربك ؟ فقل لهما : الله ربى ، واذا سألاك عن نبيك فقل : محمد نبي • الى آخر ما هو معروف الآن في أكثر البلدان • وقد تكون هناك مغايرة في الألفاظ ، فهل لهم دليل على ذلك ؟ وهل عمل النبى بهذا التلقين ؟ أو أمر به ؟ أو أقره ؟ أو عمل به صحابته من بعده ؟ نرجو الاجابة ؟

ج ـ تلقين الميت بعد دفنه بهذه الصورة ، أو على غير هذه الصورة غير مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن خلفائه ، وسائر صحابته •

ولو فعله هو أو فعله صحابته لنقل الينا كما نقلت سائر أعماله ؟؟ ـ وانما الوارد عن رسول الله من وجه صحيح : تلقينه « لا اله الا الله » عندالاحتضار لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقنوا موتاكم « لا اله الا الله » ويرجى دخوله الجنة فقد روى أبو داود والحاكم وقال : صحيح الاسناد عن معاذ رضي الله عنه مرفوعا قال : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا اله الا الله دخل الجنة » ٠ أما ما يطلب من المشيعين بعد الدفن : فهو وقوفهم على القبر سائلين له التثبيت والمغفرة فقط ٠ هذا ما فعله النبي وندب اليه ؟ لا ما يفعله الناس اليوم كما ذكرت !! فعلم من هذه الأدلة أن هذه الصور التي يفعلها الناس لتلقين الميت بدعة ضلالة ؟ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « اسألوا له التثبيت » يدحض هذا الادعاء ٠

س ـ ذكر بعض من حاورتهم في شأن التلقين حديثا رواه الطبراني في معجمه وهذا نصه : اذا مات أحدكم وسويتم عليه التراب ، فليقم أحدكم على رأس قبره ، ثم ليقل : يا فلان بن فلانه ، فانه يسمعه ولا يجيبه ، ثم يقول : يافلان بن فلانه ، فانه يستوى قاعدا ٠ ثم يقول : يافلان بن فلانه ، فانه يقول : أرشدني يرحمك الله ، لكن لا يشعرون ٠ ثم يقول : أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ألا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وأنك رضيت بالله رباً ، وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبياً ، وبالقرآن اماماً ٠ فان منكرا ونكيرا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ، ويقول : انطلق بنا لا نقعد عند من لقن حجته ، فيكون الله حجيجه دونهما ٠ فقال رجل : يا رسول الله فان لم يعرف أمه ؟ قال : فينسبه الى حواء ٠ فيقول : يافلان بن حواء ـ انتهى ٠

ج ـ هذا حديث اتفق الحفاظ والأئمة على ضعفه ، وعدم اعتباره ٠ وممن صرح بضعفه ابن حجر العسقلاني ، والحافظ العراقي ، والامام ابن

القيم ، وابن الصلاح والنواوي ، ومن قبلهم الامام أحمد وغيره • ـ فهذه درجته ، فلا يصح الاستدلال به ، والاعتماد عليه ، لأنه مخالف لما سنه الرسول من التلقين ، وهو تلقين المحتضر ، ولما عمله النبي وأمر به من سؤال التثبيت والمغفرة للميت بعد الدفن ، ولما جرى عليه خلفاؤه وصحابته ، ومن تبعهم باحسان ، ولما علمت من ضعفه وركاكته • هذا والبرزخ ليس محل تعليم وارشاد ، ولكنه محل دعاء وترحم • ويشهد لذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » •

وأقول لك ان الموفق هو المؤمن العامل الأعمال الصالحة في الدنيا وان كان ناقص المعرفة عيي اللسان ، وان المخذول هو الكافر والعامل السيء وان كان كامل المعرفة فصيح اللسان • ومصداقه من كلام الله سبحانه : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين » •

شد الرحال لزيارة القبور بدعة

س ـ نرى الناس يرحلون في أوقات معينة لزيارة المقبورين من المشهورين بالولاية ـ وهنا بحضرموت خاصة يرغب الصوفية وأتباعهم العامة في زيارة القبور النائية البعيدة التى تنسب الى من عرفوا بالأولياء • وكذا لزيارة محل بأسفل حضرموت يقال أن به قبر النبى هود عليه السلام ـ وهذه زيارة هود على الخصوص يتزعمها علماء تريم وسيون ، ولهم فيها طقوس يقومون بها ـ منها : التسليم على الرسل الواحد بعد الواحد بصوت مرتفع يقرؤه ويردده الحاضرون بصوت واحد يلقنونه من أحد العلماء الأعلام وهم وقوف بخشوع حول بئر مردومة عليها قبة صغيرة وتسمى هذه البئر بئر التسليم معتقدين

أنها تحتوى على أرواح الأنبياء من لدن آدم الى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ثم يتوجهون الى القبة التي قيل أن النبي مدفون فيها ، وهي عبارة عن قبة مبنية على صخرة مشقوقه ـ يقال أن الذي قام ببنائها الشيخ عبد الله باعباد ـ فيقفون أمام الصخرة يتلون التسليم على هود وعلى الأنبياء فرداً فرداً كما فعلوا أمام البئر • ومن العجيب أن ليس في القبة سوى هذه الصخرة فقط ! وللحضارم مثل يقولونه عند الأمر يشك فيه : « ما ندرى النبي في القبة أو في الحصاة » أى في الصخرة • ـ فهل يجوز شد الرحال الى زيارة القبور البعيدة ؟ ثم هل هناك ما يدل على وجود هود بهذا المكان ؟ وما المصدر المستقى منه هذا النبأ ؟

ج ـ شد الرحال الى القبور النائية البعيدة لا يجوز ـ لا الى قبر ولي ، أو حتى الى قبر نبي لأنه غير مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن صحابته : بل المأثور عنه وعنهم ما يدل على المنع • وشد الرحال لا يجوز ولو للعبادة في مساجد بعيدة ، فكيف بشد الرحال الى القبور ! والدليل في ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » فدل هذا الحديث بمنطوقه : على أن شد الرحال لا يجوز ولو الى مسجد للعبادة فيه ، ما لم يكن الى أحد هذه المساجد الثلاثة التي نص عليها الحديث • ودل بمفهومه أيضا على المنع من شد الرحال لزيارة القبور النائية ، سواء للبركة أو للعبرة والترحم • هذا وقد علمت من الأحاديث السالفة المنع عن زيارة القبور للتبرك ، ولو كانت قريبة ، لأنها لم تشرع لذلك ، فافهم ؟؟ وقد سئل الامام مالك رحمه الله عن رجل نذر أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال مالك : « ان كان أراد القبر فلا يأته ، وان

أراد المسجد فليأته » • ثم ذكر الحديث : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » ذكره القاضي اسماعيل في مبسوطه ، أورده ابن تيمية • فعلم من هذا أنه ليس للانسان أن يشد الرحال بنية زيارة القبر فقط ، بل للصلاة في مسجده صلوات الله وسلامه عليه • وبعد ذلك فلا مانع من زيارة قبره ، أي بعد الوصول الى المسجد والصلاة فيه • بل يطلب ذلك للتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه • فلو علم الرسول عن الله سبحانه أن في شد الرحال بهذه الطريقة المعروفة لدينا قربة ، لحثنا عليها ، ولم ينهنا ، لأنه مشرع ودال على ما فيه رضى الله • وقد رأى أبو بصرة الغفاري ، أبا هريرة راجعا من الطور الذي كلم الله عليه موسى فقال : « لو رأيتك قبل أن تأته ، لم تأته ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ••• الحديث » انتهى نقلا عن اقتضاء الصراط المستقيم •

وما ذكرت من زيارة أهالي تريم وسيون وغيرهم للقبر الذي يقال بأنه لنبي الله هود عليه السلام فعادة صوفية ـ وهود هو نبي عاد ، وعاد أول أمة بعد قوم نوح ، وتاريخهم مجهول • واما التسليم على الأنبياء بعد الوقوف على البئر لاعتقادهم بأن أرواح الأنبياء فيها ، فأمر يدعو الى العجب والاستغراب ؟؟ ومن أين لهم العلم بأن أرواح الأنبياء حشرت فيها ، وبحق أقول : بأن القوم لا يتبعون في ذلك الا الظن الخاطيء ، والا التقليد الأعمى لا غير ! ـ حتى لو فرض بأن هودا هنا : فلا يسوغ وجوده اقامة هذه الزيارة كموسم في كل عام ، وفي شهر شعبان بالذات ؟ واننا اذا وجدنا للعامة عذرا لجهلهم مثلا ، فسوف لا نجد عذرا للعلماء الذين يتزعمون هذه الزيارة وأمثالها ، بل اننا نلقي اللوم عليهم ونعصبه برءوسهم !! ـ نعم يجب

علينا الايمان بنبوة هود ، وبأنه مرسل الى قومه عاد ، بالأحقاف . وذلك لقوله تعالى : « واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف » . ولقوله تعالى : « والى عاد أخاهم هودا » . هذا ـ وما عرفت قصة هود وقومه عاد الا من القرآن ؟ وانها لو لم تذكر في القرآن لما عرفنا عنها شيئا . وذكرت في القرآن وسيقت للعبرة فقط ؟ هذا ما يمكننا القول به . هذا ـ وكم سمعت من أفواه علماء بأن هذا الأمر قائم على ما يسمونه الكشف ـ أي كشف الصوفية على الأمور الغيبية بزعمهم . ويشهد لهذا الزعم ما جاء في قصيدة للسيد علوي بن عبد الرحمن المشهور أحد علماء تريم ـ وصف فيها هذه الزيارة وذكر من أشاد بها وشهدها من الأعلام . يقول فيها :

للسلف في شعب هود أعلام	عن حقيق الكشف به اقدام
راسخة دع عاذلا قد لام	فاتبعهم واترك القال
زار هود السيد الأواب	الفقيه وابنه وبعده ناب
شيخنا السقاف والخطاب	هو عمر محضار في الحال
والولي با فضل الأواب	وأبي عباد وأسد الغاب
كأبي جعد الذي انساب	والعمود الكامل الحال
كم حظوا في هذه الحضرة	كاشفوا بل عاينوا جهره
ها هنا للعيون قره	وشراب الوصل سلسال

من هنا تعلم أن العلم بهود كونه بهذا المكان لم يأت الا من طريق الكشف ، لا عن طريق العلم والبحث . ـ هذا هو دليلهم لا غير ـ ومنه تعلم الرد على سؤالك .

س ــ أورد المجيزون شد الرحال الى القبور النائية البعيدة هذه الأدلة ، نسبوها الى النبى صلى الله عليه وسلم وهى فيما يلى كما أوردوها بنصها :

١ ــ حديث : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى » ٠

٢ ــ حديث : « من حج وزار قبرى كان كمن زارنى في حياتى » ٠

٣ ــ حديث : « من صلى عند قبرى سمعته،ومن صلى علي نائيا أبلغته» ٠

ج ـ حديث : من زار قبري وجبت له شفاعتي : حديث موضوع ، كما في أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب ، للسيد درويش الحوت ، وفي سنده موسى بن هلال البصري ، قال العقيلي : لا يصح حديثه ، وفي اسناده أيضا ضعيف ، وهو عبد الله بن عمر العمري ٠ وحديث : من حج وزار قبري ، كان كمن زارني في حياتي » : هو حديث لا يصح ، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ٠ ومعناه غير صحيح ، لأن من زار النبي في حياته يكون صحابيا ولا كذلك من زار قبره ، ولأن من زاره في حياته سمع منه ورآه ، ولا كذلك من زاره بعد موته ، ـ فهو باطل من وجوه كثيرة ٠

وحديث : من صلى علي عند قبري سمعته ، ومن صلى علي نائيا أبلغته هو حديث موضوع ، تفرد به محمد بن مروان السدي ، وكان كذابا ، أورده ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال العقيلي : لا أصل له ، وقال الحافظ الذهبي في الميزان : محمد بن مروان السدي ترك واتهم بالكذب ، وأورد له هذا الخبر ٠

انتهى نقلا عن مجلة الذخيرة لصاحبها الشيخ أحمد محمد سوركتي ناظر مدارس الاصلاح والارشاد بأندونيسيا سابقا رحمه الله ٠

ما قيل حول هبة القرآن للموتى

س ـ نرى عامة المسلمين يقرأون القرآن ، ويهدون ثوابه لأمواتهم قائلين : اللهم أوصل ثواب قراءتنا هذه الى روح فلان ـ مثلا ٠ ونراهم يقفون أوقافا على القراءة على الأموات ٠ ـ فهل قراءة القرآن على الأموات مشروعة ؟ وهل ثواب القراءة المهدى الى الأموات يصل اليهم وينتفعون به ؟ وهل يوجد دليل عليه ؟

ج ـ أفتى العلماء بجواز القراءة على الأموات ٠ ـ أي على من أشرف منهم على الموت ، استنادا على بعض الروايات التي لا بأس بها لسندها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : كقراءة سورة يس ٠ عند الموتى لتذكير الميت بما فيها من رحمة وعذاب ، ونعيم وعقاب ، ولكن بعد الموت لم يرد في السنة الصحيحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ على ميت شيئا من القرآن البتة ، لا بياسين ، ولا بغيرها ، الا الدعاء له بالمغفرة ، سواء في الصلاة عليه ، أو عند دفنه ، أو بعده ، ـ وقد أخطأ من فهم من قراءة سورة ياسين هذه أنها تنفع الميت وكذبوا ، فلا ينفع الانسان الا عمله الصالح الذي كسبه من التدبر في القرآن وهو حي ، وأما بعد موته فما انتفاعه بقراءة قرآن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ٠

انتهى نقلا عن مجلة الهدي النبوي ـ لأنصار السنة بالقاهرة ٠

وجاء في صحيفة التمدن الاسلامي الدمشقية لأبي عصام ما يأتي كرد على أحد المجيزين لذلك : « ورد في الفقه الأكبر للامام أبي حنيفة ، وشرحه للامام علي القاري الحنفي صفحة ـ ١١٠ ـ ثم القراءة على القبور مكروهة عند أبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد ، لأنه محدث لم ترد به السنة ، ولو أوصى

بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ عليه بعد موته ، فالوصية باطلة ، لأنها في معنى الأجرة • وقال شارح الاحياءفي صفحة - ٢٨ - : ثم القراءة واهداؤها للأموات مكروهة للتحريم عند أبي حنيفة والشافعي وأحمد في رواية • لأنها لم ترد به سنة - انتهى - وقد استدل الشافعي على عدم وصول ثواب القراءة للميت بآية : « وأن ليس للانسان الا ما سعى » وحديث مسلم وغيره « اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » ذكر هذا عن الشافعي النـووي في شرحه على صـحيح مسلم • وقال أيضا : أما قراءة القرآن وجعل ثوابها للميت والصلاة ونحوها ، فذهب الشافعي والجمهور أنها لا تلحق بالميت • انتهى - ومثـل ذلك في شرح المنهاج ، قال محمد بن أبي جمرة رحمه الله : ان القراءة عند المقـابر بدعة وليست بسنة • وقال الشيخ الدردير في كتاب الشرح الصغير صـفحة ١٨٩ - ج - ١ - ما نصه : وكره قراءة شيء من القرآن عند الموت وبعـده على القبـور لأنه ليس من عمـل السلف ، وانما كان من شـأنهم الدعاء له بالمغفرة ، وطلب الرحمة والاتعاظ ، وقال الامام أحمـد بن حنبـل لمن رآه يقرأ القرآن على القبر ، يا هذا : ان قراءة القرآن على القبر بدعة ، وقال أيضا : والقرآن على الميت بعد موته بدعة شنيعة ، بخلاف القراءة على المحتضر فانها تستحب بياسين » وقال : لم يكن من عادة السلف اذا صلوا تطوعا أو صاموا تطـوعا ، أو حجـوا تطـوعا ، أو قـرأوا القـرآن يهـدون ذلك الى أمـوات المسلمين •

من هنا تدرك أيها السائل حكم هبة القرآن للموتى بأنها بدعة ، وانه لا يصل ثوابها الى الموتى • وأن الوقف عليها باطل • - انتهى ••

اقامة المأتم وصنع الطعام للمعزين

س ـ نرى النـاس يجلسون في البيـوت عنـدما يمـوت لهـم ميت ويصنعون الطعام للمعزين وقد يتكلف البعض منهم لأنه فقير ، غير أن العـادة المتبعة في بلده ألجأته الى ذلك ، ومنهم من يقيم حفلا ويستدعي الخطباء والشعراء فيقوم هؤلاء بخطبهم الرنانة ، وشعرهم المغالى فيه ،ـ فهل هذه الأعمال من السنة ؟ وهل لهم فيها أجر ؟ ولميتهم فيهـا نفع ؟ ثم ما هو الوارد عن الرسول صلى الله عليه وسـلم فعله بعـد الدفن ؟ فآمل منك أن تشرح ما فيها من حسن وقبيح ، وجائز وغير جائز ؟

ج ـ لم يشرع الرسول صلى الله عليه وسلم التعزية مدة ، ولم يحـدد لها وقتا ، ولكن البعض فهموا من حـديث : « **لا يحـل لامرأة تؤمن بالله واليـوم الآخر أن تحـد على ميت فوق ثلاث ، الا على زوج أربعة أشـهر وعشرا** » ـ فحددوا بناء على هذا الحديث للتعزية مدة ثلاثة أيام . بل نسب البعض الى أن الرسول صلى الله عليه وسـلم حدد هذه المـدة . وهذا وهم باطـل . بل ينبغي لأهـل الميت أن ينصرفوا في حوائجهم ، فمن صـادفهم عزاهم ، لما علم من اتفاق المذاهب الأربعة في كراهة الجلوس في البيـوت لأجل المصيبة . ومعـلوم ما يسـتلزم الجلوس في البيـوت والاجتمـاع من النفقـات التي قد لا تكون الا لاتبـاع العادة ، واضـاعة المال لغـير غرض صحيح ، بل للمباهاة والرياء مثلا ؟؟ فمـا بالك اذا كان في الورثة قاصر ! وأما ما يقع بعد الدفن من أعمال المأتم ليلة أو ثلاثا ـ مثلا ـ لا نزاع في انه بدعة ، ولم يثبت عن الشارع ولا عن السلف أنهم جلسوا بقصد أن يذهب النـاس لتعزيتهـم ، وكانت سنة الرسـول : أن يدفن الميت من أصـحابه وينصرف كل الى مصالحه ، هذه كانت سنته ، وهذه طريقته . والله تعالى يقول : « لقـد كان لكم في رسـول الله أسوة حسـنة ، لمن كان يرجو الله

واليوم الآخر » فلنتأس به فيما ترك ، كما نتأسى به فيما فعل ، والجمهور على كراهة ذلك ، لأنه يجدد الحزن ، ويكلف المعزى • قال الامام الأذرعي: « الحق أن الجلوس للتعزية على الوجه الذي يفعله الناس كالمتعارف به في زماننا مكروه أو حرام • ـ انتهى ••

وعند السادة الحنفية يكره الجلوس في المسجد للمصيبة ثلاثة أيام أو أقل • وفي غير المسجد يرخص للرجال ، والترك أولى • ومعلوم أنه اذا أطلقت عندهم كانت تحريمية • ـ وقال السادة الحنبلية : ويسن أن يصلح لأهل الميت طعام يبعث به اليهم ثلاث ليال لحديث : « اصنعوا لآل جعفر طعاما ، فقد أتاهم ما يشغلهم » رواه أبو داود والترمذي وحسنه • ولا يصلح الطعام لمن يجتمع عند أهل الميت بل يكره لأنه اعانة على مكروه ، وهو الاجتماع عندهم ـ • قال الامام أحمد : هو من فعل الجاهلية ، وأنكره انكارا شديدا ، وللامام أحمد وغيره واسناده ثقات عن جرير : كنا نعد الاجتماع الى أهل الميت وصنعة الطعام بعد دفنه من النياحة • ـ وكذا يكره فعل أهل الميت ذلك الطعام للناس يجتمعون عندهم لما مر ـ ، وكره جلوس للتعزية ، بأن يجلس المصاب بمكان ليعزى ، أو يجلس المعزى بعدها ـ أي بعد الثلاث على رأى من يجيزها لأنه استدامة للحزن انتهى ملخصا من المنتهى وشرحه • ومذهب الامام مالك أشد احتياطا من غيره اذ هو مبني على سد الذرائع والحيل • ومما لا شك فيه أن النبي لم يحدد مدة للتعزية فاذا الجلوس الثلاثة الأيام بدعة سيئة •

وصفوة القول : ان المآتم لا تخلو من مخالفة السنة النبوية ، خصوصا اقامة الحفل ، ونصب السرادقات له في بعض البلدان ، اشادة بالميت وأعماله

أو لمركزه وانتشار سمعته • والخطباء والشعراء يتبارون أيهم خطبته أمتع ، وأيهم شعره أرفع • ـ أما وقوف واعظ يوم الموت ولو بذكر محاسن الميت، فلا بأس به • هذا اذا كان الميت عالما أو كريما أو مصلحا ، ليقتدى به في أوصافه الحميدة ، وخصاله المجيدة • ـ وموعظة أبي بكر الصديق رضي الله عنه يوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بها أسوة •

انتهى من كتاب الابداع في مضار الابتداع ، لمؤلفه الشيخ علي محفوظ من كبار علماء الأزهر في وقته رحمه الله تعالى •

النياحة على الميت ، وما جاء في شأنها

س ـ لى سؤال يتصل بهذا الموضوع : ـ النياحة على الميت ـ فهى طريقة متبعة في كثير من البلدان ـ وخاصة من النساء ، وقد سمعت أن النبى عليه الصلاة والسلام : نهى عنها • وتوعد عليها ، فأفدنى عما جاء فيها حتى أتخذه حجة في انكارى على النائحين والنائحات ؟

ج ـ جاءت الأحاديث مصرحة بتحريم النوح ، وهو رفع الصوت بالبكاء على الميت وبتحريم الندب وهو تعديد النائحة محاسن الميت كواجبلاه واواعزاه • ونحو ذلك ، ومثله افراط رفعه بالبكاء وان لم يكن معه نوح ولا ندب ، وكذا يحرم ضرب الخد عند المصيبة ، والدعاء بالويل والثبور ، كوايلاه ، واثبوراه ، ويحرم تغيير الزي كلبس ما لايعتاد لبسه ، وكترك شيء من لباسه الذي اعتاده • جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التصريح بتحريم النوح ، وورد في الحديث أن النائحة تكسى يوم القيامة قميصين : قميص من جرب ، وقميص من قطران • فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربع

في أمتي من أمر الجاهليـة لا يتركونهن ، الفخر بالأحسـاب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة » وقال : « النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطـران ، ودرع من جرب » رواه مسـلم وابن ماجـة . ـ . وسره أن الأجـرب سريع الألم لتقرح جلده ، والقطران يقـوي شـعلة النار ، فيكون عذابهـا بالنـار أليما بسبب هـذين القميصين . وروى أبو داود وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنـه قال : « لعن رسول الله النائحة والمستمعة » وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهليـة » وفيهما أيضـا عن أبي موسى الأشـعري أنه قال : « أنا بريء ممن بريء منه رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، ان رسول الله بريء من الصالقة ـ أي الرافعة صـوتها بالبكاء مع الندب والنياحة « والحالقة » ـ أي التي تحلق شعر رأسها عند المصيبة . « والشاقة » أي التي تشق ثيابها عند المصـيبة » . وأخرج مسـلم « اثنان في الناس هما بهم كفر ـ الطعن في النسب والنياحة » وروى البزار بسند رواته ثقات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صوتان ملعونان في الدنيـا والآخرة : مزمار عند نعمة ، ورنة عند مصيبة » وعن أسـيد بن أبي أسـيد التابعي عن امرأة من المبايعات قالت : كان فيما أخذ علينا رسول الله صـلى الله عليه وسلم في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نخمش وجها ، ولا ندعوا ويلا ، ولا نشق جيبا ، ولا ننثر شعرا » . رواه أبو داود . ـ أما البكاء السالم من كل ذلك فهو جائز قبل الموت وبعده . وقال جمع من العلماء انه مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم : « اذا وجبت فلا تبكين باكية » وفيه نظر اذ قـد

ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم : بكى على ولده وغيره • ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم : عاد سعد بن عباده ومعه جماعة فبكى ، فلما رأوه يبكي بكوا فقال : ألا تسمعون : ان الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، وانما يعذب بهذا أو يرحم ، وأشار الى لسانه » متفق عليه ـ وفي الحديث أيضا أنه رفع اليه ابن لبنته وهو في الموت ففاضت عيناه ، فقال سعد ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذا رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء » متفق عليه • ـ • وروى البخاري انه صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : وأنت يا رسول الله ، فقال يا ابن عوف : انها رحمة ، ثم اتبعها أخرى فقال : « ان العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول : الا ما يرضي ربنا وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » ومن ذلك كله أخذ العلماء أن دمع العين بلا بكاء لا كراهة فيه ، بل هو مباح •ـ وبالبكاء يعذب الميت كما جاء في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال : « ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه » •

هذا ما ورد في شأن النياحة والبكاء على الميت تحريما وجوازا فافهم ؟

الذكر برفع الصوت مع الجنازة

س ـ اعتاد الناس الجهر بالذكر مع الجنازة ، وقد سمعت من العلماء بالسنة ، أن السنة هو السكوت ، ومن أراد أن يذكر الله من المشيعين فليذكره في نفسه ، لأن ذلك عمل السلف من الصحابة ومن تبعهم باحسان • ـ ولأن الموت عبرة ، ولا عبرة مع الضوضاء ، فهل الأمر كما ذكر ؟

ج ـ نعم : ان عمل السلف هو السكوت ، والذين اعتادوا رفع الصوت

بالذكر أمام الجنائز لا حجة لهم ، بل الحجة عليهم . ـ (اذ كل خير في اتباع من سلف .. وكل شر في ابتداع من خلف) . وقد جاء في كتاب (الابداع) : ومن البدع السيئة الجهر بالذكر أو بقراءة القرآن أو البردة أو دلائل الخيرات ونحو ذلك . وكل هذا مكروه للاجماع ، على أن السنة في تشييع الجنائز السكوت وجمع الفكر للتأمل في الموت وأحواله ، وعليه عمل السلف رضوان الله عليهم . ـ . ولا يقال انها بدعة حسنة : لأن محل استحسان البدع اذا لم تكن مصادرة لفعل المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن كون الاستحسان لا يكون الا من أهل الحل والعقد الذين لا يقدمون على ذلك الا بدليل يستندون اليه ، وأين هم الآن ؟ فالصواب عدم رفع الصوت بشيء ، وترك ماخالف سنة النبي وأصحابه والسلف الصالح، اذ الخير كله في الاتباع ، والشر كله في الابتداع ، قال تعالى في كتابه العزيز : « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبيكم الله ويغفر لكم ذنوبكم » فقد جعل العلامة على محبة العبد لمولاه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم : فمن ادعى محبة الله تعالى ولم يتبع هدي الرسول صلى الله عليه وسلم : فهو كذاب ، وكتاب الله يكذبه . وقال تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » . وسبيل المؤمنين هو الكتاب والسنة وقال صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من عمل بسنة غيرنا » . وقال صلى الله عليه وسلم: « ان الله يحب الصمت عند ثلاثة : عند تلاوة القرآن ، وعند الزحف ، وعند الجنازة » رواه الطبراني في الكبير عن زيد بن أرقم رضى الله عنه . وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن تتبع الجنازة بنياحة أو مجمرة أو رايه . ـ ولكراهة النبي

صلى الله عليه وسلم لرفع الصوت مع الجنازة ولو بذكر وقراءة قرآن ، أنكر بعض الصحابة رضى الله عنهم بشدة على من رفع صوته بقوله استغفروا للميت ، حيث قالوا : لا غفر الله لك . مع أنه لفظ قليل دال على طلب الدعاء من الحاضرين للميت المحتاج ، فما بالك باللفظ الواقع الآن . وهذا كله ضد ما كانت عليه جنائز السلف ، لأن جنائزهم كانت على التزام الأدب ، والسكون والخشوع . حتى أن صاحب المصيبة كان لا يعرف من بينهم لكثرة حزن الجميع ، وما أخذهم من القلق والانزعاج بسبب الفكر فيما هم اليه صائرون ، وعليه قادمون ، حتى لقد كان بعضهم يريد أن يلقى صاحبه لضرورات تقع له عنده ، فيلقاه في الجنائز فلا يزيد على السلام الشرعي شيئا . قال الحسن البصري رضي الله عنه : « ميت الغد يشيع ميت اليوم » وقال الامام النووي رحمه الله تعالى : « ألصواب ما كان عليه السلف من السكوت في حال السير مع الجنازة ،فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غيرها ، لأنه أسكن للخاطر ، وأجمع للفكر فيما يتعلق بالجنازة ، وهو المطلوب في هذا الحال » . هذا هو الحق ولا تغتر بكثرة من يخالفه ، فقد قال الفضيل بن عياض رضى الله عنه : « الزم طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، واياك وطريق الضلال ولا تغتر بكثرة الهالكين » . وقال الرملي في شرح المنهاج : « ويكره ارتفاع الأصوات في سير الجنازة ، لما رواه البيهقي : أن الصحابة رضوان الله عليهم كرهوا رفع الصوت عند الجنازة والقتال والذكر . وكره جماعة قول المنادي مع الجنازة ؛ استغفروا الله له ، فقد سمع ابن عمر رجلا يقول ذلك فقال : لا غفر الله لك . والصواب كما في المجموع ما كان عليه السلف من السكوت في حال السير مع الجنازة ،

فلا يرفع صوت بقراءة ولا ذكر ولا غيرهما ، بل يشتغل بالتفكير في الموت وما بعده ، وفناء الدنيا وأن هذا آخرها . ومثل هـذا للعلامة ابن حجر في شرح المنهاج . ـ وقال في الفتاوى الهندية ما ملخصه : وعلى متبعي الجنازة الصمت ، ويكره لهم تحريماً رفع الصوت بالذكر وقراءة القرآن . فان أراد أن يذكر الله يذكره في نفسه . انتهى ـ .

وقال في دليل الطالب ، ومثله الحنابلة : ويكره رفع الصوت والصيحة معها وعند رفعها ، يعني الجنازة ، ولو بالذكر والقرآن . ويسن لمتبعها أن يكون متخشعا متفكرا فيمآله ، متعظا بالموت وبما يصير اليه الانسان . وقول القائل مع الجنازة استغفروا له ونحوه بدعة عند الامام أحمد ، وكرهه وحرمه أبو حفص . ـويحرم أن يتبعها مع منكر وهو عاجز عن ازالته .

هذا هو الذي ينبغي التعويل عليه ، حيث كان باجماع المذاهب الأربعة، ولا معتبر بمن يقول بندبية أو وجوب رفع الصوت بالذكر أو القراءة أمام الجنائز معللا ذلك بأمور :

١ ـ انه صار شعاراً للموتى وفي تركه ازدراء بالميت ، وتعريض العرض للكلام فيه .

٢ ـ ان الاشتغال بالذكر ونحوه ؛ ترك الكلام واللغط بأمور الدنيا .

٣ ـ ان فيه مخالفة اليهود والنصارى في جنائزهم حيث اعتادوا السكوت فيها .

فكل هذه الوجوه باطلة لا تسوغ مخالفة السنة ، فلا نطيل بالرد عليها. ويكفينا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » • ـ هذا ما استطعت ايراده أيها السائل واهتديت اليه بعد البحث من مظانه المعتبرة ، والله الموفق •

بدع الموالد وأول من أحدثها ، وأدوارها التاريخية

س ـ عني المسلمون باقامة مواسم سنوية : منها ما تسمى بالموالد ، يقيمونها كذكرى لمن تقام باسمهم • فذكرى موالد الأولياء تقام عند قبورهم ، وذكرى من لم تكن قبورهم معروفة ، أو كانت قبورهم بعيدة تقام في المساجد ، أو في أماكن معدة لذلك • فهل اتبعوا في اقامتهم لها سنة نبوية ؟ أو سيرة سلفية ؟ فما حكمها ؟ ومن الذى أقامها أولا ؟

ج ـ هذه الموالد من البدع المستحدثة ، وفاعلها مأزور لا مأجور ، لأن العمل الذي يؤجر عليه فاعله ، هو ما كان موافقا للسنة ، وخالصا لوجه الله • وهذه الموالد على العموم لم تكن معروفة أيام السلف من الصحابة والتابعين• واليك الرد الحاسم كما جاء في كتاب الابداع الآنف الذكر ، وغيره :

ألموالد : هي الاجتماعات التي تقام لتكريم الماضين ، من الأنبياء والأولياء • والأصل فيها أن يتحرى الوقت الذي ولد فيه من يقصد بعمل المولد • وقد يتوسع فيها حتى تتكرر في العام الواحد كما يعمل للسيد أحمد البدوي ـ قيل أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع ، فابتدعوا خمسة موالد : ـ ألمولد النبوي ، ومولد الامام علي رضى الله عنه ، ومولد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، ومولد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، ومولد الخليفة الحاضر •

وبقيت هذه الموالد على رسومها الى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعد ما كاد الناس ينسونها .

وأول من أحدث المولد النبوي بمدينة أربل الملك المضفر أبو سعيد في القرن السابع .

وقد استمر العمل بالموالد الى يومنا هذا ، وتوسع فيها الناس وتبدعوا بكل ما تهواه أنفسهم ، ويوحيه اليهم الشيطان . ـ ولا نزاع في أنها من البدع ، انما النزاع في حسنها أو قبحها : ـ فالقائلون بالمنع : بنوه أولا على أنها لم يستحسنها السلف ولم يفعلوها ، وما اشتملت عليه من الصدقات وجمع الناس للطعام لا يجعلها مشروعة ، فان اطعام الطعام انما يشرع في العيدين وأيام التشريق ، وكاعانة الفقراء بالاطعام في شهر رمضان ، فانه من سنن الاسلام . وأما اتخاذ موسم غير هذه المواسم الشرعية فليس من السنة ، وكذا ما اشتملت عليه من قراءة القرآن ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، فانه وان كان من أعظم القرب وفيها البركة العظيمة ، لكن اذا فعل بشرطه اللائق به على الوجه الشرعي لا بنية المولد . ألا ترى الصلاة من أعظم القرب ، ومع ذلك لو فعلها انسان في غير الوقت المشروع لها لكان مذموماً . ـ وثانيا : ما تشتمل عليه هذه الموالد من المفاسد المحرمة والمكروهة التي لا نطيل بذكرها .

وأما القائلون بالجواز ، وأن الموالد بدعة حسنة ، فقالوا : ان ما اشتمل منها على محرم أو مكروه ، فليس بحسن ، بل حرام أو مكروه . وانما ندعي

حسن ما اشتمل على خير فقط ، كاطعام الطعام ، وذكر الله وتلاوة القرآن ، وتلاوة قصة مولده الشريف ، وقصائد مدحه عليه الصلاة والسلام • وكل ذلك مندوب اليه كما لا يخفى • ـولعل الخلق لما رأوا بعد عهدهم بالنبوة، وكثر اهتمامهم بأمر دنياهم استحسنوا عمل هذه الموالد مشتملة على تاريخ من تقام له وبيان أعماله وفضائله وكراماته ، ونشر ذلك على العامة والخاصة والشيوخ والأطفال على هذا الوجه المشتمل على اظهار الفرح والسرور ، وفي هذا تنبيه لهم على التخلق بأخلاقهم ، والسير بسيرهم • هذا ما تعللوا به لترويج هذه الموالد ؟ وهي حجة واهية !؟ ـ •

نقول لهم : ان هذه الموالد التي تقام في هذه الأزمان ، لا تخلو عن المحرمات ، والمكروهات ، وقد أصبحت مراتع الفسوق والفجور ، وأسواقها تباع فيها الأعراض ، وتنتهك فيها محارم الله • وتعطل فيها بيوت العبادة ، فلا ريب في حرمتها • ـ ـوالمصلحة المقصودة منها لاتبيح المحظورات التي فيها ! ـ ويمكن تأديتها من غير هذا الوجه ! (والقاعدة) ان درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح • ولو لم يكن في الموالد الآن الا اتخاذ قبور الأنبياء والأولياء عيداً لكفى في المنع منها ، فقد روى باسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » وأخرج سعيد بن منصور عن سهيل بن أبي سهيل قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي‌الله عنه عند القبر وهو ببيت فاطمة يتعشى فقال : هلم الى العشاء ، فقلت : لا أريده ، فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لذا دخلت المسجد ؟ ثم قال :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتتخذوا قبري عيدا ، ولا بيوتكم مقابر ، وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم » • ومعنى اتخاذه عيداً أن يقصد بالتوجه اليه مرة بعد أخرى ، ويظهر عنده الفرح والسرور ، وتقع عنده العبادة ، وذبح الذبائح ، واطعام الطعام على نحو ما كان يفعله أهل الجاهلية عند الأوثان • وأشار بقوله : فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ؛ الى أن القرب من قبره والبعد عنه سواء ، فلا حاجة الى اتخاذ قبري عيداً ، كما اتخذ المشركون من أهل الكتاب قبور أنبيائهم وصالحيهم عيداً •

وقد كانت للمشركين أعياد زمانية ومكانية أبطلها الاسلام ، وعوض عن أعيادهم الزمانية عيد الفطر والنحر وأيام التشريق • وعن المكانية الكعبة البيت الحرام وعرفات ومنى والمشاعر • ـ انتهى من كتاب الابداع • ـ ومن فتوى للشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سابقاً على سؤال وجه اليه حول هذه الموالد جاء فيها :

ومهما قال : عشاق الموالد والمتكسبون بها ومروجوها ـ من أن فيها ذكر الله والمواعظ ، وفيها الصدقات واطعام الفقراء ـ فان ما نراه فيها ، ويراه الناس من ألوان الفسوق ، وأنواع المخازي ، وصور التهتك ، والاسراف في المال ' يحتم على رجال الشئون الاجتماعية ، وقادة الاصلاح الخلقي والديني المبادرة بالعمل على انهائها ، وتطهير البلاد من وصمتها • ولقد صار بحق لسكوت العلماء عنها ، ومشاركة رجال الحكم فيها ؛ مباءة عامة تنتهك فيها الحرمات ، وتراق فيها دماء الأعراض ، وتمسخ فيها وجوه العبادات ، وتستباح البدع والمنكرات • ـ انتهى •

وهذه الموالد كما ذكرت يعبر عنها بحضرموت بالزيارات : فافهم ؟

ما جاء حول حفل الميلاد النبوي

س ـ في يوم الثاني عشر من ربيع الأول كل عام ، يقيم المسلمون احتفالات كذكرى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : وتتلى فيه قصة الميلاد ، والمدائح النبوية • وهناك عندما يذكر ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم : ينهض الحاضرون قياما تكريما له ، ثم ينشدون في قيامهم بعض المدائح • أما القصة النبوية التى تتلى وكذا المدائح ، قد يكون فيها الكثير مما لا يمت بصلة الى صفات رسول الله التى تليق بعظمته • وقد تحتوى على أكاذيب • ولكن القوم استحسنوها • وبما أنى لا أستطيع اقامة الدليل على عدم سنيتها • فآمل منك أن تسعفنى بأدلة أفهم منها الصواب ـ وتكون لى عند الدفاع سلاحا ؟

ج ـ مما لا ريب فيه أن هذا الاحتفال مبتدع ، وأنه لم يقم عليه دليل ، ولم يكن من فعل الصحابة والتابعين لهم باحسان ، ولو فعلوه لنقل عنهم ، ولكنه من ضمن الموالد التي ابتدعها الفاطميون الذين حكموا مصر ، وأن هذه القصص المولدية التي تفنن فيها مؤلفوها ، وتلك القصائد والتواشيح وما فيها من غلو، ما أعدت الا لتملأ الفراغ في هذه الاحتفالات المبتدعة ، وتزيد من تنميقها وتوشيتها • هذا وما أكثر ما في تلك القصص والقصائد من خلط غريب على السيرة النبوية ، مما هو تشويه لها وانحراف بها عن وضعها الصحيح •

فهذا الديبعي يقول في مؤلفه القصة : « ان قريشا كانت نورا بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام » ويقول فيه : « قيل هو آدم : قال آدم به أنيله أعلى المراتب » قيل هو نوح : قال به ينجو من الغرق ويهلك من خالفه من الأهل والأقارب • قيل هو ابراهيم : قال ابراهيم به تقوم حجته

على عبـاد الأصنام والكواكب ... الخ ما جاء في هذا الباب . وأورد حديثا عن كعب الأحبار ومفاده : أن الأمة المحمدية تنقسم ثلاثة أقســام ؛ ثلث يدخلون الجنة بغير حساب . وثلث يأتون بذنوبهم وخطاياهم فيغفر لهم . وثلث يأتون بذنوب وخطايا عظام ، فيقول الله للملائكة اذهبوا فزنوهـم ؟ فيقولون : يا ربنا وجدناهم أسرفوا على أنفسهم ، ووجدنا أعمالهم من الذنوب كأمثال الجبال ، غير أنهم يشهدون ألا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فيقول الحق وعزتي وجلالي لاجعلت من أخلص لي بالشهادة كمن كذب بي ، أدخلوهم الجنة برحمتي .

وفي مؤلف علي بن محمد الحبشي باعلوي ـ وحضر عند وضعه أمة ، تأنيسا لجنـابها المسعود ـ يريد آمنـة ـ ومشاركة لهـا في هـذا السماط الممدود . ـ فحضرت السيدة آسية امرأة فرعون . ومريم ابنة عمران . وكثير من الحور الحسان ـ قد أضاء من جمالهن المكان .

وفي مؤلف يسمى (شرف الأنام) قول مؤلفه : « لما أراد الله ظهور خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يقبض طينته من مكان قبره الكريم ، وأقبل بها بين يدي الله ولها عـرق يسيل ، فخلق مـن ذلك العرق نور كل نبي جليل ، فجميع الأنبياء خلقوا من نور محمد صلى الله عليه وسلم : الى آخر ما قال » ويقول في وصفه : « أزج الحاجبين ، أكحل العينين ، أقنى الأنف ، دقيق الشفتين . كأنما يتبسم عن نضيد الدرر ، عنقـه كأنه أبريق فضة ، وقد فاق على جيد الغزال ، وقده أرشق من الغصن الرطيب اذا خطر » وفي التواشيح من هذا المؤلف :

ولـد الحبيب وخـده متـوردا والنـور من وجناته يتـوقد
هـذا الوفي بعهـده هـذا الذي من قـده يا صـاح غصـن أملـد

قـل لي بربك : بمن تليق هذه الأوصاف ؟ أبالغيد الحسان ؟ أم بسيد ولـد عدنان ؟

وفي المدائح النبوية الكثير من الغلو . فمن ذلك قول أحد الصوفية :

لولاك ما خلقت شمس ولا قمـر ولا سـماء ولا لـوح ولا قـلم

فكأن الرسول هو الخالق لا الله . وهذا من قصيدة مطلعها

يا خير من دفنت في الترب أعظمه فطاب من طيبهن القـاع والأكـم

وأخـذ المغنى يوسف بن اسـماعيل النبهاني البيروتي فقـال في همـزتيه (طيبة الغراء) :

نـورك الكل والورى أجـزاء يـا نبيـا من جنـده الأنبيـاء
علـة الـكون كنت أنت ولـو لاك لـدامت في غيبهـا الأشيـاء
منتهى الفضـل في العـوالم جمعـاً فـوقه مـن كمـالك الابتـداء

أما الأبوصيري على جلالة قدره فقد أثر عنه في قصيدته البردة : هذه الأبيات أضعها بين يدي القراء ؟

فمنـذ الـزمت أفـكاري مدائحه وجـدته لخلاصي خـير ملتـزم

ومنهـا :

ماسامني الدهر ضيماً واستجرت به الا ونلت جـواراً منـه لـم يضـم
ولا التمست غنى الدارين من يده الا استلمت الندى من خير مستلم

ومنهـا :

ومـن تـكن برسـول الله نصرته ان تلقه الأسـد في آجامهـا تجـم
ولن تـرى مـن ولي غـير منتصر بـه ولا من عـدو غـير منقصـم

ومنهـا :

وان من وجـودك الدنيـا وضرنها ومن علـومك علـم اللوح والقلـم

ومثل هذا كثير في المدائح • أفليس من الغلو ومن الاطراء المنهى عنه بنص الحديث ؟ أما القيام عند ذكر ولادته عليه الصلاة والسلام : فهـو بدعة البدعة وليس لهم دليل عليه • فكيف والرسول ينهى عن القيـام لشخصه الكريم عند دخوله على صحابته ، هذا وقد سنه بعض العلماء استحسانا فقط • وهذا الشيخ محمد الغزب يقول شعراً :

ولذكـــر مـولد يسن قيـامنا أدبـاً لـدى أهـل العـلوم تأكـدا

فمن ياترى أهل العلوم هؤلاء الذين أرادهم ؟ اللهم رحماك :

ولقد جاء في رسالة لطيفة دبجتها يراعة العلامة السيد محمد بن سـالم بن حفيظ العلوي جواز القيام ـ بعنوان : (قرة العين بجـواب أسئلة وادي العين) فمن جملة الأسئلة التي رد عليها : هل القيام عند ذكر ميلاد النبي في قصة المولد بدعة ؟ فأجاب بما يلي ألهمه الله الصواب : وبالجملة فالقيام عند ذكر مولده صلى الله عليه وسلم : صار شعارا لأهـل السنة والجماعة ، وتركه من علامات الابتداع ، فلا ينبغي تركه ، ولا المنـع منه ، بل ربمـا استلزم ذلك الاستخفاف بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ ومن هنا أفتى المـولى أبو السعود العماري بخشية الكفر على من يتركه حين يقوم الناس لاشعاره

بذلك • انتهى • ومما قدمناه يعلم أن عمل المولد بالكيفية التي ذكرناها ، والقيام للمولد وما أشبه ذلك من الأمور المستحسنة التي لا ينبغي انكارها ، بل هي داخلة في ضمن حديث : « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها •• الى آخره كما تقدم ـ انتهى هذا ما قاله ابن حفيظ بنصه نقلناه من مؤلفه قرة العين كما ذكر •

نعم هو قرة عين له ولمن يرون رأيه ؟ ومن العجيب أنه أفتى به أناساً لا يحسنون صلاتهم على الوجه المطلوب شرعاً • فمن الملوم ياترى ؟ ثم نقول لصاحب الفضيلة : من هم أهل السنة والجماعة الذين عناهم ؟ ولعلهم أبو السعود الذي نقل عنه • وقديما قيل ـ (كل الصيد في جوف الفرى) ـ وليست هذه الفتوى باول بادرة ركب فيها متن الشطط ؟! بل له فتاوى على ثلاث مسائل بعنوان : « الوسيلة للوقاية عن مضلات الفتن ، في الجواب على أسئلة عدن » اشارة الى أن الأسئلة وجهت اليه من عدن • هذا واليكم الرد على فرية سنية القيام التي أفتى بجوازها • وقد كفانا المؤونة صاحب الفضيلة العلامة أحمد بن حجر الهيثمي رحمه الله ، في كتابه (الفتاوى الحديثة) تحت عنوان : « مطلب في أن القيام في أثناء المولد الشريف بدعة لا ينبغي فعلها » قال بعد ذكر أن القيام عند قراءة سورة : « أتى أمر الله » بدعة ، قال : ونظير ذلك فعل كثير عند ذكره صلى الله عليه وسلم ووضع أمه له من القيام ، هو أيضا بدعة ، لم يرد فيه شيء ، على أن الناس انما يفعلون ذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم فالعوام معذورون لذلك ، بخلاف الخواص • ـ انتهى • والذي يفهم من كلام ابن حجر أن القيام بدعة ، وان التمس فيها العذر للعامة فليس للخاصة عذر ـ هذا ـ وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه كان ينهى عن القيام له عند قدومه في حياته كما أسلفنا ، فما نهى عنه في حياته ،فهو بالنهى أحرى بعد مماته ٠

ومن أراد احياء ذكرى ميلاد رسول الله عليه الصلاة والسلام : فليلتمسها في اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والصوم والحج والبر والايثار ٠ وفي احياء السنة واماتة البدعة ، وفي اقتفاء طريقته ٠ لا في القصص والمدائح ، وهذه الاحتفالات المخترعة المبتدعة ٠ والى هذا المعنى أشار الشيخ محمد الغزالى في كتابه (فقه السيرة) بقوله منددا بتلك القصص والمدائح : « ومعرفة سيرة الرسول على هذا النحو تساوي الجهل بها :

انه من الظلم للحقيقة الكبيرة أن تتحول الى اسطورة خارقة٠ ومن الظلم لفترة نابضة بالحياة والقوة ، أن تعرض في أكفان الموتى ٠ ان حياة محمد : ليست بالنسبة للمسلم ـ مسلاة شخص فارغ أو دراسة ناقد محايد ، كلا ـ كلا ـ انها مصدر الأسوة الحسنة التي يقتفيها ، ومنبع الشريعة العظيمة التي يدين بها ، فأي حيف في عرض هذه السيرة ، وأي خلط في سرد أحداثها : اساءة بالغة الى حقيقة الايمان نفسه ، ومحمد ليس قصة تتلى في يوم ميلاده ، كما يفعل الناس الآن ، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي تضم الى ألفاظ الأذان ٠ ولا اكنان حبه يكون بتأليف مدائح له ٠ أو صياغة نعوت مستغربة يتلوها العاشقون ، ويتأوهون أو لا يتأوهون ٠ فرباط المسلم برسوله الكريم أقوى وأعمق من هذه الروابط الملفقة المكذوبة على الدين ٠٠ وما جنح المسلمون الى هذه التعابير في الابانة عن تعلقهم بنبيهم ـ الا يوم أن تركوا اللباب المليء وأعياهم حمله ، فاكتفوا بالمظاهر والأشكال ٠ ولما

كانت هذه المظاهر والأشكال محدودة في الاسلام • فقد افتنوا في اختلاف صور اخرى ! فهي لن تكلفهم جهداً ينكصون عنه ؛ ان الجهد الذي يتطلب العزمات ، هو في الاستمساك باللباب المهجور ، والعودة الى جوهر الدين ذاته • فبدلا من الاستماع الى قصة المولد يتلوها صوت رخيم ، ينهض المرء الى تقويم نفسه ، واصلاح شأنه ، حتي يكون قريبا من سنن محمد في معاشه ومعاده ، وحربه وسلمه ، وعلمه وعمله ، وعاداته وعباداته •• ان المسلم الذي لا يعيش محمد الرسول صلى الله عليه وسلم في ضميره ، ولا تتبعه بصيرته ، في عمله وتفكيره ؛ لا يغني عنه أبداً أن يحرك لسانه بألف صلاة في اليوم والليلة • ـ وأريد أن أنبه الى ضرورة الفصل بين الجد والهزل في حياتنا • ولا بأس أن نجعل للهو واللعب وقتاً لايعدوه ، وللجد والانتاج وقتا لا يقصر عنه • ـ • انتهى كلام الغزالي •

الحلف بغير الله تعالى

س ـ ان الحلف بغير الله سبحانه سائد في أوساطنا : يحلفون بالأنبياء ، بالأولياء ، بالآباء ، بالامانة ، بالمحال المعظمة كالكعبة مثلا• وقد كان من جهل حكام العادة عندنا أنهم يأمرون من توجهت عليه يمين بأن يحلف على قبر بعض الأولياء المعروفين • معتقدين أن الولي يتصرف فيمن يحلف عليه كاذبا ـ لهذا ترى أكثرهم يتهيب الحلف بالولي أو على قبره ؟ ولا يتهيب الحلف بالله وحده ! ـ وسير اليمين عند هؤلاء : « والله وراسك يا ولي الله » ••• الى آخر اليمين بذكر المحلوف عليه !!

ولعلمنا بأن الحلف بغير الله أو بغير صفة من صفاته محظور ، نريد منكم اقامة الأدلة على منعه ؟ وما يترتب عليه ؟

ج ـ ألحلف بغير الله أو بغير صفة من صفاته مردود شرعا ، وفاعله على غاية من الخطر ان قصد تعظيم المحلوف به ، وخاف منه كما يخاف من الله

ان حنث في يمينه . ـ فالحلف تعظيم المحلوف به ، لايستحقه الا الله وحده ، وهو توكيد الشيء بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته . وكانت العرب تحلف بآبائها وبآلهتها المزعومة ، فقضى الاسلام على ذلك . ـ . فمن حلف بمخلوف معظما اياه بتعظيم الخالق ، فقد ارتكب نوعا من الشرك الأكبر ، وقد وردت أحاديث في النهي عن الحلف بغير الله ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد ، ولا تحلفوا الا بالله ... » . رواه أبو داود والنسائي . ومن هنا نعلم خطأ حلف الجهال ، برأس فلان وحياة فلان ، وغير ذلك . ـولقوله من حديث ابن عمر رضي الله عنه : « فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يحلف باللات والعزى ، فأمره أن يقول : لا اله الا الله ـ. ولفظ الحديث عند مسلم : « من حلف منكم فقال في حلفه : واللات والعزى فليقل : لا اله الا الله » . لأن الحلف بغير الله شرك مطلقا ، لقوله صلى لله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد كفر » رواه أبو داود والترمذي والحاكم ، وفي رواية للحاكم : « وكل يمين يحلف فيها دون الله شرك » وفي رواية لأحمد : « من حلف بغير الله فقد أشرك » على أن ابن عباس قال : كان اللات رجلا يلت السويق للحجاج ، رواه البخاري . وقد اتفق المسلمون على أن من حلف بالمخلوقات المحترمة ، أو بما يعتقد هو حرمته ، كالعرش والكرسي والكعبة وغير ذلك لا ينعقد يمينه ، ولا كفارة في الحلف بذلك قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر : لأن أحلف بالله كاذبا أحب الي من أن أحلف بغيره صادقا ، وذلك لأن الحلف بغير الله شرك والشرك أعظم . وما وقع من نزاع في انعقاد اليمين بالحلف بنبينا ،

ووقوع الكفارة على من حنث • هو حكم لا يعول عليه ، لاستناده على قول ضعيف في الغاية ، مخالف للنصوص • انتهى ـ ذكر هذا ابن تيمية في كتابه « مسألة جليلة ، في التوسل والوسيلة » • فمن هنا تدرك أيها السائل حرمة الحلف بغير الله كائنا ما كان ، وأنه شرك •

الذبح لغير الله

س ـ أسألك عما ذبح لغير الله ـ كالذي يذبح على اسم ولي من الأولياء ، أو ارضاء لغضبان أو أمام قادم فرحا بقدومه ، أو عند القبور تقربا الى من فيها ، أو عند قدوم العروسة احتراما لها ، أو دفعا لخطر الجن • ـ فهل هو مما أهل لغير الله به ؟ وما حكم المذبوحة بهذه الطريقة ؟ وضحوا ما جاء فيما يذبح على غير اسم الله ، بالأدلة التي لا تقبل جدلا ؟

ج ـ الذبح لغير الله حرام ، والمذبوحة بهذه الطريقة لا يحل أكلها ، ولا يفعل هذا الا جاهل بسنن الجاهلية الأولى التي سنت هذا العمل • ـ تلك السنن التي ماجاء الاسلام الا لمحوها ـ ومنها هذه السنة التي كانوا يفعلونها لأصنامهم !! ـ وهل يجوز لمسلم أن يتشبه بأهل الجاهلية في أعمالهم ؟ وقلنا أن المذبوحة محرمة : لقوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به » أي ماذكر عند ذبحه اسم غير الله ، أو ذبح بنية التقرب الى مخلوق من دون الله ، فهو حرام قطعا ، وحكم فاعله اذا كان عالما بتحريمه الارتداد عند بعض العلماء ، والدليل ما رواه مسلم في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في جملة حديث : « ولعن الله من ذبح لغير الله » قال النووي في شرحه ـ جزء ـ ١ ـ ص ـ ١٤١ ـ من الطبعة الجديدة ما نصه : « وأما أن الذبح لغير الله ؛ فالمراد به من يذبح باسم غير الله ، كمن

يذبح للصنم أو للصليب ، أو لموسى ، أو لعيسى عليهما السلام ، أو الكعبة ، أو نحو ذلك • ـ ولا تحل هذه الذبيحة سواء كان الذابح مسلما أو يهودياً أو نصرانياً ، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا • ـ فان قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له ، الذي هو غير الله تعالى ، والعبادة له كان كفراً• فان كان الذابح مسلما قبل ذلك صار مرتداً • وذكر المروزي من أصحابنا أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا اليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل لغير الله به ـ انتهى كلام النووى •

وقال في فتح البيان ـ ج ـ ١ ـ ص ـ ١٩٨ ـ ولا خلاف في تحريم ما ذبح لغير الله ، وذكر عليه غير اسمه • ومثله ما يقع من المعتقدين للأموات من الذبح على قبورهم ، فانه مما أهل به لغير الله ، ولا فرق بينه وبين الذبح للوثن • ـ •انتهى ـ •

وفي تفسير النيسابوري للنظام ، قال العلماء : لو أن مسلما ذبح ذبيحه وقصد بها التقرب الى غير الله صار مرتداً ، وذبيحته ذبيحة مرتد • انتهى • ـ

وفي كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد) للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب في باب ما جاء في الذبح لغير الله : قال شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله في كتابه : « اقتضاء الصراط المستقيم» في الكلام على قوله تعالى : « وما أهل لغير الله به » ألظاهر أنه ما ذبح لغير الله ، مثل أن يقال : هذا ذبيحة لكذا ، وان كان هذا هو المقصود ، فسواء لفظ به ، أو لم يلفظ به ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه ، كما أن ما ذبحناه متقربين به الى الله كان

أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا فيه باسم الله ، فاذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح أو الزهرة ، فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة وقصد به ذلك أولى • فان العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله • وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقرباً اليه يحرم وان قال فيه باسم الله ، كما يفعل طاءفة من منافقي هذه الأمة الذين قد يتقربون الى الكواكب بالذبح والبخور ، وان كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال ، لكونه يجتمع في الذبيحة مانعان : الأول أنه مما أهل لغير الله به • والثاني : أنها ذبيحة مرتد • ومن هذا الباب ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن ، ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه نهى عن ذبائح الجن • - انتهى • - كلام فتح المجيد •

قال الزمخشري : كانوا اذا اشتروا داراً أو بنوها ، أو استخرجوا عيناً ذبحوا ذبيحة خوفاً أن تصيبهم الجن ، فأضيفت اليهم الذبائح لذلك - انتهى•

وقد نقل الشوكاني أيضا هذه العبارة المتقدمة لشيخ الاسلام في رسالته (الدر النضيد) واستدل به على تحريم ما ذبح لغير الله تعالى ، سواء لفظ به الذابح عند الذبح أو لم يلفظ • وهذا هو الحق - انتهى - كلام الروضة الندية •

هذا أيها السائل ما جاء في حكم الذبح لغير الله ، ولعل فيه الكفاية ؟

حول حمل التمائم والأحجبة

س - يهتم كثير من الناس بحمل التمائم والأحجبة ، ويرون فيها شفاء من الأمراض ، ودرأ للأخطار ، وسببا للحب أو البغض • وقد

عرف أناس بفعل هذه الأحجبة ، وجعلوها سببا لادرار الرزق عليهم ، وألفت مؤلفات تحتوي على هذه الأحجبة والتعاويذ ، ليست بخافية ، واتخذت تمائم من الخيوط ومن أكفان الموتى المعتقد فيهم ، ومن حلق الصفر والحديد ، ومن الودع والخرز وغيرها • فهل اتخاذ الأحجبة التعاويذ والتمائم أمر يقره الشرع ويبيحه ؟ أرجو الافادة اقرارا أو نفيا ؟

ج ـ التمائم والأحجبة والتعاويذ ، وكل ما ذكرت في سؤالك ، ليست من الدين في شيء وانما اتخذها الدجالون حرفة وسببا لادرار المال عليهم كما ذكرت ، ولسلب ما بأيدي البسطاء من مال تعبوا في تحصيله ، وحافظوا على جمعه ، فهم بلا شك صادون عن اتخاذ الأسباب التي أوجدها الله لنفع العباد ، ومعطلون لسنن الله في خلقه ، فهم والله أنكى على الدين من أعدائه ، وأجرأ على الله في مشيئته ، وقدره الذي لا يتم الايمان الا باعتقاده • فقد ورد في الحديث الشريف : « ان الله لم ينزل داء الا وأنزل له دواء » • وأنه لم يجعل شفاءنا فيما حرم علينا •

فتعليق التمائم مما حرمه الشرع وأكد على تحريمه وعلى شرك فاعله ، وان شئت فاسمع قول المعصوم صلى الله عليه وسلم : « من علق تميمة فقد أشرك » رواه الترمذي • وفي كتاب الابداع تحت عنوان : (تعليق التمائم والحروز) ـ والتميمة خرزة كان أهل الجاهلية يعلقونها ، يرون أنها تدفع عنهم الآفات كما كان لهم خيوط معقودة يربطونها على نحو الذراع حفظا لهم من العاهات ، واعتقاد هذا جهل وضلالة ، أبطله الشرع الحكيم ونهى عنه • اذ لا نافع الا الله ، ولا دافع للآفات والعاهات الا هو • عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من

علق تميمة فلا أتم الله له ، ومن علق ودعة فلا أودع الله له » . رواه الامام أحمد وأبو يعلي باسناد جيد والحاكم وقال صحيح الاسناد . ـ وعن عيسى بن حمزة قال : دخلت على عبد الله بن عكيم وبه حمرة فقلت ألا تعلق تميمة ؟ فقال : أعوذ بالله من ذلك . قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر على يد رجل حلقة أراه قال : من صفر ، فقال : «ويحك ما هذا ؟ قال : من الواهنة ، قال : أما انها لا تزيدك الا وهناً ، انبذها عنك ، فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً » رواه أحمد وغيره . وعن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه دخل على امرأته وفي عنقها شيء معقود فقطعه ، ثم قال : لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا . ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الرقى والتولة والتمائم شرك » والتولة بكسر التاء وفتح الواو : ـ شيء شبيه بالسحر أو من أنواعه ـ قالوا يا أبا عبد الرحمن هذه الرقي والتمائم قد عرفناهما ، فما التولة ؟ قال شي تصنعه النساء يتحببن الى أزواجهن » رواه ابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال صحيح الاسناد . فهذه الأحاديث ونحوها صريحة في النهي عن تعليق الخرز والودع والخيوط المعقودة . وأن الصحابة ومن تبعهم باحسان ، كانوا يتحاشون عن ذلك ، ويحاربون مثل هذه الأوهام التي لا قيمة لها ، فضلا عن مساسها بالعقيدة ، ـ أقول ويقاس عليها الأحجبه المكتوبة وبخاصة التي تحتوي كلمات غير عربية أو مبهمة ، أو أسماء غير أسماء الله وصفاته .

هل تمنع التميمة اذا كانت من القرآن فقط ؟

س ـ هل تمنع التميمة اذا كانت من القرآن فقط ، بقصد الاستشفاء

أو التبرك ؟ وهل قوله تعالى : « يا أيها النـاس قد جاءتـكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين » دليل على جـواز تعليق الحجاب من القرآن ؟

ج ـ تمنع التميمة ولو كانت من القرآن : لأنها تخالف المقصـود من انزاله • فالقرآن أنزل ليتلى مع التدبر لـما فيه ، لا ليعلق تمائم وأحجبة عـلى المصابين والمعتوهين ، قال تعالى يخاطب نبيه : « كتاب أنزلناه اليك مبـارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » هـذا ـ وليس في الآية التي ذكرتها دليل على حمل أحجبة ، وقوله : « وشفاء لـما في الصـدور » أي دواء لـما في القلوب من جهل وشرك ونفاق ، وغير ذلك من الأمراض القلبية ، فيشفى به الله القلوب من أدوائها الخلقية ، وينيرها بالعلم واليقين ، وتوحيد الله ، الى غير ذلك • ـ وهذا دليل على أنه طهور للقلوب الدنسة المريضة بالشك والنفاق ، والكفر والحسد ، لا أنه يكتب ويمحى ويسقى للمرضى ، ولا أنه يعلق عليهم كأحجبة • والقائل بجواز ذلك لا دليل معه ، حيث لم يكن من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا من هدي أصـحابه أنهـم كانوا يسقونه المرضى ، أو يعلقونه عليهم ، ويكفينـا تفنيدا لمزاعم الجهـال : كونه بدعة محدثة • والرسول صلى الله عليه وسلم يقـول : « كل محـدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وقوله : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »

وجاء في رسالة لفضيلة الشيخ المرحوم محمد عبدالسلام مؤسس الجمعية السلفية بالحوامدية ـ جيزة ـ ما يأتي :

ومن البدع تعليق المصحف على الصغير والكبير كحجاب أو للنظـرة ،

وكذا من البدع كتابة شيء من القرآن لهذا الغرض ، والمشروع : قراءة آية الكرسي ، أو المعوذتين أو الفاتحة ، أو قراءة الأدعية الواردة في السنة لهذا ـ فليعلم .

وجاء فيها : ومن البدع تعليق سورة ألم نشرح فيورقة على الدكاكين لجلب الزبون . والمطلوب حسن المعاملة ، وحسن الخلق ، والصدق ، وعدم رفع الأسعار ، فان هذا حقا يجلب الزبون ، وقد نهى الاسلام عن التعليق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من علق فقد أشرك » . وفي فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل شيخ ـ أنه رأى منع حمل الحجاب من القرآن لوجوه ثلاثة تظهر للمتأمل :

الأول : عموم النهي ، ولا مخصص للعموم .

الثاني : سد الذريعة ، فانه يفضي الى تعليق ما ليس كذلك .

الثالث : أنه اذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق بحمله معه في قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك .

وجاء التعليق على ذلك للشيخ محمد حامد الفقي رئيس أنصار السنة الأسبق في القاهرة رحمه الله قوله : « ولأن فعل ذلك استهزاء أشد استهزاء بآيات الله ، ومناقضة لما جاء به ، ومحادة لله ولرسوله ، فان الله أنزل القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، وشفاء لما في الصدور ، ولا يزيد الظالمين الا خساراً ، وانه لتذكرة للمتقين . وانه لحسرة على الكافرين ، وانه لحق اليقين . ولم ينزل القرآن ليتخذ تمائم وحجباً ، ولا ليتلاعب به المتأكلون به ، الذين يشترون به ثمنا قليلا ، والذين يقرأونه على المقابر ، وأمثال ذلك مما ذهب بحرمة القرآن ، وجرأ الرؤساء على ترك الحكم به .

س ــ يقولون : ان عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب القرآن لأولاده ويعلقه في أعناق الصغار منهم • وهذا دليل على جواز حمله ؟

ج ـ يقول الشيخ محمد حامد الفقي : الرواية ضعيفة • ولا تدل على هذا ، لأن فيها أن ابن عمرو كان يحفظه أولاده الكبار ، ويكتبه في ألواح ويعلقه في أعناق الصغار • فالظاهر أنه كان يعلقه في اللوح ليحفظه الصغير ، لا على انه تميمه والتميمة تكتب في ورقة لا في لوح • وبدليل تحفيظه الكبار• وكيفما كان فهو عمل فردي من عبد الله بن عمرو ، لا يترك به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل كبار الصحابة الذين لم يعملوا مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم •

س ــ روى المولعون بكتابة الأحجبة والتمائم : أن أبا دجانة شكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بينما أنا نائم اذ فتحت عيني فاذا عند رأسي شيطان فجعل يعلو ويطول ، فضربته بيدي فاذا جلده كجلد القنفذ ، فقال صلى الله عليه وسلم : « يا علي أكتب لأبي دجانة كتابا لا يؤذيه شيء من بعده • قال : أكتب بعد البسملة : هذا كتاب من محمد النبي العربي التهامي الأبطحي ، المكي القرشي ، المدني الهاشمي ، صاحب التاج والهراوة والقضيب والناقة • الى من يطرق البيت من الزوار والعمار •• ألا فهذا كتاب الله ينطق بالحق ••• « : يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس » ثم طوى الكتاب ، وقال : ضعه تحت رأسك » • فوضعه فاذا هم ينادون : النار النار ، أحرقتنا بالنار ، حتى قال له ارفع عنهم ، فان عادوا فعد • فوالذي نفس محمد بيده ما دخلت هذه الأسماء دارا الا هرب منه ابليس وجنوده وذريته والغاوون • ــ رواه موسى الأنصاري • فهل ثبت هذا الحديث ؟

ج ـ لاشك فيأن هذا من سلاح الكذابين والدجالين المحترفين الأحجبة انتحلوا هذا ليروجوا على العامة والبسطاء بمثل هذه الأباطيل حتى تروج

بضاعتهم لديهم ، قال الفتني الهندي موضوع ، واسناده منقطع ، وأكثر رجاله مجهولون ، وليس في الصحابة من يسمى موسى أصلا !! ـ فهلا تبين لك تقول هؤلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ما ينطق عن الهوى ؟ لو كان هذا صحيحا لا اتقى الصحابة بحمله ووضعه في بيوتهم خطر وسوسة الشيطان وجنوده ، ولو فعلوا لنقل عنهم كما نقل غيره في صحاح السنة . ولكن دفع خطر الشياطين لا يكون الا بالاستعاذة منهم ، ومخالفتهم فعلا . كيف وربنا يرشد نبيه بقوله : « واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم » . وأبو دجانة رضي الله عنه من قد عرف بايمانه وقوته في سبيل الله ، فكيف يلجأ الى الأحجبة ، ويترك الاستعاذة ؟ وهل يعقل أن يأمر النبي صحابته بما يخالف أمر الله ؟ وكيف وهو القائل صلى الله عليه وسلم : « من علق فقد أشرك » . وثبت عنه صلى الله عليه وسلم : الدعاء للمصابين بالشفاء كما ورد في الصحيحين . وهلاأمر بكتابة حجاب للمرأة التي شكت اليه الصرع غير أنه قال لها : « ان شئت صبرت ولك الجنة ، وان شئت دعوت الله أن يعافيك . وهذا هو نص الحديث : « عن عطاء بن رباح قال قال لي ابن عباس رضي الله عنهما : ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فقلت بلى ، قال هذه المرأة السوداء ، أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني أصرع واني أتكشف فادع الله تعالى لي ، قال : ان شئت صبرت ولك الجنة ، وان شئت دعوت الله أن يعافيك ، فقالت أصبر . فقالت اني أتكشف ، فادع الله أن لا أتكشف ، فدعا لها » متفق عليه .ـ أفيجود الرسول الأكرم على أبي دجانة بكتابة حجاب لرؤيا منامية رآها ، ويبخل على هذه المسكينة التي تعاني ما تعاني من آلام الصرع وهو الرءوف

الرحيم !! ولكنه مأمور بأوامر لا يتعداها • أما هو فقد شرع لأمته الأسباب المشروعة التي لا تتنافى وسنة الله التي لن تجد لها تبديلا • صلوات الله وسلامه عليه •

بدعة يوم عاشوراء

س ـ لننتقل الى السؤال عن بعض العادات المتبعة لنعرف أهي مطابقة للسنة أم هي منافية لها ؟ ولنبدأ بالسؤال عما يعمله الناس في يوم عاشوراء ، فهم يعتبرونه عيدا سنويا ، ويروون أحاديث في فضله ، لا أطيل بذكرها ـ فهل لهم في اتخاذ هذا اليوم عيدا ، وفيما يفعلونه فيه حجة أم لا ؟ أفيدونا مأجورين ؟

ج ـ جاء في كتاب الابداع ما يأتي :

يقع في هذا اليوم كثير من البدع ـ منها مالا أصل له ، ومنها ما ينبني على أحاديث موضوعة ، أو شديدة الضعف • ـ كانساع الناس في اتخاذ الأطعمة الخاصة بهذا اليوم،واعتبارهم له عيدا كالأعياد المرسومة للمسلمين، وهذا من تلبيس ابليس على العامة ، فانه قد ثبت أن هذا اليوم تعده اليهود عيدا ، وكانت تصومه كما في صحيح مسلم ، فأمرنا الشارع بمخالفتهم بصوم يوم قبله أو بعده ، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال : « صوموا يوما قبله أو بعده وخالفوا اليهود » فكره افراد يوم عاشوراء بالصوم لأجل التشبه باليهود ، ولم يشرع فيه توسعة في مطعم ولا غيره لهذه المخالفة • وما ورد في صلاة ليلة عاشوراء ويومها وفي فضل الكحل لم يصح ـ ومن ذلك حديث عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه « من اكتحل يوم عاشوراء بالأثمد لم يرمد أبدا » وهو موضوع وضعه قتلة الحسين رضي

الله عنه ، وقال الامام أحمد :« والاكتحال يوم عاشوراء لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أثر ، وهو بدعة • ولقد أحدث الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه بدعتين : الأولى الحزن والنوح واللطم والصراخ والبكاء والعطش وانشاد المراثي وما يفضي اليه من سب السلف ولعنهم ، وادخال البريء مع المذنب ، وتقرأ أخبارا مهيجة الكثير منها كذب ، وقد قصد من سن هذا في هذا اليوم فتح باب الفتنة ، والتفريق بين الأمة ، فان هذا ليس مستحبا ولا جائزا باتفاق المسلمين بل احداث الجزع والنياحة القديمة من أكبر المحرمات •

والثانية : بدعة السرور والفرح واعتبار هذا اليوم عيدا ، ورووا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته • ـ وقد سئل الامام أحمد عن هذا الحديث ، فقال : « لا أصل له ، وليس له اسناد ثابت الا ما رواه ابن عيينة عن المنشر وهو كوفي سمعه ورواه عمن لا يعرف • ـ ورووا أنه من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد في ذلك العام ، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام • فصاروا يستحبون في هذا اليوم الاكتحال والاغتسال ، والتوسعة على العيال ، وهذه بدعة أصلها من خصوم الحسين ، كما أن بدعة الحزن من أحبابه ، والكل باطل وبدعة ضلالة • ولم يستحب أحد من الأئمة الأربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا لعدم الدليل الشرعي • بل المستحب يوم عاشوراء الصيام عند جمهور العلماء مع صوم يوم قبله ـ فعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لئن بقيت الى قابل لأصومن التاسع ، رواه مسلم ـ فاذن كل ما يفعل في يوم عاشوراء مما ذكر بدعة ضلالة ـ ما عدى الصوم ـ انتهى •

س ـ يجتمع المسلمون في المساجد ليلة النصف من شعبان من كل سنة على قراءة سورة يس ـ وقراءة دعاء يعرف بدعاء ليلة النصف من شعبان معتقدين ان هذه الليلة المباركة التي عناها الله سبحانه وتعالى بقوله في أول سورة الدخان : « حم والكتاب المبين ، انا أنزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين ، فيها يفرق كل أمر حكيم • أمرا من عندنا انا كنا مرسلين • رحمة من ربك انه هو السميع العليم » ـ فأرجو منكم البيان والتوضيح مع الأدلة المقنعة القاطعة فيما ورد في شأن هذه الليلة ؟ وفي الاحتفال بها ؟ وفي القراءة بياسين على الخصوص ، والدعاء بهذا الدعاء ؟

ج ـ ليلة النصف من شعبان ليلة كليالي شهر شعبان ، ولم يكن من عادة السلف تخصيص هذه الليلة بالعبادة فيها من بين الليالي ، لأن ذلك لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام ، والليلة المباركة هي ليلة نزول القرآن ، والقرآن لم ينزل الا في ليلة القدر ، وليلة القدر ليلة من ليالي شهر رمضان • واليك ما جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية :

يقول تعالى مخبرا عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة ، وهي ليلة القدر ، كما قال عز وجل « انا أنزلناه في ليلة القدر » وكان ذلك في شهر رمضان ، كما قال تعالى : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة ، فان نص القرآن أنها في رمضان • ـ والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري ، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقطع الآجال من شعبان الى شعبان

حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى » فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص • وقوله : « فيها يفرق كل أمر حكيم » أي في ليلة القدر ، يفصل من اللوح المحفوظ الى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق ، وما يكون فيها الى آخرها • وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك ، والضحاك ، وغير واحد من السلف •

وفي فتاوي الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سابقا رحمه الله ، حول ليلة النصف من شعبان قوله : « اعتقاد العامة وأشباههم أن ليلة النصف من شعبان ، ليلة ذات مكانة خاصة عند الله ، وأن احياءها بالذكر والعبادة والدعاء والقراءة مشروع ومطلوب ، وتبع ذلك أن وضع لهم في احيائها نظام خاص : يجتمعون عقب صلاة المغرب ، ويصلون صلاة خاصة باسم صلاة « النصف من شعبان » ويتلونه دعاء خاصا يتلقنه بعضهم من بعض ويحفظونه على خلل في التلقين ، ويكررونه ثلاث مرات الأولى احداها بنية طول العمر ، والثانية بنية دفع البلاء ، والثالثة بنية الاغناء عن الناس • ويعتقد العامة أن التخلف عن المشاركة في هذا الاجتماع نذير بقصر العمر ، وكثرة البلاء • والحاجة الى الناس • ـ واذا كنت ممن لم يوفقوا الى قراءة هذا الدعاء أو سماعه • فانهم يطلبون فيه من الله محو ما كتبه في أم الكتاب من الشقاوة وتبديلها سعادة • والحرمان وتبديله عطاء • والاقتار وتبديله غنى • ويذكرون في تبرير هذا الطلب وحيثياته أن الله قال في كتابه « يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » وهو تحريف واضح للكلم

عن موضعه • فان هذه الآيات سيقت لتقرير أن الله ينسخ من أحكام الشرائع السابقة ما لا يتفق واستعداد الأمم اللاحقة • وأن الأصول التي تحتاجها الانسانية العامة ـ كالتوحيد والبعث والرسالة • وتحريم الفواحش ـ دائمة ثابتة وهي : « أم الكتاب » الالهي الذي لا تبديل فيه ولا تغيير • واذن لا علاقة لآية المحو والاثبات بالأحداث الكونية ، حتى تحشر في الدعاء ، وتذكر حيثية للرجاء • والذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه ، وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول ، انما هو فضل شهر شعبان كله لا فرق بين ليلة وليلة ، وقد طلب على وجه عام الاكثار من العبادة وعمل الخير ، وطلب الاكثار من الصوم على وجه خاص ، تدريبا للنفس على الصوم ، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم : أي الصوم أفضل؟ فقال شعبان » لتعظيم رمضان ، أما خصوص ليلة النصف • والاجتماع لاحيائها وصلاتها ودعائها ، فانه لم يرد فيها شيء صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول •

ويقول الشيخ محمد عبده رحمه الله في تفسيره لجزء عم يتساءلون » •

أما ما يقوله الكثيرون من الناس ، من أن الليلة المباركة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة النصف من شعبان ، وأن الأمور التي تفرق فيها هي الأرزاق والأعمار ، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك في ليلة القدر ، فهو من الجرأة على الكلام في الغيب بغير حجة قاطعة ، وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشيء من ذلك ما لم يرد به خبر ثابت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم • ومثل ذلك لم يرد ، لاضطراب الروايات ، وضعف أغلبها ، وكذب

الكثير منها ، ومثلها لا يصح الأخذ به في باب العقائد • ومثل ذلك يقال في بيت العزة ونزول القرآن فيه جملة واحدة في تلك الليلة ، فانه لا يجوز أن يدخل في عقائد الدين ، لعدم ثبوت خبره عن النبي صلى الله عليه وسلم • ولا يجوز لنا الأخذبالظن في عقيدة مثل هذه • والا كنا من الذين قيل فيهم : « ان يتبعون الا الظن » نعوذ بالله • وقد وقع المسلمون في هذه المصيبة ، مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله ويعد من عقائد الدين ، وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل ، فاحذر أن تقع مثلهم • ـ انتهى •

هذا أيها السائل ما وقفت عليه للرد على اجابتك في شأن هذه الليلة ، ولا أخالك الا مقتنعا •

صلاة الخمسة الفروض بنية القضاء في آخر جمعة من رمضان

س ـ هنا في حضرموت وعلى الأخص في بلدة (عينات) تصلى الخمسة الفروض تباعاً بعد التسليم من آخر جمعة من رمضان ، ويقولون : انها تقضي الفوائت في العام كله ، وقد حصل أخذ ورد بيني وبين أحد المروجين لها ، فأورد هذا الحديث : « من صلى آخر جمعة من رمضان الخمس الصلوات المفروضات في اليوم والليلة قضت عنه ما أخل به من صلاة سنته » فهل ورد في صحيح السنة مشروعية هذا العمل ؟ وهل هذا الحديث صحيح ؟

ج ـ لم يرد في صحيح السنة مشروعية هذا العمل الذي هو زيادة في دين الله بما لم يأذن به • ولم يشرع الرسول في رمضان سوى قيام ليله بصلاة النفل ، وقال مرغبا فيه : « من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » • هذا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شأن قيام

رمضان بصلاة النفل . وحتى أنه أشفق على أمتـه من أن يفـرض عليهم ، وذلك أنه صلى بهم ليلة ، ثم أخرى ، فلما كثر الجمع تأخر في بيتـه ، وقال مبينا سبب تأخره عن الخـروج اليهم في الليلة الثالثـة : « خشيـة أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا » هـذا ما ورد في شأن القيـام فقط . أما هـذه الصـلوات كمـا ذكرت فهي غـير مشروعة ، وهي بدعة وضـلالة . وأما الحديث الذي ذكره لك من حاورته في شأن هذا الفعـل المخالف للشرع ، فقد وضعه أعداء الدين ليشوهوه بالزيادة على الصـلوات الخمس التي جاء بتقريرها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

جاء في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لشيخ الاسلام محمد ابن على الشوكاني المتوفي سنة ١٢٥٠ ـ الطبعة الأولى ص ـ ٥٤ ـ قوله بعد سرد هذا الحديث بنصه :

هذا حديث موضوع لا اشكال فيه ، ولم أجـده في شيء من الـكتب التي جمع مصنفوها فيها الأحاديث الموضـوعة ، ولـكنه اشتهر بين علمـاء صنعاء في عصرنا هذا ، وصار كثير منهم يفعلون ذلك ، ولا أدري من وضعه لهم ؟ فقبح الله الكذابين . انتهى ما قاله الشوكاني .

أما ما روي عن شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي فانه قال بعد أن أنكر فعل هذه الصلوات وندد بفاعليهـا : انه يجب تغيـير هذا المنـكر ولو باليد لمن قدر عليـه . ذلك لأنه زيادة في الدين . ـ فالمعروف أن المفروض خمس صلوات في اليوم والليلة فقط في رمضان وغيره . ويكفينا أن الرسول أجاب الاعرابي الذي جاء يسأل عما فرض الله عليه بقوله : ماذا فرض الله

علي ؟ قال الرسول خمس صلوات في اليوم والليلة • قال الأعرابي : هل علي غيرها ؟ قال : لا ـ الا أن تطوع •

وقضاء الفوائت وقته حين يذكرها ، وليست خاصة برمضان ـ والظاهر أنهم سمعوا أن الصلوات في رمضان مضاعف أجرها ؟ هذا القضاء بهذه الصورة فيه ، ليحصلوا على المضاعفة ـ ولتعلم أن الصلاة الواحدة لا تقضي الا صلاة واحدة •

وهذا وأمثاله مما يسهل على العوام التهاون في أداء الصلوات في أوقاتها طيلة العام ، ليقوموا بهذه الصلوات المبتدعة لتسد ما تركوه •

فيا أيها العلماء بينوا للناس شرع الله ، ونددوا بمن عمل بدعة كائنا ما كان ، ولا تحل بينكم وبين أداء واجبكم رسوم مصطنعة ، أو مظاهر مزوقة ، أو حسن ظن بمن قام بهذا العمل وسنه •

صلاة الرغائب التي تفعل في أول ليلة من رجب

س ـ هناك صلاة يصليها البعض في أول ليلة من شهر رجب ويسمونها : صلاة الرغائب ، يسندون الترغيب في فعلها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فألتمس منك بيان ما جاء فيها اثباتا أو نفيا ؟

ج ـ نعم : أورد المرغبون في فعلها أن النبي صلى الله عليه وسلم حث عليها بقوله : « لا تغفلوا عن أول ليلة من رجب ، فانها ليلة تسميها الملائكة الرغائب ، ثم قال : وما من أحد يصوم الخميس ، أول خميس من رجب ، ثم يصلي ما بين العشاء والعتمة ـ يعني ليلة الجمعة ، اثنتي عشرة

ركعة ، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة • وانا أنزلناه في ليلة القـــدر ثلاثا • وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة • يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فاذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة ، ثم يقول : اللهم صل على محمـد النبي الأمي وعلى آله ، ثم يسجد فيقول في سـجوده : سـبوح قدوس رب الملائكه والروح سبعين مرة ، ثم يرفع رأسه فيقول : رب اغفر وارحم واعف عما تعلم ، انك أنت الأعز الأعظم ، سبعين مرة • ثم يســجد الثانية فيقـول مثلما قال في السجدة الأولى ، ثم يسأل الله حاجته فانها تقضى • ـ •

جاء في المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني بعد أن أورد هذا الحديث ما نصه :

هو موضوع ورجاله مجهولون • وهذه هي صلاة الرغائب المشهورة • وقد اتفق الحفاظ على أنها موضوعة ، وألفوا فيها مؤلفات ، وغلطوا الخطيب البغدادي في كلامه فيها • وأول من رد عليه من العلماء : ابن عبد السلام • وليس كون هذه الصلاة موضوعة : ممـا يخفى على مثـل الخطيب • والله أعلم ما حمله على ذلك ، وانما أطال الحفاظ المقال في هذه الصلاة المكذوبة ، بسبب كلام الخطيب • وهي أقـل من أن يشتغل بها ، ويتكلـم عليهـا • فوضعها لا يمتري فيه من له أدنى المام بفن الحديث •

قال الفيروزبادي في المختصر : انها موضـوعة بالاتفـاق ، وكذا قال المقدسي • ومما أوجب طول الـكلام عليها : وقوعها في كتـاب رزين بن معاوية العبدري ، ولقد أدخل في كتابه الذي جمع فيه بين دواوين الاســلام بلايا وموضـوعات لا تعرف ، ولا يدرى من أين جاء بها ؟ وذلك خيـانة

للمسلمين . وقد أخطأ ابن الأثير خطأ بيناً بذكر ما زاده رزين في جامع الأصول ولم ينبه على عدم صحته في نفسه الا نادرا ، كقوله بعد ذكر هذه الصلاة ما لفظه : ـ هذا الحديث مما وجدته في كتاب رزين ، ولم أجده في واحد من الكتب السته ، والحديث مطعون فيه . انتهى نقلا عن المجموعة للشوكاني .

وهناك صلوات أخرى أحاديثها موضوعة ، كصلاة ليلة النصف من شعبان . وصلاة يوم عاشوراء ، وصلاة ليلة النحر ، وصلاة يوم عرفة ، فلا نطيل بسردها والتعليق عليها في مختصر كهذا . ـ انتهى نقلا عن كتاب الابداع في مضاد الابتداع .

البـــدع التي في العبـــادات

س ـ وهناك أشياء تفعل في العبادات ، ولم أدر أهي زيادات مبتدعة أم سنة متبعة ؟ ومما زاد من شكي في كونها مبتـدعة ، ملازمة المتسمين بالعلم على العمل بها !! فأرجو الاجابة عنها بما يزيل الشك والابهام ؟ وهي كما يلي :

١ ـ من هذه الأشياء : التلفظ بالنية عند تكبيرة الاحرام بالصلاة، وعند غسل الوجه في الوضوء ، وعند أول مغسول في الجنابة ونحوها ، وعند التيمم ، وعند قصد الصوم ، بل وعند كل عبادة بدنية . وقد نتج عن التلفظ بها : الوسوسة من الناوي ، وقد يبتلى الموسوس بتكرار النية ، حتى ان الامام ليركع وهو ما زال يكرر هذه النية بقوله : أصلي فرض كذا مستقبلا القبلة أداء لله تعالى مثلا .

٢ ـ ما يفعل في كثير من البلاد الاسلامية في رمضان عند صلاة التراويح من التخفيف المفرط ، ومن رفع الصوت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالترضي عن الصحابة بصوت مزعج بعد

التسليم من كل أربع ركعات ، ويسمون الأربع الأولى : مقام أبي بكر ٠ والأربع الثانية : مقام عمر ٠ والأربع الثالثة : مقام عثمان ، والاربع الرابعة : مقام علي ٠ وهو فعل من يصلون التراويح عشرين ركعة ٠

٣ ـ اضافة الآية : ان الله وملائكته يصلون على النبي ٠٠٠ الى آخرها » الى الأذان ، واختصاص ليلة الجمعة ويومها بالصلاة على النبي مع اضافة مديح مرتل اليها في المنارة مع الأذان ٠

٤ ـ قراءة الحديث وهو : اذا صعد الخطيب المنبر فلا يتكلمن أحدكم ، ومن تكلم فقد لغى ، ومن لغى فلا جمعة له ٠ بعد الآذان الثاني وصعود الخطيب المنبر ، أو ماهو بمعناه ٠

٥ ـ زيادة كلمات قبل الأذان يتلوها من يقيم الصلاة ٠

ج ـ هذه الأشياء التي ذكرتها كلها زيادات مبتدعة ، جرى فيها العاملون بها وراء الاستحسانات بدون دليل ، وقد أنكر امامنا الشافعي رضي الله عنه الجري وراء الاستحسانات ونبه على ذلك ، أي على خطره بقوله : « من استحسن فقد شرع » ومعناه كما نقل عن الروياني : أنه نصب نفسه مشرعا ٠ وقال في الرسالة : « الاستحسان تلذذ ، ولو جاز لأحد الاستحسان في الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم ، ولجاز أن يشرع في الدين في كل باب ، وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعا غير الشرع ، وهو محمول على الاستحسان بالهوى والشهوة ، من غير دليل شرعي كما هو مبين في محله » ٠

قال صاحب الابداع : فمن البدع في الصلاة الجهر بالنية ، قال في المدخل ما ملخصه : لا يجهر امام ولا مأموم ولا فذ بالنية ، فانه لم يرو أن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا الخلفاء ولا الصحابة رضوان الله عليهم

كانوا يجهرون بها ، فكان الجهر بها بدعة . ويا ليت الأمر وقف عند الجهر بها ، بل ترى كثيرا منهم يشوشون بذلك ، ويكررون النية مرة بعد أخرى حتى تفوته الركعة .

وقال ابن القيم في كتابه ، « اغاثة اللهفان » : النية هي القصد والعزم على الشيء ، ومحلها القلب ، ولا تعلق لها باللسان أصلا ولذلك لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه في النية لفظ بحال . وهذه العبارات التي أحدثت عند افتتاح الطهارة والصلاة ، قد جعلها الشيطان معتركا لأهل الوسواس ، يحبسهم عندها ، ويعذبهم فيها ، ويوقعهم في طلب تصحيحها ، فترى أحدهم يكررها ، ويجهد نفسه في التلفظ بها ، وليست في الصلاة في شيء - انتهى - .

وفي كتاب الابداع أيضا : ومن البدع السيئة الوسوسة ، فانها شر أنواع البدع ، لا تتسلط الا على من استحكم عليه الجهل ، واستولى عليه الخبل ، وصار لا تمييز له ، وأما من كان على حقيقة العلم والعقل ، فانه لا يخرج عن الاتباع ، ولا يميل الى الابتداع .

ومن ضروب الوسوسة ما يكون من الكثير منهم : يحرم بالصلاة ثم يسلم ويحرم وهكذا وهو دائر بين احرامين ، لأن الصلاة ان كانت قد صحت حرم الخروج منها ، والا حرم عليه التسليم لأنه تلبس بعبادة فاسدة . (وقبيح جدا) ما يكون من الموسوسين عند تكبيرة الاحرام ، ترى الواحد منهم يزعج أعضاءه ويحرك رأسه ، ويرعش يديه ، وتنتفخ أوداجه ،ويصرخ بالتكبير كأنه يكبر على العدو ، نعوذ بالله من الخبال .

وللامام الغزالي في التشنيع على أهل الوسوسة كلام طويل في كتابه (الكشف) فراجعه ان شئت • ومثله للشعراني • وللخلاص من هذه البلبلة يجب اشعار القلب أن الخير كله في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وفعله • وأن الشر في مخالفته ، وعدم التمسك بهديه •

ومن البدع المكروهة ما أحدث في صلاة التراويح من قولهم عقب الركعتين الأوليين منها : الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله ، ونحو ذلك قبل الأخريين ، وبعضهم يترضى عن الصحابة ، فعقب الأولى عن أبي بكر ، والثانية عن عمر ، والثالثة عن عثمان ، والرابعة عن علي ، ـ وكل ذلك شرع لم يشرعه الله على لسان رسوله • ولا يقال انه لا بأس به من حيث أنه صلاة وتسليم عليه صلى الله عليه وسلم • ومن حيث أنه ترض عن أصحابه لانعقاد الاجماع على سن الترضي عنهم ، ولكن الناس تفعله على أنه شعار لصلاة التراويح ، ويرون ذلك حسنا • وهو من تلبيس الشيطان عليهم • ـ • وأشد كراهة منه صلاة التراويح مع التخفيف المفرط ، جهلا من الأئمة ، وكسلا من الناس • والانفراد في هذه الحالة أفضل من الجماعة • بل ان علم المأموم أن الامام لا يتم بعض الأركان ، لم يصح اقتداؤه به أصلا • هذا وقد أحدث فيها بدعا سيئة لا يرضاها الله ولارسوله ولا مسلم له على الشرع غيرة ، فترى العوام فيها يشتركون جميعا في الذكر والتسبيح بين كل ترويحتين ، ويحدثون ضجة هائلة لا تجعل أثرا للخشوع في القلوب • ـ • نسأل الله الهداية والتوفيق •

ما أضيف الى الأذان وليس منه ٠

جاء في الجزء الأول من كتاب (فقه السنة) للسيد سابق ما نصه :

الأذان عبادة ، ومدار الأمر في العبادات على الاتباع ، فلا يجوز لنا أن نزيد شيئا في ديننا أو ننقص منه ٠ وفي الحديث الصحيح : « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » أي باطل ٠ ونحن نشير هنا الى أشياء غير مشروعة درج عليها الكثير ، حتى خيل للبعض أنها من الدين وليست منه في شيء ٠

(١) قول المؤذن حين الأذان والاقامة : أشهد أن سيدنا محمد رسول الله ٠ بزيادة سيدنا ٠ ورأى الحافظ ابن حجر أنه لا يزاد ذلك في الكلمات المأثورة ، ويجوز أن يزاد في غيرها ٠

(٢) قال الشيخ العجلوني في كشف الخفا : مسح العينين بباطن أنملتي السبابتين بعد تقبيلهما عند سماع المؤذن : أشهد أن محمدا رسول الله ، مع قوله : أشهد أن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا ، وبمحمد نبيا ورسولا ٠ رواه الديلمي عن أبي بكر ، أنه سمع قول المؤذن : أشهد أن محمدا رسول الله ٠ قاله وقبل باطن الأنملتين السبابتين ومسح بهما عينيه ٠ فقال صلى الله عليه وسلم : من فعل فعل خليلي فقد حلت له شفاعتي ٠ قال في المقاصد لا يصح ٠ وكذا لا يصح ما رواه أبو العباس بن أبي بكر الرداد اليماني عن المتصوفة في كتابه : « موجبات الرحمة وعزائم المغفرة » بسند فيه مجاهيل مع انقطاعه ٠ عن الخضر عليه السلام أنه قال : من قال حين يسمع المؤذن يقول : أشهد أن محمدا رسول الله ؟ مرحبا بحبيبي وقرة عيني محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ثم يقبل ابهاميه، ويجعلهما

على عينيه لم يعم ولم يرمد أبدا ، ونقل غير ذلك • ثم قال : ولم يصح في الموضوع من كل ذلك •

(٣) التغني في الأذان واللحن فيه بزيادة حرف أو حركة أو مد ، وهذا مكروه ، فان أدى الى تغيير معنى أو ايهام محذور ، فهو محرم • وعن يحيى البكاء قال : رأيت ابن عمر يقول لرجل : اني لأبغضك في الله ، ثم قال لأصحابه : انه يتغنى في أذانه ، ويأخذ عليه أجرا •

(٤) التسبيح قبل الفجر ، قال في الاقناع وشرحه ، من كتب الحنابلة : وما سوى التأذين قبل الفجر من التسبيح والنشيد ورفع الصوت بالدعاء ونحو ذلك في المآذن ، فليس بمسنون • وما من أحد من العلماء قال : انه يستحب بل هو من جملة البدع المكروهة لأنه لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم ، ولا في عهد أصحابه ، وليس له أصل فيما كان على عهدهم يرد اليه ، فليس لأحد أن يأمر به ، ولا ينكر على من تركه • ولا يعلق استحقاق الرزق به ، لأنه اعانة على بدعة ولا يلزم فعله ولو شرطه الواقف ، لمخالفته السنة • ـ انتهى ـ •

وفي كتاب (تلبيس ابليس) لعبد الرحمن بن الجوزي : وقد رأيت من يقوم بليل كثير على المنارة فيعظ ويذكر ويقرأ سورة من القرآن بصوت مرتفع ، فيمنع الناس من نومهم ، ويخلط على المتهجدين قراءتهم ، وكل ذلك من المنكرات • وقال الحافظ في الفتح : ما أحدث من التسبيح قبل الصبح وقبل الجمعة ، ومن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ليس من الأذان لا لغة ولا شرعا •

(٥) الجهر بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقب الأذان غير مشروع ، بل محدث مكروه ، قال ابن حجر في الفتاوي الكبرى: قد استفتي مشائخنا وغيرهم في الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، بعد الأذان على الكيفية التي يفعلها المؤذنون ، فأفتوا بأن الأصل سنة والكيفية بدعة ـ أ هـ ـ هذا ولم يكن من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من هدي أصحابه أنهم يأمرون المؤذن ، أو يقرونه على قراءة حديث : « اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب أنصت فقد لغوت » أو اذا صعد الخطيب المنبر فلا يتكلمن أحدكم ومن تكلم فقد لغى ومن لغى فلا جمعة له ٠ وانما كانوا يعظون به من تكلم حال الخطبة ، لا أنهم يأمرون المؤذن أن يضيفه الى كلمات الأذان المشروع ٠

المساواة في الاسلام

س ـ نرى فوارق وتمايز بين الطبقات ، وذلك معترف به في العادات السائدة في قطرنا الحضرمي ، بناء على الأحساب والأنساب ، بينما الدين الاسلامي يساوي بين كل المسلمين فلا تفاضل فيه الا بالايمان والتقوى ٠ فهل للأحساب والأنساب والحرف تأثير في هذا التمايز ؟

ج ـ ليس للأحساب ولا للأنساب والحرف تأثير في هذا النظام الطبقي والتمايز المعروف بحضرموت وبغير حضرموت ، وهذه عادات مصطنعة استحكمت في نفوس القوم لأنه شاب عليها الكبير ، وشب عليها الصغير ، ولم تكن مستقاة الا من العصور الجاهلية المظلمة ، أما الدين الاسلامي فليس فيه الا الاخاء والمساواة ، فكيف وقد جاء في مقرراته هذه الآية : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » ٠ فحكم الدين اذن المساواة بين الابيض والاسود والاحمر والاصفر ، وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم

يقول : « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لاعجمي على عربي ، ولا أبيض على أسود الا بالايمان والتقوى » • أو كما قال • وذلك لوحدة الاصل ، قال تعالى ، : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » • الآية من سورة الحجرات •

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : ـ يقول تعالى مخبرا الناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ـ وهما آدم وحواء ، وجعلهم شعوبا وهي أعم من القبائل ، وبعد القبائل مراتب أخرى كالفصائل والعشائر والعمائر والأفخاذ وغير ذلك ، واستطرد يقول : « ومن كتاب القصد والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم » : فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية الى آدم وحواء عليهما السلام سواء ، وانما يتفاضلون بالأمور الدينية ، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله ، صلى الله عليه وسلم • ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضا ، منبها الى تساويهم في البشرية « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع الى قبيلته ـ وقال مجاهد في قوله عز وجل « لتعارفوا » كما يقال : فلان بن فلان ـ من كذا وكذا ـ أي من قبيلة كذا وكذا ـ « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » أي انما تتفاضلون عند الله بالتقوى لا بالأحساب ولا بالأنساب • وقد وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي الناس أكرم؟ قال فأكرم الناس يوسف نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ابن خليل الله » قالوا : ليس عن هذا نسألك • قال : « فعن معاذ العرب

تسألوني ؟ قالوا : نعم • « فخياركم في الجاهلية ، خياركم في الاسلام اذا فقهوا » وقال الامام أحمد بالسند الى أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود الا أن تفضله بتقوى الله » • وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني بسنده الى حبيب بن خراش العصري يحدث عن أبيه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المسلمون اخوة لا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى » وقال أبو بكر البزار في مسنده بسنده الى المستظل بن حصين عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلكم بنوا آدم وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان» أي أهون من الخنفساء الذي يدهده الخرء بأنفه ! ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : في خطبته يوم فتح مكه بعد ان انتهى من الطواف بالكعبة ، وأناخ راحلته ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « أيها الناس ان الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بر تقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى » ان الله عز وجل يقول : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » • وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد ، كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملئوه ، ليس لأحد على أحد فضل الا بدين وتقوى ، وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا » • ثم قال : بعد أن استدل على الأفضلية بما تقدم : « وقد استدل بهذه الآية الكريمة ، وهذه

الأحاديث الشريفة ، من ذهب من العلماء الى أن الكفاءة في النكاح لاتشترط ولا يشترط سوى الدين ، لقوله تعالى : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » انتهى ما قاله ابن كثير في تفسيره .

وقال البيضاوي في تفسيره لهذه الآية : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى » أي من آدم وحواء عليهما السلام ، أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء في ذلك فلا وجه للافتخار بالنسب« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ليعرف بعضكم بعضا ، لا للتفاخر بالآباء والقبائل « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » فان التقوى بها تكمل النفوس ، وتتفاضل بها الأشخاص ، فمن أراد شرفا فليلتمسه منها ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله » وقال عليه الصلاة والسلام : « انما الناس رجلان : مؤمن تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله « ان الله عليم خبير » ببواطنكم . انتهى ما قاله البيضاوي .

وفي ظلال القرآن بناء على هذه الآية قال المفسر رحمه الله : « هناك ميزان واحد تتحد به القيم ، ويعرف به فضل الناس : « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » والكريم حقا هو الكريم عند الله ، وهو يزنكم عن علم وخبرة بالقيم والموازين . « ان الله عليم خبير » وهنا تسقط الفوارق ، وتسقط جميع القيم ، ويرتفع ميزان واحد ، والى هذا الميزان يتحاكم البشر ، والى هذه القيم يرجع اختلاف البشر في الميزان . وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض ، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس ، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ـ ألوهية الله للجميع ، وخلقهم من

أصل واحد ، يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله • وهـذا هو اللواء الذي رفعه الاسلام لينقذ البشرية من عقابيـل العصبيـة للجنس ، والعصبية للقبيلة ، والعصبية للبيت ، وكلها من الجاهلية واليها ، تتزيا بشتى الأزياء ، وتسمى بشتى الأسماء ، وكلها جاهلية عارية عن الاسلام • وقـد حارب الاسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صـورها وأشـكالها ، ليقيـم نظامها الانساني العالمي في ظل راية واحدة : راية ـ (لا اله الا الله) • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلـكم بنو آدم وآدم خلق من تراب » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوها فانها منتنة » انتهى •

وقال الشيخ محمد الغزالي في كتابه (من هنـا نعلم) تحت عنـوان : ـ طبيعة الاسلام ـ : ان للاسلام مبادىء عامة ، لا تفرق بين جنس وجنس ، ولون ولون ، ووطن ووطن ، هو هداية من الله « رب الناس ، ملك الناس، اله الناس » الى الخلق أجمعين ، هو نظـام يقوم على أن الله وحده صـاحب الجلالة والكرامة في مملـكة لا فرق فيهـا بين عربي وعجمي ، يحكم فيهـا بأمره ، وينفذ فيها شرعه ، ويتساوى فيها عباده ، ـ واستطرد يقول : يجب أن نعلم أن الاسلام قرابة قبل قرابة الدم ، ورابطة قبل رابطة الوطن ، وفكرة موجهة ، وعقيدة دافعة ، وعاطفة يهتز بها ضـمير الانسان ! وأن القرآن اذا جاء بحكم فلا راد له ،وأن السـنة اذا أوحت بعمـل فلا كلام بعدها ، وأنه تحت راية القـرآن يصطف البشر كافة من زنوج وسكسـون ومن هنـود ولاتـين ومن عرب وعجم وأفريقيـين وأمريكيـين ، لا يفضـل أحـدهم أخاه البتة ؟ الا أن يكون بتقوى الله ـ أ هـ ـ هذه ياأخي الأدلة التي تريك كيف التساوي ، وكيف التفاضل ، وبماذا ؟ وفيماذا ؟ •

ومن هنا تدرك أن العصبيات والعنجهيات ، ما هي الا سخافات وحماقات وغرور • ورحم الله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه • ـ أولئك حزب الله هم المفلحون •

الكفاءة في النكاح بين المسلمين

س ـ اشترط الفقهاء عدى الامام مالك ، وابن حزم ، والشوكاني، ومن حذى حذوهم في الكفاءة في النكاح شروطا غير الخلق والدين ـ فاعتبروا النسب والحرفة • فقالوا : ليس القرشي غير الهاشمي كفئا للهاشمية ، وليس غير القرشي كفئا للقرشية ، وليس غير العربي كفئا للعربية ، وليس غير العالم كفئا لابنة العالم ، وليس صاحب حرفة دنيئة كفئا لابنة صاحب حرفة شريفة • وذكروا أدلة : منها ما رواه الحاكم عن ابن عمر ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :« العرب أكفاء بعضهم لبعض ، قبيلة لقبيلة ، وحي لحي ، الا حائكا أو حجاما » ومنها ما رواه البزار عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « العرب بعضهم لبعض أكفاء » • ومنها ما روي عن ابن عمر قال : « لأمنعن ذوات الأحساب الا من الاكفاء » • رواه الدارقطني • وفي حديث الاصطفاء الذي رواه مسلم عن واثلة بن الأسقع ! فما قولكم في هذه الشروط التي اعتبرها الفقهاء شرطا في الكفاءة ؟

ج ـ ان ما ذكره الفقهاء من شروط للكفاءة غير الدين والخلق مرجوحة وبعيدة كل البعد عن الواقع زمن النبوة ، وعن قضايا الرسول نفسه ، بل وعن النصوص القرآنية أيضا • وحديث ابن عمر سأل ابن أبي حاتم أباه فقال : هذا كذب لا أصل له • وقال الدارقطني في العلل : لا يصح • قال ابن عبد البر : هذا منكر موضوع • وأما حديث معاذ ، ففيه سليمان بن أبي الجون • قال ابن القطان : لا يعرف ••• ثم هو من رواية خالد بن معدان

عن معاذ ، ولم يسمع منه ... والصحيح أنه لم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب أي حديث . ـ .

انتهى نقلا عن الجزء السابع من فقه السنة للسيد سابق .

وحديث الاصطفاء كما رواه مسلم بقوله : حدثنا محمد بن مهران الرازي ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم جميعا عن الوليد بن مسلم ، قال ابن مهران : حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن أبي عمار شداد أنه سمع واثلة ابن الأسقع يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، فأنا خيار من خيار ... الخ .

جاء ردا عليه في الكتاب المسمى (فصل الخطاب في تأييد صورة الجواب) تأليف الشيخ أحمد بن العاقب بن شكرت الله الأنصاري المدرس بمدارس الارشاد الاسلامية بجاوى سابقا ما يأتي :

ان الحديث غير صحيح من جميع طرقه : ففي سنده الوليد بن مسلم ، هو الدمشقي ، وهو منكر الحديث كما قاله تمام الرازي ، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في الجزء السابع من كتاب الاصابة . وقال النسائي في كتاب الضعفاء والمتروكين له : أثبت أصحاب الأوزاعي ابن المبارك ، والوليد بن مزيد أحب الينا من الوليد بن مسلم لا يخطىء ولا يدلس .

وقال أبو مسهر : الوليد بن مسلم مدلس . وربما دلس على الكذابين. وقال الذهبي : اذا قال الوليد عن ابن جريج أو عن الأوزاعي فليس بمعتمد.

لأنه يدلس عن الكذابين ، فاذا قال حدثنا : فهو حجة • « قلت » قول الذهبي « فهو حجة » فيه نظر ، كيف وقد نقل هو في ترجمة بقية بن الوليد ما نصه : قال أبو الحسن القطان : بقية يدلس عن الضعفاء ويستبيح ذلك • وهذا ان صح مفسد لعدالته » • ثم قال الذهبي بعد ايراد هذا الكلام : قلت نعم والله صح ذلك عنه أنه فعله • وصح عن الوليد بن مسلم بل وعن جماعة كبار ، وهذه بلية منهم ! فههنا نص على أن الوليد بن مسلم ممن يستبيح التدليس المفسد للعدالة ، والتدليس غش في الدين كما قاله الامام النووي وغيره • فكيف يعتبر حجة في الدين من يستبيح التدليس فيه ؟ وقال أبو مسهر : كان الوليد يأخذ من ابن السفر حديث الأوزاعي • وقال صالح ابن محمدالأسدي سمعت الهيثم بن خارجة يقول : قلت للوليد بن مسلم : قد أفسدت حديث الأوازعي • قال وكيف ؟ قلت تروي عنه عن نافع ، وعنه عن الزهري ، وعنه عن يحيى ، وغيرك يدخل بين الأوازعي وبين نافع (عبد الله بن عامر الأسلمي) وبينه وبين الزهري (قرة) فما يحملك على هذا ؟ قال : أربأ بالأوزاعي أنه يروي عن مثل هؤلاء • قلت فاذا روى الأوزاعي عن هؤلاء وهم ضعفاء مناكير أسقطتهم وصيرتها من رواية الأوزاعي عن الاثبات •

انتهى ـ ذكره في الميزان •

فيظهر من ذلك أن الوليد بن مسلم لا يحتج بروايته سواء قال عن فلان أو قال حدثنا فلان : لأنه ممن يتعمد التدليس ويستبيحه ، كما قال الحافظ الذهبي • ولا تكون رواية مسلم لهذا الحديث دليلا على صحته ، اذ ربما يطلع مسلم على حال من رواه عنه ، واطلع عليه غيره كما هو صريح • ـ

لقد تبين لك مافي أسانيد هذا الحديث وأنها كاها ليس فيهـا سند صـحيح يحتج به • وعلى كل تقدير فليس في حديث واثلة حجة على اشتراط النسب في النكاح •

أما الاصطفاء : ـ فان كان المراد به الاصطفاء الذاتي فهو غير معقول في غير النبي صلى الله عليه وسلم • اذ فيهم من نص القـرآن على أنه من أهل النار (كأبي لهب وأضرابه) من المستهزئين بالرسـول الذين يجعلون مـع الله الها آخر ، وفيهم من لا خير فيهم من أئمة الكفر (كأبي جهل والوليد بن المغيرة وغيرهما) ولا يعقل أن يكون من اصطفاه الله بهذا الوجه من أهل النار ان كان ذلك على الاطلاق •

وان كان المراد أن الله اصطفاهم بمعنى فضـلهم بأخلاق كريمـة لم تكن فيمن عداهم من العرب الذين كانوا في زمانهم • فالحديث على فرض صحته يدل على أن الرسول أخبر بما كان فيهم من كرم الأخـلاق وحسن المآثر على هذا الترتيب فقط • وعلى هـذا الوجه يكون الحـديث مؤيدا لمـا نقول به نحن من أن الفضل بالأعمال لا بالأنساب ، ولا تعلق له بمسـألة الكفاءة في النكاح أصلا ، فمهما وجدت تلك الأخلاق الكريمة في أي أحد عربيا كان أو عجميا فهو مفضل ومصطفى مثلهم ، ومهما كان القرشي أو الهاشمي خلوا من تلك الأخلاق فهو ساقط عن درجة الأكملين المصطفين• فعليه ينبغي أن يعتبر ويكرم ذلك الأجنبي المتصف بضدها •

وان كان معنى اصطفاهم أنه جعل فيهم من كان يعبـد الله على دين ابراهيم في وقت لم يكن أحد من غيرهم من العرب على مثل ما هم عليه من

الايمان فذلك وجه معقول ، ولكن يساويهم في هذا الاصطفاء ، كل من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب والعجم •

وان كان معناه أن الله اختار الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا البيت فهو صحيح ومسلم لا ريب فيه ، ولكن لا دليل فيه على عدم كفاءة غيرهم لهم في النكاح ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يمنع أحدا من الزواج فيهم ، بل أقر من تزوج فيهم من غيرهم بدون استثناء بل زوج بنفسه ، ووبخ النساء اللواتي تمنعن ، كما في قصة زينب بنت جحش ، وفاطمة بنت قيس • ولم نر قط حديثا صحيحا صرح فيه بعدم استحسان ذلك فضلا عن تحريمه • فكيف يكون هذا الحديث حجة على استحسان اعتبار الكفاءة النسبية • ولو فرضنا صحة هذا الخبر على الفرض البعيد لما كان فيه رائحة دليل على عدم استحسان زواج القرشيات أوالها شميات أو العلويات من غير المذكورين •

انتهى نقلا عن فصل الخطاب •

س ــ قلت في الرد : ان ما ذكره الفقهاء من شروط للكفاءة غير الدين والخلق بعيد كل البعد عن الواقع زمن النبوة ، وعن قضايا الرسول نفسه ، بل وعن النصوص القرآنية أيضا ! ــ فهل تسمح بذكر ما جاء عن الله ورسوله مفصلا ولو مع الاختصار لأكون على بصيرة تامة في هذا المجال ؟

ج ـ اليك هذه الأدلة الواضحة التي تزيل الشك وتدفع الالتباس :

ان مسألة الكفاءة بين المسلمين التي خاض فيها الفقهاء ليست مبنية على تفضيل أحد ولا تنقيص أحد ، ولكن يراد بها طيب العشرة ، وحسن الوئام،

بين الزوجين . ولذا قالوا باسقاطها عند التراضي ، أي عند رضى المرأة ، ولم يقولوا بعدم صحة النكاح ، وانما بنوها على المصالح الزوجية ، كما هو ظاهر وملموس ، اذ أن الغنية مثلا اذا زوجت على فقير بغير رضائها ، ذكرت ما كانت عليه من ترف في بيت أبيها مما لم تجد مثله في بيت الزوجية ، فتسوء العشرة . كذلك ذات الحسب المعروف اذا زوجت بدون رضاها على من لم يكن في درجتها تكبرت عليه وتطاولت ، فتكون الكراهية في قلب الزوج فيحصل الفراق ، وهكذا قل في غيرها .

أما الشارع الحكيم فلم يعتبر سوى الكفاءة الدينية فقط . ورغبة في الاختصار أسوق اليه ما ذكره العلامة ابن القيم في كتابه (زاد المعاد في هدي خير العباد) بقوله : فصل في حكمه صلى الله عليه وسلم في الكفاءة في النكاح : قال تعالى : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » وقال تعالى : « انما المؤمنون أخوة » وقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » وقال صلى الله عليه وسلم : « لافضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لابيض على أسود ولا لاسود على أبيض الا بتقوى الله ، الناس من آدم وآدم خلق من تراب » وقال صلى الله عليه وسلم : « ان آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء ان أوليائي المتقون حيث كانوا وأين كانوا » وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » قالوا يا رسول الله وان كان فيه ما فيه ؟ فقال : اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، ثلاث مرات . وقال صلى الله عليه وسلم لبني بياضة : أنكحوا أبا هند

وأنكحوا اليه » وكان حجاما ، وزوج زينب ابنة جحش الأسدية القرشية من زيد بن حارثة مولاه ، وزوج فاطمة بنت قيس الفهرية من أسامة ابنه ، وتزوج بلال بن رباح بأخت عبد الرحمن بن عوف • وقد قال تعالى : « الطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات » • وقال : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » فالذي يقتضيه حكمه صلى الله عليه وسلم : اعتبار الدين في الكفاءة أصلا وكمالا • فلا تزوج مسلمة بكافر ، ولا عفيفة بفاجر • ولم يعتبر القرآن ولا السنة أمرا وراء ذلك • فانه حرم على المسلمة نكاح الزاني الخبيث ، ولم يعتبر نسبا ولا صناعة ولا غنى ولا حرفة • فيجوز للعبد القن نكاح الحرة النسيبة اذا كان عفيفا مسلما • وجوز لغير القرشي نكاح القرشيات • ولغير الهاشمي نكاح الهاشميات • وللفقراء نكاح الموسرات •

انتهى ما قاله ابن القيم •

ومما ذكر يعلم أن الشارع لم يعتبر الا الكفاءة الدينية ، ولم ينظر الى كفاءة أخرى بين المسلمين • نعم ـ لقد بنى التزويج على رضى الفريقين المتزاوجين ، واعتبر في جانب المرأة رضاها ، فمتى حصل ذلك بعد الدين والخلق جاز النكاح بدون نظر الى اعتبارات أخرى • هذه هي الحقيقة ، لا الكفاءات التي يطنطن بها أولوا العصبيات والعنجهيات •

ولزيادة الايضاح أذكر لك ما اعتبره في الكفاءة الامام زيد بن على بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، كما جاء في مسنده بالحرف قال أبو خالد رحمه الله : سألت زيد بن علي عن نكاح الأكفاء فقال : الناس بعضهم لبعض أكفاء عربيهم وعجميهم ، وقرشيهم وهاشميهم اذا أسلموا

وآمنوا ، فدينهم واحد ، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، دماؤهم واحدة ، ودياتهم واحدة • ليس لبعضهم على بعض في ذلك فضل • وقد قال عز وجل : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » فاذا للمؤمنين جميعا العربي والعجمي أن ينكحوا بنات المشركين جميعا عربيهم وعجميهم اذا أسلموا • وقد تزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش الأسدية • وتزوج بلال هالة بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف • وتزوج عمار بن ياسر أختا لعمر بن حريث • وتزوج أبو مجذام بن أبي فكيهة امرأة من بني زهرة • ـ قال زيد بن علي عليهما السلام : « سألنا أهل الكبر والنخوة من العرب ، فقلنا أخبرونا عن نكاح العجمي للعربية : حرام هو أم حلال ؟ فقال بعضهم حلال ، وقال بعضهم حرام • فقلنا لهم ان ولدت ولدا هل يثبت نسبه ؟ قالوا : ـ نعم • فقلنا اذا حلال ، لأنه لو كان حراما لم يثبت نسبه • أرأيتم ان طلقها قبل الدخول بها ، لها عليه نصف المهر ؟ • أرأيتم ان دخل بها ، هل يحل لها ذلك الزوج الذي قد طلقها ثلاثا ؟ • أرأيتم ان مات وله مال ، هل تورثونها منه ؟ أرأيتم ان رضي بهذا أبوها ، أو أخوها ، هل هو جائز أم باطل ؟ •

هذا كله جائز ، وهو نكاح حلال • ـ •

انتهى نقلا عن المسند للامام زيد رضي الله عنه • فهل للمتعصبين من حجة سوى العادات ؟

س ـ ما زال الحضارم يقولون بالكفاءة ، وعلى رأسهم آل أبي علوي نسل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، فهم أشد الناس تمسكا بالكفاءة • فلا يزوجون غير الهاشمي ولو كان من أولى الفضل والحسب ؟؟ فهم لا ينظرون الا الى النسب وحده دون الصفات ، وما زالوا في تعصبهم حتى الآن ، بالرغم من أنهم يتركون التزوج من

العلويات ان لم يكن كلهم ، فبعضهم ، ولا يزوجون بناتهم من غير العلوي ، والكثيرات يمتن بدون زواج ٠ وقد يسقط البعض منهن في الجريمة نتيجة هذا التعصب ؟؟

وسمعت أن لهم كتبا ألفوها تقول بعدم جواز تزويج العلوية بغير العلوي ولو رضيت ورضي وليها ٠ فهل تسمح بذكر ما اطلعت عليه من أقوالهم لأتحقق من صدق ما سمعت ؟

ج ـ نعم ـ ما زال الحضارم يقولون بالكفاءة ، وأشدهم تمسكا بها هم العلويون كما ذكرت وبالرغم من قراءتهم للأدلة وفهمهم لما تقتضيه لكنهم حاولوا تأويلها حرصا على الامتياز ! لأنهم متى زوجوا سواهم سقط هذا الامتياز وأصبحوا يساوون غيرهم ٠٠

ولهم تآليف تقول بعدم جواز تزويج العلوية بغير العلوي ولو رضيت ورضي وليها الأقرب ٠ ـ ٠ وهذه (بغية المسترشدين) المعروفة ـ بفتاوي مشهور ـ لمؤلفها عبد الرحمن بن محمد المشهور با علوي ، تصرح بعدم الجواز ولو مع التراضي ، واليك ما جاء فيها بالحرف ، تحت قوله : (مسألة ـ ي) ، عمل سادتنا آل أبي علوي نفع الله بهم أنهم لا يراعون بعد النسب الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم شيئاً مما ذكره الفقهاء من القرب والبعد والصلاح والعلم والحرفة ونحوها ، طلباً لما هو الأهم من ذلك : وهو تحصين الشريفة بشريف مثلها ، ولا يتأتى ذلك الا بالاعراض عن تلك التفاصيل ، فالمعترض عليهم متعنت يخشى عليه الطرد والمقت لأنهم أئمة أجلة، ما خالفوا ذلك التفصيل الا لعلة ، وعلى ذلك عمل حكام جهتنا سابقا ولاحقا ٠ ـ ٠ ثم عقب المؤلف بقوله : (مسألة) شريفة علوية خطبها غير شريف ، (أي غير علوي) فلا أرى جواز النكاح ، وان رضيت ورضى وليها

الأقرب ، لأن هذا النسب الشريف الصحيح لا يسامى ولا يرام • ولكل من بني الزهراء فيه حق قريبهم وبعيدهم ، وأنى بجمعهم ورضاهم • وقد وقع أن تزوج بمكة المشرفة عربي بشريفة ، فقام عليه جميع السادة هناك وساعدهم العلماء على ذلك وهتكوه حتى أنهم أرادوا الفتك به حتى فارقها• ووقع مثل ذلك في بلد أخرى ، وقام الاشراف وصنفوا في عدم جواز ذلك حتى نزعوها منه ، غيرة على هذا النسب أن يستخف به ويمتهن • وان قال الفقهاء انه يصح برضاها ورضى وليها ؟ فلسلفنا رضوان الله عليهم اختيارات يعجز الفقيه عن ادراك أسرارها ، فسلم تسلم وتغنم ، ولا تعترض فتخسر وتندم ، اذ هم الأسوة لنا والقدوة ، وفيهم الفقهاء بل والمجتهدون والأولياء بل والأقطاب • ولم يبلغنا فيما بلغنا أنه قد تجرأ غيرهم ممن دونهم في النسب ، أو لم تتحقق نسبته على التزوج بأحد بناتهم قط • اللهم الا اذا تحققت المفسدة بعدم التزوج فيباح ذلك الضرر كأكل الميتة للمضطر ، وأعني بالمفسدة : خوف الزنا، أو اقتحام الفجرة أو التهمة ، ولم يوجد هناك من يحصنها ، أو لم يرغب فيها من أبناء جنسها ، ارتكابا لأهون الشرين ، وأخف المفسدتين • ـ انتهى نقلا عن فتاوى مشهور بالحرف ـ ص ـ ٢٠٨ •

هذه أيها السائل عصبية القوم التي صرحوا فيها من دون مبالات بمخالفتهم للنصوص من الكتاب والسنة وما قاله الفقهاء العالمون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعجب معي ؟؟ •

الاسلام والمرأة

س ـ أريد بيانا عن منزلة المرأة في الاسلام ، وكيف كانت معاملة الاسلام لها • لأن هناك من يزعمون زورا بأن الاسلام حط من قدر المرأة • وهضم حقوقها ، وجعلها أداة في يد الرجل ؟

ج ـ ينبغي أولا أن أبين عما اذا كانت منـزلة المـرأة في أوروبا التي تبجح بما أعطته للمرأة من حقوق في عهدها الحاضر زاعمـة بأنهـا سبقت بذلك الاسلام ـ لتعرف الوضـع الذي كانت عليه المـرأة في هـذا البلـد المتحضر الزاعم بأنه هو الذي حرر المرأة بزعمه السخيف ٠ ـ مستعرضا بعض ما ذكره محمد قطب في كتابه (شبهات حول الاسلام) ٠ قال : ـ كانت المـرأة في أوروبا وفي العـالم كله همـلا لا يحسب لها حسـاب ٠ ـ كان « العلماء » والفلاسفة يتجادلون في أمرها ، هل لها روح ؟ أم ليس لهـا روح واذا كان لهـا روح فهـل هي روح انسانيـة ، أم حيوانيـة ؟ وعـلى فرض أنها ذات روح انسانيـة ، فهـل وضعها الاجتماعي ، والانساني ، بالنسبـة للرجل هو وضـع الرقيـق ، أم هو شيء أرفـع قليـلا من الرقيـق ؟ وظل الوضـع كذلك في عهـود الـرق والاقطـاع في أوروبا والمـرأة في جهالتهـا ، حتى جاءت الثـورة الصـناعية ، فكانت الـكارثة التي لـم تصب المـرأة بشر منهـا في تاريخهـا الطـويل ٠ لقـد كانت الطبيعـة الأوربيه في جميع عهودها كزة جاحدة ٠ ـ فقد حطمت كيان الأسرة وحلت من بيئتهم الريفية القائمة على التكافل والتعاون ، الى المدينة التي لا يعرف فيها أحد أحداً ، ولا يعول أحد أحداً ، وانما يستقل كل انسان بعمله ، ومتعته ، وحيث يسهل الحصول على المتعة الجنسية من طريقها المحرم ، فتهبط الرغبة فيالزواج وكفالة الأسرة ، أو تتأخر سنوات طويلة على الأقـل ٠ ـ وليس همنا هنا استعراض تاريخ أوروبا ٠ ـ ولـكن نستعرض العوامل التي أثرت في حياة المرأة فحسب ٠

وجاءت الحرب العظمى الأولى ، وقتل عشرة ملايين من الشباب الأوربين والأمريكيين ، وواجهت المرأة قسوة المحنة بكل بشاعتها ، فقد وجدت ملايين من النساء بلا عائل ، اما لأن عائلهن قد قتل في الحرب ، أو شوه ، أو فسدت أعصابه من الخوف والذعر ، واما لأنه خارج من حبس السنوات الأربع ، يريد أن يستمتع ويرفه عن أعصابه ، ومن جهة أخرى لم تكن هناك أيد عاملة من الرجال تكفي لاعادة تشغيل المصانع • فكان حتماً على المرأة أن تعمل والا تعرضت للجوع هي ومن تعول ، وكان حتما عليها كذلك أن تتنازل عن أخلاقها • ـ ولم تكن المسألة مسألة الجوع الى الطعام فحسب ـ فالجنس حاجة بشرية لابد لها من اشباع ، وسارت المرأة في طريقها المحتوم • تبذل نفسها للراغبين ، وتعمل في المصنع والمتجر • وتشبع رغائبها عن هذا الطريق أو ذاك • فقد استغلت المصانع حاجة المرأة الى العمل ، واستمرت في معاملتها الظالمة التي لا يبررها عقل ، ولا ضمير ، فظلت تمنحها أجراً أقل من أجر الرجل الذي يؤدي نفس العمل في نفس المكان •

ولم يكن بد من ثورة • ثورة جامحة تحطم ظلم أجيال طويلة وقرون• وماذا بقي للمرأة ؟ لقد بذلت نفسها وكبرياءها وأنوثتها ، وحرمت من حاجتها الطبيعية الى أسرة وأولاد تحس بكيانها فيهم ، فتشعر بالسعادة والامتلاء • ـ أفلا تنال مقابل ذلك على الأقل المساواة في الأجر مع الرجل : حقها الطبيعي الذي تقرره أبسط البديهيات ؟ ولم يتنازل الرجل الأوروبي عن سلطانه بسهولة • أو قل لم يتنازل عن أنانيته التي فطر عليها ، وكان لابد من احتدام المعركة ، واستخدام جميع الأسلحة الصالحة للعراك • استخدمت المرأة الاضراب والتظاهر ، واستخدمت الخطابة في المجتمعات ،

واستخدمت الصحافة ، ثم بدا لها أنها لابـد أن تشارك في التشريع لتمنـع الظلم من منبعه ، فطالبت أولا بحق الانتخاب ، ثم بالحق الذي يلي ذلك ، بحكم طبائع الأشياء ، وهـو حق التمثيل في البرلمـان ، وتعلمت على نفس الطريقة التي يتعلم بها الرجل ، لأنها أصبحت تؤدى نفس العمل • وطالبت كنتيجة منطقية لذلك أن تدخل وظائف الدولة كالرجل ، ما داما قـد أعدا بطريقة واحدة والدراسة واحدة •

تلك قصة كفاح المرأة لنيل حقوقها في أوروبا ، قصة مسلسلة ، كل خطوة فيها لابد أن تؤدي الى الخطوة التالية ، رضي الرجل أو كره ، بـل رضيت المرأة أو كرهت ، فهي ذاتها لم تعد تملك أمرها في هـذا المجتمع الهابط المنحل الذي أفلت منه الزمام •

ومع ذلك كله فقد تعجب حين تعلم أن انجلتـرا ـ أم الديمقراطية ـ ما تزال الى هذه اللحظة تمنح المرأة أجراً أقل من أجر الرجـل في وظائف الدولة • رغم أن في مجلس العموم نائبات محترمات !

وضـع المـرأة في الاسـلام :

ونعود الى وضع المرأة في الاسلام ، لنعرف ان كانت ظروفنا التاريخية والجغرافية والاقتصادية ، والعقيدية ، والتشريعية ، تجعل للمـرأة « قضية » تكافح من أجلها ، كما كان للمرأة الغربية قضية ، أم أنها شهوة التقليـد الخالصة ، والعبودية الخفية للغرب ، التي تجعلنا لانبصر الأشياء بعيوننا ولا نراها في حقيقتها ـ هي التي تملأ الجو بهذا الضجيج الزائف في مؤتمـرات النساء •

من البديهيات الاسلامية التي لا تحتاج الى ذكر ولا اعادة أن المرأة في عرف الاسلام كائن انساني، له روح انسانية من نفس «النوع» الذي منه روح الرجل : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ... » فهي اذن الوحدة الكاملة في الأصل والمنشأ والمصير، والمساواة الكاملة في الكيان البشري، تترتب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان، فحرمة الدم أو العرض والمال، والكرامة التي لا يجوز أن تلمز مواجهة أو تغتاب، ولا يجوز أن يتجسس عليها أو تقتحم الدور . كلها حقوق مشتركة لا تمييز فيها بين جنس وجنس، والأوامر والتشريعات فيها عامة للجميع : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالألقاب »(٢) . « ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا » (٣) . « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتي تستأنسوا وتسلموا على أهلها »(٤)... « كل المسلم على المسلم حرام ؛ دمه، وماله، وعرضه »(٥) . والجزاء في الآخرة واحد للجنسين : « فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض »(٦) ـ وتحقيق الكيان البشري في الأرض متاح للجنسين : ـ الأهلية للملك والتصرف فيه بجميع أنواع التصرف،

---

(١) الآية من سورة النساء .

(٢) من سورة الحجرات .

(٣) من سورة الحجرات .

(٤) من سورة النور .

(٥) رواه الشيخان .

(٦) من سورة آل عمران .

من رهن واجارة ووقف وبيع وشراء واستغلال ... الى آخره : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن »(١) . للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون»(٢).

ولا بد هنا من وقفة عند أمرين بشأن حق الملكية والتصرف والانتفاع. فقد كانت شرائع أوروبا « المتحضرة » تحرم المرأة من كل هذه الحقوق الى عهد قريب ، وتجعل سبيلها الوحيد اليها عن طريق الرجل زوجاً كان أو أباً أو ولي أمر . أي أن المرأة الأوربية ظلت أكثر من اثنى عشر قرنا بعد الاسلام لا تملك من الحقوق ما أعطاها الاسلام . ثم هي حين ملكتها لم تأخذها سهلة ولا احتفظت بأخلاقها وعرضها وكرامتها ، وانما احتاجت لأن تبذل كل ذلك ، وتتحمل العرق والدماء والدموع ، لتحصل على شيء مما منحه الاسلام ـ كعادته ـ تطوعا وانشاء ، لا خضوعاً لضرورة اقتصادية، ولا اذعانا للصراع الدائر بين البشر ، ولكن احساساً منه بالحق والعدل الأزليين ، وتطبيقا لهما في واقع الأمر ، لا في عالم المثل والاحلام .

والأمر الثاني : أن الشيوعية خاصة ، والغرب عامة يعتبرون الكيان البشري، هو الكيان الاقتصادي ، ويقولون صراحة ان المرأة لم يكن لها كيان ، لأنها لم تكن تملك ، أو لم يكن لها حق التصرف فيما تملك ، وأنها صارت مخلوقا آدميا فقط حين استقلت اقتصادياً ، أي حين صار لها ملك خاص مستقل عن الرجل ، تستطيع أن تعيش منه وتتصرف فيه . وبغض النظر عن انكارنا لتحديد الكيان البشري بهذه الحدود الضيقة ، والهبوط

(١) من سورة النساء .
(٢) من سورة النساء .

به حتى يصبح عرضا اقتصاديا لاغير ، فاننا نوافقهم ـ من حيث المبدأ ـ على أن الاستقلال الاقتصادى له أثره في تكوين المشاعر وتنمية الشعور بالذات ٠

وهنا يحق للاسلام أن يفخر بما أعطى المرأة من كيان اقتصادي مستقل ، فصارت تملك وتتصرف ، وتنتفع بشخصها مباشرة بلا وكالة ، وتعامل المجتمع بلا وسيط ٠

ولم يكتف الاسلام بتحقيق كيان المرأة في مسألة الملكية ، بل حققه في اخطر المسائل المتعلقة بحياتها ، وهي مسألة الزواج ، فلا يجوز أن تتزوج بغير اذنها ، ولا يتم العقد حتي تعطي الاذن : « لا تزوج الثيب حتى تستأمر، ولا تزوج البكر حتى تستأذن ، واذنها صماتها »(٣) ٠ ويصبح العقد باطلا اذا اعلنت أنها لم تبد موافقتها عليه ٠

وقد كانت المرأة في غير الاسلام ـ تحتاج الى سلوك طرق ملتوية لتهرب من زواج لا تريده ، لأنها لا تملك شرعا ولا عرفا أن ترفض ٠ ولكن الاسلام أعطاها هذا الحق الصريح ، تستخدمه متي أرادت ٠ بل أعطاها أن تخطب لنفسها ، وهو آخر ما وصلت اليه أوربا في القرن العشرين، وحسبته انتصاراً هائلا على التقاليد البالية العتيقة !!

ويبلغ من تقدير الاسلام لمقومات الكيان البشري ـ في عصور كان يغشيها الظلام والجهل ـ أن اعتبر العلم والتعلم ضرورة بشرية ، ضرورة

(٣) رواه الشيخان ٠

لازمة لـكل فرد لا لطائفة محدودة من الناس . فقرر للملايين حق التعلم ، بل جعله فريضة ، وركناً من أركان الايمان بالله على طريقة الاسلام وهنا كذلك يحق له أن يفخر بأنه أول نظام في التاريخ نظر الى المرأة على أنها كائن بشري ، لا يستكمل مقومات بشريته حتى يتعلم ، شأنها شأن الرجل سـواء بسواء ، فجعل العلم فريضة عليها ، كما هو فريضة على الرجل ودعاها أن ترتفع بعقلها ، كما ترتفع بجسدها وروحها عـن مستوى الحيوان ، بينمـا ظلت أوربا تنكر هذا الحق الى عهد قريب ، ولم تستجب اليه الا خضـوعا للضرورات . الى هذا الحد وصل تكريم الاسلام للمرأة . وهو وضع كريم عند الله والناس .

ولكن الاسلام بعد هذا ـ بعد تقرير المساواة الكاملة في الانسـانية ، والمساواة في جميع الحقوق التي تتصل مباشرة بالكيان البشري المشترك بين الجميع ـ يفرق بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق ، وبعض الواجبات . ـ وهنا الضجة الكبرى التي تثيرها نساء المؤتمـرات، ويثيرها معهن كتـاب « ومصلحون » وشباب يعلم الله كم يريدون بدعوتهم وجه الاصلاح ، وكم يريدون بها أن يجدوا المرأة سهلة التناول في المجتمع وفي الطريق ؟؟

وقبل الدخول في تفصيل هذه المواضع التي يفرق فيهـا الاسـلام بين الرجل والمرأة ، ينبغي أولا أن نرد المسألة الى جوهرها الحقيقي ، الى أصولها الوظيفية ، الجسمية والنفسية ، ثم نستعرض بعـد ذلك رأي الاسلام .

هل هما جنس واحد أو جنسان ؟ وهل هي وظيفة واحدة أم وظيفتان ؟ تلك عقدة الموضوع • فان أرادت نساء المؤتمرات وكتابهن ومصلحوهن وشبابهن أن يقولوا : ليس بين الرجل والمرأة خلاف في التكوين الجسدي ، والكيان الوجداني ، ووظائف الحياة البيولوجية • فما عسى أن يرد به عليهم؟ وان أقروا بوجود هذا الخلاف ، فهناك اذن أساس صالح لمناقشة الموضوع •

« وتبعاً لهذا الاختلاف الحاسم في المهمة والأهداف اختلفت طبيعة الرجل والمرأة ، ليواجه كل منهما مطالبه الأساسية وقدزودته الحياة بكل التيسيرات الممكنة ، ومنحته التكييف الملائم لوظيفته ، لذلك لا أرى كيف تستساغ هذه الثرثرة الفارغة عن المساواة الآلية بين الجنسين ! ـ ، ان المساواة في الانسانية أمر طبيعي ومطلب معقول ، فالمرأة والرجل هما شقا الانسانية ، وشقا النفس الواحدة • أما المساواة في وظائف الحياة وطرائقها فكيف يمكن تنفيذها ، ولو أرادتها كل نساء الأرض ، وعقدت من أجلها المؤتمرات ، وأصدرت القرارات ؟ ـ هل في وسع هذه المؤتمرات وقراراتها الخطيرة أن تبدل طبائع الأشياء ، فتجعل الرجل يشارك المرأة في الحمل والولادة والارضاع ؟ وهل يمكن أن تكون هناك وظيفة بيولوجية من غير تكييف نفسى وجسدى خاص ؟ هل اختصاص أحد الجنسين بالحمل والرضاع لا يستتبعه أن تكون مشاعر هذا الجنس وعواطفه وأفكاره مهيأة بطريقة خاصة لاستقبال هذا الحادث الضخم والتمشي مع مطالبه الدائمة ؟ • ـ ان الأمومة بكل ما تحويه من مشاعر نبيلة ، وأعمال رفيعة ، وصبر على الجهد المتواصل ، ودقة متناهية في الأداء ••• هي التكييف النفسى والعصبي والفكرى الذى يقابل التكييف الجسدى للحمل والارضاع ، كلاهما متمم

للآخر متناسق معه ، بحيث يكون شذوذاً عجيباً أن يوجد أحدهما في غيبة الآخر . ـ وهذه الرقة اللطيفة في العاطفة ، والانفعال السريع في الوجدان، والثورة القوية في المشاعر التي تجعل الجانب العاطفي لاالفكري ؛ هو المستعد أبداً بالفيض المستجاش أبدا بأول لمسة . كل ذلك من مستلزمات الأمومة ، لأن مطالب الطفولة لا تحتاج الى التفكير الذي قد يسرع أو يبطىء ، وقد يستجيب أو لا يستجيب ، وانما تحتاج الى عاطفة مشبوبة لا تفكر بل تلبي الداعي بلا تراخ ولا ابطاء .

هذا كله هوالوضع الصحيح للمرأة حين تلبي وظيفتها الاصيلة،وهدفها المرسوم « والرجل من جانب آخر مكلف بوظيفة أخرى ، ومهيأ لها على طريقة أخرى . ـ « مكلف بصراع الحياة في الخارج . سواء كان الصراع هو مجابهة الوحوش في الغابة ، أو قوى الطبيعة في السماء والأرض،أونظام الحكومة ، وقوانين الاقتصاد ... كل ذلك لاستخلاص القوت ، ولحماية ذاته وزوجه وأولاده من العدوان .

هذه الوظيفة لا تحتاج أن تكون العاطفة هي المنبع المستجاش . بل ذلك يضرها ولا ينفعها ، فالعاطفة تنقلب في لحظات من النقيض الى النقيض ، ولا تصبر على اتجاه واحد الا فترة تتجه بعدها الى هدف جديد ، وهذا يصلح لمطالب الأمومة المتغيرة المتقلبة ، ولكنه لا يصلح لعمل خطة مرسومة تحتاج في تنفيذها الى الثبات على وضع واحد لفترة طويلة من الوقت ، وانما يصلح لذلك الفكر .

وهذا يفسر كثيرا من أوجه الخلاف بين الرجل والمرأة . فهو يفسر مثلا ـ لماذا يستقر الرجل في عمله ، ويمنحه الجانب الأكبر من نفسه وتفكيره ، بينما هو في الميدان العاطفي متنقل كالأطفال . في حين أن المرأة تستقر في علاقاتها العاطفية تجاه الرجل . وحينما تتجه اليه فكأنما كيانها كله يتحرك ويدبر الخطط ويرتب الملابسات ، وهي في هذا الشأن أبعد ما تكون دقة . ترسم أهدافها لمسافات بعيدة ، وتعمل دائبة على تحقيق أغراضها . بينما هي لا تستقر في العمل الا أن يكون فيه ما يلبي جزءا من طبيعتها الأنثوية كالتمريض أو التدريس أو الحضانة . أما حين تعمل في المتجر فهي تلبي كذلك جزءا من عاطفتها بحثا عن الرجل هناك . ولكن هذه الأعمال كلها بديل لا يغني عن الأصل ، وهو الحصول على رجل وبيت وأسرة وأولاد . وما أن تعرض الفرصة للوظيفة الأولى حتى تترك المرأة عملها لتهب نفسها لبيتها ، الا أن يحول دون ذلك عائق قهري كحاجتها الى المال .

مواضع التفرقة بين الرجل والمرأة في الاسلام

والآن وقد استعرضنا حقيقة الخلاف بين طبيعة الرجل والمرأة ، نعود الى موضع التفرقة بينهما في الاسلام .

ان مزية الاسلام الكبرى أنه نظام واقعي ، يراعي الفطرة البشرية دائما ولا يصادمها أو يحيد بها عن طبيعتها ، وهو يدعو الناس لتهذيب طبائعهم والارتفاع بها ، ويصل في ذلك الى نماذج تقرب من الخيالات والأحلام ، ولكنه في تهذيبه لا يدعو لتغيير الطبائع ، ولا يضع في حسابه أن هذا

التغيير ممكن ، أو مفيد لحياة البشرية اذا أمكن ؟ وانما يؤمن بأن أفضل ما تستطيع البشرية أن تصل اليه من الخير ، هو ما يجيء متمشيا مع الفطرة بعد تهذيبها والارتفاع بها من مستوى الضرورة الى مستوى التطوع النبيل •

وهو يسير في مسألة الرجل والمرأة على طريقته الواقعية المدركة لفطرة البشر ، فيسوي بينهما حيث تكون التسوية هي منطق الفطرة الصحيح ، ويفرق بينهما كذلك حيث تكون التفرقة هي منطق الفطرة الصحيح • فلننظر أهم مواضع التفرقة :

تقسيم الارث • ومسألة القوامة :

يقول الاسلام في الارث : « للذكر مثل حظ الأنثيين » • ذلك حق ، لكنه يجعل الرجل هو المكلف بالانفاق • ولا يطلب من المرأة أن تنفق شيئا من مالها على غير نفسها وزينتها (الا حيث تكون العائل الوحيد لأسرتها ، وهي حالات نادرة في ظل النظام الاسلامي ، لأن أي عاصب من الرجال مكلف بالانفاق ولو بعدت درجته) • فأين الظلم الذي يزعمه دعاة المساواة المطلقة ؟ ان المسألة مسألة حساب لا عواطف ولا ادعاء • تأخذ المرأة ـ كمجموعة ـ ثلث الثروة لتنفقها على نفسها ، ويأخذ الرجل ثلثي الثروة لينفقها أولا على زوجة ـ أي على امرأة ـ وثانيا على أسرة وأولاد ـ فأيهما يصيب أكثر : بمنطق الحساب والأرقام ؟ واذا كانت هناك حالات شاذة لرجال ينفقون كل ثرواتهم على أنفسهم ، ولا يتزوجون ، ولا يبنون أسرة ، فتلك أمثلة نادرة ؟ وانما الأمر الطبيعي أن ينفق الرجل ثروته على بناء أسرة فيها امرأة بطبيعة الحال ، هي الزوجة • وهو ينفق عليها لا تطوعا

منه بل تكليفا . ومهما كانت ثروتها الخاصة ، فلا يحق له أن يأخذ منها شيئا البتة ، الا بالتراضي الكامل بينهما . وعليه أن ينفق عليها كأنها لا تملك شيئا ، ولها أن تشكوه اذا امتنع عن الانفاق ، أو قتر فيه بالنسبة لما يملك ، ويحكم لها الشرع بالنفقة أو بالانفصال . فهل بقيت بعد ذلك شبهة في القدر الحقيقي الذي تناله المرأة من مجموع الثروة ؟ وهل هو امتياز حقيقي في حساب الاقتصاد أن يكون للرجل مثل حظ الأنثيين وهو مكلف مالا تكلفه الأنثى ؟

على أن هذه النسبة انما تكون في المال الموروث بلا تعب ، فهو يقسم حسب أعدل قانون وصلت اليه البشرية اليوم وهو : « لكل حسب حاجته » ومقياس الحاجة هو التكاليف المنوطة بمن يحملها . أما المال المكتسب فلا فيه بين الرجل والمرأة ، لا في الأجر على العمل ، ولا في ربح التجارة ، ولا في ريع الأرض ، ... الخ . لأنه يتبع مقياساً آخر هو المساواة بين الجهد والجزاء . واذن فلا ظلم ولا شبهة في ظلم ، وليس وضع المسألة ان قيمة المرأة هي نصف قيمة الرجل في حساب الاسلام ، كما يفهم العوام من المسلمين ، وكما يقول المشنعون من أعداء الاسلام . وقد رأينا بحساب الأرقام أن ذلك غير صحيح .

وليس اعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد دليلا كذلك على أن المرأة تساوي نصف الرجل ، انما هذا اجراء روعي فيه توفير كل الضمانات في الشهادة ، سواء كانت الشهادة لصالح المتهم أو ضده . ولما كانت المرأة بطبيعتها العاطفية المتدفقة السريعة الانفعال ، مظنة أن تتأثر بملابسات القضية « فتضل » عن الحقيقة روعي أن تكون معها امرأة أخرى « أن تضل

احداهما ، فتذكر احداهما الأخرى » • وقد يكون المشهود له أو عليه امرأة جميلة تثير غيرة الشاهدة، أو يكون فتى يثير كوامن الغريزة أو عطف الأمومة؟ ولكن من النادر جداً حين تحضر امرأتان في مجال واحد ، أن تتفقا على تزييف واحد دون أن تكشف احداهما خبايا الاخرى ، فتظهر الحقيقة ! على شهادة المرأة الواحدة تعتبر فيما تعد المرأة خبيرة فيه ، أو مختصة به من شؤون النساء •

أما مسألة القوامة : فالضرورة تقضى أن يكون هناك قيم توكل اليه الادارة العامة لهذه الشركة القائمة بين الرجل والمرأة ، وما ينتج عنها من نسل ، وما تستتبعه من تبعات ، وقد اهتدى الناس في كل تنظيماتهم الى أنه لابد من رئيس مسئول ، والا ضربت الفوضى أطنابها وعادت الخسارة على الجميع • وهناك ثلاثة أوضاع يمكن أن تفترض بشأن القوامة في الاسرة : فاما أن يكون الرجل هو القيم ، أو تكون المرأة هي القيم ، أو يكونا معاً قيمين •

ونستبعد الفرض الثالث منذ البدء ، لأن التجربة أثبتت أن وجود رئيسين للعمل الواحد أدعى الى الافساد من ترك الأمر فوضى بلا رئيس • والقرآن يقول عن السماء والأرض : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » • « اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض » فاذا كان هكذا الأمر بين الآلهة المتوهمين ، فكيف هو بين البشر العاديين ؟ وعلم النفس يقرر أن الأطفال الذين يتربون في ظل أبوين يتنازعان على السيادة تكون عواطفهم مختلة ، وتكثر في نفوسهم العقد والاضطرابات •

بقي الفرضان الأولان . وقبل أن نخوض في بحثهما نسأل هذا السؤال: أيهما أجدر أن تكون وظيفته القوامة ، بما فيها من تبعات : الفكر أم العاطفة ؟ فاذا كان الجواب البديهي هو الفكر ، لأنه هو الذي يدبر الأمور في غيبة عن الانفعال الحاد الذي كثيرا ما يلتوي بالتفكير فيحيد به عن الطريق المباشر المستقيم ، فقد انحلت المسألة دون حاجة الى جدال كثير ، فالرجل بطبيعته المفكرة لا المنفعلة ، وبما هيأته الحياة من قدرة على الصراع واحتمال أعصابه لنتائجه وتبعاته ، أصلح من المرأة في أمر القوامة على البيت ، بل ان المرأة ذاتها لا تحترم الرجل الذي تسيره فيخضع لرغباتها ، بل تحتقره بفطرتها ولا تقيم له أي اعتبار ، فاذا كان هذا من أثر التربية القديمة التي تترك طابعها في اللاشعور ، وتكيف مشاعر المرأة دون وعي منها ، فهذه هي المرأة الأمريكية بعد أن ساوت الرجل مساواة كاملة ، وصار لها كيان ذاتي مستقل ، عادت فاستعبدت نفسها للرجل ، فأصبحت هي التي تغازله وتتلطف له ليرضى ؟ وتتحسس عضلاته المفتولة وصدره العريض ، ثم تلقي بنفسها بين أحضانه حين تطمئن الى قوته بالقياس الى ضعفها !! وليس مؤدى ذلك أن يستبد الرجل بالمرأة ، أو بادارة البيت. فالرئاسة التي تقابل التبعة ، لاتنفي المشاورة ولا المعاونة ، بل العكس هو الصحيح ، فالرئاسة الناجحة هي التي تقوم على التفاهم الكامل والتعاطف المستمر ، وكل توجيهات الاسلام تهدف الى ايجاد هذه الروح داخل الأسرة ، والى تغليب الحب والتفاهم على النزاع والشقاق ، فالقرآن يقول : « وعاشروهن بالمعروف » . والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « خيركم خيركم لأهله(٢) . فيجعل ميزان الخير في الرجل

---

(١) من سورة النساء .

(٢) رواه الشيخان .

هو طريقة معاملته لزوجته ، وهو ميزان صادق الدلالة ، فما يسيء رجل معاملة شريكته في الحياة الا أن تكون نفسه من الداخل منطوية على انحرافات شتى تفسد معين الخير أو تعطله عن الانطلاق .

وأنا أعتقد أن الزواج مسألة شخصية الى حد كبير ، وأنه ككل تعامل بين شخصين يعتمد قبل كل شيء على المميزات الشخصية والخصائص النفسية والعقلية والجسمية لكل من الطرفين ، بحيث يصعب جدا أن يحكمه «قانون» عام . ورغم ذلك فلا بد من قانون عام يحكم أمر الزواج عند الضرورة ، والزوجية نظام قائم لصالح المجتمع وصالح الزوج والزوجة على السواء ، والمفروض فيه : أن يحقق أقصى ما يمكن من المصالح للمجتمع ، وحين يكون الوئام والوفاق سائدين فيه تتحقق جميع المصالح بغير تدخل القانون ، ولكن حين يحدث الشقاق ينجم الضرر الذي لا يقف عند شخصي الزوجين ، بل يتعداهما الى الأطفال وهؤلاء نواة المجتمع المقبلة التي يجب احاطتها بخير وسائل التنمية والتهذيب،فحينئذ لابد من سلطة محلية تقوم بفض هذا النزاع اعتمادا على ما قرره الاسلام من تأديبات ملائمة ،رادعة ..

انتهى عن كتاب شبهات حول الاسلام « بتصرف » .

وجاء في الكتاب المشار اليه : ـ حول المطالبة بالغاء الطلاق قوله :

هل نلغي الطلاق ؟ وكيف نصنع في المآسي الأخرى التي تنجم من تحريم الطلاق ؟ تلك المآسي التي تعرفها جيدا الدول الكاثوليكية التي تأخذ بمبدا الاباحة ؟ وهل يصير البيت بيتا ، وأحد الطرفين ، أو كلاهما ، يكره الآخر ولا يطيق عشرته ، ومع ذلك فالقيد مؤبد والخلاص مستحيل ؟

أو ليس هذا يؤدي الى الجريمة؟ يتخذ الزوج عشيقة يلبي معها دوافع الجنس ، والزوجة المنبوذة تتخذ نفس الطريق ؟ وهل ينفع الأطفال أن ينشأوا في مثل هذا الجو الكابي الملبد بالغيوم ؟ ليس المهم هو مجرد حياتهم في كنف الوالدين ، ولكن المهم هو الجو الذي يعيشون فيه • والا فما أكثر المنحرفين والمنحرفات الذين جاء انحرافهم من حياتهم مع أبوين متخاصمين لا ينتهي لهما خصام •

يقولون نقيد حق الرجل في الطلاق •

يعني ماذا ؟ يعني أنه لا يقع الطلاق بمجرد القاء الرجل لكلمة الطلاق وانما يقع في المحكمة • والمحكمة ترسل في طلب حكم من أهله ، وحكم من أهلها ، ويبحثون الموضوع ، ويراجعون الزوج ويعظونه ويحاولون الصلح ، فلعل ذلك كله أن يرد الرجل عن غيه ، ويبقي على الأسرة وروابط الزوجية، فاذا لم تجد المحاولة فعند ذلك فقط ينفذ الطلاق على يد القاضي لا على يد الزوج • ولست أجد مانعا من هذا الاجراء الذي ينفذ في جزء منه وصية الشرع ، في مراجعة الأهل ومحاولة التوفيق ، وان كنت لا أومن بجدواه في كثير ، فالاحتياطات التي يريدها هؤلاء المصلحون موجودة بالفعل دون حاجة الى محكمة • ولنفرض أنه طلقها ووقع الطلاق بنص الشرع ، فهل يمنع ذلك أن يقوم أهله وأهلها بالتوفيق فترد اليه في الحال بدون اجراء جديدة؟ فاذا كانت المرة الثانية ووقع الطلاق أيضا فهل يتعذر التوفيق اذا كانت هنالك رغبة فيه ؟ أو فائدة في اتمامه ؟ مع تأديب الزوج بعمل اجراءات جديدة

ومهر جديد ؟ ان الرغبة في التوفيق حين توجد ـ لا ـ تتوقف على تدخل المحكمة ، وحين تكون عقيمة فماذا يملك القاضي أكثر مما يملك الأهل والأصدقاء ؟

وهناك أمم « متحضرة » لا تعيش على التشريع الاسلامي ، ولا يتم الطلاق فيها الا في المحكمة . وبعد تقديم المواعظ والارشادات ومحاولة التوفيق ، فكم بلغت نسبة الطلاق هناك ؟ لقد وصلت في أمريكا الى ٤٠٪ وهي أعلا نسبة في العالم كله ، بما فيه مصر التي يتهم أهلها بأنهم من هواة الزواج والطلاق !

أما المتطرفون والمتطرفات ، الذين يريدون ألا يحكم القاضي للرجل بالطلاق الا اذا ثبت ثبوتا قاطعا أن الزوجة هي المخطئة ، وأن الحياة معها في نظر ـ القاضي ـ مستحيلة ... فأية كرامة يريدونها للمرأة من هذا السبيل ؟ أية كرامة لها في أن تبقى في بيت رجل يكرهها ولا يريدها في بيته ؟ ويذكرها صباح مساء بأنه لا يرغب فيها ولا محل لها في قلبه ، وينبذها ويتصل بغيرها وهي تعلم ؟

أتبقى هناك للمكايدة ؟ وهل هذا هدف يطلب من التشريع أن يقره ؟ أو هل سبيل المكايدة الوحيد أن تبقى معه وهو راغم ، وهي مسلوبة الكرامة والسلطان ؟ أم تبقى لتربية الأولاد ؟ أكرم للأولاد وأقوم لتربيتهم أن يكونوا منفصلين مع أمهم ، من أن يكونوا ليل نهار في هذا الجو المظلم الكريه .. كلا ؟ ليس هؤلاء المتطرفين على شيء من التوفيق . وان المشكلة لا تحل بتغيير التشريع الذي وضع للضرورة ، ووجدت البشرية ـ في غير الاسلام ـ أنه لا معدى لها عنه ولا فكاك . ـ انما تحل بالتربية ، برفع المستوى الثقافي

والنفسي والروحي لمجموع الشعب ٠ بتهذيب المشاعر حتى يكون الخير هو الغالب ، وتكون المودة هي الأصل في الحياة ٠ بتعويد الرجل أن ينظر الى علاقته الزوجية على أنها رباط مقدس لا ينبغي الاخلال بأمنه لأتفه النزوات ٠

أما التشريع فحسبه عدالة أن يعطي الحق للطرفين ، فيعطي المرأة كذلك حق الانفصال حين ترى حياتها مع الرجل لا تؤدي الى الوفاق المنشود ٠ ـ والطلاق بعد هو أبغض الحلال الى الله ٠ ـ انتهى ٠

حكمة تعدد الزوجات

جاء في كتاب « محمد رسول الله » تأليف محمد رضا ـ أمين مكتبة جامعة فؤاد الأول ٠ الطبعة الثالثة ـ ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م ـ ما يأتي حول الحكمة من اباحة تعدد الزوجات في الاسلام : إن الدين الاسلامي لما كان دينا عاما فقد أباح تعدد الزوجات ، قال تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ٠ وذلك لضروراوت اجتماعية وشخصية ٠

فأما الضرورات الاجتماعية ، فهو نقص عدد الرجال عن النساء بسبب قتل الرجال في ميادين الحرب ، هذا ولم يستطع رؤساء الحكومات ، ولا علماء الاجتماع ، ولا المصلحون ، ولا المؤتمرات الدولية منع الحرب ، فقد نشبت الحرب العالمية وذهب ضحيتها الملايين من النفوس البشرية ، وها هي الأمم تستعد الآن للحرب أخذا بالثأر ، وطمعا في التوسع والاستعمار ، وتنشيء الطيارات والأساطيل والمدافع وقد فشل مؤتمر نزع السلاح في

مهمته • ـ ولا تزال القبائل في أفريقية وأمريكا تشن الغارات ويقتل عدد كبير من رجالها ، ونتيجة هذه الحروب نقص عدد الرجال عن النساء نقصا يقدر بحسب فظاعتها • ـ ونقص الرجال عن النساء ـ خصوصا اذا كان النقص عظيما ـ ضار بالأمة من جملة وجوه : منها نقص الثروة لقلة الأيدي العاملة ، وضعف قوتها من الوجهة الحربية ، وتعرضها لغارات المغيرين ، ومطامع الطامعين من الأمم القوية • فلا يعيد مثل هذه الأمة التي أصيبت بنقص رجالها الى قوتها وكثرة مواليدها الا تعدد الزوجات •

وقد كتب العالم الانجليزي « هربرت سبنسر » في كتاب أصول علم الاجتماع :

« اذا طرأ على الأمة حال اجتاحت رجالها الحروب ولم يكن لكل رجل من الباقين الازوجة واحدة وبقيت نساء عديدات بلا أزواج ، ينتج من ذلك نقص في المواليد لا محالة ، ولا يكون عددهم مساويا لعدد الوفيات ، فاذا تقابلت أمتان مع فرض أنهما متساويتان في جميع الوسائل المعيشية وكانت احداهما لا تستفيد من جميع نسائها بالاستيلاد ، فلا تستطيع أن تقوم خصيمتها التي يستولد رجالها جميع نسائها وتكون الأمة الموحدة للزوجات تفنى أمام الأمم المعددة للزوجات » • ثم ان زيادة عدد النساء بلا أزواج مدعاة لانتشار الفسق والفجور • والفاقة ، ولا شك أن اباحة تعدد الزوجات للقادرين عليه علاج لكل ما تقدم •

فأما الضرورات الشخصية ، فمعلوم أن الزنا محرم شرعا ، فلو أن الاسلام حرم التعدد لضاقت السبل أمام المتدينين الذين يعبدون الله ويتبعون

أوامره ويجتنبون نواهيه ، لأن هناك ظروفا شتى قاهرة تضطر الانسان الى الزواج بغير أمرأة واحدة نذكر منها :

١ ـ مرض الزوجة مرضا مزمنا يجعل الزوج ينفر منها بحيث يجعلها غير صالحة للملامسة والتمتع ، وليس لها من يعولها اذا طلقها ، ولا تستطيع الكسب،ولا يمكن أن تتزوج بغيره ، فليس من المروءة والانسانية طلاقها ، وليس من الحكمة منعه من التزوج لئلا يتعطل نسله ، أو تميل به الشهوات الطبيعية الى الزنا(١) .

٢ ـ امتناع الرجل عن الاتصال بزوجته مدة الوضع والنفاس ، وما ينالها بسبب ذلك من الآلام والضعف .

٣ ـ جاذبية المرأة وجمالها وتأثيرها في الرجل مع قدرته على التعدد من الوجهة الجسمانية والمالية .

٤ ـ عقم المرأة مع رغبة الرجل في الذرية .

٥ ـ بلوغ الزوجة سن الشيخوخة .

٦ ـ الرغبة في كثرة النسل رغبة في النفوذ والجاه .

٧ ـ الأسباب الاقتصادية فان النساء والأولاد يساعدون الرجل في عمله ، وهذا مشاهد في البلاد الزراعية ، وقد يضطر الرجل أن يتزوج امرأة غنية بسبب سوء حالته .

---

(١) كتاب المختارات الفتحية في التشريع وأصول الفقه للأستاذ أحمد أبي الفتح بك الطبعة الرابعة صفحة ـ ٢٠ ـ .

وقد كان تعدد الزوجات شائعا عند العرب، ولم يكن في الجاهلية قانون عام يحدد عدد الزوجات • وقد أسلم غيلان بن سلمة وتحته عشر نسوة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمسك أربعا وفارق باقيهن » •

قال الأستاذ ـ لوبون ـ : ان تعدد الزوجات على مثال ما شرعه الاسلام من أفضل الأنظمة ، وأنهضها بأدب الأمة التي تذهب اليه ، وتعتصم به ، وأوثقها للأسرة عقدا ، وأشدها لآصرتها أزرا ، وسبيله أن تكون المرأة المسلمة أسعد حالا وأوجه شأنا ، وأحق باحترام الرجل من أختها الغربية » •

وقال : « ولست أدري على أي قاعدة يبني الأوربيون حكمهم بانحطاط ذلك النظام نظام التعدد ـ عن نظام التفرد عند الأروبيين المشوب بالكذب والنفاق ؟ على حين أرى هناك أسبابا تحملني على ايثار نظام التعدد على ما سواه • وليس عجيبا بعد ذلك أن نرى الشرقيين الذين ينتجعون الينا ويتنقلون في مدائننا يحارون من قسوتنا في الحكم على نظام تعدد الزوجات فيهم (١) ـ وقد حبذ شوبنهور الفيلسوف الألماني : تعدد الزوجات فقال : « أما آن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حسنة حقيقية لنوع النساء بأسره ؟ قال ذلك بعد أن شرح مضار الاقتصار على زوجة واحدة ، فمما قال : « في مدينة لندرة وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تعنت السيدة الأوربية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل » • وقال : « اذا رجعنا الى أصول

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتاب المرأة العربية في جاهليتها واسلامها للأستاذ عبد الله عفيفي ص ـ ٦٩ ـ و ٧١ ـ •

الأشياء وحقيقتها لا نجد سبباً يمنع الرجل من التـزوج بثـانية اذا أصيبت امرأته • بمرض مزمن تألم منه ، أو كانت عقيمـا ، أو أصبحت على تـوالى السنين عجوزاً » ان الرجل المتـزوج في الأمـم المسيحية التي لا تبيح تعـدد الزوجات ، لايقتصر في الحقيقة على امرأة واحدة ، بل نراه يتخذ كثيراً مـن الخليلات ، ويبيح لنفسه التمتع بمن أحب منهن • لـكنه اذا أبـدى رأيه أو كتب في موضوع الـزواج طعن على تعـدد الزوجـات ، ورمى المسلمين بالهمجية والتعدي على حقوق الزوجية ، وزعم أنهم شهوانيون • ولذلك قال الأستاذ لوبون عن نظام تفرد الزوجة بين الأوربيين أنه : مشوب بالكـذب والنفاق ••• وصرح بذلك أيضاً شوبنهور فقال : « أين لنا بمن يقتصر حقيقة على زوجة ، بل لا نفكر أننا في بعض أيامنا أو في معظمها كلنا أو جلنا نتخذ كثيراً من النساء » ـ على أن الشريعة الاسلامية كما هو واضـح من القرآن الكريم لم تبح تعدد الزوجات بلا قيد ولا شرط ، بل اشترطت العدل ، قال تعالى : « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » ـ والمعنى فان خفتم الا تعـدلوا بين هذه الأعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فاكتفوا بزوجة واحدة « ذلك أدنى ألا تعولوا » والمعنى ذلك أقـرب من ألا تعولوا أي لا تجـوروا ولا تميلوا • فالاسلام لم يبح التعدد بل اشترط العدل ، فكأنه في الحقيقة ضيق حدود التعدد ، فالذين يعددون الزوجات ويضربون صفحا عن هذه الشروط هم في الحقيقة يخالفون الدين فلا شأن لنا بهم ، وفعلهم لا يؤخذ حجة على الدين • والذى يؤخذ من مجموع نصوص القرآن والسنة أن الزوج يعتبـر آثما اذا تزوج على امرأته لمجرد الاضرار بها ، قال تعـالى « ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن » •

العلة في تعدد زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم

اعترض بعض الذين كتبوا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسيحيين على كثرة أزواجه صلى الله عليه وسلم وزعموا أنه شهواني : ـ

والحقيقة أن كثرة أزواجه لم تكن بدافع شهواني ؛ فانه أراد بذلك أن يوجد بينه وبين أصحابه ، وكبار قومه صلة قوية ، ورابطة متينة ، بواسطة المصاهرة ، لأن ذلك مما يساعده ويشد أزره للدفاع عن مبدئه السامي ونشر الدعوة الى الاسلام •

أما أنه لم يكن شهوانيا فأمر لا ينكر ، وظاهر من حياته وأطواره لأنه صلى لله عليه وسلم تزوج خديجة وكانت في الأربعين من عمرها ، وهو في عنفوان شبابه في سن الخامسة والعشرين ، ولم يتزوج غيرها الى أن توفيت ، وكان عمره اذ ذاك خمسين سنة ، فاذا لم يكن الى هذا العمر رجل شهوة ، بل كان رجلا قانعا بزوجة واحدة ، فهل من العدل أن نقول انه كان شهوانيا بعد ذلك ؟ ـ لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف الفراغ ، بل كان في جهاد مستمر ، فلم يذق للراحة طعما من مبدأ الرسالة الى أن مات ، فكان يقضي أوقاته في نشر الدعوة ، ومحاربة الوثنية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن المسلمين وجمع شملهم ، وتعليمهم أمور دينهم ، وتثبيت دعائم المدنية الصحيحة الخالية من الشوائب ، ومكافحة الأعداء باللسان والسيف • وكان مع ذلك يتعبد آناء الليل وأطراف النهار ، وعلى العموم فقد تحمل من الأعباء ما تنوء به الجبال ، ولم تشغله كثرة نسائه عن عبادة ربه ، وعن القيام بواجبات الرسالة •

وأما أنه كان يقصد من تعدد زوجاته ايجاد روابط المصاهرة ، وتأليف القلوب لنشر الدعوة ، فهذا واضح أيضا ؛ فان زوجته عائشة هي بنت أبي بكر الصديق . وحفصة هي بنت عمر بن الخطاب . وأم حبيبة هي بنت أبي سفيان . وقد كان من أكبر أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أشراف قريش ، وعدى ذلك قد كانت أم حبيبة أسلمت قديماً وهاجرت الى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش ، وتنصر زوجها هناك وأبت أن تتنصر معه ومات هناك . فأكرمها النبي صلى الله عليه وسلم بزواجها . ـ وزوجته ميمونة ، هي خالة خالد بن الوليد الذى صار من أعظم قواد المسلمين وأبطالهم الذين اكتسبوا شهرة خالدة . وأما زوجته صفية بنت حيي : فانما تزوجها لأنها بنت ملك من ملوك اليهود فلا تصلح الا له ، وقد تنافس المسلمون فيها لما وقعت في نصيب دحية بن خليفة الكلبي .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قوي الجسم ، كما أنه كان ذا ارادة تفل الحديد ، وكان بشرا يأكل ويشرب ويشتهي ، وقد عصمه الله تعالى عن الذنوب . ـ وتزوج زينب بنت جحش ، وكانت عند مولاه زيد بن حارثه ، وطلقها زيد بعد أن كرهها ، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابطال عادة التبني ونسخ تحريم الزواج بامرأة المتبني . ـ هذا ملخص العلة في تعدد زوجاته بعد أن بلغ من العمر الخمسين ، وبعد أن انقضى زمن شبابه : زمن الشهوة . هذا ولا يخفى أن تعدد الزوجات كان عادة مألوفة عند العرب .

على أن عقلاء الافرنج أدركوا حقيقة هذه المسألة ، فردوا على ما افتراه بعضهم من قصار النظر • ـ • قال الفيلسوف الانجليزى توماس كارليل : وما كان محمد أخا شهوة برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا ، وشد ما نجور اذا حسبناه رجلا شهوانياً لا هم له الا قضاء مآربه من الملاذ ، كلافما أبعد ما كان بينه وبين الملاذ أية كانت • ـ لقد كان زاهداً متقشفا في مسكنه ومأكله ومشربه وملبسه وسائر أموره وأحواله ، وكان طعامه عادة الخبز والماء ، وربما تتابعت الشهور ولم توقد بداره نار ، وانهم ليذكرون ـ ونعم ما يذكرون ـ أنه كان يصلح ويرفو ثوبه بيده ، فهل بعدذلك مكرمة ومعجزة؟ فحبذا محمد من رجل خشن اللباس ، خشن الطعام ، مجتهد في الله ، قائم ساهر الليل ، دائبا في نشر دين الله ••• الخ » •

انتهى ما أردنا نقله من كتاب (محمد رسول الله)لمحمد رضا في شأن تعدد زوجات رسول الله •

الاســـــلام والـرق

س ـ ذكرتم في مبحث المساواة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لاسود على أبيض الا بتقوى الله » « وأن النـاس سواسية كأسنان المشط » لوحدة الأصل • فكيف أن هذا الدين دين المساواة أباح الرق ، مع ان اباحته بالطريقة المعروفة المتبعة تتنافي مع المساواة ؟

ج ـ مما لا شك فيه أن الاسلام دين المساواة : ودعوى أنه أباح الرق جاءت مما عامل به الأسرى من الكفار المحاربين انقاذا لهم من الكفر ، ومما لهم وللمسلمين من مصالح كثيرة • وانما دعوى أنه اباحه مطلقا أو على الأبد فدعوى غير مسلم بها •

فالدين الاسلامي لم يبح الرق ، بل سعى في تحرير الرقيق بكافة الوسائل ، ولكنه لما جاء والرق معمول به لدى كافة الأمم من رومان ويونان وغيرهم ، اتخذ أنجع الطرق ، وأنجح الوسائل لتحريره ، ويعرف ذلك من تقصى الحقائق ، وعرف سير الاسلام ومرونته ، وتتبع قضاياه ـ وهذه الشبهة التي ألصقت بالاسلام واعتقدها السذج من المسلمين • وحتى ان المسلمين لبعد عهدهم عن تعاليم الاسلام عملوا به كغيرهم ، وشاع بينهم بيع الرقيق ، ولكن هل نقول ان الاسلام أباح الرق بناء على ما سار عليه المسلمون ازاءه ؟ ان قلنا بذلك فقد أيدنا من لمزوا الاسلام وعابوه بشيء لم تكن له فيه يد •

ودرأ لهذه الشبهة الفاسدة أضع أمامك ما كتبه السيد محمد قطب في كتابه : « شبهات حول الاسلام » لترى من هو الذي أحدث الرق أولا : ثم لتعرف موقف الاسلام منه ثانيا : ـ

قال : ربما كانت هذه الشبهة أخبث ما يلعب به الماديون لزلزلة عقائد الشباب ! ••• لو كان الاسلام صالحا لكل عصر ـ كما يقول دعاته ـ لما أباح الرق ••• وان اباحته للرق لدليل قاطع على أن الاسلام قد جاء لفترة محدودة • وأنه أدى مهمته وأصبح في ذمة التاريخ ! ـ •

وان الشباب المؤمن ذاته لتساوره بعض الشكوك ! كيف أباح الاسلام الرق ؟ ـ هذا الدين الذي لا شك في نزوله من عند الله ، ولا شك في صدقه ، وفي أنه جاء لخير البشرية كلها في جميع أجيالها •• كيف أباح الرق ؟ ـ الدين الذي قام على المساواة الكاملة • الذي رد الناس جميعا الى أصل واحد ،

وعاملهم على أساس هذه المساواة في الأصل المشترك .. كيف جعل الرق جزءا من نظامه ، وشرع له ؟ أو يريد الله للناس أن ينقسموا أبداً الى سادة وعبيد ، أو تلك مشيئته في الأرض ؟ أو يرضى الله للمخلوق الذي كرمه اذ قال : « ولقد كرمنا بني آدم » أن يصير طائفة منه سلعة تباع وتشترى كما كان الحال مع الرقيق ؟ واذا كان الله لا يرضى بذلك ، فلماذا لم ينص كتابه الكريم صراحة على الغائه كما نص على تحريم الخمر والميسر والربا وغيرهما مما كرهه الاسلام ؟ وان الشباب المؤمن ليعلم أن الاسلام دين الحق ، ولكنه كابراهيم : « قال : أو لم تؤمن ؟ قال بلى ، ولكن ليطمئن قلبي ! » .

أما الشباب الذي أفسد الاستعمار عقله وعقائده ، فانه لا يلبث حتى يتبين حقيقة الأمر ، وانما يميل به الهوى فيقرر دون مناقشة أن الاسلام نظام عتيق قد استنفد أغراضه !

وأما الماديون خاصة فأصحاب دعاوى « علمية » مزيفة يتلقونها من قادتهم هناك ، فيتنفشون بها عجبا ، ويحسبون أنهم وقعوا على الحقيقة الأبدية الخالدة التي لا مراء فيها ولا جدال ، وهي المادية الجدلية التي تقسم الحياة البشرية الى مراحل اقتصادية معينة لا معدى عنها ولا محيص . وهي الشيوعية الأولى ، والرق ، والاقطاع ، والرأسمالية ـ والشيوعية الثانية « وهي نهاية العالم » ! ـ وان كل ما عرفته البشرية من عقائد ونظم وأفكار ، انما كانت انعكاسا للحالة الاقتصادية ، أو للتطور الاقتصادي القائم حينئذ ، وأنها صالحة له ، متلائمة مع ظروفه ، ولكنها لا تصلح للمرحلة التالية التي تقوم على أساس اقتصادي جديد . وانه ـ من ثم ـ لا يوجد نظام واحد يمكن أن يصلح لكل الأجيال . واذا كان الاسلام قد جاء والعالم في نهاية

فترةالرق،ومبادىء فترة الاقطاع فقد جاءتشريعته وعقائده ونظمهملائمةلهذا القدر من التطور ، فاعترفت بالرق ، ولم يكن في طوق الاسلام أن يسبق التطور الاقتصادي ، أو يبشر بنظام جديد لم تتهيأ بعد امكانياته الاقتصادية ؟

ونريد هنا أن نضع المسألة في حقيقتها التاريخية والاجتماعية والسيكلوجية بعيدا عن الغبار الذي يثيره هؤلاء وأولئك ، فاذا حصلنا على حقيقة موضوعية فلا علينا حينئذ من دعاوى المنحرفين ، و « العلماء » المزيفين !ـ نحن ننظر اليوم الى الرق في ظروف القرن العشرين ، وننظر اليه في ضوء الشناعات التي ارتكبت في عالم النخاسة ، والمعاملة الوحشية البشعة التي سجلها التاريخ في العالم الروماني خاصة ، فنستفضع الرق ، ولا تطيق مشاعرنا أن يكون هذا اللون من المعاملة أمراً مشروعاً يقره دين أو نظام ، ثم تغلب علينا انفعالات الاستبشاع والاستنكار ، فنعجب كيف أباح الاسلام الرق ، وكل توجيهاته وتشريعاته كانت ترمي الى تحرير البشر من العبودية في جميع ألوانها وأشكالها ، ونتمنى في حرارة الانفعال أن لو كان الاسلام قد أراح قلوبنا وعقولنا فنص على تحريمه بالقول الصريح .

وهنا وقفة عند حقائق التاريخ . ففظائع الرق الروماني في العالم القديم لم يعرفها قط تاريخ الاسلام ، ومراجعة بسيطة للحالة التي كان يعيش عليها الأرقاء في الامبراطورية الرومانية كفيلة بأن ترينا النقلة الهائلة التي نقلها الاسلام للرقيق ، حتى لو لم يعمل على تحريره ؟

كان الرقيق في عرف الرومان « شيئاً » لا بشراً . شيئا لا حقوق له البته، وان كان عليه كل ثقيل في الواجبات، ولنعلم أولا من أين كان يأتي الرقيق

كان يأتي من طريق الغـزو ، ولم يكن هذا الغـزو لفـكرة ولا لمبــدأ ، وانما كان سببه الوحيد شهوة استعباد الآخرين وتسخيرهم لمصلحة الرومان. فلكي يعيش الرومان عيشة البـذخ والتـرف ، يستمتع بالحمامات البـاردة والساخنة ، والثياب الفاخرة ، وأطائب الطعام من كل لون ، ويغرق في المتاع الفاجر من خمر ونساء ورقص وحفلات ومهرجانات ، كان ولابد لكل هذا من استعباد الشعوب الأخرى وامتصاص دمائها • ــ ومصر مثل لذلك حين كانت في قبضة الرومان ، قبل أن يخلصها من نيرهم الاسـلام • اذ كانت حقل قمح للامبراطورية ، ومورداً للأموال •

في سبيل هذه الشهوة الفاجرة كان الاستعمار الروماني ، وكان الرق الذي نشأ من ذلك الاستعمار • أما الرقيق فقد كانوا ــ كما ذكرنا ــ أشياء ليس لها كيان البشر ولا حقوق البشر • كانوا يعملون في الحقـول وهـم مصفدون في الأغلال الثقيلة التي تكفي لمنعهم من الفـرار • ولـم يكونوا يطعمون الا ابقاء على وجودهم ليعملوا ، لا لأن من حقهم ــ حتى كالبهائم والأشجار أن يأخذوا حاجتهم من الغذاء • وكانوا في أثناء العمل ــ يساقون بالسياط ، لغير شيء الا للذة الفاجرة التي يحسها السيد أو وكيله في تعذيب هذه المخلوقات • ثم كانوا ينامون في « زنـزانات» مظلمة كريهة الرائحـة تعيث فيها الفيران والحشرات فيلقون فيها عشرات عشرات ، قـد يبلغـون خمسين في الزنزانة الواحدة ــ بأصفادهم ــ فلا يتاح لهم حتى الفـراغ الذي يتاح بين بقرة وبقرة في حظيرة الحيوان •

ذلك كان الرقيق في العالم الروماني • ولا نحتاج أن نقول شيئا عن الوضع القانوني للرقيق عندئذ ، وعن حق السيد المطلـق في قتله وتعـذيبه

واستغلاله دون أن يكون له حق الشكوى، ودون أن تكون هناك جهة تنظر في هذه الشكوى أو تعترف بها ، فذلك لغو بعد كل الذي سردناه • ـ • ولم تكن معاملة الرقيق في فارس والهند وغيرها ، تختلف كثيراً عما ذكرنا من حيث اهدار انسانية الرقيق اهداراً كاملا ، وتحميله بأثقل الواجبات دون اعطائه حقاً مقابلها ، وان كانت تختلف كثيرا في مدى قسوتها وبشاعتها •

ثم جاء الاسلام ، جاء ليرد لهؤلاء البشر انسانيتهم • جاء ليقول للسادة عن الرقيق : « بعضكم من بعض » جاء ليقول « من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه ، ومن أخصى عبده أخصيناه » جاء ليقرر وحدة الأصل والمنشأ والمصير : « أنتم بنو آدم وآدم من تراب » ، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى » جاء ليأمر السادة أمراً أن يحسنوا معاملتهم للرقيق ، « وبالوالدين احساناً ، وبذى القربى ، واليتامى والمساكين ، والجار ذي القربى ، والجار الجنب ، والصاحب بالجنب ، وابن السبيل ، وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخوراً »(١) ، وليقرر أن العلاقة بين السادة والرقيق ليست علاقة الاستعلاء والاستعباد ، أو التسخير أو التحقير وانما هي علاقة القربى والأخوة • فالسادة « أهل » الجارية يستأذنون في زواجها : « فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بايمانكم ، بعضكم من بعض ، فانكحوهن باذن أهلهن ، وآتوهن أجورهن بالمعروف »(٢) • وهم أخوة للسادة ففي الحديث الشريف : « اخوانكم خولكم

(١) من سورة النساء •
(٢) من سورة النساء •

فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم ؟ فأعينوهم »•(٣) وزيادة في رعاية مشاعر الرقيق يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ، وليقل فتاي وفتاتي »(٤) • ويستند على ذلك أبو هريرة فيقول لرجل ركب وخلفه عبده يجري : « احمله خلفك فانه أخوك روحه مثل روحك » •

ولم يكن ذلك كل شيء • ولكن ينبغي قبل أن ننتقل الى الخطوة التالية أن نسجل القفزة الهائلة التي قفزها الاسلام بالرقيق في هذه المرحلة•ـ لم يعد الرقيق « شيئا » وانما صار بشراً له روح كروح السادة • وقد كانت الأمم كلها تعتبر الرقيق جنسا آخر غير جنس السادة ، خلق ليستعبد ويستذل ، ومن هنا لم تكن ضمائرهم تتأثر من قتله ، وتعذيبه وكيه بالنار ، وتسخيره في الأعمال القذرة ، والأعمال الشاقة ، ومن هنالك رفعه الاسلام الى مستوى الأخوة الكريمة ، لا في عالم المثل والأحلام فحسب ، بل في عالم الواقع كذلك • ويشهد التاريخ ـ الذي لم ينكره أحد ، حتى الصليبيون المتعصبون من أهل أوروبا ـ بأن معاملة الرقيق في صدر الاسلام بلغت حداً من الانسانية الرفيعة لم تبلغه في أي مكان آخر• وأصبح الرقيق كائنا انسانياً له كرامة يحميها القانون ، ولا يجوز الاعتداء عليها بالقول ولا بالفعل • فمبدأ الاسلام مبدأ صريح الدلالة على المساواة الانسانية الكاملة بين الرقيق والسادة ، وصريح في بيان الضمانات التي يحيط بها حياة هذه الطائفة من البشر ـ التي لايخرجها وضعها العارض عن صفتها البشرية الأصيلة • وهي

---

(٣) الحديث رواه البخاري •

(٤) رواه أبو هريرة •

ضمانات كاملة وافية ، تبلغ حداً عجيباً لم يصل اليه قط تشريع آخر من تشريعات الرقيق في التاريخ كله ، لا قبل الاسلام ولا بعده .

ثم ننتقل الى المرحلة التالية ، مرحلة التحرير الواقعي :

لقد كانت الخطوة السابقة في الواقع تحريراً روحياً للرقيق ، برده الى الانسانية ومعاملته على أنه بشر كريم لايفترق عن السادة من حيث الأصل، وانما هي ظروف عارضة حدت من الحرية الخارجية للرقيق في التعامل المباشر مع المجتمع ، وفيما عدى هذه النقطة كانت للرقيق كل حقوق الآدميين .

ولكن الاسلام لم يكتف بهذا ، لأن قاعدته الأساسية العظمى هي المساواة الكاملة بين بني البشر ، وهي التحرير الكامل لكل البشر ، ولذلك عمل فعلا على تحرير الأرقاء بوسيلتين كبيرتين : هما العتق والمكاتبة . .

فأما العتق فهو التطوع من جانب السادة بتحرير من في أيديهم من الأرقاء ، وقد شجع الاسلام على ذلك تشجيعاً كبيراً ، وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم القدوة الأولى في ذلك ، اذ أعتق من عنده من الأرقاء ، وتلاه في هذا أصحابه ، وكان أبو بكر ينفق أموالا طائلة في شراء العبيد من سادة قريش الكفار ، ليعتقهم ويمنحهم الحرية ؛ وكان بيت المال يشتري العبيد من أصحابهم ويحررهم كلما بقيت لديه فضلة من مال . قال يحيى بن سعيد : « بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقية ، فجمعتها ثم طلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد فقيراً ولم نجد من يأخذها منا ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها عبيداً فأعتقتهم » . ـوكان النبي صلى الله

عليه وسلم يعتق من الأرقاء من يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، أو يؤدي خدمة مماثلة للمسلمين • ونص القرآن الكريم على أن كفارة بعض الذنوب هي عتق الرقاب • كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث على العتق تكفيراً عن أي ذنب يأتيه الانسان ، وذاك للعمل على تحرير أكبر عدد ممكن منهم ، فالذنوب لا تنقطع ، وكل ابن آدم خطاء كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم • ويحسن هنا أن نشير اشارة خاصة الى احدى هذه الكفارات لدلالتها الخاصة في نظر الاسلام الى الرق ، فقد جعل كفارة القتل الخطأ : دية مسلمة الى أهل القتيل وتحرير رقبة • « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله»(١) • والقتيل الذي قتل خطأ هو روح انسانية قد فقدها أهلها ، كما فقدها المجتمع دون وجه حق ، لذلك يقرر الاسلام التعويض عنها من جانبين : ـ التعويض لأهلها بالدية المسلمة لهم ، والتعويض للمجتمع بتحرير رقبة مؤمنة ! فكأن تحرير الرقبة هو احياء لنفس انسانية تعوض النفس التي ذهبت بالقتل الخطأ • والرق على ذلك هو موت أو شبيه بالموت في نظر الاسلام ، على الرغم من كل الضمانات التي أحاط بها الرقيق ، ولذلك فهو ينتهز كل فرصة « لاحياء الرقيق » بتحريره من الرق ! ـ ويذكر التاريخ أن عدداً ضخما من الأرقاء قدحرر بطريق العتق ، وأن هذا العدد الضخم لا مثيل له في تاريخ الأمم الأخرى ، لا قبل الاسلام ولا بعده بعدة قرون حتى مطلع العصر الحديث • كما أن عوامل عتقهم كانت انسانية بحتة ، تنبع من ضمائر الناس ابتغاء مرضاة الله ولا شيء غير مرضاة الله •

(١) من سورة النساء •

أما المكاتبة ، ـ فهي منح الحرية للرقيق متى طلبها بنفسه ، مقابل مبلغ من المال يتفق عليه السيد والرقيق • والعتق هنا اجباري لايملك السيدرفضه ولا تأجيله بعد أداء المبلغ المتفق عليه • والا تدخلت الدولة « القاضي أو الحاكم » لتنفيذ العتق بالقوة ، ومنح الحرية لطالبها • ـ وبتقرير المكاتبة ؛ فتح في الواقع باب التحرير في الاسلام لمن أحس في نفسه برغبة التحرر ، ولم ينتظر أن يتطوع سيده بتحريره في فرصة قد تسنح أو لا تسنح على مر الأيام • ـ ومنذ اللحظة الأولى التي يطلب فيها المكاتبة ـ والسيد لا يملك رفض المكاتبة متى طلبها الرقيق ، ولم يكن في تحريره خطر على أمن الدولة الاسلامية • ـ يصبح عمله عند سيده بأجر ، ويتاح له اذا رغب أن يعمل في الخارج بأجر ، حتى يجمع المال المتفق عليه •

وبهذا وذاك يكون الاسلام قد خطا خطوات فعلية واسعة في سبيل تحرير الرقيق ، وسبق بها التطور التاريخي كله بسبعة قرون على الأقل ، وزاد على هذا التطور عناصر : كرعاية الدولة التي ـ لم يفيء اليها العالم الا في مطلع تاريخه الحديث • وعناصر أخرى لم يفيء اليها أبداً ، سواء في حسن معاملة الرقيق ، أو في عتقه تطوعا بغير ضغط من التطورات الاقتصادية ، أو السياسية التي اضطرت الغرب اضطراراً الى تحرير الرقيق كما سيجيء • وبهذا وذاك تسقط حذلقة الماديين ودعاواهم « العلمية » الزائفة التي تزعم أن الاسلام حلقة من حلقات التطور الاقتصادي جاءت في موعدها الطبيعي حسب سنة المادية الجدلية ـ فها قد سبقت موعدها بسبعة قرون ـ والتي تزعم أن كل نظام ـ بما في ذلك الاسلام ـ ان هو الا انعكاس للتطور الاقتصادي القائم وقت ظهوره ، وأن كل عقائده وأفكاره تلائم هذا التطور

وتستجيب له ، ولكنها لا تسبقه ، ولا تستطيع أن تسبقه ، كما قرر العقل الذي لا يخطىء ولا يأتيه الباطل من فوقه ولا من تحته ، عقل كارل ماركس تقدست ذكراه ! !

فها هو ذا الاسلام لم يعمل بوحي النظم الاقتصادية القائمة حينئذ في جزيرة العرب وفي العالم كله ، لا في شأن الرقيق ، ولا في توزيع الثروة ، ولا في علاقة الحاكم بالمحكوم ، أو المالك بالأجير ، وانما ينشيء نظمه الاجتماعية والاقتصادية تطوعاً وانشاء ، على نحو غير مسبوق ، ولا يزال في كثير من أبوابه متفرداً في التاريخ . وهنا يخطر السؤال الحائر على الأفكار والضمائر ، اذا كان الاسلام قد خطا هذه الخطوات كلها نحو تحرير الرقيق ، وسبق بها العالم كله متطوعاً غير مضطر ولا مضغوط عليه ، فلماذا لم يخط الخطوة الحاسمة الباقية ، فيعلن في صراحة كاملة الغاء الرق من حيث المبدأ ، وبذلك يكون هو النظام الأكمل الذي لا شبهة فيه ، والجدير حقاً بأن يصدر عن الله الذي كرم بني آدم وفضلهم على كثير ممن خلق ؟

وللاجابة على هذا السؤال ينبغي أن ندرك حقائق اجتماعية وسيكلوجية وسياسية أحاطت بموضوع الرق وأخرت الاعلان المرتقب بالغائه ، وان كان ينبغي أن ندرك أنه تأخر في الواقع كثيرا جداً عما أراد له الاسلام ، وعما كان يمكن أن يحدث لو سار أهل الاسلام في طريق الحق ولم تفسدهم الشهوات والانحرافات .

يجب أن نذكر أولا ، أن الاسلام جاء والرق نظام معترف به في جميع أنحاء العالم ، بل كان عملة اقتصادية واجتماعية متداولة ، لا يستنكرها أحد ، ولا يفكر في تغييرها أحد ، لذلك كان تغيير هذا النظام أو محوه أمرا يحتاج الى تدرج شديد وزمن طويل ، وقد احتاج ابطال الخمر الى بضعة سنوات ، والخمر عادة شخصية قبل كل شيء ، وان كانت ذات مظاهر اجتماعية ، وكان بعض العرب في الجاهلية يتعففون عنها ، ويرون فيها شراً لا يليق بذوي النفوس العالية ، والرق كان أعمق في كيان المجتمع ونفوس الأفراد لاشتماله على عوامل شخصية واجتماعية واقتصادية . ولم يكن أحد يستنكره كما أسلفنا ، لذلك كان ابطاله يحتاج الى زمن أطول مما تتسع له حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي الفترة التي كان ينزل فيها الوحي بالتنظيم والتشريع . والله أعلم بمن خلق ، فلو كان يعرف أن ابطال الخمر يكفي فيه اصدار تشريع ينفذ لساعته لما حرمها سبحانه وتعالى في بضع سنوات . ولو كان يعلم أن ابطال الرق يكفي له مجرد اصدار « مرسوم » بالغائه لما كان هناك سبب لتأخير هذا المرسوم ؟ .

والاسلام لم ينزل لتغيير طبائع البشر ، وانما أنزل الاسلام لتهذيب البشر في حدود فطرتهم وطبيعتهم البشرية ، والارتفاع بهم ـ دون كبت ولا قهر ـ الى أقصى ما يستطيعونه من الارتفاع . وقد وصل الى حد الاعجاز في تهذيب بعض الأفراد ، ووصل في ذلك من حيث النوع والكم الى ما لم يصل اليه نظام آخر في التاريخ . ولكنه مع ذلك لم يكن مكلفا أن يحول جموع الناس الى هذا المستوى النادر . ولو اراد الله ذلك ، لخلق الناس منذ البدء ملائكة ، وكلفهم تكاليف الملائكة « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون

ما يؤمرون » ولكنه وقد خلقهم بشرا ، يعرف طاقتهم ، والمدى اللازم لانضاجهم . ـ ويكفي الاسلام على أى حال أن يكون هو الذي بدأ حركة التحرير في العالم ، قبل أن تفيء اليها البلاد التي لم تعتنق الاسلام بسبعة قرون . وأنه في الواقع جفف منابع الرق القديمة كلها في الجزيرة العربية ، وكان قمينا أن يلغيه بالنسبة للمستقبل في العالم الاسلامي ، لولا منبع جديد ظل يفيض بالرق في كل مكان ، ولم يكن في وسع الاسلام يومئذ القضاء عليه ، لأنه لا يتعلق به وحده وانما يتعلق بأعدائه الذين ليس له عليهم سلطان ، ذلك هو رق الحرب .

وقد وصل الاسلام في حسن المعاملة ورد الاعتبار الانساني للرقيق الى درجة عجيبة ، ضربنا أمثلة منها من قبل في آيات القرآن ، وأحاديث الرسول، ونسرد أمثلة في التطبيق الواقعي .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين بعض الموالي وبعض الأحرار من سادة العرب ، فآخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحة الخثعمي ، وبين مولاه زيد بن حارثة وعمه حمزه ، وبين خارجه بن زيد وأبي بكر ، ـ كانت هذه المؤاخاة صلة حقيقية تعدل رابطة الدم وتصل الى حد الاشتراك في الميراث ؟ ـ ولم يكتف بهذا الحد .. فقد زوج بنت عمته زينب بنت جحش من مولاه زيد . والزواج مسألة حساسة جداً وخاصة من جانب المرأة ، فهي تقبل من يفضلها مقاماً ، ولكنها تأبى أن يكون زوجها دونها في الحسب والنسب والثروة ، وتحس أن هذا يحط من شأنها . ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهدف الى معنى أسمى من كل ذلك وهو

رفع الرقيق من الوهدة التي دفعته اليها البشرية الظالمة الى مستوى أعظم سادة العرب من قريش ٠

ولم يكتف كذلك بهذا الحد ٠٠ فقد أرسل مولاه زيد بن حارثة على رأس جيش فيه الأنصار والمهاجرون من سادات العرب ، فلما ولى ابنه أسامة بن زيد قيادة الجيش ، وفيه أبو بكر وعمر وزيرا الرسول وخليفتاه من بعده ، فلم يعط المولى بذلك مجرد المساواة في الانسانية ، بل أعطاه حق القيادة والرئاسة على الأحرار » ٠ ووصل في ذلك الى أن يقول : « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى »(١) ٠ ـ ٠

هذه النماذج التي وضعها الاسلام كان المقصود بها تحرير الرقيق من الداخل ـ كما قلنا في مبدأ الفصل ـ لكي يحس بكيانه فيطلب الحرية ، وهذا هو الضمان الحقيقي للتحرير ٠ وفرق كبير بين النظام الذي يشجع الناس على طلب الحرية ، ويهيء لها الوسائل ، ثم يعطيها لهم في اللحظة التي يطلبونها بأنفسهم ، وبين النظم التي تدع الأمور تتعقد وتتحرج ، حتى تقوم الثورات الاقتصادية والاجتماعية وتزهق الأرواح بالمئات والألوف ، ثم لا تعطى الحرية لطلابها الا مجبرة كارهة ٠

وقد كان من فضائل الاسلام الكبرى في مسألة الرقيق ، انه قد حرص على التحرير الحقيقي له من الداخل والخارج ، فلم يكتف بالنية الطيبة كما فعل « لنكولن » باصدار تشريع لا رصيد له في داخل النفوس ؛ مما يثبت عمق

---

(١) الحديث رواه البخاري ٠

ادراك الاسلام للطبيعة البشرية وفطنته الى خير الوسائل لمعالجتها . وهذا الى جانب تطوعه باعطاء الحقوق لأصحابها ، مع تربيتهم على التمسك بها واحتمال تبعاتها ـ على أساس الحب والمودة بين طوائف المجتمع ـ قبل أن يتصارعوا من أجل هذه الحقوق ، كما حدث في أوربا ، ذلك الصراع البغيض الذي يجفف المشاعر ويؤرث الأحقاد . فيفسد كل ما يمكن أن تصيبه البشرية من الخير في أثناء الطريق .

وأخيرا نعود الى العامل الأكبر الذي جعل الاسلام يضع الأساس لتحرير الرقيق ثم يدعه يعمل حتى ينتهي نهاية طبيعية .

قلنا أن الاسلام قد جفف منابع الرق القديمة كلها ، فيما عدى منبعا واحدا لم يكن في طوقه أن يجففه وذلك هو رق الحرب ، ولنأخذ في شيء من التفصيل :

كان العرف السائد يومئذ هو استرقاق أسرى الحرب أو قتلهم(١) وكان هذا العرف قديما جداً ، موغلا في ظلمات التاريخ ، يكاد يرجع الى الانسان الأول ، ولكنه ملازم للانسانية في شتى أطوارها .

وجاء الاسلام والناس على هذا الحال ، ووقعت بينه وبين أعدائه الحروب فكان الأسرى المسلمون يسترقون عند أعداء الاسلام فتسلب حريتهم ، ويعامل الرجال منهم بالعسف والظلم الذي يجري يومئذ على الرقيق ،وتنتهك

(١) جاء في الموسوعة التاريخية المسماة « تاريخ العالم » في صفحة ٢٢٧٣ ما ترجمته : « وفي سنة ٥٩٩ ـ رفض الامبراطور الروماني « موريس » بسبب رغبته في الاقتصاد ـ أن يفتدي بضع ألوف من الأسرى وقعوا في يد الآوار ـ فقتلهم خان الآوار عن بكرة أبيهم » .

أعراض النساء لكل طالب ، يشترك في المرأة الواحدة الرجل وأولاده وأصدقاؤه من يبغي الاستمتاع منهم ، بلا ضابط ولا نظام ، ولا احترام لانسانية أولئك النساء أبكار كن أم غير أبكار ، أما الأطفال ان وقعوا أسرى - فكانوا ينشأون في ذل العبودية البغيض .

عندئذ لم يكن في وسع الاسلام أن يطلق سراح من يقع تحت يده من أسرى الأعداء . فليس من حسن السياسة أن تشجع عدوك عليك باطلاق أسراه بينما أهلك وعشيرتك وأتباع دينك يسامون الخسف والعذاب عند هؤلاء الأعداء ، والمعاملة بالمثل هنا هي أعدل قانون تستطيع استخدامه ، أو هي القانون الوحيد .

واذن فقد كانت ضرورة لا فكاك للاسلام منها ، ما دام العدو مصراً على استرقاق الأسرى ، والاسلام لا سلطان عليه ، ضرورة تظل قائمة حتى يتفق العالم على مبدأ آخر في معاملة هؤلاء الأسرى غير مبدأ الاسترقاق . ومع ذلك فينبغي أن نلاحظ فروقاً عميقة بين الاسلام وغيره من النظم في شأن الحرب وأسرى الحرب .

كانت الحروب - وما تزال - في غير العالم الاسلامي لا يقصد بها الا الغزو والفتك والاستعباد ، كانت تقوم على رغبة أمة في قهر غيرها من الأمم ، وتوسيع رقعتها على حسابها ، أو لاستغلال مواردها وحرمان أهلها منها ، أو لشهوة شخصية تقوم في نفس ملك أو قائد حربي ليرضي غروره الشخصي وينتفش كبراً وخيلاء ، أو لشهوة الانتقام .. أو ما الى ذلك من الأهداف الأرضية الهابطة ، وكان الاسرى الذين يسترقون ، لايسترقون

لخلاف في عقيدة ، ولا لأنهم في مستواهم الخلقي أو النفسي أو الفكري أقل من آسريهم ، ولكن فقط لأنهم غلبوا في الحرب ، وكذلك لم تكن لهذه الحرب تقاليد تمنع من هتك الأعراض أو تخريب المدن المسالمة ، أو قتل النساء والأطفال والشيوخ ، وذلك منطقي ، مع قيامها لغير عقيدة ولا مبدأ ولا هدف رفيع ٠

فلما جاء الاسلام أبطل ذلك كله ، وحرم الحرب كلها ، الا أن تكون جهاداً في سبيل الله ٠٠ جهاداً لدفع اعتداء عن المسلمين ، أو لتحطيم القوى الباغية التي تفتن الناس عن دينهم بالقهر والعنف ، أو لازالة القوى الضالة التي تقف في سبيل الدعوة وابلاغها للناس ، ليروا الحق ويسمعوه « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »(١) ٠ « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله »(٢) ٠

فهي دعوة سلمية لا تكره أحداً : « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي »(٣) ٠ وبقاء اليهود والمسيحيين في العالم الاسلامي على دينهم حتى اللحظة برهان قاطع لا يقبل الجدل ولا المماحكة ، يثبت أن الاسلام لم يكره غيره على اعتناقه بقوة السيف (٤) ٠

فاذا قبل الناس الاسلام واهتدوا الى دين الحق ، فلاحرب ولا خصومة ولا خضوع من أمة لأمة ، ولا تمييز بين مسلم ومسلم على وجه الأرض ،

(١) من سورة البقرة ٠ (٢) من سورة الأنفال ٠

(٣) من سورة البقرة ٠

(٤) شهد بذلك مسيحي هو « السرت » « وأرنولد » في كتاب « الدعوة الى الاسلام » ٠

ولا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى • فمن أبى الاسلام وأراد أن يحتفظ بدينه في ظل النظام الاسلامي ، فله ذلك دون اكراه ولا ضغط ، على أن يدفع الجزية مقابل حماية الاسلام له ، بحيث تسقط الجزية أو ترد ان عجز المسلمون عن حمايته(١) • فاذا أبوا الاسلام أو الجزية فهم اذن معاندون متبجحون ، لا يريدون للدعوة السلمية أن تأخذ طريقها ، وانما يريدون أن يقفوا بالقوة المادية في طريق النور الجديد يحجبونه عن عيون قوم ربما اهتدوا لو خلي بينهم وبين النور ـ عند ذلك فقط يقوم القتال ، ولكنه لايقوم بدون انذار واعلان ، لاعطاء فرصة أخيرة لحقن الدماء ونشر السلم في ربوع الأرض : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »(٢) •

تلك هي الحروب الاسلامية ، لا تقوم على شهوة الفتح ولا رغبة الاستغلال ، ولا دخل فيها لغرور قائد حربي أو ملك مستبد ، فهي حرب في سبيل الله وفي سبيل هداية البشر ، حين تخفق الوسائل السلمية كلها في هداية الناس •

ذلك فارق أساسي في أهداف الحرب وتقاليدها بين المسلمين وغير المسلمين ، ومع ذلك فلم يلجأ الاسلام الىهذا الطريق ، ولم يسترق الأسرى لمجرد اعتبار أنهم ناقصون في آدميتهم ، وانما لجأ الى المعاملة بالمثل فحسب ، فعلق استرقاق الأسرى على اتفاق الدول المتحاربة على مبدأ آخر غير الاسترقاق ، ليضمن فقط ألا يقع الأسرى المسلمون في ذل الرق بغير مقابل• ومما هو جدير بالاشارة هنا ، أن الآية الوحيدة التي تعرضت لأسرى الحرب : « فاما مناً بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها »(٣) • لم تذكر

---

(١) الأمثلة كثيرة منها مثالان وردا في كتاب أرنولد « الدعوة الى الاسلام » •
(٢) من سورة الأنفال •
(٣) من سورة محمد •

الاسترقاق للأسرى ، حتى لايكون هذا تشريعا دائما للبشرية ، وانما ذكرت الفداء ، واطلاق الأسرى بلا مقابل ، لأن هذا وذاك هما القانونان الدائمان ، اللذان يريد القرآن للبشرية أن تقصر عليهما معاملتها للأسرى في المستقبل القريب أو البعيد ، وانما كان أخذ المسلمين ، بمبدأ الاسترقاق لمصالح شرعية قائمة لا ينبغي تجاهلها ، وليس خضوعاً لنص التشريع الاسلامي • أما النساء فقد كرمهن ـ حتى في رقهن ـ عما كن يلقين في غير بلاد الاسلام ، فلم تعد أعراضهن نهباً مباحاً لكل طالب على طريق البغاء (وكان هذا مصير أسيرات الحروب في أغلب الأحيان) ، وانما جعلهن ملكا لصاحبهن فقط ، لا يدخل عليهن أحد غيره • وجعل من حقهن نيل الحرية بالمكاتبة ، كما كانت تحرر من ولدت لسيدها ولداً ، ويحرر معها ولدها ، وكن يلقين من حسن المعاملة ما أوصى به الاسلام •

تلك قصة الرق في الاسلام : صفحة مشرقة في تاريخ البشرية • فالاسلام لم يوافق على الرق من حيث المبدأ ، بدليل أنه سعى الى تحريره بشتى الوسائل ، وجفف منابعه لكي لا يتجدد ، وانما كانت هناك ضرورة لا يملك الاسلام الخلاص منها ، لأنها لاتتعلق به وحده ، وانما تتعلق بدول وأقوام لا سلطان للاسلام عليهم ، يسترقون الأسرى المسلمين ويسومونهم سوء العذاب ، فلابد من معاملتهم بالمثل (في مبدأ الاسترقاق على الأقل ، وان لم يكن في طريقة معاملة الرقيق) ، وقد قرر الاسلام بصراحة لا مواربة فيها أن الحرية للجميع ، والمساواة للجميع •

أما ما حدث في بعض العهود الاسلامية من الرق في غير أسرى الحرب الدينية ، ومن نخاسة واختطاف وشراء المسلمين لا يجوز استرقاقهم أصلا ، فان نسبته الى الاسلام ليست أصدق ولا أعدل من نسبة حكام المسلمين اليوم الى الاسلام بما يرتكبونه من موبقات وآثام ؟

انتهى ما أردنا نقله عن كتاب (شبهات حول الاسلام) حول الرق في نظر الاسلام مع اختصار لبعض المواضيع ، وحذف البعض لعدم الاخلال بحذفه .

س ـ بقي لي سؤال واحد ، أرى أنه سيكون خاتمة الأسئلة وهو جدير بالاهتمام والاعتناء : فبما أن الاسلام دين حضاري ـ دين الفطرة ـ دين العقل والعلم ـ دين عام ، شامل ، فآمل أن تذكر بعض مزاياه ، بما هو أشمل مع توخي الأهم فالأهم ، ليكون القارىء على بينة من تلك المزايا التي لامندوحة عن الاطلاع عليها ، والتعرف لها ؟

ج ـ أراك موفقا كما قلت لك فيما مضى في كل أسئلتك ، وانك لعلى هدى وبصيرة في سؤالك هذا ـ وأنه لجدير بالاهتمام ، وبأن يكون خاتمة لما سبق من أسئلة . وسنجعل الرد عليه تحت عنوان : (خاتمة) :

خاتمة

اتضح لنا أن الاسلام قد تفرد من بين النظم والأديان بخصائص سامية، وميز رائعة ، كفلت له على مرور الأيام هذا البقاء والخلود . ـ فهو يتناول بالتنظيم كل أمة من الأمم وكل شأن من شئون الحياة ، وكل ميدان من ميادينها . وانني سأتناول هنا ستة أبحاث على التوالي :

(١) الاسلام دين الفطرة . (٢) الاسلام دين عام .

(٣) الاسلام دين شامل .　　　　(٤) التبصر في تكوين الرأي .

(٥) التمسك بالحق متى تبين ، والثبات عليه .

(٦) التحرر من التقليد الأعمى .

(١) الاسلام دين الفطرة

دلنا الاستقراء أن النظام الذي يمد ظله على الناس ويتلقونه بالرضا والتقدير ، ويكتب له البقاء والخلود ، هو النظام الذي تكون مبادئه متناسقة مع فطرة لانسان ، فلا تقاوم ميوله وغرائزه ، بل تفتح المجالات لاشباعها بالأساليب الصحيحة التي تحقق له النفع والاستمرار وتؤدى الغرض الذي خلقها الله من أجله .

ولو أمعنا النظر في جوانب الدين الاسلامي من عقيدة وشريعة وتوجيه وتهذيب ، لرأيناه النظام الوحيد الذي يتفق ويتطابق جملة وتفصيلا مع الطبيعة الانسانية بما فيها من ميول ورغبات تتطلب هذا الدين ، لأنها تجد فيه ما يروي حاجاتها جميعا . ـ ولذلك كان الاسلام دين الفطرة ، بل عبر عنه القرآن الكريم بأنه الفطرة نفسها ، قال تعالى في سورة الروم : « فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . والمعنى الاجمالي للآية : فسدد وجهك واستمر على هذا الدين المستقيم الذي شرعه الله لك وهداك اليه ، متجهاً اليه وحده ، مائلا عن العقائد الزائغة . وهذه الشريعة خلقة الله التي خلق الناس عليها ، بحيث لو تركوا وشأنهم لاهتدوا اليها بدونارشاد،

وتلك هي الاسلام ، لاتبديل لخلق الله • فهذا الدين الفطري الذي تهتدي اليه النفس بلا تعلم هو الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون هذه الحقيقة فيه فينحرفون عنه ، وبذلك يخرجون عن فطرتهم السليمة ، ويعارضون الطبيعة الانسانية الصادقة •

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة •• »ـ وكثيرا ما يكون الانحراف بتسويلات الشياطين من الانس والجن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : « خلقت عبادي حنفاء مسلمين ، فاجتالتهم الشياطين ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا » ـ وفيما يلي نماذج من مطابقة الاسلام في جميع جوانبه للفطرة السليمة في جميع نواحيها :

(أ) كون الاسلام يدعو الى التوحيد :

دعا الاسلام الى الايمان بوجود الله وتوحيده ، وحارب الشرك والوثنية وما ينشأ عن ذلك من خرافات وأوهام بشتى صورها وألوانها : « قل هو الله أحد ، الله الصمد لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفؤاً أحد » • ولقد أقام القرآن الدليل على وحدانية الله عز وجل فقال تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » وقال سبحانه : « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض » • وعقيدة التوحيد هذه تنسجم كل الانسجام مع الفطرة ، كما مر في آية : « فأقم وجهك ••• » وحديث : « خلقت عبادي خنفاء ••• » ولقد دلت تحريات العلماء على أن التوحيد أصيل في الفطرة الانسانية • وأن الجماعات الفطرية موحدة ، أو

هي أقرب الى التوحيد . وأنه كلما كانت هذه الجماعات أقرب الى الفطرة ، كانت أقرب الى التوحيد ، وأن الوثنية طارئة عليها ، ومظهر من مظاهر انحراف الانسان عن فطرته . وفي القرآن الكريم : « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ » . وكأن هذا سؤال موجه للفطرة ، وتجيب الفطرة من أعماقها بأن التوحيد هو الحق وهو الخير ، وأن الوثنية باطل وشر . هذا عدى ما في العقل السليم من براهين على التوحيد .

(ب) ـ الاسلام من حيث هو نظام السلوك ـ يتفق مع الفطرة :

فالاسلام ـ الذي ينظر الى الانسان على أنه انسان ـ يعترف بغرائزه وميوله وقواه الجسمية والروحية الكامنة فيه ، فلا يقف دون حاجتها ، ورغباتها ، وانما ينظم لها مجاريها السليمة التي تحافظ عليها وتسمو بها . ـ ومن أمثلة ذلك :

(١) الزواج : فهذا النظام يعترف به الاسلام ، ويدعو اليه ويرغب فيه ويعتبره في كثير من الأحوال فريضة يأثم تاركها ، وكأن ذلك من هذا الدين اعتراف بالطبيعة الانسانية ومتطلباتها مع التنظيم والتوجيه السليم ، ليصل الكائن الحي الى الغاية التي من أجلها خلقها الله . ثبت في الحديث الصحيح أنه جاء ثلاثة رهط الى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟؟ أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني » ؟ . فهذا الحديث يدل على المطابقة التامة بين شريعة الله والفطرة الانسانية ، وأن الخروج عن هذا السبيل خروج عن الاسلام . ـ وبذلك خالف الاسلام اتجاه أولئك الذين يدعون الى الترهب وترك الزواج باسم الدين والعبادة ؛ اذ في ذلك تنكر لطبيعة الانسان ، فمن غير المعقول اهمال الانسان لغرائزه وميوله ، وقد تولد عن هذا الكبت أضرار ومفاسد يحمل التاريخ أنباء حوادثها ووقائعها وما تفعل بالمجتمع من فتك ذريع بأخلاقه ومبادئه . ـ وكما حرم الاسلام الترهب ـ وهو انحراف آخر في سبيل الفطرة . ولا أدل على أن الزنا انحراف عن سبيل الفطرة من أضراره الكثيرة التي تحل بالفرد جسما وعقلا وخلقا ، وبالذرية ، وبالمجتمع عامة .

(٢) اباحة التملك في حدوده المشروعة :

فمن فطرة الاسلام حبه للتملك . لذلك اعترف الاسلام بهذه الفطرة ونظم سلوكها اذ حد التملك بحدود مشروعة حرم تجاوزها ، فمن الحدود المشروعة مثلا التملك عن طريق السعي : « وأن ليس للانسان الا ما سعى ». وحرم بالمقابل كل كسب يأتي من طريق غير مشروع ، كالاعتداء والرشوة والغصب وأكل حق العامل والربا . ـ وقد حرم الاسلام الربا لما فيه من القضاء على ما في الفطرة الانسانية من روح الرحمة والتعاون الأخوي واستئصال الشعور الأخلاقي الكريم في الانسان ، وبذلك كان الاسلام منسجماً مع الفطرة .

(٣) اباحة الطيبات وتحريم الخبائث :

واباحة الطيبات في الاسلام مظهر واضح من مظاهر السير مع الفطرة : « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ ! » وفي المقابل حرم الخبائث : فضرب مثلا آخر على هذا الانسجام المحكم ، ومن الخبائث المحرمة الخمر : قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ؟ » ولا شك أن العقل السليم الذي يدرك ما في الخمر من أضرار بالأجسام والعقول والأخلاق والنفوس يؤمن بما في هذا التحريم من مسايرة للفطرة ٠

(٤) التكاليف ودرجتها :

طلب الاسلام من المؤمنين به تكاليف متنوعة ، ولو أمعنا النظر في هذه التكاليف لوجدنا أن كل واحد منها يسد من حاجات الفطرة ، وفي الوقت نفسه لم يكن في ذلك التكليف عنت ولا ارهاق ٠ فليس في تكاليف الاسلام ما يشق على الطبيعة الانسانية ، بل هي دائما في حدود المستطاع ٠ وما زاد على طاقة الانسان يخففه الاسلام عن الناس وهذا الموضوع هو ما يشار اليه بكون الاسلام (دين اليسر وعدم الحرج) : كما ترى في السماح للمريض مثلا بفطر رمضان على أن يقضي حينما يشفى من مرضه ٠ و (ما خير الرسول صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما) وفي ظل هذا الاتجاه طلب الاسلام الاعتدال في العبادة وعدم الغلو فيها فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « المنبت : لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى »(١) • فقد شبه الرسول المتعبد الذي يغالي ويرهق نفسه في العبادة حتى يعجز عن أداء ما كلف القيام به ، شبهه بالمسافر الذي يرهق راحلته حتى تتلف وينقطع عن السير فلا هو بلغ الغاية التي يريدها ، ولا هو أبقى الدابة التي تحمله في الأسفار •

(٥) تقرير الاسلام مبدأ الكرامة الانسانية :

وقد اعتبر الاسلام هذا الانسان أكرم مخلوق على وجه الأرض ، فقال تعالى ، : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » •

(٦) واذا كان حب الحرية فطرة انسانية أصيلة :

(فان الاسلام قد دعا اليها ، واعترف للانسان بها حين دعا الى عبادة الله وحده وحرر الانسان من العبودية لغير الله عز وجل ، وفتح طريق التحرير للأرقاء على أوسع مدى •

وفي تطبيق هذا المبدأ قال عمر كلمته المشهورة في حادثة القبطي مع ولد عمرو بن العاص فاتح مصر : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » واذا كان الاسلام قد أقر الحرية بأنواعها ، فقد قيدها بحرية الآخرين ، وبالنظام العام لئلا تنقلب الى فوضى ، وفي تقرير حق الحرية وتقييده لها بهذا الشكل محافظة على الحرية نفسها ، وملاءمة لفطرة حب الحرية في الانسان •

---

(١) المنبت ـ المنقطع ـ والظهر : الراحلة التي يركبها المسافر •

(٧) الدفاع عن النفس :

وحينما تتعرض حرية الأمة وعقـائدها وبلادها للخطر أباح الاسـلام ـ سـيرا مع الفطرة الدفاع المشروع ، بل دعا اليـه : « فمن اعتـدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتـدى عليكم » • والموت في هذا السبيل شـهادة في سبيل الله يكون لصاحبها شرف الحياة في جو علوي أقدس : « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون » •

(٨) المسئولية الفردية :

(كون الانسان مسئولا عن عمله) : فالانسان في الاسلام مسئول عن عمله هـو ، وغـير محاسب على خطيئة غـيره • وهذا مبـدأ فطري سليم ، قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخـرى » ، الوزر : ـ هو الاثم والذنب ، والمعنى : ان المذنب يعاقب بذنبه فحسب ، ولا يعاقب بذنب غـيره • وقال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » •

(النزعـة اللافطرية في حيـاة البشر وتحـديد الاسـلام لمفهوم الدين الحـق) :

لقد أصيبت الانسانية في بعض أدوارها بحمى الانحراف في فهم الدين اذ كان كثير من الناس يتصورون أن كل ما يخالف الفطرة ويقاومها هو الدين ، فحدثوا عن أحد المتعبدين أنه قام سـتة أشـهر في مستنقع ليقرص الذباب جسمه العاري ، وعبد أحدهم ثلاث سنين قائما على رجل واحـدة ، ولم ينم ولم يقعد طوال هذه المدة ، فاذا تعب أسند ظهره الى صخرة ، وكان بعض المتدينين لا يكتسون أبدا وانما يتسترون بشعرهم الطويل ، ويمشون

على أيديهم وأرجلهم كالأنعام « ويأكل كثير منهم الكلأ والعشب • وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ، وأزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة ، وأوغلهم في النجاسات والدنس • يقول أحد هؤلاء مثنيا على آخر : « انه لم يقترف اثم غسل الرجلين طول عمره » وقال أحدهم: « وا أسفاه لقد كنا في زمن : نعد غسل الوجه حراما ، فاذا بنا الآن ندخل الحمامات •••؟؟؟

ولقد كان من نتيجة هذه النزعة اللافطرية أن صفات المروءة والرجولة التي كانت تعد فضائل عادت فاستحالت عيوبا ورذائل • وزهد الناس في البشاشة وخفت الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها ، وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة المنزلية ، وعمت الظلمة والقسوة جميع نواحي الحياة • واستمر هذا الانحراف حتى جاء الاسلام مجددا لمفهوم الدين الحق ، ومصححا للمفهوم الخاطيء للدين • فوضع الحق في نصابه حين قرر للناس عامة أن دين الله الحق ليس هو المعارض للفطرة المقاوم لها والقاضي عليها ، وانما هو النظام الذي يهدي الانسان الى فطرته السليمة ، ويحافظ عليها من التشوه ، ويحفظها من الانزلاق في مهاوي الفساد •

والاسلام الذي يعترف بأن الفطرة الانسانية لا تزول ، لم يحاول الوقوف في وجهها بل أحسن استخدامها وتوجيهها •

وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم : فقد صرف شجاعة العرب التي فطروا عليها من المنافسات القبلية وأخذ الثأر الى الجهاد في سبيل الله واعلاء

كلمته ، كما صرف تبذيرهم في الانفاق ، ومغالاتهم في السماحة بما فطروا عليه من الكرم ، الى الانفاق في سبيل الله ، وشغلهم عن الجاهلية بالدين الاسلامي ، وأبدل الشيء بالشيء ، وأعطى النفس حقها من النشاط والترويح ، فان النفوس لا تترك شيئا الا بشيء ، وقد خلقت لتعمل لا لتترك الواقع أن السر يكمن في أن الله ـ خالق الطبيعة ـ هو منزل الشريعة ، وأن الله الذي يعلم حقيقة الانسان هو الذي نظم له حياته وجميع شئونه بالاسلام، قال تعالى : « قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ... » . وقال « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ » .

والآن ، من الذي يستطيع تحديد الفطرة حقا في كل أمر ، وما يطابقها وما يصلح لها وما يفسدها ؟ هو الله وحده لا اله الا هو الخالق العظيم الخبير العليم الذي من على الانسانية بالاسلام : « فأقم وجهك للدين حنيفا : فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

(٢) الاسلام دين عام :

اقتضت حكمة الله حين أوجد الخلق على هذه الأرض ، أن يهيىء لهم سبل الهداية ويدلهم على ما فيه خيرهم ورشادهم واصلاح حياتهم ، وكانت تلك الهداية عن طريق ارسال رسل مبشرين ومنذرين ، ولكن الأمم في تلك الأزمنة كانت متباينة غير مختلطة فيما بينها ، وكانت كل أمة متقيدة بحدود أرضها ، فكان من الصعب في مثل تلك الأحوال أن ينتشر في جميع أمم الأرض وشعوبها ، تعليم مشترك موحد ، زد على ذلك أن أحوال كل

أمة كانت مختلفة عن أحوال غيرها ، فمن أجل ذلك لم يكن بد أن يأتي الى كل أمة من أمم الأرض رسول يهتم بتعليمها وارشادها دون غيرها ، هكذا جرت واقتضت الحكمة أن يبعث كل رسول الى قومه خاصة : فقد أرسل الله مثلا الى عاد هودا ، والى ثمود صالحا ، والى مدين شعيبا •

قال تعالى : « والى ثمود أخاهم صالحا » • « والى عاد أخاهم هودا » • « والى مدين أخاهم شعيبا »(١) كما أرسل نوحا الى قومه أن أعبدوا الله ما لكم من اله غيره » وأرسل موسى الى فرعون وملئه : « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها » • وعيسى الى بني اسرائيل : « ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم ••• » وعلى الرغم من انحراف كثير من الأمم عن مبادىء التوحيد التي جاء بها المرسلون جميعا فقد انتشرت عقيدة الايمان بالله واليوم الآخر في أنحاء شتى من الأرض ، وسلمت الدنيا عامة بمجموعة من مبادىء الصلاح والأخلاق ، حتى أصبح من الممكن أن يعم الأرض كلها من أقصاها الى أقصاها دين واحد بعينه ، ويكون هو الدين الوحيد للانسانية جمعاء من غير ما فرق بين مختلف الأجناس والعروق ، يضاف الى ذلك ما حصل بين أمم الأرض من الاتصال والتعارف وتبادل النظريات الفكرية والعلمية • فبعد أن كان يبعث الرسول الى قومه خاصة في أرض معينة وبرسالة معينة ـ وان كان الرسل جميعا جاءوا بعقيدة التوحيد والايمان باليوم الآخر ـ أصبح من الممكن أن تتنزل رسالة الاسلام العامة وشريعته الكاملة للأرض قاطبة ، وبعث سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في بلاد العرب ، ونزل عليه الوحي يحمله رسالة

(١) تراجع سورة الأعراف •

الحق والخير ويأمره بابلاغها للناس أجمعين . « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » . « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » . « قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض » .

وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الناحية فيما نقل عنه في الحديث الصحيح ، قال : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة » .

فهذا الحديث الذي يعدد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خصه الله به من دون الأنبياء يقرر : أنه بعث الى الناس عامة ، وكان كل نبي من قبل يبعث الى قومه خاصة على النحو الذي سلف ذكره .

ما يلزم من عموم الرسالة :

هذا العموم الذي رأيناه في رسالة الاسلام يلزم منه أن الانسانية لم تعد بحاجة الى رسول جديد ورسالة جديدة ، وأن محمدا هو خاتم النبيين ، وأن الاسلام هو خاتمة الرسالات وناسخ لما قبله .

(١) ختم النبوة :

الحقيقة أنه لا حاجة للبشر اليوم الى نبي مرسل من عند الله تعالى بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأن من سنة الله أنه لا يرسل نبيا الا أن

تكون رسالة النبي المتقدم قد أنمحت ، أو تكون غير كاملة ، أو منحصرة في أمة خاصة ، فعندها تظهر الحاجة الى تجديد الرسالة أو اصلاحها واتمامها ، أو ارسال رسول جديد الى الأمم التي لم تخص برسالة كغيرها .

وهذه الأسباب التي جرت سنة الله بها في ارسال الرسل قد انعدمت بعد رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للأمور التالية :

١ ـ ان هداية النبي صلى الله عليه وسلم حية لم تمح ، وهي في متناول الأيدي ، فلا حاجة الى نبي آخر يجددها ويعرضها على الناس مرة أخرى ، وانما هي بحاجة الى أتباع صادقين ، يؤمنون ويعملون ويجاهدون .

٢ ـ جاءت رسالة الاسلام كاملة شاملة ليس فيها نقص أو قصور ، فهي ليست بحاجة الى نبي يضيف اليها أو ينقص منها شيئا .

٣ ـ لم تكن رسالة الاسلام منحصرة في أمة دون أمة ، أو زمن دون زمن ، وانما هي للعالمين جميعا ، فلم يبق لأمة من الأمم حاجة الى أن يرسل اليها نبي خاص بها من عند الله .

(٢) نسخ الاسلام لما قبله من الشرائع :

ان الرسالات السماوية التي أنزلها الله لهداية البشر . وبلغها رسله الكرام للأمم التي أرسلوا اليها ، تلتقي في العقائد وأصول العبادات ، ومكارم الأخلاق ، فما من رسول لله الا وقد دعا قومه الى توحيد الله والايمان باليوم الآخر والكتب والرسل والملائكة ، كما أوجب الله عليهم ألوانا من

العبادات يتوجهون بها الى خالقهم وتصلهم بربهم ، وحثهم على مكارم الأخلاق من فعل الخير واجتناب الشر والتزام الفضائل وتجنب الرذائل ، من أجل هذا وصفت الرسالات السماوية كلها : (بالاسلام) أي بالاستسلام الى أحكام الله وأوامره . قال تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... » وقال : « فلما أحس عيسى منهم الكفر ، قال : من أنصاري الى الله ؟ قال الحواريون : نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » . وقال حكاية عن يوسف : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين » . وقال حكاية عن سحرة فرعون حينما آمنوا برب موسى : « وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ، ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » .

غير أن شئون التشريع والمعاملات بين الناس خلت منها بعض الديانات، وتضمن البعض الآخر حلولا لها تصلح للقوم الذين بعث فيهم الرسول ناسخا لهذه الشرائع ، اذ جاء بتشريع فطري انساني عام يتناسب مع كل زمان ومكان ، فوضع أصولا لجميع النظم التي يمكن أن يحتاجها الفرد والجماعة، وبذلك أقر الدين الجديد القدر المشترك ، فكفل للانسانية سعادة الدنيا والآخرة .

وكان طبيعيا أن يشرع الاسلام للناس عبادات تتفق مع الغاية التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وهذه العبادات هي غيرها في الديانات السابقة وان اتفقت معها في الأصول .

وهكذا نستطيع أن نقول : ان الاسلام قد جاء ناسخا لغيره من الشرائع في هاتين الناحيتين ـ التشريعات العملية ، والعبادات ، قال تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » • وقال : « ان الدين عند الله الاسلام » • وقال : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » •

(٣) الاسلام دين شامل :

تمهيـــد :

خلق الله الانسان في أحسن تقويم ، وأعده لحمل رسالة عظمى تسعده وتسعد اخوانه من البشر ، وهو ـ بوصفه كائنا حيا ، ذا فكر وقلب ، وجسد وروح ، وفطرة اجتماعية لا غنى عنها ـ محتاجا الى مطالب كثيرة منها :

١ ـ العقيدة ونظام الفكر في الحياة •

٢ ـ المطالب المادية وكيفية تحصيله المال وانفاقه وتوزيع ثروته بعد وفاته •

٣ ـ حاجته الى تكوين أسرة يسودها الصفاء •

٤ ـ حاجته الى نظام عام يشمل أمور البيع والشراء والعقود وغيرها •

٥ ـ حاجته الى أنظمة تتناول شئون الحكم والاجتماع والاقتصادوالسلم والحرب ••• وغير ذلك •

واذا كانت التشريعات وليدة الحاجة ، فان النظم البشرية قد تفاوتت في وفائها بهذه الحاجات ، وفي كثير من الأحيان تفي ببعض هذه الحاجات

وتهمل ما عداها ، أو أنها تفي ببعضها على حساب البعض الآخر ، مما يجعلها تشريعات ناقصة وعرضة للتبديل والتغيير .. وتلك نتيجة طبيعية لعدم قدرة العقل البشري ـ مهما نضج ـ على استيفاء حاجات البشر ومطالبهم ، واقامة التوازن في هذه المطالب ، واصابة وجه الحق ، وتحقيق العدالة في التشريع .

وان نظرة واحدة الى ما كان يسود المجتمع البشري من قبل ، وما يسوده الآن من أنظمة هي من وضع البشر ، تعطيك الدليل الواضح على عدم شمول هذه الأنظمة ووفائها بحاجات الانسان ... فمن نظم مادية تهمل روح الانسان وعقيدته ، وتدعه قلقا حائرا في تعليل مظاهر الكون وادراك أسرار الحياة ، الى نظم روحية ضيقة تقوم على العزلة والبعد عن الحياة ، واماتة مطالب الجسد .. الى أنظمة عني واضعوها باسعاد فريق من البشر يمتاز بالغنى والثراء على حساب استغلال جهود فريق بائس محروم ، الى أنظمة تهمل الفرد وتصادر حريته ، وتحرم عليه التملك وتعتبره آلة في المجتمع تسيره الدولة وفق رغائبها ...

شمول رسالة الاسلام :

نجد من خلال دراستنا لمثل هذه الأنظمة ومقارنة بعضها ببعض أن الانسانية لم تسعد فيما مضى ، ولن تسعد في حاضرها ومستقبلها الا اذا اتخذت الاسلام بما فيه من شمول شرعة لها ومنهاجا : ذلك أن رسالة الاسلام من بين الشرائع كلها هي الرسالة الوحيدة التي جاءت ملائمة لحاجات الانسان ، وهي التي تكفلت بدلالة الناس على سائر النظم التي يتبعونها في كل شأن من شئون حياتهم .

فهي تعنى بمطالب الجسد والروح ، وتلبي رغائب العقل والضمير ، وتقيم قسطاس العدل بين حاجات الفرد وحقوق المجتمع ، وتسن تشريعاتها على أسس من العدالة والمساواة ، وتدفع الفرد لبناء الأسرة التي تكون نواة المجتمع الصالح ، وتضع الأنظمة التي تكفل الأمن والطمأنينة في حالة السلم، والذود عن العقيدة والوطن في حالة الحرب •

ادراك الشمول ومظاهره :

ان ادراك شمول رسالة الاسلام من الوجهة العلمية ، لا يتأتى كاملا بغير الدراسة الوافية للقرآن والسنة ، والمقارنة العميقة في وجوه الاتفاق ووجوه الاختلاف بين الاسلام وبين الديانات والأنظمة التي يتلاقى عليها أصحابها في بيئاتهم الاجتماعية ، ولكن نظرة سريعه في القرآن والسنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكتب الفقه الاسلامي وعبادة المسلم وأعماله تعطي فكرة واضحة عن مظاهر هذا الشمول :

(أ) مظاهر الشمول في القرآن :

لما كان القرآن الكريم هو المصدر التشريعي الأول ، فان القارىء ليرى بين دفتي المصحف ما يحتاج اليه البشر من تفصيل للعقائد ، وتنظيم لأحوال الفرد والأسرة والمجتمع وعلاقات الأمم بعضها ببعض : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » • وقد مر بك في مبحث (مقاصد القرآن) أمثلة عديدة توضح هذا الشمول •

(ب) مظاهر الشمول في السنة :

السنة هي المصدر الثاني للتشريع ، فمن الطبيعي أن تتنـاول ما تناوله القرآن من أحكام وأغراض ، فلم تدع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ناحية من عقيدة أو خلق أو تشريع الا وأتت على تفصيله وبيانه ، وقد مرت بك طائفة من أحاديث الرسول صـلى الله عليه وسـلم تعـالج نواحي شتى وتتناول أغراضا عدة ، وتفصل أحكاما متنوعة ، وهي نمـاذج تدل على مافي السنة من شمول •

(ج) مظاهر الشمول في سيرة الرسول :

ان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم سجل مشرق بجلائل الأعمال التي تتناول جميع جوانب الحياة ، وهي مرآة تنعكس عليها جميع الفضائل الانسانية التي اتفق البشر على تقريرها ، فهو الرسول الانسان الذي تمثـل فيـه قول الله : « قل انما أنا بشر مثلـكم » • وهو امام العـابدين ، وقائد المجاهدين ، والمثل الأعلى في العمل لمصلحة المجموع ، وهو المثل الـكامل في العدل والصدق والوفاء والأمانة والاخـلاص والرحمـة ، والقوة والحـزم والحكمة ، كما وصفه الله بقوله : « وانك لعلى خلق عظيم » • وقد كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كلها تطبيقا للمبادئ التي حواها القرآن الكريم ، ولقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خلق رسـول الله ؟ فقالت : « كان خلقه القرآن » •

ويتمثل شمول الاسلام في الدولة التي أقامها ، ويكفيك من وصفها أنها دولة تقيمها يد النبوة بأمر الخالق تبارك وتعالى(١) •

(د) مظاهر الشمول في الفقه الاسلامي :

لنمسك أي كتاب من كتب الفقه الاسلامي ، فاننا نجده يشتمل على أبواب وفصول متعددة تدل دلالة واضحة على شمول الاسلام • فأول ما يطالعنا : (باب العبادات) الذي ينظم أحكام الطهارة والصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها ، ثم (باب المعاملات) ويحتوي أكثر ما يسمى اليوم •• القانون المدني من بيع وشراء وايجارة وقرض وما الى ذلك وثم (باب نظام البيوت) ويشمل أحكام الأسرة من زواج وطلاق ووصية وميراث وغير ذلك • وبعده (باب الجنايات والحدود والقصاص) وبعضه يشمل ما يسمى اليوم (قانون العقوبات) • ثم يلي ذلك (باب الجهاد) وفيه الكثير من أحكام (السلم والحرب) وينظم شئون الأسرى والغنائم و (العلاقات الدولية) • وهناك أبواب كثيرة تبحث في أمور متفرقة مما تتناول الحياة العامة في جميع ميادينها •

آثار ونتائج لعموم الاسلام وشموله :

بعد أن تبينا معنى العموم والشمول ومظاهرهما ، تتجلى لنا ـ من خلال ما سبق ـ آثار ونتائج عظيمة لهذين الوصفين نشير الى بعضها فيما يلي :

---

(١) وأنت تعرف أنه صلى الله عليه وسلم مارس التجارة ، وكان أبا ، وكان زوجا ورب أسرة • وكان معلما ••• الى آخر ما تعرف من أحواله •

١ ـ عالمية الاسلام :

يعيش العالم اليـوم في ظل محاولات واسعة النطـاق لتحطيم الحـدود المحلية ، والالتفاف حول مبادىء يراد لها أن تكون عالمية ، وان الاسلام في كونه جاء للأمم جميعا ، ومن غير مراعاة للفـوارق الجنسية والطبقية ، هـو الطريق الوحيد لتحقيق ما تصبو اليه الانسانية من وحدة شاملة ، في ظـل مبادىء سامية عادلة ، تحقق له الطمأنينة والاسـتقرار ، وتسخر جهودهـا الفكرية والحضـارية للسـعادة والخـير ، لا للفتك والتدمـير ، حتى يعيش الانسان على هذه الأرض أخاً للانسان •

٢ ـ الاطمئنـان في ظـل الاسـلام :

يتمتع الانسان بالاطمئنان والارتياح التام في ظل مبـادىء الاسـلام ، لانه يسلم نفسه الى جهة واحدة والى رب واحد ، تكفل تنظيم كل ناحية من نواحي حياته ، وباعـده عن (ازدواج الشخصية)(١) فلا ينقسم المسـلم الى قسمين بين الدنيا والآخرة ، أو بين الجسد والروح •• ومن هنـا لم يـذهب الاسلام مذهب التفرقة بين ما لله وما لقيصر لأن الأمر في الاسلام كله لله : « بل لله الأمر جميعا » • فالمسلم الذي يتحقق بمعنى الاسلام قادر على تطويع قيصر لأمر الله ، لأن العقيدة توجب عليه ذلك ، تلك المـزية هي التي كان لها الفضل في صمود الأمم الاسلامية لسطوة الاستعمار ، وجهاده الطـويل لرد غائلته ، صوناً لعقيدتها وحريتها •

(١) تأمل قوله تعالى في سورة الزمر : « ضرب الله مثلا : رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل • هل يستويان مثلا ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » •

٣ ـ وحـدة أنظمة الاسلام وانسجامها :

ان الأنظمة المتعددة التي جاء بها الاسلام ، وشـملت كل جانب من جوانب الحياة ، منسجم بعضها مع بعض ، بحيث تشـكل وحـدة كاملة ، وضعها عليم خبير حكيم عادل • وهذه الوحدة كما نلحظهـا في الأنظمة الاسلامية ، نلحظها في تكامل الانسان نفسه ـ كما مـر آنفـاً ـ فالانسـان وحدة كاملة بكل طاقاته ومواهبه ، ومن أجل هذا كان عمل الفرد المسـلم جباراً في نشر الاسلام •

فقد صنعت قدرة هذا الفرد المسلم الواحد ما لم تصنعه جموع التبشير، ولا سطوة الفتح والغلبة : فجملة من أسـلم في البـلاد التي انتصرت فيهـا جيوش الدول الاسلامية هم الآن أربعون أو خمسون مليـونا بين الهـلال الخصيب وشواطىء البحرين : الأبيض والأحمر ، أما الذين أسلموا بالقدوة الفردية الصالحة ، ويبلغ عددهم مئات الملايين ، فهم كل من أسلم في الهند والصين وجزائر جاوة (اندونيسيا) وصحارى أفريقيا وشواطئها الا القليل الذي لا يزيد في بداءته على عشرات الألوف •

٤ ـ قدرة الاسلام على تحويل الأمم

تفرد الاسلام بمزية لم تعهد في دين آخـر من الأديان الـكتابية ؛ فان تاريخ التحول الى هذه الأديان لم يسجل لنا قط تحولا اجماعيا اليها من دين كتابي آخر بمحض الرضا والاقتناع ، كما أنه لم يحـدث قط في أمـة من الأمم ، وانما تفرد الاسلام بهذه المزية دون سائر الأديان الكتابية ، فتحولت اليه الشعوب فيما بين النهـرين ، وفي أرض الهـلال الخصيب ، وفي مصر

وفارس ، وهي أمم عريقة في الحضارة ، وكانت قبل التحول الى الاسلام تؤمن بكتابها القديم ، وتحول اليه أهل الأندلس وصقلية ، كما تحول اليه أناس من أهل النوبة غبروا على المسيحية أكثر من مائتي سنة ، وقد رغبهم جميعا فيه كونه دينا عاماً شاملا ، يجمع النفس والضمير ، ويعم بني الانسان على تعدد الأقوام والأوطان •

ونحن ندرك من هذا العرض الخاصتين من خصائص الاسلام وهما ـ كونه دين الفطرة ، وكونه ديناً عاما شاملا ـ سر خلود الاسلام ، و انتشاره الواسع في أرجاء الأرض ، والاحتكام الى كثير من قوانينه حتى ممن لايؤمن به ـ وان سموها بغير أسمائها ـ •

وليس كثيراً بعد هذا ، وقد وعدنا الله بنصره ، أن تتقد جذوة الأمل في نفوسنا ، فنؤمن أن الاسلام كما كان قوة الأمس فهو قوة اليوم والغد • اننا حين نؤمن بوعد الله ، ونثق بنصره ونعتز بدينه ، نكون قد أدركنا معنى ذلك النداء العلوي الخالد : «اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً » •

(٤) التبصر في تكوين الرأي

تمهيـــد :

خلق الله الانسان في أحسن تقويم ، وفضله على كثير ممن خلق ، بما منحه من قوة الادراك والتفكير ، وقد سخر له ما في السموات والأرض ليحكم الدنيا ، ويقوم بواجب العبودية لله وحده ، تلك العبودية التي فيها

كل معاني الحرية والكرامة . تلبية لقوله سبحانه : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »(١) - ولما كانت مهمة الانسان خطيرة جداً في هذه الحياة ، وكان كل اهمال منه لوسائل الادراك والفهم ، أو ميل مع الهوى يحول دون تحقق الغاية الكبرى ، ويعود عليه وعلى غيره بل وعلى الانسانية بما لا تحمد عقباه ، عني الاسلام عناية فائقة بتربية المسلم تربية واعية مدركة ، فحثه - من الناحية الفكرية - على اعمال العقل وبذل الجهد في البحث المجرد لاستكمال عناصر الحقيقة التي يبحث عنها ، أو الفكرة التي يريد الوصول اليها ، وحرم عليه التقليد الأعمى ، كما دعاه الى الثبات على الحق الذي آمن به عن دراية وتبصر . كل ذلك ليكون المسلم دائما نبراس الخير وداعية الحق ومصدر السلام .

ومما أرشد اليه الدين الاسلامي تحقيقاً لهذه التربية العظيمة اتباع الخطوات التالية :

١ - التبصر في تكوين الرأي :

ويراد بذلك أن يبني المسلم رأيه على المقدمات الصحيحة ، بحيث يستكمل شروط البحث العلمي القائم على تحري الدليل والتجرد من الغرض . وانما دعا الاسلام الى هذا التبصر خشية الانزلاق في تيارات الهوى والبدع والأوهام والانحرافات ونزعات النفس الأمارة بالسوء خصوصا في الايام التي تكثر فيها الآراء والاتجاهات في كل جانب من جوانب الحياة ، فالمسلم مدعو للتأني والتمهل حتى يستكمل عناصر الرأي والفكرة التي يريد

---

(١) ٥٦ - الذرايات .

أن يعتقدها ويتجه وجهتها ، فلا يفضل طريقا على آخر ، الا اذا قام لديه الدليل الواضح والحجة الساطعة المنيرة • قال تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسؤولا »(١) •

تدعو هذه الآية الكريمة المؤمن الى امعان النظر وتمحيص الرأي قبل اتخاذ أية خطوة ، أو سلوك أية سبيل ، وانه لتوجيه عظيم يجعل المسلم جديراً بخلافة الأرض ، وتسلم القيادة في ركب الانسانية الحائر ، وما أكثر ما يصاب المتسرعون في أحكامهم وآرائهم بالنكسات والمصائب ، وكثيراً ما يجرون على أنفسهم وعلى غيرهم الدواهي والنكبات •

وفي سير الأنبياء والمصلحين الذين وكلت اليهم قيادة الأمم نماذج رائعة من حمل الناس على التبصر في تكوين الرأي وما يؤدي اليه من الخير والفلاح •

أ ـ من ذلك ما قصه الله علينا في كتابه الكريم من دعوة ابراهيم ـ عليه السلام ـ قومه الى الايمان بالله الواحد ، ونبذ عبادة الأوثان التي كانوا عليها عاكفين • فلم يكن ذلك دعوة الى الايمان الأعمى بل رسم لهم طريق الاستدلال على وجود الله ووحدانيته ليتعرفوا طريقهم بوضوح ويؤمنوا بالله عن بصيرة • قال تعالى : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين • فلما جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال هذا ربي ! فلما أفل قال : لا أحب الآفلين • فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ! فلما أفل

---

(١) ٣٦ من سورة الاسراء •

قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا أكبر ! فلما أفلت قال : ياقوم اني بريء مما تشركون • اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين • »(١) •

هذه الطريق الواقعية في اقامة الحجة تبدو في الانتقال من مرحلة الى مرحلة بكل هدوء واتزان ، والمشهد يكاد يوحي الينا أن ابراهيم كان شاكاً، وما وصل الى الايمان الصحيح الا بعد أن مر بتلك المراحل من تساؤل عن أحد الكواكب هل هو الاله • ثم القمر ، ثم عن الشمس ••• وبعد أن رآها كلها عرضة للأفول آمن بالله الواحد • والحقيقة أنها الطريق الالهية الحكيمة في اقناع ابراهيم لقومه ، ودعوتهم الى الايمان بطريقة علميه عملية ، والاستشهاد بالواقع ؛ فكل ما يشاهدونه من مظاهر الكون والكواكب من شمس وقمر وغيرهما خاضعة للتغير والأفول حسب ما رسم الاله لهذا الكون من نظم يسير عليها وقوانين • وان وراء هذه المظاهر مهما عظمت الاهاً قادراً هو الذي خلقها وأوجدها ورسم لها سبيل انتظامها في هذا الكون العجيب •

« وحاجه قومه • قال : أتحاجوني في الله وقد هدان ؟ ! ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون ؟ ! وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم

---

(١) ٧٥ ـ ٧٦ ـ سورة الأنعام •

ينزل به عليكم سلطانا ؟ ؟ فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون • ألذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »(١) •

وهنا يبدو الموقف الرائع في حجاج يقوم على قوة الحجة ، كما يقوم على الثقة بالعقيدة الحاصلة بعد بحث ويقين • ومن هنا قال الله في شأن الحجة الوافعية من ابراهيم على قومه : « وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم »(٢) •

ب ـ وفي قصة سليمان مع الهدهد تبدو لنا آثار طيبة للتبصر في تكوين الرأي نلمسها في الآيات التالية : قال تعالى حكاية عن سليمان مع الهدهد : « وتفقد الطير فقال : مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟ لأعذبنه عذابا شديداً أو لأذبحنه ، أو ليأتيني بسلطان مبين • فمكث غير بعيد فقال : أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنبأ يقين • »(٣) • وبعد أن قص الهدهد قصة بلقيس ملكة سبأ،لم يستسلم سليمان لأقواله ، ولم يتسرع في الحكم عليه، بل أراد التحقق مما يقول لتكوين الرأى الصحيح على بصيرة وتأمل • فقال تعالى : « سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين • اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون • »(٤) •

وهكذا أدى تبصر سليمان عليه السلام في تكوين الحكم على الهدهد الى تلك الثمرة العظيمة هي : ايمان ملكة سبأ مع شعبها ، وانضمام تلك المملكة العظيمة الواسعة الأرجاء الغنية بمواردها وخيراتها الى ملكه العظيم •

(١) ٨٠ ـ ٨٢ من سورة الأنعام •
(٢) ٨٣ ـ من سورة الأنعام •
(٣) ٢٠ ـ ٢٢ سورة النمل •
(٤) ٢٧ ـ ٢٨ من سورة النمل •

وفي مثل هذا يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين »(١) . ويقول : « يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن .. »(٢) .

هذا وقد أفاد المسلمون من هذه التوجيهات القرآنية الحاثة على التبصر في تكوين الرأي فأصبحوا لا يصدرون الا عن فكر وتأمل وتمحيص، وبذلك خطوا خطوات واسعة في طريق البحث العلمي ، سواء في الدين أو العلوم المختلفة ، فأصبحوا مصدر الحضارة ومنبع العلم . ولنأخذ مثالا على ذلك علماء الحديث فقد كانوا يطوفون البلاد ـ على الرغم من قلة المواصلات وبطئها ـ في سبيل استقصاء طرق الحديث ليتمكنوا بعد ذلك من معرفة ما صح منه ، وما لم يصح ، وهذا البخاري رضى الله عنه يصرح بأنه جمع ستمائة الف حديث ، ثم انتقى منها مائتي الف حديث فقط بعد طول تمحيص وتبصر . وقد أقام هؤلاء الباحثون من المسلمين علماً كاملا بينوا فيه طرف التحري والتثبت في الاخبار ، حتى أصبحوا مرجع الأمم في ذلك ، وهذا العلم هو المسمى : (مصطلح الحديث) .

وفي الوقت الذي كان فيه الأوروبيون يستسلمون لأقوال أرسطو في الفلسفة والعلوم الطبيعية وغيرها دون دليل الا أن يكون قالها أرسطو ! كان علماء المسلمين ينتقدونها ويبينون فسادها ، ويجربون ، ويوصون باستعمال

(١) ٦ من سورة الحجرات . (٢) ١٢ من سورة الحجرات .

العقل والتجريب ، والحواس في حقل هذه العلوم ، للوصول الى حقائقها(١)٠ ولذلك رد غوستاف لوبون دعوى أن يكون هو أول من أوجد الطريق التجريبية في العلم ، وأثبت أن المسلمين هم أول من وضع تلك الطريقة وأوجدها وذلك أبسط ما يهدي اليه كتابهم الكريم ٠

وهذا كله بعض ثمرات الاسلام ، وفضله على أهله المؤمنين ، الآخذين بتوجيهاته ، والسالكين في سبيله في التربية والسلوك ٠

وكما حث الاسلام على التبصر في تكوين الرأي حذر من التقليد الأعمى ؛ والتقليد الأعمى أن يتبع المرء غيره في عقيدة أو خلق أو عمل من غير

---

(١) كان لمفكري الاسلام اهتمام بالعلوم التي تصطنع مناهج الاستقراء ، فاستخدموا في دراستها الملاحظة وزاولوا التجربة واستعانوا بالآلات التي مكنهم من صنعها العصر الذي عاشوا فيه ، وعنهم أخذت أوروبا الحديثة هذا النزوع العلمي الذي كان قوام المدنية الحديثة ٠ فمن هذه العلوم التجريبية علم الطب : كان الاسلام قد قضى على الكهانة وحارب الشعوذة في معالجة الأمراض ، فانصرف أطباء الاسلام من طب الخرافة الى طب علمي يقوم على الملاحظة والتجريب ، ويستعين بالآلات في طب الجراحة ، وكان هذا في وقت حرمت فيه السلطات الدينية في أوروبا صناعة الطب الذي يعالج الأمراض ، استنادا الى أن المرض عقوبة من الله ؟؟

وقد ثار المتدينون في مطلع القرن العشرين على « متشنيكوف » في فرنسا ، لأنه تمكن من علاج الزهري بمرهم كلورور الزئبق ! ٠٠

وقد عول الأروبيون على المؤلفات الاسلامية في الطب عدة قرون من الزمان ٠

ومثل هذا يقال في علوم أخرى اصطنع فيها المسلمون مناهج الاستقراء كالفلك ، والكيمياء ، والطبيعة ، وايضاحا لاتجاههم الاستقرائي التجريبي يحسن أن نقف وقفة عند الحسن بن الهيثم الذي يعد بحق من أعلام علماء الطبيعة في الاسلام ، ولد عام ـ ٣٥٤ هـ ـ ونشأ بالبصرة ، ثم انتقل الى القاهرة وتوفي بها عام ـ ٤٣٠ هـ ـ وهو أول من فكر في انشاء خزان أسوان ٠

ويسميه الفرنجة Alhazan

أن ينهض لديه دليل على صحة هذه العقيدة ، أو سلامة هذا الخلق ، أو حسن ذلك العمل .

والتقليد دليل واضح على ضعف الشخصية . لذا نراه يظهر واضحا في حياة الأطفال ، فهم يقلدون كل من يرونه ، ولا ينظرون الى ما يترتب على هذا التقليد من صلاح أو فساد ، وحسن أو قبح ، ومصلحة ومضرة .

وكما يظهر التقليد في حياة الأطفال ، يظهر في حياة أغلب الأمم الضعيفة المغلوبة على أمرها ، فانك تراها تسعى جاهدة لتقليد الأمة القوية الغالبة ، حتى لتكاد تنسى مقوماتها ، وتذوب فيها وتضمحل ظنا منها أن كل ما يقوم به القوي هو في غاية الحسن والابداع !

والاسلام الذي يريد من الفرد أن يكون ذا شخصية قوية غلابة ، يؤثر ولا يتأثر ، ويعطي ولا يأخذ ، ويريد من الأمة الاسلامية أن تحافظ على مقوماتها ، وأن تحتل مكان القيادة على سطح هذه البسيطة ، وفي وسط هذا العالم الخضم ـ قد نبه الى هذه الحقيقة ، وحذر اتباعه من الانسياق مع تيار التقليد الأعمى،وشدد النكير على أولئك الناس الذين يتخذون حلية غير الحلية الاسلامية ، وصبغة غير صبغة الأمة المحمدية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تشبه بقوم فهو منهم » وروي عنه : « لا تكونوا امعة : تقولون : ان أحسن الناس أحسنا ، و ان ظلموا ظلمنا ، ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا ، وان أساءوا فلا تظلموا »(١) . ـ وهذا حفاظ منه على الشخصية الاسلامية ، وابقاء على كيانها ووحدتها .

---

(١) رواه الترمذي عن حذيفة مرفوعا وقال : (حديث حسن غريب) .

وفي القرآن الكريم آيات جاءت في معرض التنديد والانكار على أولئك الذين أماتوا عقولهم وأهملوا تفكيرهم فاتبعوا غيرهم من غير فكر ولا رويه قال تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا . أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون؟ » . وقال : « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ؟ أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ؟ ! »

وفي القرآن صورة رائعة لحوار يدور بين المقلدين وأسيادهم ، عرضها بأسلوب تهكمي لاذع يجعل العاقل يتدبر الأمور ، ويتبصر النتائج : « ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول :

يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا : أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين .

وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا : بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً . وأسروا الندامة لما رأوا العذاب » .

وفي القرآن أيضاً : « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار » .

هذا وقد جاءت آيات كثيرة ، تصرح بأن الحجة وحدها هي كلمة الفصل ، وهي عماد الدين وأصل العقيدة ، فمن أضاعها فقد جنى على نفسه ،

وأوردها موارد الهلاك ، من ذلك قوله تعالى : « ونزعنا من كل أمة شهيداً فقلنا : هاتوا برهانكم ، فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون » •

هذا والمسلمون ـ من دون الناس ـ قد وفقهم الله بفضل هذا التوجيه الى تأسيس علم كامل يخلص من التقليد ، ويهدي الباحثين في الدين الى كيفية الفهم في دينهم والاستنباط منه ، والتشريع لشئون حياتهم وفقه ، ليكونوا دائماً على بينة بمصادر الدين الأولى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ينهلون منهما ، ويتحاكمون ـ اذا اختلفوا ـ اليهما ، عملاً بقول الله : « فان تنازعتم في شيء ، فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا » (الآية من سورة النساء) • ومن أهم فوائد هذا العلم : انه يسدد خطوات الباحث عند تكوين الرأي يكون على بصيرة ، وانه يحرر من التقليد ، ويساعد على الاستقلال في الرأي ، ويرد المؤمن الى الحق بما يبين من طرق الرسول اليه ، ذلك العلم العظيم الذي وضعه المسلمون لهذه الأهداف السامية هو : « علم أصول الفقه » •

(٦) التمسك بالحق متى تبين ، والثبات عليه

الى جانب الخطوتين السابقتين اللتين رسمتهما التربية الاسلامية وهما : التبصر في تكوين الرأي ، والتحرر من التقليد • تأتي الخطوة التالية التي هي بمثابة الحلقة المتممة ، وهي التمسك بالحق متى تبين والثبات عليه • وهذا خلق رفيع ومزية سامية تدل على قوة صاحبها ونبله وجدارته بالحياة وكفاءته للخلود •

وقد قص القرآن الكريم ، بأسلوبه الرائع المبين ، قصة فئة آمنت بالله على بصيرة وثبتت على الحق حينما تبين لها ، فعذبوا حتى أحرقوا بالنار فلم يهنوا ولم يستسلموا : قال تعالى في سورة البروج : « قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود • وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود • وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد • الذي له ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء شهيد ••• » •

وقص علينا أيضا قصة موسى والسحرة الذين آمنوا بربهم لما ظهر لهم الحق ، وانضموا الى موسى على الرغم مما كان وعدهم به فرعون من العطايا الثمينة ، وآثروا الصلب على الأعواد مع التمسك بالحق ، على المال والجاه والثراء مع ترك الحق وكتمانه والاصرار على الباطل والعناد والاستكبار : « فألقي السحرة سجداً ، قالوا : آمنا برب هارون وموسى • قال : آمنتم له قبل أن آذن لكم ؟ انه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم في جذوع النخل • ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى • قالوا : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات ـ والذي فطرنا ـ فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا • انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر • والله خير وأبقى » •

والرسول صلى الله عليه وسلم قد ربى الصحابة على الثبات على الحق بما كان يقص عليهم من أخبار المؤمنين السابقين : فعن أبي عبد الله خباب ابن الأرت رضى الله عنه قال : (شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا ؟ فقال : قد كان من

قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض حفرة ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار ، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله ، والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون) • رواه البخاري •

وقد كان لهذا التوجيه العظيم ـ في القرآن وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحديثه : أثره البالغ في نفوس المسلمين ، فاشتعلت حماسة وتضحية ، وضربوا الأمثلة الرائعة في التمسك بالحق والثبات عليه ، وقصة بلال الحبشي مشهورة ، فقد كان يلقيه سيده أمية بن خلف في الرمضاء على وجهه ويقول : لا تزال هكذا حتي تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فكان يجيبه بلال بكل أنفة وعزة ـ وهو تحت وطأة العذاب الشديد ـ أحد ـ أحد ؟ • كما ضرب ياسر وأسرته المؤلفة من زوجته سمية وابنه عمار أروع مثل في الثبات على المبدأ الحق ؛ لقد كانوا يعذبون عذابا شديداً دون أن ينال منهم عدوهم الجاحد مطلبا ، ولقد كان يمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعذبون ، ولا يملك قوة تنقذهم مما هم فيه ، فيشجعهم ويقول : « أبشروا آل ياسر فان موعدكم الجنة » وسقط الزوجان صريعين تحت أسياط العذاب ، واستشهدا في سبيل الله والثبات على الحق •

وروى لنا التاريخ أن المشركين لما أسروا في يوم الرجيع خبيب ابن عدي وزيد ابن الدثنة وهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدموا بهما مكة فباعوهما من قريش التي وجدت في قتلهما شفاء لأحقادها يوم ذاك

على الاسلام وأهله • فأما زيد فقد أخرجوه من الحرم ليقتلوه ، واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن فيمكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكاني الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في أهلي •

يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً •• ثم قتلوه رضي الله عنه •

فأما خبيب بن عدي فلما خرجوا به ليصلبوه قال لهم : ان رأيتم أن تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا • قالوا : دونك فاركع ، وأذنوا له • فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أني انما طولت جزعاً من القتل لاستكثرت من الصلاة • فكان خبيب أول من سن هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين ، ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه قال : اللهم انا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداة ما يصنع بنا ثم قال : اللهم احصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحدا • واستقبل الموت وهو ينشد :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً   على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ   يبارك على وصال شلو ممزع

هذه بعض صور من مشاهد البطولات والصبر في سبيل العقيدة والمبدأ الحق ، ينبغي أن تثير فينا شعور الحماسة والتضحية والثبات ، وتدفعنا الى

الأمام فتجعلنا متمسكين بالحق بل تلح علينا أن نكون داعين الى الحق بما أوتينا من قوة ، وهذا الواجب واجب الدعوة الى الحق قد أغفله كثير من المؤمنين ، فانطووا على أنفسهم ، وحرموا غيرهم من خيرات دينهم ، وما فيه من السمو والنفع للبشرية جمعاء •

ولقد قال تعالى حاضاً المؤمنين على الدعاية للاسلام الحق :

« قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » • وقال : « أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » • وقال : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » •

هذا ومهما يكن من فضيلة الثبات على المبدأ فانه ينبغي ألا يكون عناداً وألا يبلغ حد الاصرار اذا ظهر الحق في جانب آخر ، فان الحق أحق أن يتبع • والرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل • ومن أغرب صور العناد البشع أن بعض الغلاة كانوا يعتقدون بألوهية علي رضي الله عنه في حياته وخلافته ،فأحضرهم ووعظهم بترك ما هم عليه ، وعرفهم أنه انما هو عبد الله تعالى ، فلم يرعووا فهددهم بالحرق في النار اذا لم يرجعوا ؛ فما قبلوا فحرقهم ، فجعلوا يقولون وهم يلقون في النار « الآن صح عندنا أنه الله » !!؟ « وذكر المؤرخون(١) أن ابن سبأ ـ وهو يهودي تستر بالاسلام وكان يكيد له وللمسلمين ـ لما بلغه قتل علي بن أبي طالب قال : « لو أتيتمونا بدماغه ألف مرة ما صدقنا موته ••• » ! !

(١) انظر الشهرستاني في الملل والنحل ، وابن حزم في الفصل •

وختاما نسجل بمداد الفخر موقف أعلام المسلمين وأئمة المذاهب ؛ فقد كانوا يسارعون الى الرجوع لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تبين لهم صحته ، وكان شعارهم : « اذا صح الحديث فهو مذهبي » وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول : « اذا وجدتم لي مذهبا . ووجدتم خبراً على خلاف مذهبي ، فاعلموا أن مذهبي ذلك الخبر » . والمشهور من أمر الامام الشافعي أنه حينما رحل من بغداد الى مصر واطلع على أحاديث لم يكن قد اطلع عليها ، رجع عن رأيه في كثير من المسائل ، وكان له ـ « مذهب جديد » و « مذهب قديم » .

وبعد فالمسلمون في أقطار الأرض مدعوون الى تعرف قيمة هذه المبادىء السامية والشريعة الخالدة ، والى التبصر في تكويين آرائهم ، والى التمسك بالحق ، والى الثبات عليه والجهاد في سبيل اقامة دعائمه . والمسلمون حملة رسالة ، فهم مدعوون الى أدائها على الوجه الأكمل . فما أجدر المسلمين أن يتعرفوا الى رسالتهم ، ويتعرفوا الى أنفسهم كي يحتلوا منزلتهم الرفيعة تحت الشمس : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون .. » .

وفي ختام هذه الخاتمة أسجل هنا ما كتبه السيد سابق في كتابه : (اسلامنا) بتصرف تحت عنوان : ـ الاسلام دستور متكامل . ـ ليكون خاتمة الخاتمة لما اشتمل عليه من بحوث لا غنى عنها تتميما للفائدة المنشودة .

جاء فيه ما يلي :

ان الانسان في هذا العصر ـ بالرغم من المغريات المادية التي صرفته عن الدين ـ تهفو نفسه الى دين موثوق بأصله من جهة ، وقادر على أن

يسمو به الى الكمال المادي والروحي من جهة أخرى • ـ ونحن نجزم في ايمان وثقة • بأن الاسلام وحده ـ هو الذي توفر فيه هذان العنصران ، لأنه هو الدين الذيوضحت معالمه ، وكرمت مبادئه ، وثبتت مصادره ، وحفظت من التغيير والتبديل والتصحيف • « وانه لكتاب عزيز ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »(١) • « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »(٢) • وأنه كفيل بأن يحقق للانسان ما ينشده من ارتقاء ، وما يرجوه من كمال ورفعة • « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »(٣) •

والاسلام هو الدستور الكامل ، والمنهج الذي استهدف اقامة حياة انسانية رفيعة ••• يتحرر فيها العقل والضمير ، وتستقل فيها الارادة والتفكير ، ويشعر فيها كل فردبأنه سيد نفسه ، ومالك أمره ، وأنه لاسلطان لأحد عليه ، سوى سلطان الحق ، الذي يعلو ولا يعلى عليه • وهو الذي أهاب بالناس أن يفتحوا عقولهم ، ليعرفوا آيات الله في الكون ، وسننه في خلقه وحكمته في الطبيعة • « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء » (٤) • وتعطيل قوى الادراك ، وعدم الانتفاع بها ، يعتبر في نظره جريمة ، يسأل عنها الانسان ، ويحاسب عليها الحساب العسير • « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا »(٥) •

---

(١) سورة حم فصلت آية ٤٢ •
(٢) سورة الحجر آية ٩ •
(٣) سورة المائدة آية ١٦ •
(٤) سورة الأعراف آية ١٨٥ •
(٥) سورة الاسراء آية ٢٦ •

والاسلام بعقائده ، وعباداته ، ومثله ، وقيمه ، قد بعث الحياة في العواطف الجامدة ، واليقظة في القلوب الهامدة ، وحرك حواس الخير في الانسان لتتسع نفسه للعلاقات الحسنة ، والصداقات الطيبة ، والمعاشرة بالمعروف .

وانه الى جانب هذا حارب الظلم ، والبغي ، حتى لا تهدر كرامة أحد ، ولا تنتهك حرمة انسان ، ولا يشعر ضعيف بهوان ، ولا يحس فقير بضياع ، ولا يؤخذ مال بغير حق وأنه أراد أن يقيم أطهر حياة وأنظفها على وجه الأرض :

حياة لا شرك فيها ولا وثنية ... بل فيها التوحيد الخالص ، والعبادة لله الذي تعنو له الوجوه .

حياة لا ظلم فيها ولا استبداد . بل فيها حق وعدالة ، وحرية ، واخاء .

حياة لا جهل فيها ولا أمية . بل فيها علم ومعرفة وحكمة .

حياة لا رفث فيها ولا فسوق . ولكن طهارة ، ونظافة وعفاف .

حياة لا حسد فيها ولا حقد . بل فيها محبة ، وتعاون ، وتآزر وتناصر .

حياة لا سرف فيها ولا ترف . بل فيها بذل ، وكرم ، وايثار .

حياة لا خمر فيها ولا قمار . بل فيها كدح وعمل ، وطلب لما أحل الله. وأنه استهدف تهذيب الفرد ، وتعاون الجماعة ، وايجاد حكم أساسه الشورى؛ وغايته حراسة الدين ، وسياسة الدنيا ، وجعل في طليعة وظيفته الدعوة الى هداية هذا الدين ؛ لتعم الأخوة الانسانية مما يعجل بسلام عام ، يعيش الناس في ظله آمنين .

هذا هو الاسلام الذي يمكن أن نقدمه للناس في عصر العلم والاكتشاف الذري. وان هذا الوقت لهو أنسب الأوقات للنهوض بهذه الرسالة السامية.

فقد انتهت معظم الآراء في أوروبا وأمريكا الى وجوب المناداة بالعودة الى الدين ؛ لأن التطور المادي الذي لم يصحبه سند من روح تطور خطير لا غاية له الا الخراب والدمار ، ولأن النفوس قد أفسدها الطمع ، والجشع ، والشره ، والانانية ، وهم أحوج ما يكونون الى اصلاح هذه النفوس وعلاجها ، ليسود المجتمع المودة ، والرحمة ، والمعاونة ، والايثار ، والسماحة والطيبة .

وهذه الفضائل لا مصدر لها الا الدين والايمان .

وليس من دين سوى الاسلام ، يستطيع تقديم هذه الفضائل الانسانية، وليس هذا هو رأينا الخاص ، وانما هو رأي علماء الغرب الذين درسوا الاسلام ، ووقفوا على حقائقه .

يقول جولد زيهر : ـ

« انه اذا أردنا الانصاف ينبغي أن نؤمن بأن في منهج الاسلام قوة صالحة ، توجه الانسان نحو الخير . وأن الحياة المتفقة مع التعاليم الاسلامية حياة أخلاقية لا غبار عليها ذلك .. أنها تتطلب الرحمة نحو جميع مخلوقات الله ، والوفاء بالعهود واجبة ، والاخلاص وكف غرائز الأنانية ، الى هذه الفضائل التي أخذها الاسلام من الديانات التي اعترف لأصحابها بالرسالة . « ألمسلم الصالح هو الذي يحيا حياة يحقق فيها مطالب خلقية قاسية » ولكي

يتم هذا في أقصر وقت وبأقل جهد ، لابد من أن تتبنى الدولة الاضطلاع بهذا العبء ، أو تحتضنه أمة مخلصة ، فان جهد الأفراد أضعف من أن يحتمل النهوض بهذا الأمر الكبير •

وعلى الدولة أو الأمة التي تتبناه أن تتمثله علماً وعملا ، وأن تكون صورة صادقة لمبادئه ، وتعاليمه ، كما جاء في الكتاب والسنة •

وبعرض الاسلام في صورته الصحيحة وفي صورته العلمية التطبيقية نكون قد أقمنا الدعوة الاسلامية على أساس متين • بينما يكون علمنا وعملنا أقوى حجة ، وأوضح برهاناً ، في الاقتناع ، والاستدلال ، وافحام من يتصدى لنا من الخصوم المعارضين •

ان الاسلام قوي بنفسه ؛ لأنه الحق ، ولكنه في حاجة الى رجال يوضحون حقائقه ، ويظهرون معالمه ، ويضحون من أجله •

وان أي جهد يبذل من أجل الاسلام لهو خدمة للانسانية نفسها وهي أحوج ما تكون اليه •

وان مئات الملايين من البشر الذين يؤمنون بالاسلام ويدينون به ، والذين يشغلون حيزاً كبيرا من أرض الله الواسعة ، ليحتاجون الى من يزيدهم علما بالاسلام ، وتبصراً به ، وهم من جانبهم مستعدون لأن يكونوا جنود هذا الدين ، وأنصاره المخلصين ولن يدخروا وسعا في اعزازه وتأييده ، ومناصرة كل من يمد يده اليهم •

ان صراع المبادىء اليوم على أشده وانه بالغ غاية العنف •

وان كل دولة تتخذ كل الوسائل الممكنة لها ، لترويج افكارها والدعاية لمذهبها ، فتنشيء الوزارات ، وتجهز الأجهزة ، وتستغل الطاقات الفكرية ، والأدبية ، والفنية ، لتأييد ما تراه ، واقناع الآخرين به •

واذا كانت هذه الدول تنفق عن سعة ، وتبذل هذه الجهود ، من أجل تأييد أفكارها البشرية القابلة للتغيير والتبديل ، فان المسلمين أحق بالبذل وأولى بالتضحية ، وأجدر بالتنظيم • لحماية الاسلام الحق ، والتبشير به ، والدعاية له ، في آفاق الدنيا الرحبة ، المتعطشة لهداية الله ، والفقيرة الى من يرشدها الى الحق وينير لها الطريق •

وان هذا لهو جهاد الوقت ، ولايقل في قيمته عن جهاد الحرب والقتال• وأي جهد يبذل في هذا السبيل لهو جهد عظيم يباركه الله ، ويثيب عليه أجزل مثوبة ••

انتهى ما أردنا تسجيله هنا من كتاب (اسلامنا) للسيد سابق بالحرف•

وبهذا أختتم هذا المؤلف الذي جمعته بأمانة من مصادر موثوقة ، توخيت منها الأهم فالأهم ، سائلا الله سبحانه أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، ومقرباً الى جواره في جنات النعيم • وأن يجعله كثير النفع جليل الفائدة ، انه على كل شيء قدير ، وبالاجابة جدير • وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسول الله وخاتم أنبيائه ، الداعي الى السبيل الأقوم ، والدين الأعم ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم حذو القدم بالقدم •

وكان الفراغ من كتابته بعد تأليفه في عشرين من شهر شعبان سنة ١٣٩١ هجرية الموافق لعشر من شهر اكتوبر سنة ١٩٧١ ميلادية ٠ ومن نساخته بعد أن صححه ولاحظ عليه صاحب الفضيلة العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز في يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر شوال سنة ١٣٩٦ هجرية الموافق لاثنتي عشرة يوما في شهر اكتوبر من سنة ١٩٧٦ ميلادية بقلم المؤلف ؟

نِداءٌ الى المُسلِمْ

تأليف : محمد علي بافضل

أيُهَا المُسْلِمُ سَلِّم للالهْ ... واعمل الخيرَ وسَارعْ في رِضَاه

وحِّد اللهَ بِصِدق جازمٍ ... وانْفِ عن قَلْبِكَ مَرجُوًّا سواه

كن لربِّ الكون عبداً طيّعاً ... تبلُغِ المأمولَ حتى مُنْتَهاه

لا تُسالِم من غَدَى مُسْتَسْلِماً ... لضُروب الشِّرك عبداً لهواه

تَخِذَ العادات ديناً واحْتَمى ... بِضعيفٍ لاذَ يَدْعُو بفناه

أغضَبَ اللهَ وأرْضى غيرَهُ ... وادَّعى زُوراً لِواذاً بحماه

لابساً ثوب التُّقى في زَيّه ... وعلى الجبْهَة عُنوانُ الصّلاة ؟

بارزَ اللهَ ولم يَحْفِلْ بما ... جَاء في التّنزيل رَدْعاً للعُصاة

طالباً دُنْيا وَجَاهاً زائفاً ... باسطاً كفّاً لها تَعْنُو جِبَاه ؟؟

عُنصُريٌّ هامَ في سَكْرَتِه ... عَنْجَهيٌّ في مَتَاهِ الفَخْرِ تَاه

ناسياً آدمَ والأصلَ الذي ... جَعَلَ الكُلَّ مَعاً في مُسْتَواه

لُحْمَةُ الدِّين سُدَاهَا أُمَّةٌ ... وَحَّدَتْ أهْدَافَها في مُرْتَقَاه

لا ترى للنَّوعِ فيها موضعاً ... يُورِثُ الفُرقَةَ عِنْدَ الاشتباه

بل ترى الدِّينَ سيَاجاً واقياً ... ليسَ للتمييز فيه من دُعاه

فلذا لاذَت به واقتنعَتْ ... واستَقَتْ من نَبْعِهِ ماءَ الحَيَاه

ترفضُ الاسلالَ(١) والاغلال(٢) … كي تتقي ما انْدسَّ فيه من غُلاه
تبتغي الاسلام دينا خالصاً … واعتصاماً واهتداءً بهداه
انه الدين فلن يقبل من … كلِّ ذي دين لدى المولى سواه
أيُّها المُسلمْ سِرْ في نَهْجِه … وتَبَتَّلْ وتَمَسَّك بِعُراه
وادْعُ للتَّوحيد من حادَ الى … نَبْعِه الصّافي لِيَرْوَى من صداه
أدْعُ بالحُسْنَى وبالحكمة والْمَـ … ـثَلِ الأعلى تكُنْ خَيرَ الدُّعاه
اطْرَح العادَات كُلاًّ جانباً … والزَمِ الشَّرعَ وجُلْ فيما انْتقاه
انَّما العاداتُ في الدِّين هُرًى … وضلالاتٌ تُنَافي ما احْتَواه
حَكِّمِ القرآن والسُّنَّةَ في … كُل أحْوالكَ تظْفَرْ بالنَّجاه
هذه الصيحةُ يَدْوِي صوتُها … عَلَّها تُرْجِعُ مَنْ وَلَّى وتاه
فازَ من لَبَّى بأعلى صوتِه … ها أنا المُسلِمُ سِلْماً للالَه

---

(١) معنى الاسلال : السرقة والغدر .
(٢) الاغلال : الخيانة .

مصــادر ومراجــع الدعوة

١ ــ تفسـير ابن كثـير ٠

٢ ــ تفسـير البيضـاوي ٠

٣ ــ تفسـير المنار ــ للسيد محمد رشيد رضا ٠

٤ ــ التفسـير الواضح ــ لمحمـد محمود حجازي ٠

٥ ــ في ظـلال القــرآن ــ لسيد قطب ٠

٦ ــ رسالة التوحيـد ــ للشيخ محمـد عبده ٠

٧ ــ قصص الأنبيـاء ــ لعبد الوهاب النجار ٠

٨ ــ فتـاوي الشيخ محمود شلتوت ٠

٩ ــ مسألة جليلة في التوسل والوسيلة ــ لشيخ الاسلام ابن تيمية ٠

١٠ ــ المجموعة في الأحاديث الموضوعة ــ للشوكاني ٠

١١ ــ جامع العلوم والحكم ــ لعبد الرحمن بن رجب الحنبلي ٠

١٢ ــ رياض الصالحين ــ ليحيى بن شرف النووي ٠

١٣ ــ الاعتصـــام ــ للشاطبي ٠

١٤ ــ فقه السنة ــ للسيـد سـابق ٠

١٥ ــ اقتضاء الصراط المستقيم ــ لابن تيمية ٠

١٦ ــ زاد المعـــاد ــ لابن القيم ٠

١٧ ــ الاســلام الصحيح ــ للنشاشيبي ٠

١٨ ــ مسند الامام زيد بن علي ٠

١٩ ــ كتاب التوحيد ــ لمحمـد بن أحمد العـدوي ٠

٢٠ ــ السنن والمبتدعات ــ لمحمد عبد السلام الحوامدي ٠

٢١ ـ الابداع في مضار الابتداع ـ للشيخ علي محفوظ من كبار علماء الأزهر السابقين .

٢٢ ـ صيحة الحق ـ لأبي الوفاء محمد دويش رئيس أنصار السنة الأسبق بسوهاج .

٢٣ ـ تطهير الاعتقاد من أدران الالحاد ـ للصنعاني .

٢٤ ـ سبل السلام للصنعاني .

٢٥ ـ كتاب ليس من الاسلام ـ لمحمد الغزالي .

٢٦ ـ فقه السيرة له .

٢٧ ـ كتاب مع الله له .

٢٨ ـ من هنا نعلم له .

٢٩ ـ من ركائز الايمان له أيضاً .

٣٠ ـ كتاب محمد رسول الله ـ لمحمد رضا .

٣١ ـ شبهات حول الاسلام ـ لمحمد قطب .

٣٢ ـ فصل الخطاب ـ لأحمد بن شكرت الله بن العاقب المدرس بمدارس الارشاد بجاوة سابقاً .

٣٣ ـ المشرع الروي في مناقب بني علوي ـ لمحمد بن أبي بكر الشلي باعلوي .

٣٤ ـ مجلة الهدى النبوي ـ لجماعة أنصار السنة بالقاهرة .

٣٥ ـ مجلة الذخيرة ـ لمحمد أحمد سوركتي ناظر مدارس الارشاد بجاوة سابقاً .

٣٦ ـ المنهج الديني لمدارس السودان الثانوية ، جزء ـ ١ ـ .

٣٧ ـ التربية الاسلامية للمدارس الثانوية بجمهورية مصر العربية ، جزء ـ ١ ـ .

٣٨ ـ مجلة التمـدن الاسلامي الدمشقية .

٣٩ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ـ لابن تيمية .

٤٠ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ لعبـد الرحمـن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب .

٤١ ـ الوحي المحمدي ـ للسيد محمد رشيد رضا صاحب المنار .

٤٢ ـ النهاية بشرح المنهاج ـ للشيخ محمد الرملي .

٤٣ ـ بغية المسترشدين ـ لعبد الرحمن بن محمد المشهور باعلوي.

٤٤ ـ المنهج الديني للمدارس الوسطى السودانية ـ جزء ـ ٤ ـ .

٤٥ ـ فيض القدير ـ للمناوي .

٤٦ ـ الأسئلة والأجوبة الأصوولية على العقيدة الواسطيـة ـ تأليف عبد العزيز المحمد السلمان .

٤٧ ـ اسلامنا ـ تأليف السيد سابق .

٤٨ ـ كتاب مع الله ، في صـفاته وأسمـائه الحسنى ـ تأليف ـ حسن أيوب .

فهرس لمحتويات كتاب الدعوة إلى طريقة السلف

الصفحة

تقديم لفضيلة الشيخ السيد السيد رجب
المقدمة بقلم الشيخ سعيد عوض باوزير ٥
خطبة الكتاب للمؤلف ٩
علم التوحيد ١٠
العبادة وأقسامها ١٦
تقسيم صفات الله بحسب الحكم العقلي ١٧
صفات الله الواجبة والمستحيلة والجائزة ١٨
الصفات العشرون ومعانيها وأضدادها ١٨
الرسل وما يجب في حقهم وما يستحيل وما يجوز ٢٠
الايمان بالكتب المقدسة ٢١
الايمان بالملائكة ٢٢
الايمان باليوم الآخر ٢٤
الايمان بالقضاء والقدر ٢٤
عمر بن عبد العزيز وغيلان القدري ٢٧
معاني الصفات الواجبة في حق الله تعالى ٢٩
ابن تيمية وما افتري به عليه ٣٦
الدليل العقلي والنقلي على صفات الله تعالى ٣٩
بعض مظاهر قدرته تعالى ٤٥
أفعال الله تعالى ٥٢
الأدلة على وجود الاله بناء على الفطرة كما في البراهين الآتية ٥٤
برهان الخلق والابداع ٥٥
برهان الحركة والمحرك ٥٧

الصفحة

برهــــان الغــــاية ٦٠

الوحــدانية والدليــل عليهــا ٦٢

الدليــل على وحــدانية الله تعالى ٦٢

موقف الفلاسفة من وجود الاله ٦٤

موقف علماء الطبيعة من وجود الاله ٦٥

الأنبياء وما اختصهم الله به ٦٩

اختصاص النبي محمد صلى الله عليه وسلم بعموم الرسالة ٧٠

ما نسب الى الأنبيــاء من قصص تتنافى مع عصمتهم ٧٢

ما نسب الى نبي الله داود عليه السلام... ... ... ٧٢

ما قيل حــول فتنة سليمان عليه السلام ٧٥

ما ذكر عن أيوب عليه السلام ومرضــه ٨٢

شــفاعة الغرانيق ٨٦

قصة زينب بنت جحش مع زيد بن حارثة ٩٣

كلمة عن تعــدد أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ٩٩

المعجـــزة ولمــن تــكون ١٠٢

من بهرتهم بلاغة القرآن ، وشهدوا بكونه من عند الله ١٠٣

من معجزة القرآن الاخبــار بالمغيبات ١٠٦

معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها انشقاق القمر ١٠٧

حاجـــة النـــاس الى الرســل ١١٤

السمعيــات ١١٧

الجن لا يعلمون الغيب ١٢٠

البعث واليوم الآخر وما يقــع فيه ١٢٧

اسكان آدم وزوجته الجنة وما تلك الجنة ١٣٥

ومن السمعيات رؤية الله في الآخــرة ١٣٧

الدعاء ينفــع العبــاد ١٣٨

الصفحة

شروط الدعاء وآدابه ١٤٠
ألشرك والأصل فيه ١٤١
الشرك في العبادة ١٤٢
الدعاء عبادة لا يستحقها الا الله تعالى ١٤٢
هذا ما يفعله الجهل بأهله ١٤٤
دعوات الأنبياء كما جاءت في القرآن ١٤٧
دعوة غير الله شرك وضلال ١٥٠
ما يستدل به الداعون غير الله ١٥٣
وحدة الوجود خرافة ١٥٩
من مزاعم الروحية الحديثة القول باستحضار الأرواح... ... ... ١٦٢
أولياء الله حقا من وصفهم في كتابه ١٧٦
أولياء الشيطان وما به يتميزون عن أولياء الرحمن ١٧٨
حول كرامات الأولياء ١٧٩
معجزات الأنبياء ليست من صنعهم ١٨٤
حديث علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ١٨٦
حديث الأبدال المشهور لدى أدعياء التصوف ١٨٨
مزاعم الذين يستغيثون بالأولياء ويتقربون اليهم بالنذور ١٨٩
الجهل لا يكون عذراً في اعتناق العقائد الشركية ١٩٤
المستغيثون بالموتى : ١٩٧
النذر للأولياء لا يجوز ولا يجب الوفاء به ١٩٩
الحجة على من يدعون غير الله ٢٠٣
الغيب لله وحده ٢٠٩
أسماء الله الحسنى ٢١١
ما نسب الى المشهورين بالولاية بحضرموت من خوارق غيبية ٢١٧
ما قيل حول حسن الظن ٢٢٢

الصفحة

تعريف الحديثين النبوي والقدسي ٢٢٤

الحديث القدسي والقرآن ٢٢٦

التوسل بجاه الأنبياء ـ والأولياء ـ أو بحقهم على الله غير مشروع ... ٢٢٦

التوسل المشروع ٢٢٨

الشفاعات الشرعية ٢٣٥

الشفاعة الشركية ٢٣٩

تعريف السنة ٢٤٤

تعريف البدعة أو البدع ٢٤٧

قسموا البدع الى خمسة أقسام ٢٥١

التمثيل على البدعة اللغوية ٢٥٣

حول الحقيقة والشريعة ٢٥٦

عمل الناس اليوم مشوب بالبدع ٢٥٩

نموذجاً من تأويلهم الفاسدة ٢٦٣

الاجتهاد والتقليد ٢٦٩

الأئمة الأربعة ينهون عن التقليد الأعمى ٢٧٢

قولهم الاختلاف رحمة ٢٧٦

الاقتداء بمذهب دون مذهب ٢٧٨

عهد التقليد ٢٨١

نبذة موجزة في ترجمة أئمة المذاهب الأربعة ٢٨٣

من أصول التشريع ـ الاجماع والقياس ٢٨٨

اختلاف الفقهاء ـ أسبابه وموضوعه... ... ... ٢٩٠

موضوع الخلاف ٢٩١

السنة النبوية والتمثيل عليها ٢٩٣

منزلة السنة من القرآن ٢٩٣

وظيفة السنة ٢٩٤

الصفحة

كتابة السنة في عصر النبوة ٢٩٥
كتابة السنة في عصر التابعين ٢٩٧
صيانة السنة وظهور الحاجة لتدوين ضوابطها العلمية ٢٩٨
أشهر كتب السنة ـ وأصحابها ٣٠٣
الاصطلاحات ٣٠٥
التفويض في التشريع ٣٠٥
ما جاء حول زيارة القبور ٣٠٧
حكم بناء المساجد على القبور ٣٠٨
تجصيص القبور ـ والبناء عليها ـ واضاءتها ٣١١
علة هدم القبور المشرفة ٣١٥
تحريم الجلوس على القبور... ... ... ٣١٦
ما جرت به العادة من تلقين الميت بعد دفنه ٣١٧
شد الرحال لزيارة القبور بدعة... ... ... ٣١٩
ما قيل حول هبة القرآن للموتى ٣٢٤
اقامة المآتم وصنع الطعام للمعزين ٣٢٦
النياحة على الميت ، وما جاء في شأنها ٣٢٨
الذكر برفع الصوت مع الجنازة ٣٣٠
بدع الموالد وأول من أحدثها وأدوارها التاريخية ٣٣٤
ما جاء حول حفل الميلاد النبوي ٣٣٨
الحلف بغير الله تعالى ٣٤٤
الذبح لغير الله تعالى ٣٤٦
حول حمل التمائم والأحجبة ٣٤٨
هل تمنع التميمة اذا كانت من القرآن ٣٥٠
بدعة يوم عاشوراء ٣٥٥
بدعة ليلة النصف من شعبان ٣٥٧

	الصفحة
صلاة الخمسة الفروض بنية القضاء في آخر جمعة من رمضان	٣٦٠
صلاة الرغائب التي تفعل في أول ليلة من رجب	٣٦٢
البدع التي في العبادات	٣٦٤
المساواة في الاسلام	٣٧٠
الكفاءة في النكاح بين المسلمين	٣٧٥
الاسلام والمرأة	٣٨٤
وضع المرأة في الاسلام	٣٨٧
مواضع التفرقة بين الرجل والمرأة في الاسلام	٣٩٤
حكمة تعدد الزوجات	٤٠٢
ألعلة في تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٠٧
الاسلام والرق	٤٠٩
خاتمة	٤٢٨
الاسلام دين الفطرة	٤٢٩
الاسلام دين عام	٤٣٧
الاسلام دين شامل	٤٤٢
التبصر في تكوين الرأي...	٤٤٩
التحرر من التقليد الأعمى	٤٥٥
التمسك بالحق متى تبين والثبات عليه	٤٥٨
الاسلام دستور متكامل	٤٦٣

تصويبات كتاب دعوة الخلف الى طريقة السلف

ص	س	خطأ	صواب
٦	١٠	رضونه	رضوانه
١٣	١	لا احترقت	لاحترقت
١٧	١١	اعتفاده	اعتقاده
١٨	١٨	وافعله	وافعاله
١٩	١٧	وسميتت	وسميت
٢٣	٩	لاشقياء	الاشقياء
٢٣	٢٢	قعيده	قعيد
٢٥	٢٠	سعيكم لشي	سعيكم لشتى
٢٧	١٤	نظفة	نطفة
٢٩	١٠	تبوتية	ثبوتية
٣٠	٧	ويعدأ بها	ويعدم بها
٣٢	٦	قل	قال
٣٦	٠٠	وكل خير	وكل شر
٣٨	١٧	ويدكرهم	ويذكرهم
٣٩	٢١	وهامى	وها هي
٣٧	٦	منبوعين	متبوعين
٤٥	٢١	لعيمنه	لعظمته
٤٨	٦	أفول	اقول
٤٨	٩	كون	كونا
٥١	٣	لا اتصف	لاتصف
٦٩	١٧	فيما عد	فيما عدى
٧٥	٩	ماب	مــآب
٧٩	٩	ماب	مــآب
٨٠	١٠	البصر	البصري
٨١	١٨	تفوية	تقوية
٨٢	١	واعنافها	واعناقها
٩٠	٥	كنت	كــدت
٩٠	١	وثانيهما	وثانيها
٩٧	١٧	في زواني	في زواج
١٠٢	٧	الأكمة	الأكمه
١١٦	١	وفت	وقت
١١٨	٦	أوحى الى	اوحي الي
١٤٣	١	ومحياق	ومحياي
١٥١	١٥	صورة	سورة
١٦٩	٢	الرايد	الرائد
١٧٥	٦	طمعا	طعما
١٨٨	١٣	لمنشيئها	لمنشئها

ص	س	خطأ	صواب
١٩١	١٩	لا يستوي	لا يسوي
١٩٢	٢	كان مسئولا	كان عنه مسئولا
١٩٥	٢٠	للكتاب	الكتاب
١٩٨	١٧	الصنعائي	الصنعاني
٢١٣	١٨	القابظ	القابض
٢٣١	١٧	البغره	الصخره
٢٣٩	٢١	واكراما	واكرامها
٢٤٣	٢٠	تحقق ما	تحقق مما
٢٥٠	٨	خالتطه	خالطته
٢٥١	١١	ومنوبة	ومندوبه
٢٥١	٢٠	المبدعة	المبتدعة
٢٦٧	١٩	ما فسروه	لا مافسروه
٢٧١	١٤	قل أولو	قال أولو
٢٩٦	١٤	القوقس	المقوقس
٣٠٨	٦	المقبابر	المقابر
٣١٤	٧	لم ارى الفقهاء	ولم أر الفقهاء
٣٢٤	٠٠	الاسلام لا سلطان عليه	الاسلام لاسلطان له عليه
٣٤٤	١	اختلاف	اختلاق
٣٥٢	١	الغرص	الغرض
٣٥٤	٤	لا اتقى	لاتقى
٣٦٤	٩	مضاد	مضار
٣٧٠	١٨	القدم	القوم
٣٧١	٢١	معاذ العرب	معادن العرب
٣٧٢	١	نعم « فخيالركم	نعم قال « فخياركم
٣٧٧	١١	الأوازعي	الأوزاعي
٣٧٧	١٢	الاوازعي	الأوزاعي
٣٨٥	٢	تتبجج	تتبجح
٣٩٦	١٠	فلا فيه	فلا فرق فيه
٣٩٧	٤	على شهادة المرأة	على ان شهادة المرأة
٤٠٠	١٧	اجراء جديدة	اجراءات جديدة
٤١١	١٣	فيتنفشون	فينتفشون
٤٣٠	٢٠	خنفاء	حنفاء
٤٤٦	٨	وفرض	وقرض
٤٦١	١٧	وصال	أوصال
٤٦٩	٠٠	١٩٣١ ٠	١٣٩١ ٠